

ربيع الثاني 1407 هـ - يناير (كانون الثاني) 1987

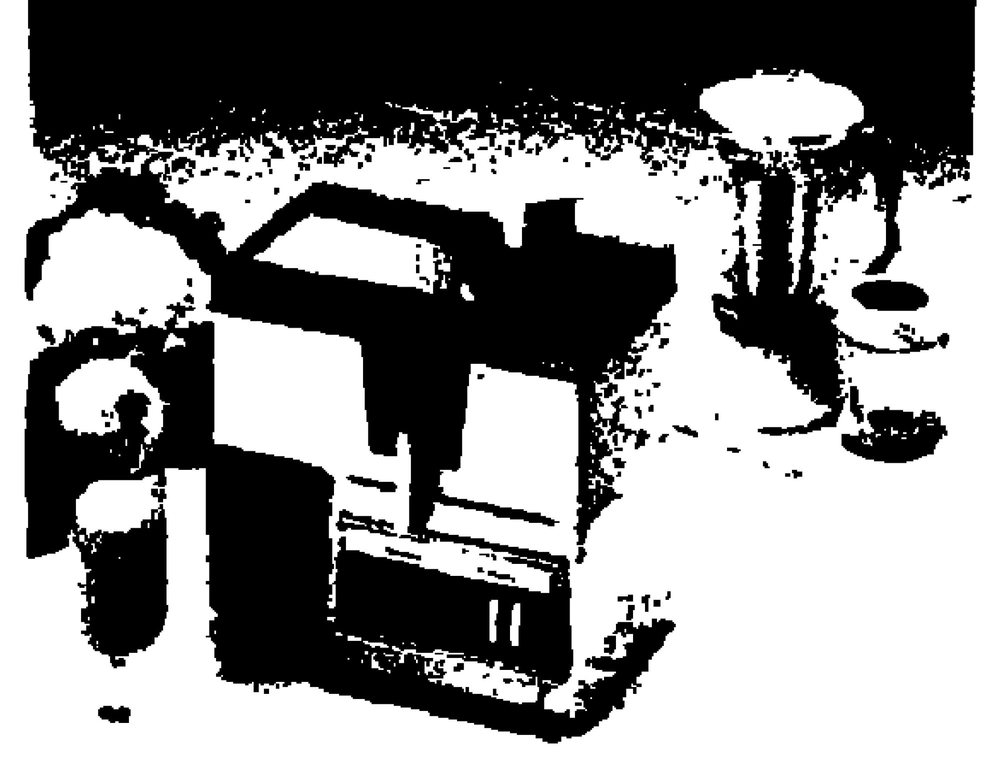




إندونيسيا..
«سلام لك مكة»!

■ مؤتمر القمّة الإسلامي «ملف خاص»

أسرع طريقة لتحسين المنزل. طريقة فيشر



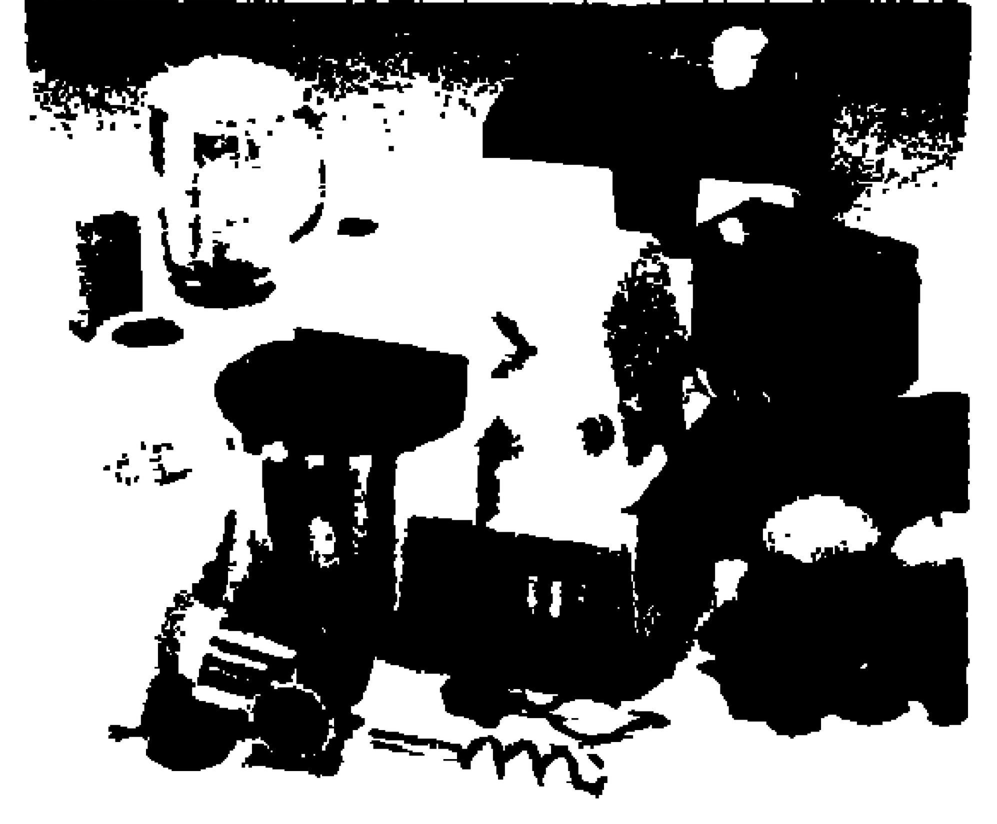
FSJ5102MBK عصارة / خلاط
السّرعتان مع القذف الأوتوماتيكي للنفايات تجعل العصر أسهل مما كان عليه سابقاً. وعاء زجاجي سعة ٨٠٠ ملل، كأس عصير سعة ١٠٠٠ ملل وزجاجة ميني تبرز تعدد استعمالات هذا الخلاط. مهيّئ بمنتخب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢٠ فولت).



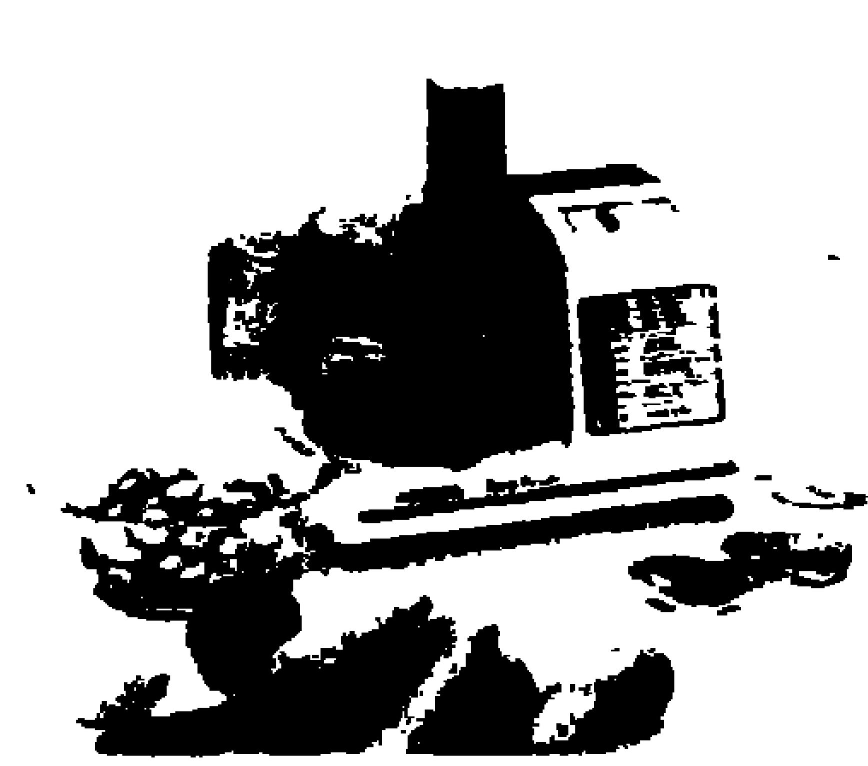
FSM8600CM خلاط/مطحنة قهوة
عملية بلمسة زر واحدة مع وعاء سعة ٧٠٠ ملل تعطيك الراحة التي تتوقعين. أما الأداة الإضافية لطحنة القهوة فهي بشفرة خاصة. كلها في تصميم مدمج صُمم خصيصاً ليوفر المساحة



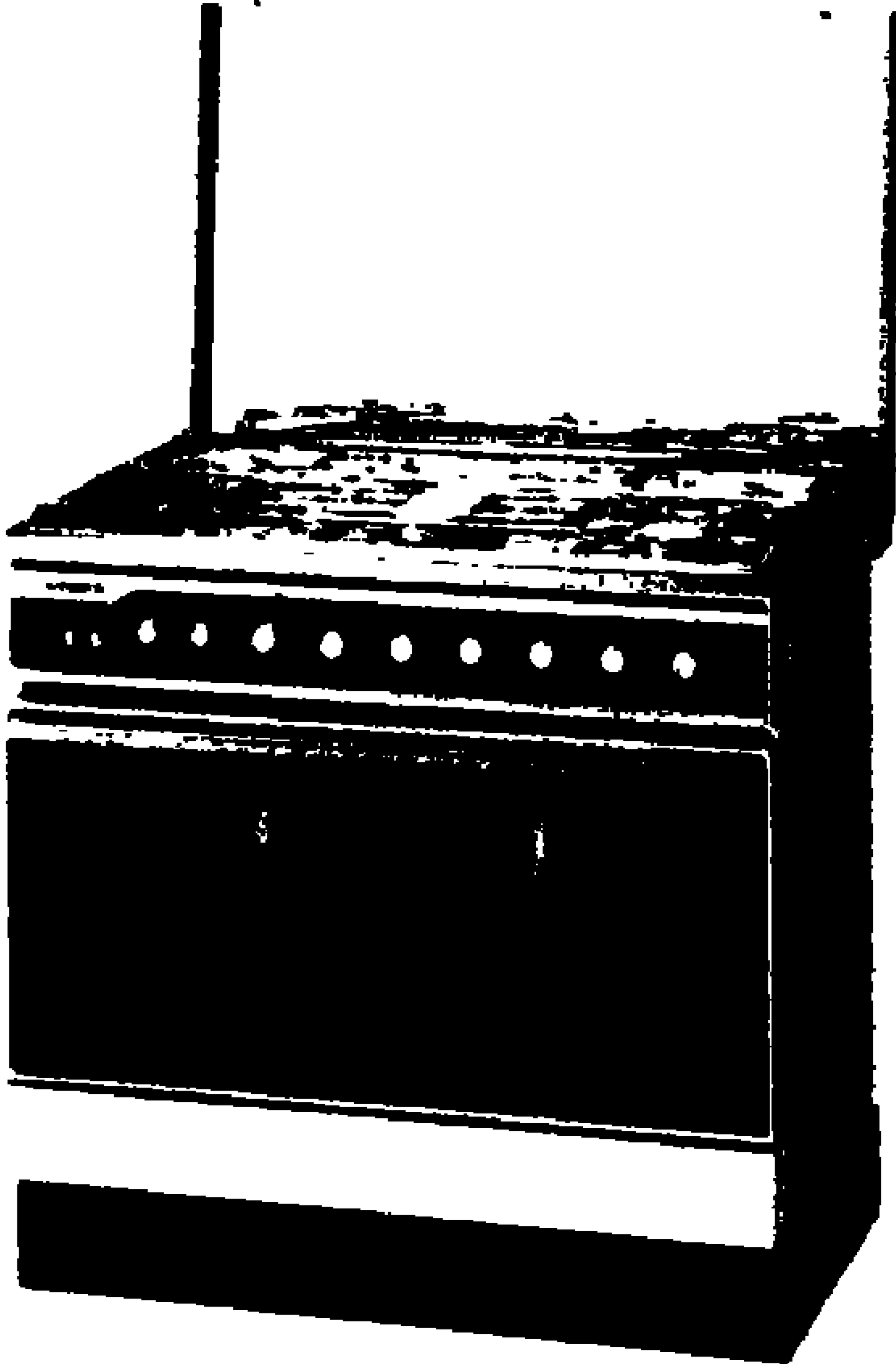
FHM20E مازج يدوي
ثلاث سرعات للمزج من أجل تعدد استعمال أقصى، وخافق من معدن لا يصدأ يخرج بكبسة زر بالإضافة إلى حجرة لتخزين سهل.



FJB500EK مصنع طعام
السّرعتان مع وظيفة "فلاش" تجعل هذا الموديل ساحر المطبخ الحقيقي، وبذلك يساعدك على العصر، الخلط، التمزيق، الفرم، الخفق والعجن كما تريدين. مهيّئ بمنتخب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢٠ فولت).



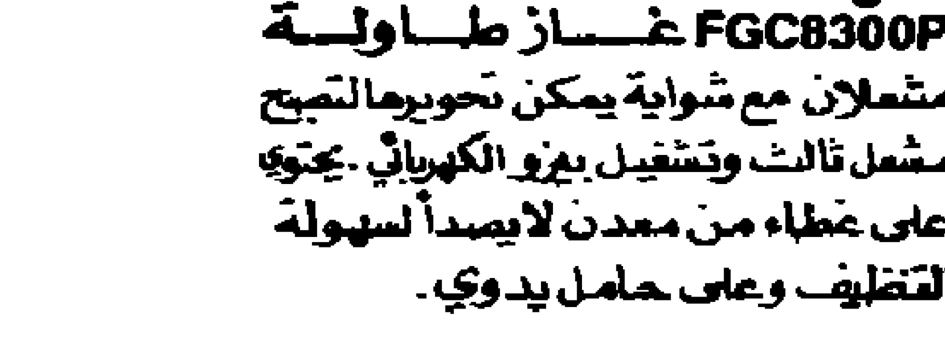
FKM1350EK جهاز لتحضير الطعام
محرك قوي يجعل التشريح والقطع وحتى العجن يتم بسرعة وسهولة في عملية تشغيل تدفق متواصل. أما الحجرة المبيتة للملحقات فإنها تجعل التخزين سهلاً أيضاً. مهيّئ بمنتخب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢٠ فولت).



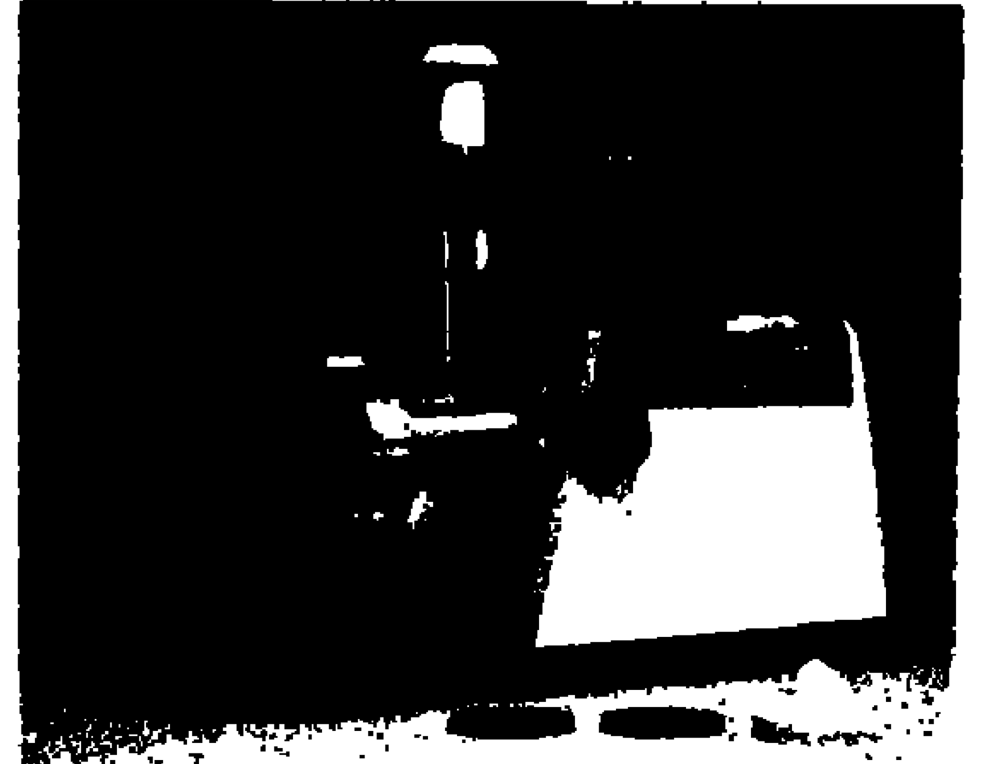
FGR903PGK طباخ غاز
مجموعة ديلوكس أكثر عرضاً بالإضافة إلى فرن كبير مهيّأ بموقت، سيخ دوّار وضابط للحرارة لأي اسلوب في الطهي. مهيّئ بمنتخب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢٠ فولت).



FSK1500 توستر أوتوماتيكي
ضابط تحميص بخمسة أوضاع وفتحات واسعة جداً من أجل قطع أكبر. تصميم مدمج وصينية فتات لراحة في التنظيف والتخزين أيضاً.



FGC8300P غاز طاولة
مشعلان مع شواية يمكن تحويرها لتصبح مشعل ثالث وتشغيل بعزو الكهربائي. يحتوي على غطاء من معدن لا يصدأ لسهولة التنظيف وعلى حامل يدوي.



FMG5500 مفرمة لحم
محرك قوي ١٢٠٠ واط وقاطع مبيت للدائرة الكهربائية وأربعة قواطع إضافية - ناعم - متوسط - خشن وللكبة. مفتاح "فلاش" لراحة زائدة وعلبة للملحقات وشريط الكهرباء لتخزين أسهل.

فيشر
FISHER
The symbol of quality throughout the home

العدد ٣٣٨ السنة الثلاثون يناير ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 338 Jan. 1987 P. O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

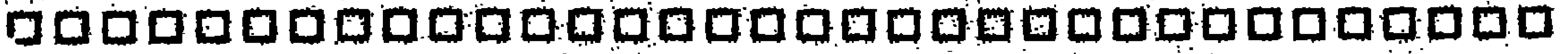
الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران



محتويات العدد

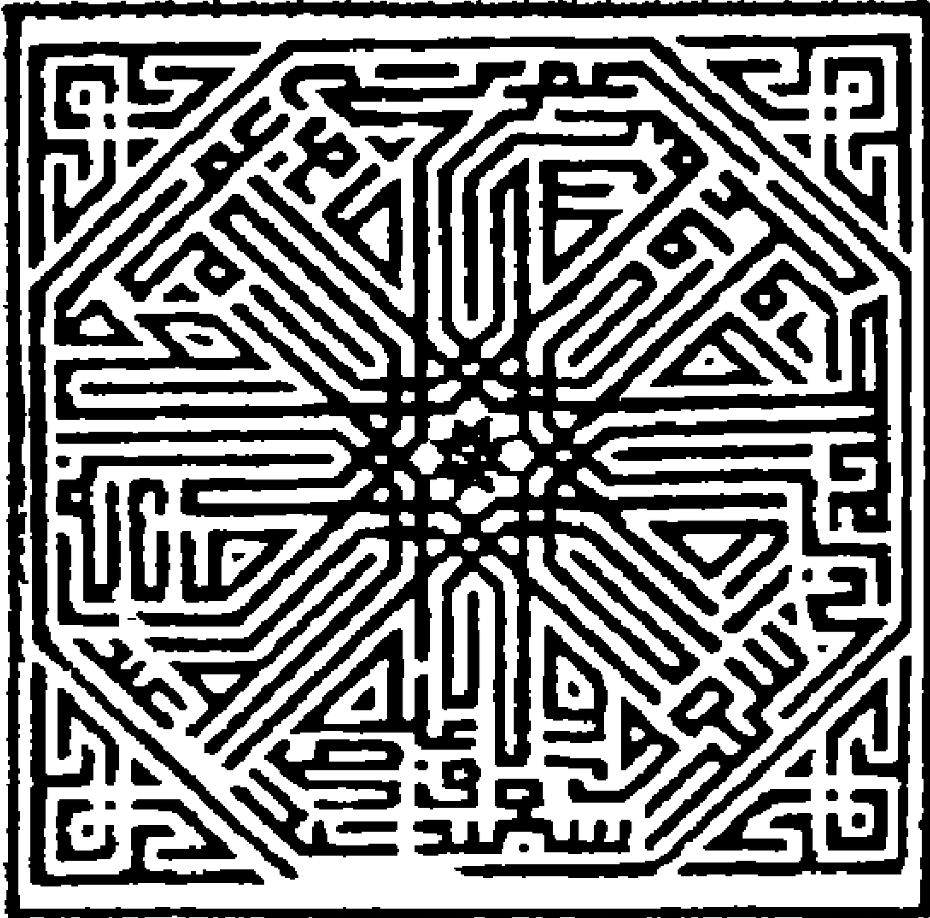




القتلة البيض ص١٢٤



دورة الحياة والموت النباتية ص١٣٧



جمالية الخط الكوفي ص١٨٠

د. فؤاد زكريا

د. إمام عبدالفتاح إمام

صورة الغلاف

ما أروع مشهد النساء والفتيات في اندونيسيا - وهن يؤدين الصلاة في المساجد. في حجابهن الأبيض كأنهن موجات من الملائكة (ص ٣٦)

استطلاعات ومقابلات

الجزائر، ربع قرن من التنمية ص١٠٠

مدينة زرقاء اليمامة ص١٦٤

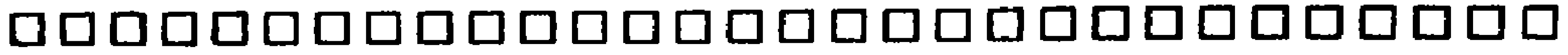
المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء.

أبواب ثابتة :

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



عزيزي القارئ



أهلاً .. ضيوف الكويت

في هذا العدد نلتقي معك في أكثر من مناسبة تاريخية . ففي أواخر هذا الشهر يلتقي رؤساء دول وحكومات ست وأربعين دولة إسلامية . وممثلو المنظمات الإسلامية وحركات التحرير على أرض الكويت ، بدعوة كريمة من أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، لعقد مؤتمر القمة الإسلامي الخامس . هذه المناسبة التاريخية التي تشهدها الكويت ، وقد أعدت لها عدتها . تنبع من حرص أمير الكويت على العمل الإسلامي ، وتضامن المسلمين . فلقد كان هاجس هذا الرجل القائد المسلم منذ زمن طويل فيما وصل إليه المسلمون من فرقة ، وكان عمله الدؤوب هو محاولة وضع أسلوب لمواجهة الخلافات التي تنشأ ، ليحول دون تطورها إلى مواجهة مسلحة ، أو ليضع حداً لأي مواجهة قائمة . وفق معايير الإسلام وقواعده . ولقد وفقه الله تعالى إلى تقديم ذلك الاقتراح التاريخي في مؤتمر القمة الإسلامي الثالث في الطائف ، بإنشاء محكمة عدل إسلامية . يرتضيها المسلمون حكما ، ومصلحا ، وقاضيا ، في كل المنازعات بينهم .

وعندما يصلك ـ عزيزي القارئ ـ هذا العدد تكون الكويت قد استعدت للترحيب بضيوفها من الأقطار الإسلامية المختلفة ، واضعة نصب عينيها تماسك المسلمين . ووحدة كلمتهم ، ونجاح مؤتمرهم المرتقب .

ومن جميل الصدف أن تدخل « العربي » بهذا الشهر في العام الثلاثين من عمرها ، بعد أن قدمت لقرائها ـ في الوطن العربي والعالم الإسلامي ـ حصيلة ثقافية وفكرية غزيرة ، عاقدة العزم على استمرار المسيرة وتجددها .

بهذه المناسبة أيضا تهديك العربي خريطة تبين انتشار المسلمين في شتى قارات العالم وبلدانه جريا على عادتها السنوية ومساهمة منها في الترحيب بالمؤتمر الاسلامي الخامس .

فأهلا بضيوف الكويت ، وكلنا أمل ورجاء في تحقيق أهداف هذا المؤتمر التاريخي المهم .

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الإسلام والعالم



على أرض الكويت وبدعوة من أميرها الشيخ جابر الأحمد ينعقد في أواخر هذا الشهر - يناير ١٩٨٧م - المؤتمر الخامس لرؤساء الدول الإسلامية ، في أجواء عربية وإسلامية ودولية بالغة التعقيد ، سواء أكان ذلك على الجانب السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي .

ولعل هذا المؤتمر الخامس يكون فرصة طيبة لتجاوز مرتبة الموعظة الحسنة بين المسلمين ، والدعوات الطيبات فقط ، إلى تحليل الواقع العالمي ، وانعكاساته على الدول والشعوب الإسلامية ، وتحويل الرغبة المشروعة في التضامن بين المسلمين الى برنامج عمل ، تتكامل فيه الجهود ، وتحدد به الأولويات ، بعد أن تقطعت أوصال الأمة ، وانتهكت حرماتها ، وهددت أوطانها .

إنشاء محكمة عدل إسلامية ضرورة لمواجهة المشكلات التي يلجأ البعض لحلها بواسطة العنف والحرب



● سمو الشيخ جابر الاحمد .. ودعوة كريمة تنبع من حرص امير الكويت على العمل الاسلامي وتضامن المسلمين .

إن فكرة تجمع الدول والشعوب الإسلامية في منظمة تسعى لترسيخ التعاون بينها ، فتوحد مواقفها تجاه الغير ، وتحل المشكلات السياسية والاقتصادية التي تواجهها ، فكرة عظيمة ونبيلة ، تستمد عظمتها ونبلها من عظمة الإسلام الخالد الذي قاوم على مر القرون ـ وبخاصة الأخيرة ـ محاولات دءوبة لإطفاء نوره ، سواء بالغزوات الاستعمارية أو الايديولوجية . وكان من الطبيعي أن يقوم المجتمع الإسلامي ـ بعد أن تخلصت معظم الشعوب الإسلامية من نير الاستعمار المباشر وغير المباشر ، وشرعت في دخول معركة التنمية ـ بالدعوة إلى مثل هذا التجمع في بداية السبعينيات ، وهي نفس الفترة التي أخذ فيها الاستعمار القديم يستبدل بثيابه ثيابا جديدة ، ظاهرها الرحمة وباطنها فيه العذاب ، هادفا إلى الإيقاع بين الشعوب ، ومستنزفا طاقاتها .

ولم يكن غريبا أن يتبلور هذا التجمع العالمي للمسلمين حول قضية هي في مكان القلب من قضايا المسلمين اليوم ، فقد تنادى المسلمون بالدعوة الى مؤتمر ، بعد أن قامت عناصر صهيونية في ٢١ آب (أغسطس) من عام ١٩٦٩م بإضرام حريق في المسجد الأقصى ، أولى قبلتي المسلمين ، مما ألهب مشاعرهم ، ودفعهم الى اجتماع رؤساء الدول الإسلامية في سبتمبر من ذلك العام في الرباط ، وتواصلت إثره الاجتماعات ، سواء على مستوى وزراء خارجية الدول الإسلامية التي بلغ عددها تقريبا واحدا وعشرين اجتماعا عاديا وطارئا أو على مستوى رؤساء الدول الذي تكتمل حلقته الخامسة في مؤتمر الكويت .

دعوة لقيام محكمة عدل إسلامية :

□ بعد المؤتمر الأول لرؤساء الدول الإسلامية ظهر إلى الوجود أول تنظيم دولي إسلامي ، هو منظمة المؤتمر الاسلامي التي أخذت على عاتقها تطوير العمل الإسلامي المشترك وتنظيمه ، وقد جاءت أهداف المنظمة ومبادئها منسجمة مع المطالب العالمية في السلم والتعاون العالمي ، ودعم كفاح الشعوب الإسلامية ، للمحافظة على كرامتها واستقلالها ، وتعزيز التعاضد بين أعضاء المنظمة من جهة ، وبينهم وبين المجتمع الدولي المحب للسلام والساعي الى الأمن والنماء من جهة أخرى .

ومن المؤمل أن تتم خطوة إيجابية كبيرة في استكمال مؤسسات المؤتمر

□ لقد مجد الإسلام العقل ، وعلينا استخدامه لتطوير حياة الناس.

في الملتقى الخامس في الكويت ، وذلك بإعلان إنشاء محكمة عدل إسلامية ، تقدم باقتراح إنشائها سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في أثناء انعقاد المؤتمر الثالث للمنظمة في المملكة العربية السعودية في يناير ١٩٨١ ، لأن سموه يدرك الأهمية البالغة لمثل هذه المؤسسة ، وقيامها بين الدول الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية الحرجه . وقد تمت الدراسات الأولية لهذه الفكرة الرائدة ، وفي حالة إقرارها نهائيا ستصبح الكويت مقرا لها .

منجزات أخرى :

☐ في مسيرة منظمة المؤتمر الإسلامي التي أصبح اعضاؤها حوالي ست وأربعين دولة منجزات أخرى على مستوى إنشاء المؤسسات ، وقد بلغ مجموع المؤسسات التابعة للمنظمة ست عشرة مؤسسة ، منها البنك الإسلامي للتنمية ، ووكالة الأنباء الإسلامية الدولية ، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ومجمع الفقه الإسلامي ، واللجنة الإسلامية للهلال الدولي ، وإحدى عشرة مؤسسة أخرى موزعة على عواصم الدول الإسلامية .

وخلال ست عشرة سنة مضت على ظهور العمل الإسلامي المشترك الى الوجود تطورت منظمة المؤتمر الاسلامي بمؤسساتها الى الحد الذي أصبحت فيه قوة على المستوى الدولي ، فأصوات الدول الاسلامية تقارب ثلث أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وكتلتها في المنظمات الدولية لا يمكن تجاهلها ، كما أن المنظمة ـ كمنظمة ـ قد حاولت بذل مساع حميدة في القضايا التي تمس المسلمين . وقد تكللت بعض هذه المساعي بالنجاح ، وصادف بعضها التعويق .

وخلال الست عشرة سنة الماضية فرضت على بعض الدول الإسلامية منازعات وخلافات ، من التبسيط والاختزال ردها إلى عامل واحد ، لكن يمكن القول ان أغلبها كان مصدره الاستعمار بأشكاله المختلفة ، القديمة والجديدة ، فقد كان استعمار الدول الاسلامية ـ أو معظمها ـ من قبل دول غربية متعددة ، حملت وتحمل كل منها ثقافتها وعقيدتها ولغتها ، وثبّتت تلك الدول الاستعمارية حدودا إقليمية وعرقية ، وفرضت نمط حياة وأنشطة اقتصادية ، وشجعت على ازدياد التوتر والعنف بين الدول الإسلامية ، سواء كانت في دائرتها الإسلامية العربية ، أو في الدائرة الأوسع ، وهي الاسلامية الدولية .

ولعل أهم ما يواجه الدول الإسلامية اليوم بجانب القضية الرئيسية التي تنادى المسلمون لنصرتها ، وهي قضية الأرض والوطن الفلسطيني ، هي مشكلة النزاع المسلح بين الجارتين المسلمتين ، العراق وايران ، والتدخل السوفيتي في افغانستان . لعل هذه الدوائر الثلاث ذات الأهمية القصوى إقليميا ودوليا من أهم ما يواجه منظمة المؤتمر الاسلامي في هذه الفترة .

الإســـــلام الـيـــــوم :

□ لعلي لا أتفق مع كثيرين في اعتبار حركة المسلمين اليوم حركة « صحوة » أو « تجديد » أو « يقظة أصوليّة »، فتلك مفاهيم غربية ، أطلقها بعضهم عندما أعادوا اكتشاف الإسلام ، وتشبث بعضنا بها نظرا لانبهاره بالشكل فقط . فالاسلام موجود منذ زمن طويل ، وهو يشكل اليوم - كما شكل بالأمس البعيد - أحد مكونات الانسانية الثقافية والأخلاقية والروحية الكبرى .

وعودة قصيرة فقط الى التاريخ الحديث نعرف منها أن آخر محاولات الغرب لحصار الإسلام في عقر داره - كما اعتقدوا - هو سلسلة الارساليات التبشيرية التي طوّقت جزيرة العرب في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ، لكننا نلتفت حولنا اليوم فلا نجد تلك الارساليات . لقد اختفت وبقي الاسلام ، بدون تنظيرات وبدون تعابير الصحوة واليقظة ، إن هذا الدين الحنيف المتسامح يغذي المؤمنين به على مر العصور بغذاء مجدول من الصبر والمقاومة والايمان بالله الواحد القهار .

وعندما يقف الإسلام اليوم قويا شامخا بين قوى متصارعة ومتنافسة مثل الرأسمالية والاشتراكية بأشكالها المختلفة والمتدرجة فإنه يعني في جوهره أنه هيكل متفرد بذاته ، قادر ليس على البقاء فقط ولكنه قادر أيضا على الاستجابة لمتطلبات العصر دون إفراط أو تفريط .

إن الوحدة الاسلامية ، والتوحيد الرباني ، والاجتهاد الانساني ، حلقات ثلاث متكاملة ، فوحدة المسلمين تتجلى في توجههم الى قبلة واحدة ، هي الكعبة المشرفة ، وفي صومهم شهرا واحدا ، هو رمضان الكريم ، وتوجه من استطاع منهم إلى تجمع سنوي عظيم ، هو الحج الى بيت الله في أيام معلومات ، لقد فهم المسلمون اختلاف مناهج دعوة الأنبياء السابقين لمحمد ﷺ - رغم رفعهم لراية التوحيد - على أنه مظهر من مظاهر مسايرة التشريع للتطورات المستجدة ، كما اتجه الاجتهاد الفكري إلى إكمال كل ذلك عن طريق التدليل على قدرة الانسان على تنمية فضائله الجوهرية ، حيث مداد العلماء خير من دماء الشهداء .

إن من الخصائص الاسلامية الكبرى التنوع في إطار الوحدة ، فالنص

الاسلامي واحد ، إلا أن تفسير الفقهاء له يمكن أن يتنوع حسب الاجتهادات التي تختلف باختلاف الظروف والبيئات ، شرط ألا يخرج عن جوهر النص وقواعده . من هذا المنطلق نمت وتطورت في الاسلام مذاهب فقهية متنوعة ، ولولا الترك الجزئي ـ وأسبابه متعددة ـ لمسار تطور الأحكام الشرعية حتى كادت تنحصر في بعض البيئات في قضايا الأحوال الشخصية ، لأصبح لدينا اليوم اجتهاد متطور ، معايش للعصر ، مندمج في سلوك متقارب . والملفت للنظر أن الشريعة الاسلامية رغم محدودية استخدامها عبر العصور الأخيرة هي أحد العناصر الرئيسية التي هيأت للأمة الاسلامية أن تحافظ على كيانها .

إن شمولية الاسلام وتسامحه اللذين مكّناه من الاستمرار والانتشار في السابق في الأطراف الشرقية للأمة الاسلامية وكذلك في الأطراف الغربية حريٍ به اليوم في إطار مبادىء الاسلام العظيمة وثوابته الكبرى أن يدفع بالمسلمين لتمثل هذا التراث . والاجتهاد بدأب على طريق تآخي المثل الأعلى مع الواقع المعاش . ورفع الواقع المعاش إلى المثل الأعلى .

الواقــع والتصــوّر :

مخططات تطويـق جـزيـرة العـرب بالإرساليات التبشيرية لم تفلح وبقي الإسلام صلبـاً والمسلمون أتقيـاء

☐ الواقع يقول لنا على الصعيد العملي ان هناك ثورة تقنية وعلمية على ظهر كوكبنا . وأن هذه الثورة قد امتدت إلى أقصى أطراف المعمورة ، والواقع يقول لنا أيضا اننا كمسلمين دولا وشعوبا ننتمي إلى العالم الثالث بفقره ومرضه . وتخلف وسائل إنتاجه ، وتخلف علاقاته الاجتماعية ، إن لم يكن على نطاق القيم ففي واقع الممارسة . والواقع يقول لنا ان تعليمنا محدود ، وثرواتنا منهوبة . وطاقاتنا مهدورة ، واننا كدول إسلامية ، قد وصلنا إلى المسرح الدولي فوجدناه معدّا قبلنا بقوانينه ، وعلاقاته ، ومؤسساته ، وان اللاعبين على هذا المسرح عليهم أن يتحركوا بناء على تلك القوانين والقواعد التي لم نشارك في صياغتها ، فهي ثمرة التاريخ الأوربي في الغالب .

لذلك وجب علينا أن نستخدم العقل الذي مجدّه الاسلام . وحث على احترامه ، نستخدمه كي نطور واقعا جديدا منطقيا ، فنحن لا نستطيع أن نفلت فجأة وفي مرة واحدة من قواعد المسرح المعدّ !



● مقر المؤتمرات الذي سيشهد تجمع القمة الاسلامية في الكويت

وكمثال ـ شئنا أم أبينا ـ فإننا مازلنا نلتزم بالحدود التي فرضها التقسيم الحديث للدول ، بكل قواعدها الدولية والقانونية ، لكن هناك أمورا يمكن أن نتعايش معها ، وأخرى يجب أن نحكّم عقولنا فيها . فالنزاعات المسلحة بين الدول الاسلامية ـ مهما كانت أسبابها ـ هي نزاعات تضعف الأمة من جهة ، وتقوي أعداءها ، والاسلام ـ كمفاهيم وشرائع ـ قادر على تقديم نموذج لحل هذه النزاعات ، بل قادر على أن يكون عاملا قويا لبناء تلاحم حقيقي سياسي وتنموي ، وإذا كان الأخير ممكنا ـ وهو في طور النمو من خلال مؤسسات اقتصادية ومالية ـ فإننا نرجو أن يتحقق الهدف الأول (السياسي) من خلال محكمة العدل الاسلامية .

دين سلم :

□ أسباب الصراعات بين الدول الاسلامية متباينة ، منها ما هي متوارثة من أيام الاستعمار ، فرضها علينا ورحل ، وأخرى وجدت نتيجة لتدخل خارجي واضح أو خفي في مناطق إسلامية استراتيجية ، وغيرها

ناتجة عن آلام ومشاكل التغيرات الداخلية ، إلا أن المشكلات الدولية بين الدول الاسلامية ـ في رأينا ـ أشد خطورة وأكثر عمقا ، ويمكنها أن تعصف بالتكاتف الاسلامي نفسه .

وإذا لاحظنا أن الانسانية ـ رغم النكبات ـ تتقدم نحو مزيد من التضامن والتعاون ، وأن الأسباب المبررة للجوء إلى العنف ـ من منظور دولي ـ تتضاءل فحريٌ بالمسلمين ـ والاسلام دين التوحيد والسلام ـ أن يقودوا هذا التوجه ويبدءوا بأنفسهم ، فالاسلام دين سلم ، وتحية المسلمين بينهم هي السلام ، والاسلام كوحي إلهي حق ، يسعى إلى تأمين حياة الانسان المؤمن ، وينظم علاقاته مع الآخرين على أساس سلمي ، فالقتال ليس مرخصا به إلا إذا كان لدرء مظلمة ، ولا تعلن الحرب وجوبا إلا إذا كانت دفاعا عن الذات ، وللقتال في الاسلام قواعده الأخلاقية المعروفة ، كما أن العدوان أو المبادرة بالقتال ـ دون سبب صحيح ـ محرمان . وهناك قواعد إسلامية عظيمة كوجوب السلم في نطاق العدل ،

□ مازلنا ـ كدول إسلامية ـ جزءًا من العالم الثالث ، والمطلوب بذل كثير من الجهود للقضاء على فجوة التخلف ، ولمواكبة عصر التقدم التقني.

وتحريم المعاملة بالمثل في نطاق الظلم ، وتغليب الرحمة تأكيدا لصالح الجماعة ، وهي مبادىء لو تمثلناها اليوم لحل الوفاق بديلا عن الصراع ، والوئام بديلا عن الخصام . وإذا كان كل ذلك مطلوبا بين أمة الاسلام والأمم الأخرى فهو أكثر إلحاحا أن يتمثل بين مختلف الدول الاسلامية اليوم .

عمران المجتمع الاسلامي :

□ إذا كانت القضية الأكثر إلحاحا اليوم بين الدول الاسلامية هي إحلال التفاهم والحوار بدلا من الصراع في مجموعة القضايا العالقة بين دولها ، فالقضية الأخرى التي تليها في الأهمية هي واقع عمران المجتمع

النزاعات المسلحة بين الدول الإسلامية تضعف الأمة وتقوى أعداءها

الاسلامي الذي ينتمي - كله تقريبا - إلى ما تصالحنا على تسميته بالعالم الثالث ، والذي مازالت علاقاته الاقتصادية مرتبطة بالمركز الغربي الذي شكل سطوة الاستعمار القديم أو الجديد . ورغم الجهود التي بذلت في الست عشرة سنة الأخيرة منذ قيام منظمة المؤتمر الاسلامي في الاطار الاقتصادي ، وعلى الرغم من الجهود الخيرة التي بذلتها صناديق التمويل والاعمار في الدول القادرة ماليا على التمويل ، فإن الواقع الاقتصادي وتطويره يحتاج إلى بذل المزيد من الجهود ، فهناك دول إسلامية تضربها المجاعة ، وأخرى تتزايد ديونها الخارجية عاما بعد عام مع تناقص في القدرة على السداد ، كما أن جهود بعضها التنموية في التعليم والتدريب وتطوير البنية التحتية مازالت في بداياتها الأولية أو تكاد . هذا العبء العمراني الثقيل لا يحتاج فقط إلى مال وبشر ، وإنما يحتاج قبل ذلك إلى طرق تفكير جديدة ، وأولويات تتركز على العلم والعمل كمنطلق لاعمار ذاتي ، وتحتاج كذلك إلى تعاون المتكافئين ، وليس منة المتبرعين ، تعاون يحرك الوعي الجماعي بالخطر المحدق ، ويصب الجهود لخدمة الانسان الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى .

وبعد ،

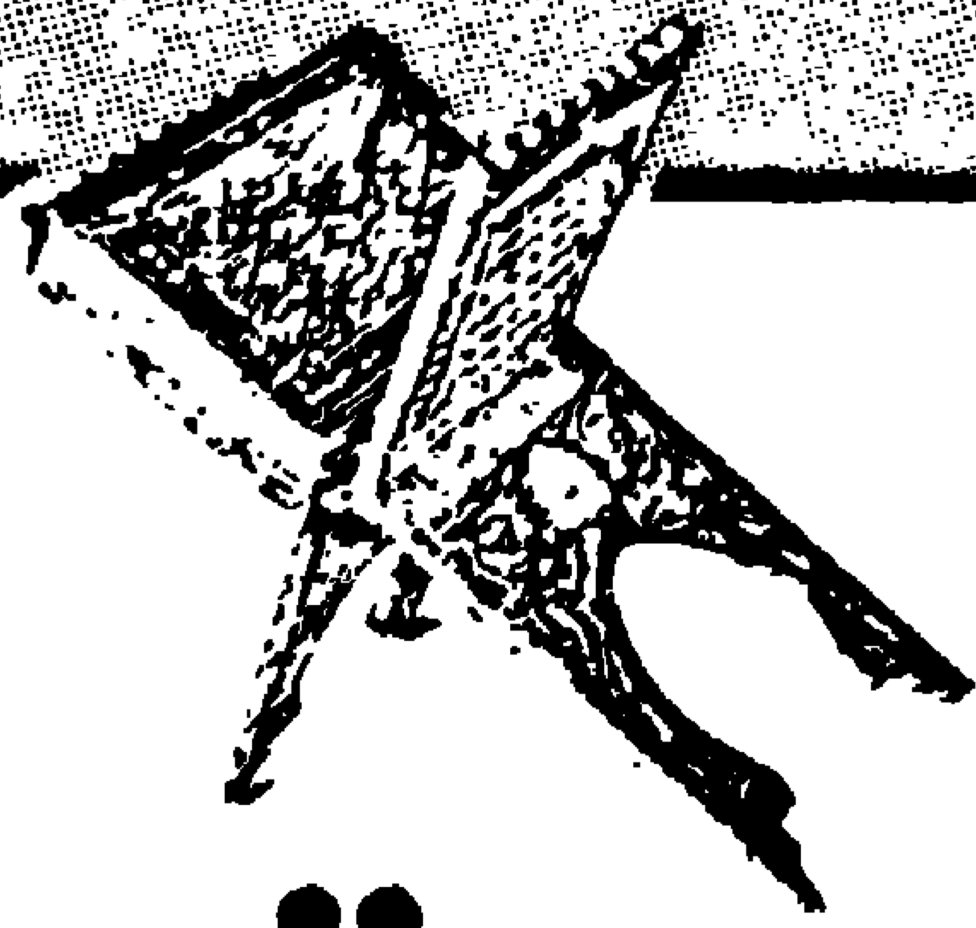
إن أنظار الشعوب الاسلامية معلقة بمؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت ، والطموح الكبير في أن يقدم هذا المؤتمر مبادىء لحل المشكلات الرئيسية الدنيوية التي تواجه المسلمين اليوم ، في إطار من الروح الاسلامية السمحة ، وأن يبدأ بتضميد جراح الأمة الاسلامية الآن ، وحز الصراعات الجانبية التي هلك فيها الحرث والنسل ، والتي تنبىء - إن استمرت - بشر عظيم . لقد بدأ شيء جديد غير مسبوق من الدبلوماسية والعلاقات بين الأمم في إطار منظمة المؤتمر الاسلامي . قد يكون من الحيف تحميلها ما لا طاقة لها به ، لكن البذرة موجودة ، والآمال كبيرة ، وإذا كان للمسلمين إسهام حضاري منتظر فليبدءوا بأنفسهم . □

محمد الرميحي

صورة

شعر : خالد سعود الزيد

مثلٌ قد تجسَّدا   وقديمٌ تجدَّدا
وجديدٌ جُذورُهُ   ضارباتٌ بلا مدى
أرضُهُ أو سماؤُهُ   مثلما الصوتُ والصدى
ما ترى من تفاوُتٍ   مُطْلقاً أوْ مُقيَّدا
ليس شيءٌ كمثله   جمع الحُسْن مُفردا
حَشْد الكونُ كلُّه   فيه حشْداً مُجدَّدا
واستدارَ الزمانُ في   ذاته ، مثلما بدا
مُسْتمِدّاً ومُعْطِيا   واحدٌ ، إنْ تعدَّدا
غايةٌ ما سما لها   قبْلَهُ مَنْ تمجَّدا
صورةٌ لن ترى لها   مَثلاً قد تردَّدا
كان من قبلُ أحمدا   وأتاها مُحمَّدا



الوحدة والتنوع في العالم الإسلامي

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

وصف الله تعالى البيت الحرام بقوله : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين . . . » (آل عمران : ٩٦ - ٩٧) .

وكان أول ما انزل من القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام - النبي الخاتم - قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » . (العلق : ١ - ٥) .

وبالحج والقرآن والايمان بالرسالة سلوكا وعقيدة وشريعة ، تحددت أبرز معالم الوحدة في الاسلام . . فلنتناولها بشيء من التفصيل :

القرآن والرسول

والقرآن الكريم ، هو الكتاب المنزل الوحيد الذي يستطيع المسلمون من سن مبكرة أن يحفظوه عن ظهر قلب ، وأبناء الاسلام هم التصوير الحي لقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (الحجر : ٩) ولقوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مذكر » (القمر : ١٧) .

والقرآن الكريم ، هو الكتاب الذي تواتر كوثيقة ، من وقت أن أنزله الله على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فكتبه أصحابه وحفظه منهم من استطاع ، وطبقوه والوحي ينزل ، فكان عندهم العلم والعمل .

يقول الامام ابن كثير في مقدمة تفسيره : قال ابو عبدالرحمن السلمي (وهو من كبار التابعين الحافظين لكتاب الله) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا (أي من الصحابة) انهم كانوا يستقرءون من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

وجمع ذو النورين - الخليفة الراشد عثمان بن عفان - المسلمين على المصحف الجامع ، بعد أن انتشر الصحابة في الأمصار ، بدلا من اعتماد كل منهم على ما كتب بيده ، أو حفظ بذاكرته فكان عمله توثيقا

كتابيا جامعا . وهذا العمل التوثيقي في الاجتماع على أصل واحد ، عصم القرآن ، كما عصم أبو بكر الاسلام بحروب الردة ، وصان كيان الدولة والوحدة الاسلامية .. والتقت بالعمليتين وحدة الارادة ووحدة العبادة .

والقرآن للمسلم كتاب الحياة ، والأمر الالهي الأول « اقرأ » مازال قائما . كان أمرا للمصطفى وهو أمر لكل مسلم من بعده .. وهو أمر يلتقي مع فطرة الانسان ، والفطرة دين ، والدين فطرة ، والله تعالى يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ... » (الروم : ٣٠ - ٣١) .

والقرآن عقيدة وشريعة وأخلاق وقصص : عقيدة هي التوحيد والايمان بما أنزل الله من كتاب ؛ وشريعة فيها إجمال ما يتغير - كالنظم السياسية والاقتصادية - وتفصيل ما لا يتغير كالعبادات ، واخلاق هي مستوى التعامل ، الذي صوره الرسول في حياته . فكان تصوير الاخلاق بالأسوة والكلمة . قال تعالى واصفا رسوله « وإنك لعلى خلق عظيم » (القلم : ٤) وقال مخاطبا المؤمنين . « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (الأحزاب : ٢١) . وقصص قال الله تعالى فيه « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ... » (يوسف : ١١١) .

وبهذا دعا القرآن الى التوحيد والوحدة ، والى العمل الصالح في هذه الدنيا ، والايمان بعقيدة الجزاء . الناس جميعا عباد الله ، وهم في الانسانية اخوة ، جاءوا من نفس واحدة « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » ... (النساء : ١) .

والتوحيد نداء دائم للوحدة ، والصلاة تعبير دائم يومي عنها : الفرائض الخمس ، الاستعداد لها ، طريقة أدائها ، ثواب الاجتماع عليها ، كونها تلخص الاسلام كله : ففيها التوحيد ، وهي صلاة ، ولا طعام ولا شراب عند ادائها ففيها من الصوم نصيب ، وفيها تقديم جزء من الوقت وهو الحياة ، وهذه روح الزكاة ، وفيها التوجه الى البيت الحرام ، وهذا نصيبها من الحج وتذكير دائم به ، وفيها الاجتماع على هدف والانتظام من أجله ، وحسن القيادة والاتباع ، وتصريب الخطأ اذا كان من الامام والفتح عليه اذا سها وهو يتلو ، فهي ليست اتباعا دون وعي ولكنها اتباع يقظ وتعاون وتناصح .

والزكاة رباط روحي واقتصادي بين الغني والفقير ، والصوم مساواة في أداء العبادة لكل قادر عليها ، وتأكيد لروح الوحدة الاسلامية على امتداد العصور والاقطار .. يؤديها كل مسلم في موطنه أو مقامه ...

وفي هذا تختلف عن الحج حيث يجتمع الحجيج من كل فج عميق ليؤدوا مناسكها معا ... ونقف فيها عند أمور اساسية :

١ - المساواة في الملبس بالاحرام .

٢ - تضاف وحدة المكان الى وحدة الملبس في الطوف بالبيت العتيق والسعي بين الصفا والمروة .

واذا كان الطواف تعبيراً عن الحب ، وصورة لحركة الكون .. والكون كله في طواف دائم ، تراه في المجموعة الشمسية كما تراه في الذرة ، فان السعي تعبير عن الحركة من أجل هدف ، كان الحصول على الماء ، والحياة حب وحركة ...

٣ - ثم تضاف وحدة الزمان الى وحدة المكان والملبس .. وذلك في يوم عرفات وهو ذروة الحج . هنا الوحدة الشاملة الكاملة في أروع صورها ، حيث يتلاقى المسلمون - ضيوف الرحمن - على غير أرحام تصلهم ، ولا وحدة لسان أو لون ولكنها العقيدة التي يحسون بها أقوى من كل الفوارق .. وهو مشهد يتكرر كل عام ، مشهد مفتوح لكل قادر عليه . وان كان على المسلم القادر أن يؤديه - فريضة - وفي العمر مرة . هذه أضخم لوحة يرسمها المؤمنون بأجسادهم حول البيت العتيق وفي عرفات ...

بين الوحدة والتنوع

ولقد جاء الاسلام من أول أمره مشيرا الى مظاهر التنوع البشري والطبيعي ، مع وحدة الحياة والاخاء الانساني : فالارض هي وطن الانسان .. كل الانسان .. « والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحَبُّ ذو العصف والريحان ... » (الرحمن : ١٠ ـ ١٢) واذا رجعت الى سورة الرحمن ـ كمثال ـ رأيت أوصافا للكون كله : بسمائه وأرضه ، بره وبحره ، دنياه واخراه ، عمله وحسابه ، وتحس الوصف دعوة مفتوحة الى عمران الحياة .

وجاء اختلاف الألسنة والألوان مظهرا لقدرة الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف السنتكم والوانكم ، ان في ذلك لآيات للعالمين ... » (الروم : ٢٢) .

وشأن البشر في اختلافهم شأن مظاهر الكون الأخرى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانهاوغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور ... » (فاطر : ٢٧ ـ ٢٨) .

فهناك اشارات الى عوالم وعلوم الطبيعة الجوية والنبات والجيولوجيا ، والأجناس والحيوان والتربة والأرض ، وتأمل كيف جاء لفظ « مختلف » ثلاث مرات في الآيتين .. وجاء لفظ « العلماء » مرة واحدة .. كان عليهم ـ وهم جميع متعاونون ـ أن يدرسوا مظاهر الاختلاف هذه ، ويضعوا لكل منها علومها ومناهجها دون أن يغيب عن أنظارهم « وحدة الخلق » و « توحيد الخالق » .. هل نقول وحدة المعرفة في تعدد مظاهرها ، وتنوع آفاقها ؟ هنا الوحدة في التنوع ، والتنوع في اطار الوحدة ..

من عروبة الحضارة الاسلامية الى عالميتها

بهذه المفاهيم الأساسية قام الاسلام : كان في أول أمره « جزءا » من العروبة ، دعوته الاولى في مكة ، وقاعدته الاولى في المدينة ، ومنها انتشر حتى غمر الجزيرة العربية في العهد النبوي ، واهتزت الجزيرة بعد وفاة الرسول ، ثم استقرت الدولة ، وانطلقت الى آفاق جديدة بدءاً من عهد الخلافة الراشدة .

نعم : ان الرسول بعث برسائله الى الملوك والحكام من حوله يدعوهم الى الاسلام ، فمنهم من رد ردا كريما ، ومنهم من غلبه الغرور .. وكان اصطدام الاسلام بما حوله من عهد النبوة .. ولكن المواقع الكبرى جاءت بعد رحيله ، وكانت خطوط المقاومة الرئيسية الى شمال قاعدة الاسلام في المدينة ، في الشمال الشرقي حيث الفرس ، وفي الشمال الغربي حيث الروم .

اذن : عبر الاسلام حدود العروبة الى أرض حضارات جديدة ، وأصبح العرب بعض الاسلام ، بعد أن كان الاسلام بعض العرب ، وانتشرت العربية مع الاسلام والقرآن ، ولنذكر أن العرب هم أول من حمل أمانة الاسلام ايمانا ونشرا وجهادا . والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين على رسول عربي في أم القرى العربية ودار الهجرة وما حولها . ومن هنا كان الرباط الوثيق والمقدس بين العروبة والاسلام والقرآن ..

وان اختيار الزمان والمكان والرسول واللسان أمور تتعلق في الاسلام بارادة الله ، لا بارادة البشر ، والاسلام كما هو كرامة وتكريم فهو مسئولية وعطاء والانتساب الى امة الاسلام تحكمه ثلاثة أركان تجمعها الآية الكريمة :

« كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ... » (آل عمران : ١١٠) والكرامة في الاسلام بالتقوى .. والتقوى عقيدة وعمل .

وبالفهم السمح لاختلاف الالسنة والألوان والبيئات والقدرات ، وتغير المكان وتعاقب الزمان ومتغيرات الحياة ، خرج الاسلام من الجزيرة العربية الى العالم .. أو هكذا ينبغي أن يكون ..

ولا نستطيع أن ننكر دور القبيلة في الحياة العربية ، ولا ان نتنكر له . فمن قديم عرفت الجزيرة العربية : عرب الشمال والجنوب : العدنانيين والقحطانيين .. وعندما هاجروا في الجزيرة من موطن الى موطن حملوا معهم روابطهم .. ومن الممكن أن تتعايش الروابط ، ومن الممكن أن تتصارع ، من الممكن أن تصبح وحدات منظمة تتحرك مع القيادة

الى أهداف الاسلام . ومن الممكن أن تصبح قوى ضاغطة يستعين بها المتنافسون على السلطة ، وتتحول الروابط الى « عصبيات » ضيقة وجامحة ، تشتعل بها نيران الحروب ، ويتحول بها بأس المسلمين الى التنازع . . ورغم التحذير الالهي « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين . . » (الانفال : ٤٦) وقد حمل عرب الجزيرة بعض هذه العصبيات حتى عبرت معهم البحر المتوسط الى الاندلس . . واندفعت شرقاً الى وسط آسيا . وكان لها أثرها في تمزيق وسقوط دول اسلامية ، وقيام أخرى . . .

وجاءت عصبيات أخرى من الأقطار المفتوحة ، منهم من رضي الاسلام دينا ، ومن كان هواه مع قومه ، ومنهم من ظل على دينه ورأى في الاسلام قوة غازية عليه أن يقاومها ويطردها من الديار .

ولم يقتصر الامر على العصبيات العرقية واللونية والقومية ، وانما امتد الى العصبيات المذهبية . ونستطيع أن نرجع ـ كنموذج ـ الى كتاب الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م لنرى صورة عن الحياة العقلية والمذهبية للاسلام حتى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . . واعتقاد كل فرقة من الفرق التي زادت على السبعين أنها على حق . . وأنها الفرقة الناجية .

واذا كان كثير من هذه الفرق قد طواها التاريخ، أو نبت بعدها جديد ، أو تعايش بعضها مع بعض في ظل الاخاء الاسلامي ، فان أخطر ما يعانيه الاسلام هو أن يتحول الحوار بين الفرق الاسلامية الى صراع مسلح ، أو تحاول احداها فرض آرائها بالقوة على من يعيشون في ظل دولتها ، وتقوم بتصدير مبادئها الى ما وراء حدودها . .

خطورة الفرق الاسلامية هو التحول من رأي عقلي الى صراع سياسي وعسكري . وأبرز نماذجه المعاصرة وأشدها ضراوة : الحرب بين ايران والعراق ، والصراعات المذهبية في لبنان . .

وهذه المشكلات العسكرية المذهبية أو الدينية ليست مقتصرة على الوطن العربي والاسلامي . . فهي من أمراض العصر . . هذا العصر الذي أصبح العنف فيه لغة دولية ومن أمثلته : الصراع الايرلندي البريطاني وهو في جوهره صراع بين البروتستانتية والكاثوليكية . الصراعات المذهبية في الهند ، الصراع بين شمال السودان وجنوبه ، الصراع بين الأتراك والأرمن ، حركات العنف في أكثر من قطر اسلامي . .

ومن الصراع الى التعايش

ولكن الذي نود الوقوف عنده : ان الكثير من جوانب الاختلاف العرقي واللغوي والمذهبي في أوروبا التي قامت بينها الحروب قرونا ، قد استطاع القوم هناك أن يتخطوها الى صور جديدة من التعاون ، وأخلت الحروب والمعاهدات مكانها لسوق أوروبية مشتركة ، وبرلمان أوروبي ، وتعاون علمي وتقني ، يجدون فيه منافسة خطيرة من اليابان ومن حولها دول في الشرق الاقصى ، ونحن بمقاييسهم مازلنا نعيش في مرحلة الصراعات المذهبية ، والقوميات الضيقة ، دون أن نصعد بجهودنا الى تحديات العصر الذي نعيش فيه . .

المثلث الحضاري

ولنحاول الآن تحديد المؤثرات التي تزيد من شقة الخلاف في العالم الاسلامي المعاصر :

أولا : المواريث الحضارية السابقة للاسلام في الأقطار التي انتشر فيها فالصورة ـ أو الصور ـ في افريقيا تختلف عن آسيا ، والاثنتان تختلفان عن صورة الوطن العربي .

ثانيا : المؤثرات الاسلامية ذاتها بمدارسها واتجاهاتها المختلفة .

ثالثا : الحضارة الغربية ، وقد استطاعت منذ القرن السادس عشر أن تحيط بالعالم الاسلامي ، وتحرمه من أهم موارده الضخمة في العالم الجديد ، وأن تجعل الحضارة الانسانية أوروبية المصدر ، وأن تغزو العالم الاسلامي والافريقي والاسيوي ، هذا مع تعدد مدارسها بين الاقتصاد الحر والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، واتجاهاتها الفكرية والدينية : من نشر المسيحية بكنائسها المتعددة الى نشر الالحاد ، ومن محاولات نشر اساليبها في الادارة والحكم والنظم السياسية والاقتصادية . . وفي هذا كله وجد العالم الاسلامي نفسه أمام عرف كاسح وتجاذب وتنافر . . تعددت معه المواقف . . .

لقد شبهنا المؤثرات الثلاثة الأساسية بأضلاع مثلث .. ولكن أين يقف العالم الاسلامي ؟ أفي داخل المثلث أم خارجه ؟ واذا كان داخله ، فالى أي الاضلاع أقرب ؟ واذا كان خارجه فالى أي اتجاه يسير ؟

وتستطيع - هندسيا - ان تضع الدول الاسلامية داخله ، والبعض خارجه ، وفرق بين أن يحصرك المؤثر ، أو تتحكم أنت في مساره ، وتسيره به ومعه .

واتصور الوضع الأسلم ، الذي يكفل للعالم الاسلامي اقترابا من وحدته وتعاونا في مساره أن يحسن الاختيار من التراث القديم ومن شريعة الاسلام (ولا أقول العقيدة لانها ليست اختيارا) ومن منجزات العالم الحديثة .

والاختيار ليس مجرد تراكم أو تجاوز ، وإنما هو في ذاته تمهيد لابداع جديد ، ولنبدأ من نقطة وسط المثلث ، ترى كل ما حولها ويؤمن الواقف فيها ان الاضلاع الثلاثة حوله ليست حوائط أو أسوارا حاجزة ، وانما فيها أبواب ونوافذ تطل على الأعماق اذا كانت ماضيا وعلى الآفاق الجديدة اذا كانت حاضرا وغدا

المثلث يتحرك

ومع التزود من المصادر الثلاثة يكون المسار بحيث يصبح المثلث كأنه رأس سهم متحرك الى الغد ، دون أن ينفرط نظامه أو تتكسر أضلاعه .

هنا يبدو الابداع في صورة من أجمل صوره : يمكن ان يحتفظ كل قطر اسلامي بخصوصيته الحضارية ، من تراثه القديم ، وافادته وعطائه الاسلامي ، وتعامله مع العالم الحديث ، وفيه حشد من المراكز الحضارية .. ولكن هذه الخصوصية لا تنفي الوحدة الكبرى التي تنتظم العالم الاسلامي .

ولتكن الاستراتيجية الكبرى كما يلي : تقوية عوامل الوحدة والتقارب وتعايش الفروق الحضارية بحيث لا تصبح - بتقويتها - قوى تنافر وتباعد تحطم روابط الوحدة ، وكذلك : لا تكون روابط الوحدة قوى ضاغطة تحول دون نمو الخصوصيات الحضارية وهي بطبيعتها في الفروع لا في الأصول .

نداء من المسجد الحرام

ان القرآن الكريم يصف البيت الحرام بقوله «ومن دخله كان امنا» (آل عمران : ٩٧) ذلك لان له مكانة تعلو على الفروق والخلافات والجدال .. فهل نستطيع أن نأخذ من هذه الحرمة قبسا - مجرد قبس - نهديه الى الحركة العلمية الاسلامية ؟ مجرد تأمين للأنشطة العلمية وتوثيق لروابطها وحرية تتوفر للعلماء في الحركة والاتصال والبحث ، بعيدة عن تيارات السياسة وعواصفها . وسنجني من ذلك الكثير ، فاذا نجحت التجربة أمكن تطبيقها على مجالات أخرى وبهذا تتسع دوائر التعاون ، ويرداد تدرب الأجيال الجديدة على الاخاء والسماحة والحوار العقلاني .. وفي هذا كله عون على تكوين صورة جديدة للعالم الاسلامي في وحدته الكبرى وتعدد خصوصياته الحضارية وتعايش الوحدة مع التنوع □

●

« اللطائف في صنع الكنافة والقطائف »

● الكنافة والقطائف من الأكلات المشهورة في شهر رمضان . حتى أن الامام جلال الدين السيوطي قد ألف كراسا عنونه (اللطائف في صنع الكنافة والقطائف) . ويروى أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من قدمت له الكنافة والقطائف في رمضان ، إذ أن معاوية كان مشهورا بأنه اكول ، وقد شكا ذلك إلى طبيبه محمد بن اثال فأشار عليه أن يأكل الكنافة والقطائف فصار يأكلها في السحور ليرتاح من الجوع الشديد الذي كان يشعر به طوال أيام رمضان

العلوم وطموحات المستقبل في الأقطار العربية

بقلم : الدكتور محمد عبد السلام*

« تتوقف نهضة الأمم وتطورها على مدى اهتمامها بتطور العلوم الأساسية ، ونشاط مراكز البحث العلمي ، ورعاية العلماء وتشجيعهم ، فبدون مراكز بحث وعلماء لا أمل في نهضة عربية علمية » .

كل أمة تغفو فتكبو ، ثم تصحو فتنهض ، هكذا حال أمم شتى اعتراها الوهن ، وأثخنت جنباتها الجراح ، فما بال أمتنا قد طال سباتها ، وأصبحت جسدا مسجى في غرفة الإنعاش ؟ نريد سريعا (حقنة الحياة) ، لنتدارك آخر قطرات الدم في الوريد قبل الجفاف ، فهل نحن فاعلون ؟

ليس العرب أمة ضئيلة صغيرة ، فهم قد اقتربوا في تعدادهم من ٢٠٠ مليون نسمة تقريبا ، وهذا العدد يكاد يعادل سكان الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي ، ويكاد يكون ضعف سكان اليابان . ويقدر الدخل القومي العربي حسب الإحصاءات العالمية لعام ١٩٨٣ بأكثر من ٤٠٠ بليون دولار ، بينما لم تتجاوز مدخولات الصين مثلا ٣٠٠ بليون دولار . وبينما ينفق العرب أكثر من ٥٠ بليون دولار سنويا على نظامهم الدفاعي ، فميزانية الدفاع في الصين لاتتجاوز ٢٥ بليون دولار . وفي مجال العلوم والحضارة كان للعرب تاريخ مجيد مشرف ، وإن حاول البعض طمس هذا الدور الإنساني العظيم ، وتجاهل الانجازات العربية الإسلامية في

* عالم ، فيزيائي ، باكستاني ، نال جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٧٩م . أسس المركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستي بايطاليا خصيصا ليجمع فيه كثيرا من علماء العالم الثالث ، وهو يتبع منظمة (اليونسكو) العالمية ، والوكالة الدولية للطاقة الذرية .

يعمل في المركز ٣٧٦ عالما عربيا ، وحوالي ١٢٩٥ عالما من بلدان العالم الثالث ، ويتلقى ٥١ عالما - يعملون في هذا المركز - دعما ماليا من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، وجامعة قطر ، لمتابعة أبحاثهم العلمية .

العربية ، وحيث نجد العالم الفيزيائي ابن الهيثم ينتقل بكل حرية من بلده (البصرة) والتي كانت تحت الحكم العباسي إلى مصر ، ويلقى في البلاط الفاطمي كل حفاوة وتكريم ـ رغم تنافس النظامين (الفاطمي والعباسي) آنذاك ، ومثل هذا ماكان يلقاه في بغداد من تقدير واحترام ، فللعلم حرمة وقداسة أينما كان ، وحيثما حل ، بغض النظر عن الخلافات السياسية ، والدينية ، والطائفية التي كانت في ذلك الوقت من تاريخنا القديم أشد عنفا وحدة من نزاعاتنا ، وصراعاتنا الحالية ، في تاريخنا المعاصر .

إن تشكيل أية رابطة عربية للعلوم يتطلب قرارا واعيا ، واعترافا صريحا بهذا المفهوم الحضاري الانساني للعلوم ، من العلماء أنفسهم قبل حكوماتهم . إن طبقة العلماء في الوطن العربي والاسلامي مازالت تشكل فئة صغيرة متواضعة ، ومازالت جهودهم ونشاطاتهم العلمية ـ إذا ماقورنت بالانجازات العلمية للدول المتقدمة ـ قليلة ، فعلى العلماء أن يعملوا معا ، كيد واحدة ، وإلا تفرق أثرهم وجهدهم ، وأصبح الموقف حرجا ومن أجل دعم هذا الاتجاه لا نستطيع أن نحلم فنرى حكوماتنا تصدر المراسيم الشجاعة الحاسمة من أجل حماية علمائنا ، ومنحهم الحصانة الكاملة لفترة ربع قرن قادم ، نرى خلالها تشكيل تلك الرابطة العلمية لكل العلماء العرب والمسلمين ، ونراهم يعاملون كفئة لها حصانتها وحمايتها ، بعيدا عن كل الصراعات الطائفية ، والسياسية ، والدينية ، كما كنا قديما في عصورنا الذهبية الغابرة .

العقلية العلمية والتقنية :

أما الملاحظة الأخرى الهامة ـ حول هذا الموضوع ـ فهي تتعلق بقضية النقل العلمي المصاحب للنقل التقني ، فهنالك كثير من الحكومات العربية تزعم أنها تشجع على احتواء هذه التقنية ، عن طريق استيراد التصاميم ، والآلات ، والأجهزة الفنية ، وأحيانا بعض المواد الخام ، وقد ظهر فشل هذا المسعى ، ومدى عبثيته حين فند البروفيسور « اولدهام » من معهد الأبحاث التابع لجامعة « ساسكس » خطأ هذا الأسلوب ، أثناء حضوره لأحد المؤتمرات العلمية التابعة للأمم المتحدة ، لقد كان « اولدهام » يعمل في (هونج كونج) كعالم (جيوفيزيائي) ، وأثناء عودته إلى (هونج كونج) زار « اسرائيل » ، وقد جعلته هذه الزيارة الخاطفة يدرك مدى اتساع الفجوة بين « اسرائيل » ، « وهونج كونج » ، فكلاهما شعبان من المهاجرين ، ويكاد يكون التشابه متقاربا من حيث عدد السكان والموارد الاقتصادية ، لكن (هونج كونج) حريصة جداً على اكتساب التقنية ، بينما « اسرائيل » ـ إضافة إلى اكتساب التقنية ـ حريصة على التقدم العلمي ، وعلى تطوير منجزات علمية . وربما يكون (أولدهام) قد أغفل بعض العوامل الأخرى التي ساعدت « اسرائيل » في هذا المضمار العلمي ، لكنه يبقى على حق حين أوضح التناقض بين العلم والتقنية .

توصيات لازمة

نحن بحاجة إلى خطة مطلقة معلنة ، تنتهج سياسة توسعية شاملة في العلوم ، وإلى سياسة واضحة للاعتماد على النفس في مجال التقنية القائمة على العلم ، كما يجب أن نؤكد هذه الخطة ، ونلتزم بأن التحول العلمي يجب أن يكون مصاحبا ـ في نفس الوقت ـ للتحول التقني ، ومن خلال خطة قومية ملتزمة كهذه يمكن توفير التدريب اللازم في المستقبل القريب ، لجيل كامل من شبابنا المتحفز في حقول العلم والتقنية ، وعن العدد المطلوب تأهيله علميا في بلادنا نورد هذا المثال من بريطانيا للمقارنة : يقوم مجلس الأبحاث العلمية هناك بتوفير أكثر من خمسة آلاف منحة سنويا ، للحصول على الدكتوراة ، بالإضافة إلى خمسة آلاف منحة أخرى تمنحها المعاهد المتخصصة (كمعهد الأبحاث الطبية ومعهد الأبحاث الزراعية) ، كما أن هناك أكثر من ألف منحة للدراسات والأبحاث لما بعد الدكتوراة في بريطانيا ، ذلك البلد الذي لايزيد عدد سكانه عن ربع سكان الوطن العربي .

كذلك يجب أن نفكر ـ على المدى البعيد ـ بإنشاء معاهد أبحاث راقية ، ذات كفاءة ، تكون تابعة لأنظمتنا الجامعية ومرتبطة بها ، كما يجب أن يمنح المدرسون الجامعيون الفرصة والتفويض الكاملين لتكريس نصف وقتهم للبحث العلمي ، ذلك البحث الذي سيقرر ـ فيمابعد ـ وضعهم الجامعي

والمهني ، كما هو الحال في الجامعات العالمية ، كما يجب أيضا أن نغير من طريقتنا الشكلية لإدارة العلوم ، وكيفية الإشراف عليها ، فالعلوم للعلماء المجتهدين . ونذكر بضرورة قيام مؤسسات علمية تنفق عليها بسخاء أطراف رسمية حكومية وجهات خاصة أيضا حتى يمكن ضمان توفير العديد من المنح الدراسية ، وإعطاء الفرص التعليمية لعلمائنا الشباب .

ويجب التأكد من أن كافة مشاريعنا العلمية ذات طابع عالمي ، تعطي وتأخذ ، مع توفير التمويل اللازم مهما بلغت النفقات ، وذلك من أجل الحفاظ على تواصلنا النشط مع القنوات العلمية العالمية ، وأن تكون مشاريعنا جزءا مكملا للعلوم الإنسانية ، بالإضافة إلى توفير حرية الحركة ، والأمن [illegible] والقضاء على العوائق ـ مهما كانت ـ من أجل خلق هذه الرابطة العلمية الموحدة .

نحن مدعوون لدخول باب المعرفة ، والتسلح بالعلم ، فنحن أمة حباها الله بالإيمان ، وحثها على طلب العلم في كثير من اياته [illegible] يجب أن نحرص على العلم ليس لأن العلم أصبح يعني ـ اليوم ـ القوة ، والأداة الرئيسية للتقدم الاجتماعي والعسكري ، بل لأننا أعضاء في هذا المجتمع الدولي الكبير ، لم نقدم له جديدا كباقي الأمم ، لهذا نشعر بنظرات الاحتقار تطاردنا كالسياط من أمم أخرى سبقتنا ـ للأسف ـ في المجال العلمي في العصر الحديث . وفي هذا المجال نورد قول أحد الفائزين الأوروبيين بجائزة نوبل في الفيزياء : « هل تظنون أنه حق علينا أن نبقى نقدم العون والغوث والطعام والحياة لشعوب لم تقدم للمعرفة الإنسانية شيئا يذكر ؟ »

وحتى لو لم يكن قد قال ذلك فإن الحرج يعترينا ، ويخدش حياءنا ، وكرامتنا ، عند زيارتنا لأي مستشفى ، وعند مشاهدة الأدوية المتقدمة ، والأدوات الطبية المتطورة من أجل إنقاذ الإنسان ، ونحن لم نقدم شيئا منذ اكتشاف (البنسلين) حتى يومنا هذا .

إن جميع هذه الإنجازات الطبية المعاصرة لم تشارك بصنعها ـ للأسف ـ يد عربية أو إسلامية واحدة . يجب أن تكون أهدافنا كبيرة ، وطموحة ، وواضحة ، بحيث نجاري ـ على الأقل ـ بريطانيا مع نهاية هذا القرن . إن الله قد وعدنا بأن لا يضيع عمل عامل منا .

مناهج المدارس :

إن افتقارنا الى البيانات والإحصاءات الدقيقة حول نسبة طلبة القسم العلمي في الوطن العربي والإسلامي يجعلنا لانخرج بتوصيات دقيقة حول هذا الموضوع الحساس ، ومع ذلك يبقى الانطباع العام بأن معدل الطلبة المسجلين في القسم العلمي لا يتجاوز الثلث أو الربع بالنسبة للمعدل العالمي في البلدان المتقدمة . ففي الصين واليابان مثلا تعتبر المناهج العلمية مادة إلزامية لكافة صفوف المرحلة الثانوية ، وكذلك الحال في الاتحاد السوفيتي حيث تعتبر المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات موادا إلزامية لجميع الطلاب حتى سن « ١٦ » ، بما في ذلك طلبة المعاهد الرياضية ، [illegible] وحتى معاهد الحياكة للفتيات . وحسب معلوماتنا فليس هناك بلد عربي أو إسلامي واحد ينتهج هذا الأسلوب التربوي الصحيح وهذا يوضح النسبة القليلة لأعداد الطلبة العلميين في بلادنا ، وهنا يأتي الدور التشجيعي حكوميا وأسريا ، لدفع أبنائنا للدراسات العلمية ، في كافة المراحل ، وعلى المستويين الثانوي والجامعي . ولعل نظرة واحدة على تجارب غيرنا من الأمم الناهضة قد يلهمنا الطريق الصحيح ، من أجل الانبعاث النهضوي الشامل لأمتنا العربية والإسلامية ، ولعل التجربة اليابانية خير مثال على ذلك .

دروس من التجربة اليابانية :

في عام ١٨٦٩ استولى الامبراطور « ماتساشيتو » على السلطة ، بعد قرون مظلمة من الصراعات والنزاعات الداخلية على يد القادة العسكريين « الشوجان » ، وكانت اليابان طوال هذه الفترة المظلمة التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة قرون تعيش في عزلة تامة عن العالم ، حيث كانت السياسة اليابانية القديمة تتعمد محاربة النفوذ الأوروبي الدخيل وبخاصة الإرساليات التبشيرية ، ولكن مع بداية القرن التاسع

عشر بدأ النفوذ الأوروبي يتصاعد عالميا ، وبدأت اليابان تتأثر بذلك ، فأبرمت الاتفاقات الاقتصادية مع أميركا أولا ، ثم مع بعض الدول الأوروبية كبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، وهولندا . وهكذا بدأت العلاقة تنمو تدريجيا ، وتنسق بذلك البنية القديمة للمجتمع الياباني . وعندما وصل الامبراطور إلى السلطة كان همه الأوحد هو فك هذه العزلة القاتلة عن بلاده ، ثم احتواء المعرفة العالمية ، واكتسابها بشتى الطرق ، والوسائل . وعندما قررت اليابان استيراد التقنية الأوروبية ، والعلوم الحديثة ، كان ذلك بناء على خطة مرحلية ، بدأتها بمسح شامل للصناعات الهندسية في أوروبا وأميركا ، ثم خطت الخطوة الثانية باستدعاء الخبراء والعلماء الأجانب ، ثم بدأت بعد ذلك بإرسال البعثات التعليمية إلى الخارج ، وبعدها تم إنشاء الجامعات والكليات الصناعية بهيئات تعليمية أجنبية ، ثم تلا ذلك إنشاء معاهد الأبحاث ، وقد تأكد ذلك على لسان رئيس وزراء اليابان في عام ١٨٨٦ حين قال : « إن الطريق الوحيد لصيانة قوتنا القومية والحفاظ على مصلحة شعبنا هو العلم ، فبدونه ليس هناك ازدهار لأي أمة من الأمم » .

« ومن أجل مستقبل مزدهر ، ومن أجل أن نلحق بركب الأمم المتقدمة ، فليس أمامنا إلا أن نتسلح بالمعرفة ، ونطور من أسلوب أبحاثنا العلمية » . وقد بدأت التقنية الحديثة تصل إلى اليابان لتساهم في تطوير صناعة المناجم ، وصناعة النسيج ، وبدأ الاهتمام بالتعليم الصناعي والفني ، وتم إنشاء العديد من الكليات والمعاهد الصناعية ، حيث يتلقى الدارسون على أيدي مدرسيهم الأجانب بعض المواد التطبيقية ، كالهندسة والزراعة والطب والجيولوجيا ، جنبا إلى جنب مع المواد الأساسية ، كالرياضيات والفيزياء والأحياء .

لقد تم إنشاء كلية الهندسة في عام ١٨٧٣ ، وكان الهدف من وراء ذلك إعداد الكوادر اليابانية ، لوضع التصاميم والخطط اللازمة لتنفيذ سياسة التوسع العمراني والصناعي ، وتم إرسال الكثير من الخريجين إلى أوروبا لمواصلة تعليمهم ، لكي يباشروا بعد ذلك تدريس الجيل الثاني من إخوتهم اليابانيين . واستطاعت اليابان خلال عقدين من الزمان عن طريق مؤسساتها العلمية ومعاهد الأبحاث أن تكون ندا لأوروبا وأميركا مع نهاية القرن التاسع عشر .

إن التقدم العلمي والتقني كان العامل الحاسم وراء ذلك الازدهار وقتئذٍ ، وبروز اليابان كقوة عسكرية عظمى في الشرق الأقصى . لقد استطاعت اليابان عام ١٨٩٥ أن تهزم الصين ، وبعد ذلك بعشر سنوات في عام ١٩٠٥ استطاعت أن تهزم روسيا ، مسجلة بذلك أول هزيمة لدولة أوروبية على يد دولة خارج الحدود الأوروبية في العصر الحديث ، وبدأت اليابان مع نهاية القرن الماضي عصر الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب ، ثم بدأت بتصنيع المركبات وبناء السفن والتوسع في صناعة المناجم ، ومع بداية القرن العشرين تحولت كافة الصناعات الثقيلة لاستغلال الطاقة الكهربائية .

وتأسس معهد الأبحاث الفيزيائية والكيميائية عام ١٩١٧ على غرار المعهد الامبراطوري الألماني الذي تأسس عام ١٨٨٧ ، وكان الخطوة الحاسمة عن طريق التطور الذاتي للأبحاث العلمية اليابانية .

وأخذت معظم البحوث اليابانية وقتها تتجه اتجاها مغايرا للبحوث الأوروبية ، فقد تركز معظمها على التقنية العسكرية ، وفي الثلاثينيات من عصرنا الحاضر نمت القوة العسكرية اليابانية بشكل كبير جدا ، وبسرعة قياسية هائلة ، فقد استطاعت اليابان أن تضم إليها مقاطعة (منشوريا) ، واستغلت نشوب الحرب الأهلية عام ١٩٣٢ في الصين لتعلن الحرب عليها وتحتل معظم المدن الصينية الكبرى ، بما فيها العاصمة بكين وشنغهاي ونانكين . لقد كرست اليابان كل العلوم والتقنية لأغراضها العسكرية ، فقد صدر مرسوم التعبئة القومية عام ١٩٣٨ ، وتم إنشاء التعبئة للعلوم سنة ١٩٤٠ ، وقد استطاع العالم الياباني « يوكاوا » أن يقدم إنجازا علميا في الفيزياء في فترة الثلاثينيات ، وكان أول ياباني يفوز بجائزة نوبل للعلوم ، رغم أن أبحاثه في تلك الفترة العسكرية كانت تمثل الاستثناء وليس القاعدة ، ثم جاء الهجوم المباغت عام ١٩٤٢ على (بيرل هاربر) ليحطم الأسطول الاميركي المتواجد هناك ، ثم دخلت أميركا الحرب ، وكانت الهزيمة المعروفة للعسكرية اليابانية ، وفي عام ١٩٤٥ كانت اليابان أمة مهزومة انحدرت قوتها الانتاجية إلى العشر ، وظهرت مخاوف من انتشار

المجاعة والأوبئة لكنها استطاعت مرة ثانية أن تقف على قدميها ، عن طريق تحسين النظام الزراعي وتحسين نوعية الأسمدة والحبوب و« ميكنة » الزراعة ، وقد أدى ذلك - فيما بعد - إلى زيادة الطاقة الانتاجية للبلاد ، الأمر الذي أدى أيضا إلى نمو القطاع الصناعي في الستينيات .

وكما حدث في الماضي اعتمدت اليابان على استيراد التقنية الغربية مرة أخرى ، لكن لاستغلالها في الصناعات المدنية ، وبخلاف التجربة السابقة فقد انفردت الشركات الخاصة بتمويل المشاريع العلمية الجديدة ، واكتفت الحكومة بدور الإشراف والمراقبة ، مع وضع القوانين التي تحد من ملكية الأجانب للمؤسسات الوطنية اليابانية ، كان التطبيق الجريء للتقنية هو المحور الأساسي للنمو الصناعي الهائل ، ثم عادت الحكومة لتساهم من جديد فأنشأت مؤسسات علمية للأبحاث منها وكالة العلوم والتقنية عام ١٩٥٦م ، ومجلس العلوم والتقنية عام ١٩٥٩ ،

وقد تفرع عن تلك الوكالات العديد من مختبرات الأبحاث » كمعهد أبحاث الطاقة الذرية سنة ١٩٥٦ ، والمركز القومي لعلوم الفضاء عام ١٩٦٤ ،

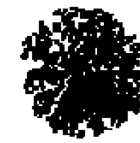
ورغم أن التقارير الدولية تزعم أن اليابان تعاني بعض الصعوبات في بعض مجالات التطور العلمي ، إلا أن هذا لا ينفي حقيقة أن اليابان هي إحدى الدول الست المتقدمة في العالم ، جنبا الى جنب مع الاتحاد السوفياتي ، وأميركا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وألمانيا الغربية . وتأتي اليابان في المركز الثالث بالنسبة لقيم المبالغ والنفقات المخصصة للبحث العلمي بعد أميركا والاتحاد السوفياتي ، وكذلك بالنسبة لعدد العاملين في الأبحاث العلمية .

يلاحظ المراقبون بأنه رغم هذا الزخم العلمي الهائل فإن الاختراعات اليابانية أقل مما يجب ، وللتغلب على ذلك تحاول اليابان جاهدة تطوير الأبحاث المتعلقة بالطاقة النووية في المجالين الانشطاري والاندماجي معا ، وتطوير الأقمار الصناعية لاستخدامها في مجالات الاتصال والارصاد الجوية . فما الذي حول اليابان من دولة فقيرة تعاني من الانقسامات ، والنزاعات الدموية الداخلية ، الى دولة عصرية متقدمة ؟ وهل يمكن اعتبار اليابان أنموذجا يمكن تقليده والاستفادة منه ؟ أم أن التجربة اليابانية هي محض تكريس ذاتي للشخصية اليابانية المتميزة ؟ .

طرفة في عالم جاد :

لاشك أن العوامل الذاتية الكامنة في صلب أمة تلعب دورا قياديا في قضية التطور الاجتماعي والحضاري ، لكنها ستبقى همجية الطابع إذا لم تأخذ بمنهجية العلوم الإنسانية المتطورة . وبعد هذا السرد التاريخي الجاد عن تجربة جادة نورد هذه الطرفة : في إحدى لجان المؤتمر الإسلامي المنعقد عام ١٩٧٣ تقدمت باكستان بفكرة إنشاء مؤسسة إسلامية علمية على غرار مؤسسة (فورد) حجما وتمويلا ، وبرأسمال قدره « ١٠٠٠ » مليون دولار ، وبعد ثماني سنوات من التمحيص والتدقيق والدراسة جاءت البشرى بالإعلان عن مولدها ، لكن بتعديل بسيط تقهقر الرقم الموعود من ١٠٠٠ مليون إلى ٥٠ مليونا !

نورد هذه الطرفة دون (رتوش) ، ودون شماتة ، لعل سذاجتها تدفعك أيها القاريء العربي - اذا لم تكن قد ضحكت بعد - الى قراءة هذه الدراسة مرة أخرى وبطريقة جهرية . □



الماء .. من أنت ؟

● يقول الأديب الحالم انطوان دي سانت اكزو بيري : « أيها الماء ليس لك طعم ، ولا رائحة ، وليس بالامكان وصفك . كم يتلذذون باحتسائك وهم لا يعلمون من أنت . من المستحيل القول بأنك ضروري للحياة ، لأنك الحياة ذاتها » .

الاسلام والتراث الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

« التراث الاسلامي ليس مقدسا ولا ملزما ونحن نملك حق تعديله ، نأخذ منه ما يوافقنا ونرفض منه ما لا يتفق معنا . . والقول بغير ذلك تعسف وتزمت لا معنى له » .

الموضوع ، هو موضوع الساعة ، وبخاصة عندما تتحدد هذه الخدمة بتبصرة القراء لمواضع أقدامهم ، عندما يأخذون في الاستجابة لتلك الدعوة التي تأخذنا من كل جانب ، وهي الدعوة الى العودة الى الشريعة الاسلامية عند ممارستنا للحياة .

الاسلام والتراث الاسلامي عنصران متغايران . وواو العطف التي تقع بين العنصرين هي المؤشر الذي يشير الى هذه المغايرة ، من حيث أننا نعلم جميعا من دراساتنا اللغوية أن العطف يقتضي المغايرة .

التراث الاسلامي إذن غير الاسلام ، على الرغم من أن العلاقة بينهما علاقة عضوية ، من حيث انه لا يمكن أن يوجد تراث إسلامي من غير أن يكون هناك إسلام .

إن الاسلام هو المحور الأصيل الذي يدور من حوله التراث .

والاسلام - فيما نعلم جميعا - هو الديانة السماوية التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى الى النبي العربي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وطلب إليه أن يبلغها الناس ويبينها لهم ، وأن يدعوهم الى الايمان بها وممارسة الحياة على أساس منها .

والتراث الاسلامي - فيما يجب أن نعلم - هو ماورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الإسلام باعتباره ديانة سماوية .

بين الدين والتراث :

والتغاير بين الاسلام والتراث الاسلامي ، يكاد ينحصر في مقالنا هذا في أمرين اثنين :

الأول : هو المصدر الذي صدر عنه كل من الاسلام والتراث الاسلامي .

الثاني : القوة التي يملكها كل من الاسلام والتراث الاسلامي في إلزام الناس إلزاما دينيا بممارسة حياتهم اليومية وحياتهم العامة على أساس مما جاء به ، أو جاء فيه .

ومصدر الاسلام فيما نعلم جميعا هو المولى سبحانه وتعالى ، وهو باعتباره ديانة سماوية لايمكن أن يكون إلا وضعا إلهيا . ومن هنا كانت له قداسته .

إن العقل البشري لا يمكن أن يضع دينا ، والذي يملكه العقل البشري هو أن يفسر هذا الدين ويبين

للناس حسب تفاعله معه واستجابته له .

وضع الدين من حق الله وحده ، والذين يذهبون إلى غير ذلك يكونون من المعتدين على حقوق الله .

ومصدر التراث الاسلامي ـ حسب ماسبق من قول ـ هو العقل البشري ، العقل الذي تفاعل مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية .

والتفاعل مع الاسلام ليس يلزم أبدا أن يكون موقفا مع الاسلام ـ فقد يكون موقفا ضد الإسلام ـ ومع ذلك نعتبره من التراث الاسلامي باعتباره من ردود الأفعال مع الاسلام .

ونحن حين نقول بذلك إنما نمضي مع سنة من سنن القرآن الكريم فقد سجل القرآن الكريم أقوال المخالفين للاسلام والمنكرين له والرافضين دعوته ، وجعلها من القرآن الكريم ، ونقرؤها نحن اليوم على أنها من القرآن الكريم .

ليس يلزم في التراث الاسلامي أن يكون كله موقفا مع الاسلام ، ومن هنا كان من حقنا أن نعد منه المواقف التي جاءت ضد الاسلام ، أو المواقف التي تناقش الاسلام مناقشة عقلية .

والالحاد على هذا الاساس جزء من التراث الاسلامي ، إنه موقف فكري ناجم عن التفاعل مع عنصر او أكثر من عناصر الإسلام ، إنه رد فعل ، وليس فعلا .

وإنه من هنا لا يمكن أن يدخل التراث الاسلامي في دائرة التقديس . إن التراث الاسلامي غير مقدس .

المقدس في الاسلام هو ماجاء عن الله سبحانه وتعالى ، ويلحق به ماكان من بيان رسول الله ﷺ له . البيان العملي والبيان القولي .

اما غير ذلك فليس مقدسا .

غير ملــزم :

هذا ماكان من أمر المصدر . أما مايكون من أمر قوة الالزام الديني التي يملكها كل من الاسلام والتراث الاسلامي ، فنراها على الوجه التالي :

الذي يملك قوة الإلزام الديني هو مايكون دينا ، هو مايكون مقدسا . أما غير الدين فيملك قوة إلزام أخرى هي الالزام الأدبي .

وقوة الالزام الديني تقتضي الخضوع لأوامر الدين من حيث أنها أوامر إلهية . أما قوة الالزام الأدبي فلا تقتضي الخضوع من حيث انها أوامر بشرية تحتمل الخطأ والصواب ، وقوة الإلزام فيها تدور مع المصلحة ، أو مع ماتملك من قوة وصل الأبناء بالآباء والأجداد .

إنه من هنا يجب التمييز بين ماهو من الدين ، وماهو من تراث الاباء والأجداد ، وعلى أساس من هذا التمييز تتحدد موقفنا من الالزام والالتزام .

الشريعة والتشريع :

والان ننتقل الى كيفية التعامل مع كل من الاسلام والتراث الاسلامي حين ندعى لممارسة الحياة على أساس من الشريعة الاسلامية

والخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها في سبيل هذا التعامل ، هي التمييز بين الشريعة الاسلامية والتشريع الاسلامي ، من حيث ان الشريعة الاسلامية يمكن حصرها فيما يكون مصدره وحي الله الى النبي العربي محمد بن عبدالله ﷺ ، وبيان رسول الله ﷺ هذا الوحي . أي تمكن حصر الشريعة بما فيه نص صريح واضح قطعي الدلالة ، وارد مورد التكليف

أما التشريع فلا يمكن حصره فيما فيه نص من حيث انه يتجاوز ذلك الى مالا نص فيه . وهذا الذي لم يرد فيه نص هو الذي يكون محل الاجتهاد . أي هو الذي يجتهد العقل البشري في وضع المعايير والموازين له

والقدماء من علماء أصول الفقه قد ذهبوا الى ان مصادر التشريع اربعة : الكتاب والسنة وهما النص ، والاجماع والقياس وهما الاجتهاد .

والقدماء من علماء أصول الدين قد ذهبوا إلى أن الاسلام الموحى به من الله سبحانه وتعالى ، والمبين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام هو عقيدة وشريعة ، وذهبوا أيضا إلى أن الشريعة قسمان : قسم هو العبادات ، وقسم هو المعاملات .

ونحن لن نتجاوز ما قال به علماء أصول الفقه من حيث مصادر التشريع . ولا ماقال به علماء أصول الدين من حيث التقسيم ، عندما نتحدث عن كيفية

التعامل مع الاسلام والتراث الاسلامي ، أو التعامل مع التشريع الاسلامي الذي ندعى الى ممارسة حياتنا اليومية وحياتنا العامة على أساس منه .

وباديء ذي بدء يجب أن نقرر أن ماكان مصدره النص لا ينسخه ولا يغيره أو يبدله إلا نص آخر صادر عن الذى صدر عنه النص الأول . . أي صادر عن الله سبحانه وتعالى ، ومبين بسنة رسول الله ﷺ .

إن الذي صدر عنه النص هو الذي يملك حق تعديله . كما يجب ان نقرر أن ماكان مصدره اجتهادات العقول البشرية يمكن أن تلغيه وتستبدل به غيره العقول البشرية ، اعتمادا على نفس الأصل التشريعي وهو أن الذي وضع التشريع هو الذي يستطيع تعديله وإلغاءه .

وأعتقد أن المسألة قد وضحت تماما في ذهن القاريء ، وأنه يسلم بأن العقل البشري يستطيع التعامل مع ماكان مصدره الاجتهاد ، وما يمكن تسميته بالتراث الاسلامي مما لم يرد فيه نص ، بتعديله أو تغييره .

إننا قد ورثنا هذا اللون من الثقافة عن الأسلاف ، وأصبح بهذا الميراث ملكا لنا ، ومن حقنا ـ الذي لا يصح أن يدور في شأنه جدل أو حوار ـ أن نتصرف فيما نملك تصرف المالك ، وألا يحول بيننا وهذا التصرف أي حائل .

إن الشرط الذي يجب توفره هو أن يكون هذا التصرف لحساب المصلحة العامة ، أما حين يكون على حساب المصلحة ، فإنه يصبح من قبيل السفه ، وعندئذ يجب أن نحول بين السفيه وإلحاق الضرر بالمصلحة العامة .

حقنا في التصرف فيما ورثناه عن السلف من تراث إسلامي حق لامشاحة فيه ، ولايصح أبدا أن يكون محل جدل أو حوار .

ولقد قال علماء أصول الفقه من قبل : إن الاجماع ينسخ الاجماع ، وقالوا شيئا آخر هو : تغير الاحكام بتغير الأزمان . . أي أن لكل زمان شأنه في تحديد المصلحة التي تليق والتي لا تليق ، وأنه من حق العقل البشري أن يجتهد في وضع حكم جديد يتلاءم والعصر الذي نبتت فيه المسائل التي لا نص في شأنها .

إننا نملك هذا التراث الاسلامي ، ونملك في الوقت ذاته حق تعديله ، وليس لأحد مهما يكن شأنه أن يحول بيننا واستخدام هذا الحق .

وما نسميه اليوم بالقانون الوضعي هو نفس ماكان يسميه القدماء بالفقه الاسلامي ، وبخاصة فيما لم يرد فيه نص قطعي الدلالة .

لا اجتهاد مع نص :

هذا هو الموقف فيما نجم عن اجتهادات العقول البشرية فيما لا نص فيه ، وفيما نسميه بالتراث الاسلامي . أما كيفية التعامل فيما مصدره الوحي ، وفيما نسميه بالاسلام من حيث هو ديانة سماوية ، فإن موقفنا منه هو التالي :

لا حق لنا ـ من حيث الأصل ـ في إدخال أي تعديل أو تغيير فيما جاء به الوحي عن الله سبحانه وتعالى ، من حيث ان الذي وضع هذا النص هو الذي يملك حق نسخه أو تعديله .

ولقد كان من الممكن ـ لو لم يكن الاسلام آخر الأديان السماوية ، ولو لم يكن محمد ﷺ خاتم الانبياء ـ أن يدخل الله سبحانه وتعالى نسخا وتعديلا في الاسلام : الأمر الذي وقع بالنسبة للأديان السماوية الأخرى ، والذي وقع بالنسبة للاسلام أيام نزول القرآن .

لقد كان هناك نسخ ، وتدرج في التشريع ، كما كان هناك من قبل استبدال بعض العناصر الدينية في الأديان السابقة ، بعناصر جديدة وردت في الاسلام .

لاحق لنا في إدخال أي تعديل على الحكم الذي ورد فيه نص صريح قطعي الدلالة وارد مورد التكليف ، وهذا هو الأصل التشريعي .

لكن هذا لن يحول بيننا وأن ندرس القضية على أساس آخر كي نمكن لها في عقل القاريء الكريم .

الأساس الاخر هو قدرة العقل البشري في إدخال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك . . أو هو غير قادر على ذلك أصلا ؟

وسوف نمضي في ذلك على أساس مما ذهب اليه علماء أصول الدين من أن الاسلام عقيدة وشريعة ، ومن أن الشريعة عبادات ومعاملات .

١ ـ لا اجتهاد من العقول البشرية فيما يخص المعتقدات من حيث أنها من الغيبيات ـ ولم يكن عقل النبي ﷺ يستطيع ذلك ـ فما بالنا بالعقول الأخرى .

وقد مضى القرآن الكريم على أن الغيب مما خص الله سبحانه وتعالى به نفسه . وطلب القرآن الكريم الى النبي ﷺ أن يقول للمعارضة : « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء » .

لا عمل للعقل البشري مع المعتقدات الدينية من حيث هي غيبيات ، ومرجعه في ذلك ليس إلا النص الذي جاء به الوحي من السماء .

يملك العقل البشري تفسير النص وتوضيحه ، لكنه لا يملك أبدا حق نسخه أو تعديله

إن موقف العقل البشري من ميدان المعتقدات هو التسليم بها كما جاء بها النص ، ثم الايمان أو عدم الايمان ، مع تحمل المسئولية

وعلى ذكر المسئولية ، يحسن بنا أن ننبه الى أن التكليف بالايمان لا يكون إلا عندما يكون الانسان عاقلا بالغا رشيدا . أي عندما يكون أهلا لتحمل المسئولية ، وقادرا على تحمل المسئولية .

إنه من هنا نستطيع القول بأن الحرية الدينية مكفولة تماما مع الاسلام . فالإنسان هو الذي ينظر ويفكر ويتدبر ويختار . وعلى أساس من هذا الاختيار تكون مسئوليته امام الله يوم القيامة ، يوم لاتغني نفس عن نفس شيئا ، ويوم لا تزر وازرة وزر أخرى . من أجل هذه الحرية الدينية التي كفلها الاسلام للانسان ، لا يصح ان تكرر هناك تبعية دينية « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » صدق الله العظيم .

٢ ـ ولا اجتهاد للعقول البشرية مع التشريع المسمى بالعبادات ، من حيث ان هذه العبادات هي حق الله على عباده .. حقه الذي فرضه هو وأوجبه على الناس .

ولقد حدد الله سبحانه وتعالى الكيفية التي تؤدي بها كل عبادة فرضها على الناس . ولقد بين النبي ﷺ هذه العبادات للناس ـ بينها بيانا عمليا وبيانا قوليا ـ كي يؤديها الناس على خير وجه .

فالعبادات من حيث الزمان تؤدي في أوقاتها المحددة .. وذلك واضح تماما في الصلاة ، وفي الصوم ، وفي الحج .

والعبادات من حيث المكان تؤدى في الأمكنة المخصصة لها .. وذلك واضح بصفة خاصة في عبادة الحج ، وفي التوجه نحو الكعبة في الصلاة .

وكذلك الحال في العدد من مثل عدد الركعات في الصلاة ، وعدد الأيام في الصوم ، وفي الحج .

وليس على العقول البشرية إلا الالتزام بما فرضه الله وأوجبه على الناس بالكيفية التي حددها لهم ، وبينها لهم رسول الله ﷺ .

إن الذي فرض هو الذي يملك حق التعديل ، ولقد كان رسول الله ﷺ يسمي ما أضافه للعبادات من زيادات بالسنة .. تمييزا لها عن الفرض .

٣ ـ إن المجال الوحيد الذي يمكن أن يكون للعقل اجتهاد فيه هو مجال المعاملات ، من حيث هي علاقة بين الناس بعضهم ببعض أو بعضهم بالحيوانات والمزروعات والأشياء .

وعمل العقل هنا قد تحقق من قبل فيما لا نص فيه . ونستطيع نحن في عصرنا هذا ان نحققه ، فكل جديد لم يرد في شأنه نص ، من حقنا ان نضع له الأحكام أو المعايير والموازين . من حقنا أن نضع له قانونا أو لائحة ، وليس يلزم في ذلك أبدا أن نأخذ بأقوال للقدماء .

ان الجديد في أيامنا هذه هو من مستلزمات حياتنا ، وليس من حق أحد أن يفرض علينا مستلزمات حياة غير حياتنا .

ليس فيما لم يرد فيه نص مشكلة ـ لا عند القدماء الذين اجتهدوا ، ولا عندنا ـ في حالة استخدامنا لحقنا في التشريع لكل جديد .

إن المشكلة التي فرضت نفسها على القدماء هي نفس المشكلة التي تفرض نفسها علينا اليوم : ما العمل حين يتجاوز الزمن النص ، وحين يعمل الزمن عمله في تغيير المصالح التي تتطلب تغيير الاحكام ؟ هل نتمسك بالنص مع تغير المصلحة بفعل

الـزمن ، أو نتمسـك بـالمصلحـة ونضـع تشـريعـا جديـدا ؟

وفي مثل هذه الحالة الأخيرة ماهو شأن النص الذي أصبح لايمثل مصلحة ؟

العقل قبل النقل :

لقـد مضى بعض علماء أصول الفقـه من أمثـال الفقيـه الحنبلي الـطوفي ، إلى أنـه اذا عجـز العقـل البشري المؤمن عن التوفيق بين النص والمصلحة تقدم المصلحـة . . اي يـوضـع تشـريـع جـديـد يتـلاءم والمصلحة .

وحجته في ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد راعى مصلحة عباده في تشريع المعاملات ، وهذا يقتضي ان تكـون المصلحـة العـامـة هي الأســاس في وضـع التشريعات .

وكي تتضح الصورة في ذهن القارىء ، ضرب لـه المثـل التالي الـذي فعل الـزمن فيـه فعله ، وجعـل الاستمساك بالنص فيه اضرار بالصالح العام .

التشريع السمـاوي في غنائم الحـرب وردت فيه نصوص من أهمها ماورد في سورة الأنفال - « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولـذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انـزلنا عـلى عبدنـا يوم الفـرقان يـوم التقى الجمعان والله على كـل شيء قديـر »آية ٤٠ والنص واضح تماما في كيفية قسمة الغنائم بين الله ورسوله وبقية المقاتلين.

ونظام قسمة الغنائم قد قام على اساس من النظم القتالية التي كان معمولا بها يومذاك ، وهي ان يكون القتال تطوعا ، وان يكون التجهيز للقتال من شـأن الجند الذين يقاتلون .

في ايامنا هذه جاء الزمن بجديد ، وتغيرت نظم القتـال ، وأصبح الاستمسـاك بالـنظم القديمـة مما يضر .

الجند الآن مجبرون على الخدمة الوطنية ، وليسوا بـالمتطوعـين المختارين . وتجهيـز المقاتلة بـالمعـدات العسكـرية ليس من شـأن الجند وانمـا هو من شـأن الدولة ، من حيث ان الأفراد يعجزون عن الحصول على هذه المعدات القتالية التي تعجز بعض الدول عن دفـع أثمـانها للحصـول عليهـا ، كـالـطائـرات ، والدبابات ، والاساطيل والصواريخ وما الى ذلك .

إن المصلحة اليوم في الأخذ بهذا الجـديد ، والا ضـاع الجند وضـاع معهم الوطن وضـاع الاسـلام أيضا .

والأخـذ بالجـديد يقتضي تعـديل نـظام تـوزيـع الغنائم ، ومعنى هذا عدم الأخذ بالنظام القـديم ، ومعناه أيضا إخراج آية الغنائم من ميدان الممارسة .

إن الـدولة هي التي تـأخـذ اليـوم الغنـائم وهـو العدل ، إنها التي تنفق على الحرب من ألفها إلى يائها ومن حقها أن تأخذ بعض ما أنفقت .

وليست هذه هي المسألة الوحيـدة التي اتى الزمن فيها بجديد ، والذي يتطلب فيها الجديد عدم إعمال بعض التشريعات المسماوية .

لقد أتى الزمان بجديد في مسائـل الرق ، ولقـد سـاهم القرآن الكـريم في العمل من اجـل تحـريـر العبيد ، ولقد اصبح الناس اليوم أحرارا او كادوا ، واقتضى هذا تعديل بعض التشريعات ، وبخاصـة عند النص على ان تكـون الكفارة عن الـذنب فك رقبة ، أو التحرير عن طريق المكاتبة .

وكذلك الحال بالنسبة الى جريمة الزنا التي لا يمكن اثباتها اليوم عن طريق الشهود الذين يـرون العملية رأي العين .

ان فن المعمار اليوم يحول بين الشهود ورؤ ية واقعة الزنا ، من حيث ان البنايات اليوم تشتمل على شقق تغلق بالمفتاح ، وكل شقة تشتمـل على غـرف تقفل بالمفتاح ، وليس في طـاقة اي شـاهد أن يجتـاز هذه الحواجز ليرى رأي العين ، ثم يشهد بما رأى .

وهكذا نجد مع الجديد الذي جـاء به الـزمن ما يدفع الى تغيير الاحكام بتغير الأزمان ، كما قال علماء الأصول .

آفاق للاجتهاد :

وليس كل جديد يأتي به الزمن يوقف عمل بعض الايات القرآنية الكريمة ، فانما هناك جديد يعمل على العكس من ذلك ، ويفتح لنا باب فهم الآيات الكريمة ـ للاستفادة منها ـ على مصراعيه .

إن تقدم العلم واختراع التقنية قد مكنا الانسان من السيطرة على الطبيعة ، ومن استثمار الموارد الطبيعية لخير البشرية على افضل وجه ممكن .

ونضرب في ذلك المثل التالي الخاص بتسخير البحر للانسان ، حيث يقول الله تعالى : « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه . . الخ » . فنحن اليوم ندرك من معاني هذه الآية أكثر مما كان يدرك الاقدمون ، ونستفيد من تسخير البحر اكثر مما كان يستفيد الاقدمون ، وذلك بفضل العلم والتقنية .

اننا نستفيد من العلم والتقنية في صيد البحر واكل اللحم الطري اكثر مما كان يستفيد الاقدمون .

وإننا نستخرج من الحلي ، ونصنع منها الاشكال الكثيرة ، بفضل العلم والتقنية اكثر مما كان يفعل الاولون .

والحال مع البواخر اظهر وأبين من كل ما تقدم ، فبفضل العلم والتقنية تستخدم البواخر في شتى المجالات ، تستخدم في نقل الركاب والبضائع ، وفي الأعمال الحربية وفي الغوص الى قاع البحار .

إن ما يأتي به الزمن مما يغير بعض الأحكام لاقبل لأحد بمواجهته ، وليس أمامنا إلا التسليم به والاستفادة منه .

* * * *

وننهي هذه الكلمة بالتركيز على ان الاسلام هو الدين الذي جاء من عند الله ، وان مصدره على هذا الاساس هو الله سبحانه وتعالى ، وان عمل الرسول ﷺ كان تبليغه الناس ، وتوضيحه لهم ، ودعوتهم الى الايمان به ، وممارسة الحياة على اساس منه .

والدين مقدس باعتباره وضعا إلٰهيا ، وملزم للناس إلزاما دينيا .

اما التراث الاسلامي فهو الألوان الثقافية التي ورثناها عن الأقدمين ، والتي أنتجتها عقولهم البشرية ، والتي قد تتفق مع الاسلام وقد تختلف معه .

إن التراث الاسلامي وضع بشري ، ومن هنا لم يكن مقدسا ، وكان الالتزام بما فيه التزاما أدبيا ليس غير .

وانه من حقنا أن نتعامل معه كما نتعامل مع كل موروث أصبح ملكا لنا . □

● كان الحطيئة الشاعر من أكثر الشعراء الذين ذموا البخل ، ومن العجيب أنه كان معروفا بهذه النقيصة ، وقد عرف عنه هجاؤه لأضيافه . يروى أن رجلا يدعى ابن حمامة مر بالحطيئة يوما وهو جالس بفناء بيته ، فقال له : السلام عليك ، فقال الحطيئة : قلت ما لاينكر ، فقال ابن حمامة : إنى قد خرجت من عند أهلي بغير زاد ، فقال الحطيئة : ما ضمنت لأهلك قراك ، فقال : أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتقيأ به ؟ قال الحطيئة : دونك الجبل يفيء عليك ، قال : أنا ابن الحمامة فقال الحطيئة : انصرف وكن ابن أي طائر شئت .

● قال عمر بن عبدالعزيز : « اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك ، وهو التوحيد ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك ، وهو الكفر ، فاغفر لي ما بينهما » .

إندونيسيا

"سلام ملكية"



« سلاملك مكة » . . أو الصالة الأمامية للمدينة المقدسة . . اسم يعرفه ويتمنى أن يزوره في سومطره كل مسلم من بين ١٥٠ مليون يدينون بالاسلام في الأرخبيل الاندونيسي ، بجزره التي تتجاوز ١٣٦٦٠ جزيرة . . ومن لا يسعده الحظ بهذه الزيارة فإنه يتوجه مع آلاف الحجيج ليقف عند عتبات أول مسجد أقامه أولياء الله التسعة في جزيرة جاوه ، أشهر جزر أندونيسيا التي يسكنها خمس عدد المسلمين في العالم الاسلامي .



أمام لوحة محفورة بدقة على أحد جدران قصر السلطان « خليفة الله عبد الرحمن هامنجومونو التاسع » في العاصمة القديمة « يوجياكرتا » بقلب جزيرة جاوة الأندونيسية » وقفنا نستمع الى الدليل وهو يحكي قصة اللوحة ويقول :

نحن مسلمون . . ولكن في أعماقنا ظلال من الهندوكية التي كان يؤمن بها أجدادنا . . وهم يحكون أن « يوديستا » كان ملكا طاغية من « البانداوا » ، وكان يطل شامخا في زهو من فوق عرشه،وقد امتلأت رأسه بهدير صاخب وكأنه يقول لنفسه : « أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض . . أنا أعلى من جميع الكائنات . . أنا الكل في الكل . . أفعل ما أريد . . وأصنع كل ما يخطر لي . . لأني أنا حقيقة الحقيقة . . أنا يوديستا » .

واقترب منه رجل صالح ، ينصحه أن يخفف من غلوائه ويهديه الى الطريق السوي . ولكن الطاغية دفعه في خشونة وزراية . وضرب رأسه بقوة وهو يهتف في سخرية :

ـ اغرب عن وجهي . . أسرع . . امض في طريقك عليك اللعنة . .

والتفت إليه الرجل المقدس وهو مسطوح على الأرض ينزف دما ، وقال في صوت هادىء :

ـ الحق الحق أقول لك . . سأذهب سريعا أما انت فستبقى . . ولسوف تهيم على وجهك في الأرض حتى يغفر لك الرب الذي في السماء . . وحتى تدرك أن هناك من هو أكبر منك وأعظم . . وأن قدرك مكتوب فوق رأسك الذي تشمخ به على العالمين . . !

ومنذ تلك اللحظة ، انصبت اللعنة على يوديستا ، فقد أسلم الرجل الروح وارتفع سريعا . . أما هو فقد بقي طويلا . . طويلا جدا . . لمئات كثيرة من السنين . . يتمنى أن يموت ولا يستطيع .

والتقى آخر الأمر برجل نزل بالبلاد قادما من الأرض المقدسة ، هو أول الدعاة المسلمين ، وأحد أولياء الله التسعة المشهورين ، فاقترب منه متوسلا :

ـ أيها الرجل الصالح . . أريد أن أموت . . وقد بلغت من الكبر عتيا . . ولكن مقدر على ألا أموت حتى أتمكن من قراءة ما هو مكتوب فوق رأسي . . فهلا استطعت أن ترسلني الى الموت ؟

وأحنى الولي الصالح رأس يوديستا وقرأ ما هو مكتوب ثم قال يخاطبه :

ـ سأقرأ وعليك أن تردد خلفي . الله اكبر . . الله اكبر . . أشهد أن لا إله إلا الله . . وأشهد أن محمداً رسول الله . .

وعندما قالها يوديستا من أعماق قلبه . . انتهت عذاباته . . واستطاع أن يموت !

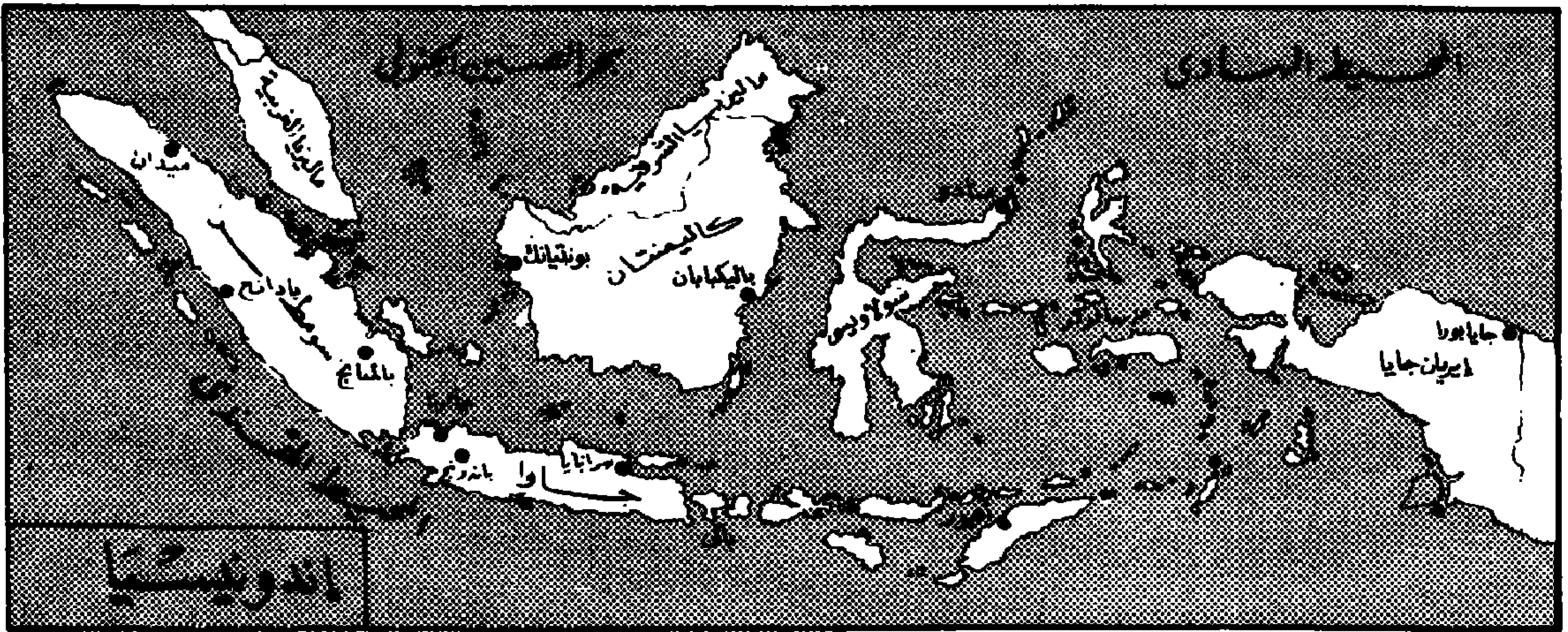
خمس العالم الاسلامي

قال لنا الدليل وهو يشير الى لوحة يوديستا إذ يحني رأسه أمام الولي الصالح ويردد الشهادتين :

ـ لهذا فإن من عادتنا في جاوه حين يحضر أحدنا الموت ، رجلا كان أو امرأة ، وحتى يستطيع أن يسلم الروح في سلام ، أن نهمس في أذنه بالشهادتين . .

وتلك حقيقة يؤمن بها أهل جاوه . . أكثر الجزر الأندونيسية ازدحاماً بالسكان . إذ تضم أكثر من ٦٥٪ من مجموع سكان البلاد ، البالغ عددهم ١٦٥ مليون نسمة ، وتعتبر بلادهم خامس دول العالم من حيث عدد السكان بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

والأرخبيل الأندونيسي الذي تتناثر جزره الزبرجدية الخضراء في أحضان المحيطين الهادي والهندي على امتداد خط الاستواء ، يشكل جسراً بين



● خريطة الأرخبيل الاندونيسي وجزره الرئيسية التي تشكل جسرا بين المحيطين الهادي والهندي حيث يعيش أكبر تجمع اسلامي في العالم .

المحيطين يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٦٠٠٠كم . . كما يشكل جسراً آخر بين قارتي آسيا شمالا واستراليا جنوبا لمسافة ٢١٠٠كم .

تامان ميني

ولكن . . هل تستطيع أن ترى أندونيسيا كلها مع اتساعها الشاسع في يوم واحد ؟!

الاجابة المنطقية تقول إن ذلك في حكم المستحيل . ومع ذلك فقد فعلناها . . وشهدنا كل انحاء الأرخبيل . . جزره ومدنه وبيوته وناسه ومزارعه ومظاهر ثقافته وأزيائه وتقاليده في جولة واحدة . . !!

حدث ذلك ونحن نطل من نوافذ (التلفريك) الكهربائي الذي دار بنا فوق « تامان ميني » . . وتعني « الروضة المنمنمة لأندونيسيا الجميلة » . . !

تعال بنا نحلق فوق أندونيسيا المصغرة . .

المشهد العام تعرضه خريطة طبيعية واسعة تصور الارخبيل كله ، ممتدا في بحيرة صناعية على هيئة « ماكيت » لجزر أندونيسيا ، تحيط بها ساحة عرض شاسعة في روضة مساحتها ١٢٠ هكتارا تضم ٢٧ مبنى ، كل منها يمثل محافظة من مجموع المحافظات التي تتشكل منها الجمهورية ، وتتركز فيها نماذج حية تمثل أشكال البيوت الأصلية التقليدية لمختلف المناطق والعشائر والجزر . وكل بيت من البيوت مزين بديكورات تعبر عن المظاهر الثقافية والأثرية والأزياء الشعبية ، يرتديها رجال ونساء وأطفال من كل عشيرة أو قبيلة ، وهم يمثلون كيف تسير الحياة وكيف تجري التقاليد والأعراف ، مع عروض لمختلف الوان الثقافة والموسيقا والفن الشعبي . .

ونطل الى الخريطة الطبيعية تحتنا .

إن أكبر الجزر في الجزء الغربي هي سومطرة ، يليها كالمنتان وهي القسم الأندونيسي الذي يشكل أكثر من ثلثي جزيرة بورنيو ثم تأتي بعد ذلك جزيرة جاوه . أما باقي الجزر فهي سلاويسي ، وايريان جايا ومجموعات أخرى من الجزر الصغيرة أبرزها جزر لومبوك وبالي وتيمور ومولوك .

أكثر ما يلفت النظر هو تباين أعراق السكان ، وتعدد أشكال المباني التقليدية في مختلف مناطق البلاد والتي تتباين حسب القبائل والعشائر في الجزر المتناثرة .

وهنا . . في « تامان ميني » نستطيع أن نلتقي بنماذج حية من كل لون من هذه الألوان .

قال لنا مرافقنا ونحن ندور بين المباني التقليدية ونتعرف على أبناء كل إقليم :

نحن أمة تنتمي أصولها من الناحية العرقية الى الجنس الملايوي . ولكن هذا لا يمنع من وجود مجموعات عنصرية متعددة تصل الى حوالي ٣٠٠ قومية ، أهمها الصينيون الذين يعتبرون من اكبر الاقليات في البلاد . فقبل قيام الجمهورية الأندونيسية ، ومنذ القدم ، استوطنت الجزر امم متباينة القوميات والمجتمعات، كل منها تشكل وحدة تضامنية ذات شخصية خاصة متميزة بمنطقتها ولغتها وفنونها وعاداتها وتقاليدها وفنها المعماري .

إن جميع الديانات الكبرى في العالم لها معتنقوها في





ثلاث لقطات لمسيرة المسلمين .. الصلاة في مسجد الاستقلال .. وتلاوة القرآن أمام مسجد يوجياكرتا .. وتوزيع الزكاة في معهد فابيلان .



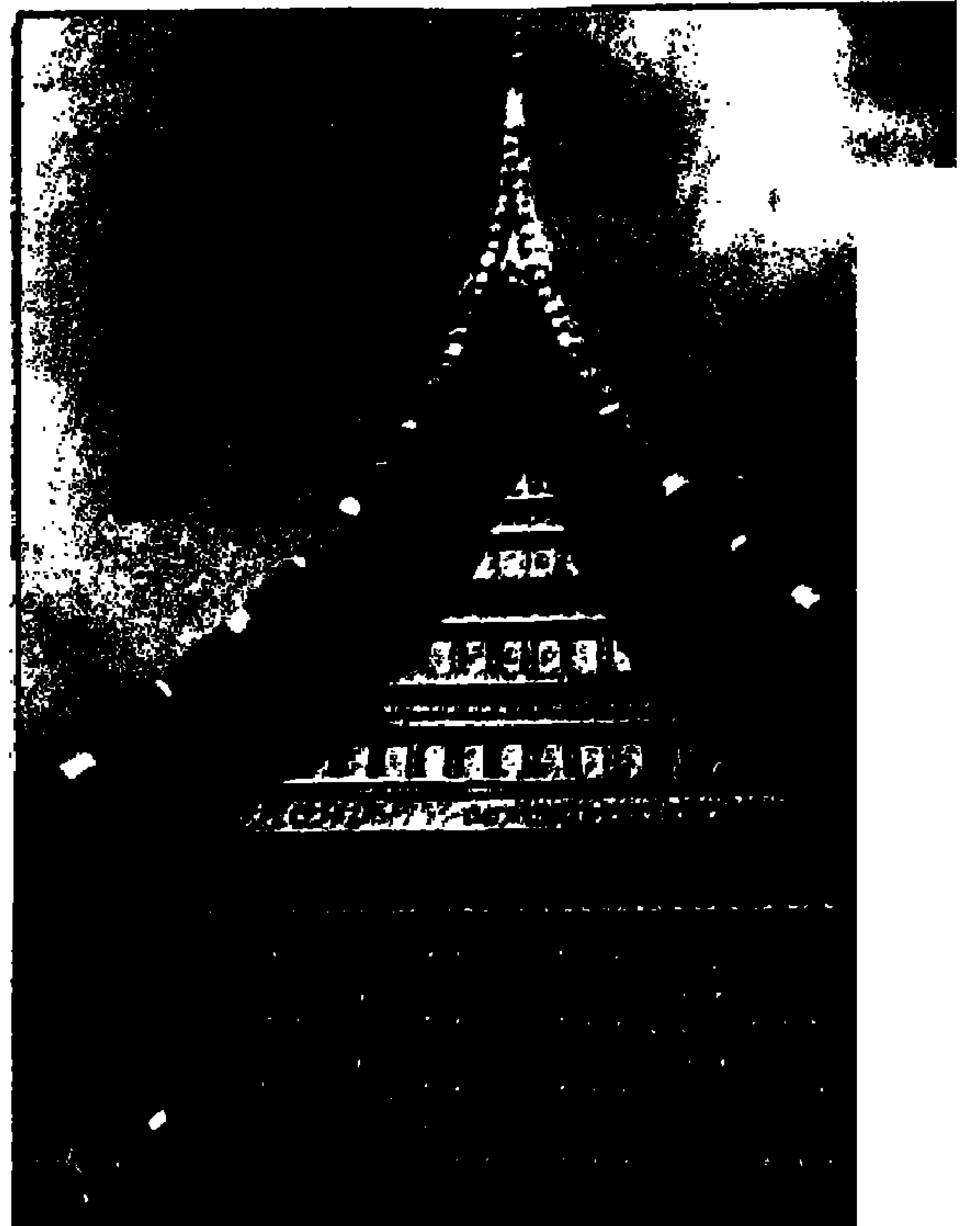




● مبنى أكاديمية علوم القرآن في بادانـج . بسومطرة الغربية . . وأمامه نائب المدير

● طراز فريد من المباني على هيئة قرنين مدببين تكريما لعجل الجاموس المنتصر على الجاويين . . ونظرة طفل من قبائل الميناـنج كابو (الى اليسار) أما أفاريز وجدران المباني وديكورها فمن قشور جـوز الهنـد الملونـة (الى اليمين)





● مدرجات زراعة الأرز المحدودة في سومطرة حبث يتبع السكان وسائل الزراعة التقليدية على طريقة « اقلع واحرق » .





بهذا النصر الذي رد الجاويين خائبين الى جزيرتهم ، أطلقوا على انفسهم اسم « مينانج كابو » . . وتعني « العجل المنصور » . . كما خلدوا ذكرى انتصارهم بأن شيدوا سقوف بيوتهم على شكل جبهة عجل الجاموس بقرنيه المدببين . . !

اقلع واحرق

لم تكن تلك هي زيارتنا الأولى لسومطرة ، فقد سبقتها جولة زرنا خلالها مدينة « ميدان » بأقصى الشمال الشرقي ، كما زرنا باليمبانج ولامبونج في أقصى الجنوب الشرقي ، وهي كلها تشكل مراكز الثقل لاقتصاديات اندونيسيا . فهنا منابع وحقول النفط التي يستخرج منها ثلاثة أرباع إنتاج البلاد من الذهب الأسود ، الذي جعلها عضوا عاملا نشطا في منظمة الأوبك .

وإذا كانت الجزر الاندونيسية تضم اكثر من ٣٠٠ بركان بعضها خامد منذ القدم وبعضها مايزال نشطا حتى الآن ، فإن سومطرة وحدها يبرز على سطحها تسعون بركانا منها ١٥ بركانا نشطا ، واذا كانت ظاهرة البراكين تنتج عادة تربة خصبة وبحيرات وينابيع حارة ، مع وفرة في الزراعة والانتاج الزراعي ، وما يتبع ذلك من زيادة في كثافة السكان والعمران كما يحدث في جزيرة جاوه . . الا ان ذلك لا ينطبق كثيرا على جزيرة سومطرة . فهنا لا تتميز اللافا البركانية بمواد ومعادن تزيد من خصوبة الأرض ، حيث تسود التربة الحمراء ، الا في بعض المناطق مثل منطقة الباتاك الشمالية حول بحيرة توبا ومنطقة مرتفعات مينانج كابو في الغرب . ومن هنا فان التربة تعجز عن زراعة الارز والمحصولات المماثلة بشكل واسع ، وتحتفظ السفوح والمرتفعات بالغابات الطبيعية . ولمواجهة فقر الخصوبة والحاجة الى مزيد من زراعة المحاصيل الغذائية ، فقد اتبع السكان وسائل الزراعة التقليدية على طريقة « اقلع واحرق » فلجأوا الى اقتلاع اشجار الغابات واحراقها في الفترات التي تسبق هطول الأمطار ، حتى تتغذى الأرض بالخصوبة مع تنظيم طرق الحرث والري ، وأمكن بذلك زيادة المساحة المزروعة لتنتج المزيد من حاصلات الحبوب والتبغ والبن والمطاط والشاي والكاكاو والأرز وزيت النخيل ، الى جانب الثروة الخشبية الطائلة من التاك والبامبو والموجني والخيزران وانواع اخرى كثيرة من انتاج الغابات . على ان ابرز ما تتميز به سومطرة هو ثراؤ ها بالمعادن مثل القصدير والبوكسيت والذهب والفضة والفحم ، بالاضافة الى الانتاج الوفير من النفط والغاز الطبيعي واليوريا والمخصبات . وقد شهدنا ذلك بصورة واضحة في باليمبانج ، كما زرنا مصانع الاسمنت في جريسك وبادانج حيث ادخلت تحسينات كبيرة على الأفران من أجل مزيد من الانتاج بطاقة تصديرية كبيرة .

كان ذلك بعض ما شهدناه ، ونحن نخترق سومطرة خلال جولتنا التي رافقنا فيها الدكتور فوزان المحمدي نائب رئيس الجامعة الاسلامية الحكومية ، والتي بدأناها من بادانج ثالثة كبرى المدن في سومطرة .

على بعد ستة كيلومترات من وسط بادانج ـ المركز الاقليمي لجماعات مينانج كابو ـ نجد انفسنا وسط الميناء الصاخب المزدحم في « تيلوك بايور » ، وغير بعيد منه نجد المتحف حيث أجمل المعروضات من الصناعات اليدوية . ونعبر النهر الذي يقطع المدينة لنقف عند المعبد الصيني فوق التل المطل على المحيط في مشهد رائع بديع . .

ونبتعد قليلا في الطريق الساحلي على الخليج الى تابان ثم الى المناطق الداخلية لنصل الى « سونجاي بنو » المدينة الرئيسية في قلب المنطقة . وعند « جوننج توجو » نقف امام بحيراتها الزرقاء الصافية ونطل الى اخر اراضي الاخشاب في سومطرة الجنوبية ، حيث تمرح الفيلة والنمور والفهود والاورانج أوتان ، حيث لا تزال تعيش القبائل اللادينية من عبدة الأرواح ، مثل جماعات كوبو وساكاي ، التي تتجول بين المستنقعات وتصطاد الطيور وتأكل لحوم القردة . .

ونصل في النهاية الى مدينة « بوكيتنجي » التي تبرز وسط الخضرة الجبلية على ارتفاع ٩٢٠ مترا فوق سطح البحر . . هذه المدينة هي العاصمة القديمة لعشائر « المينانج كابو » الجو بارد مشمس والناس يتميزون باللطف والطيبة . . والسوق مكان ممتع لشراء المصوغات والهدايا والصناعات التقليدية . . وهو يزدحم بالمزارعين والحرفيين والبائعين والمشترين دون ارتفاع اصوات أو مساومة عند البيع والشراء . . !

سلاملك مكة

لعل أبرز ما لفت نظرنا خلال جولتنا هو مدى الحرص والتمسك بالتعاليم الدينية والروحية في سومطرة . وعرفنا الكثير عن مسيرة الاسلام من اللواء المهندس. ازور انس محافظ سومطرة الغربية . ومن



● الدراجات الهوائية والبخارية .. هي وسيلة المواصلات الرئيسية التي يستخدمها الجميع .. وخاصة الطالبات عند العودة من المدرسة .

خلال حديثنا مع مرافقنا الدكتور فوزان المحمدي اثناء زيارتنا للجامعة الاسلامية الحكومية والتي اقيمت سنة ١٩٦٦ وتضم كليات اصول الدين والشريعة والتربية والاداب والدعوة الاسلامية .

كانت سومطرة اول جزر اندونيسيا اسلاما ، نتيجة موقعها على الطريق التجاري بين الهند وفارس وشبه جزيرة العرب من ناحية ، وبين الصين وما يليها شرقا من ناحية اخرى . وكان التجار الهندوس قبل ذلك يترددون على تلك البلاد فنقلوا اليها طابعهم الهندوكي . ولكن ما لبث التجار العرب المسلمون القادمون من شبه الجزيرة العربية ان نجحوا في نشر دينهم بالجزيرة عن طريق الموعظة الحسنة ، بالقول والسلوك والعلاقات الاجتماعية .

كانت أول المناطق التي وصل اليها الاسلام في العام ٥٥ الهجري (٦٧٤م) في عهد الخلفاء الراشدين هي شواطيء سومطرة الشمالية ، وأول مملكة إسلامية قامت في اندونيسيا وفي منطقة جنوب شرق آسيا كلها هي مملكة بيرلاك عام ٨٤٠م (٢٢٦ هـ) في شمال سومطرة ، وأول ملوكها هو السلطان علاء الدين سيد مولانا عبدالعزيز شاه . وبعد مملكة بيرلاك قامت عام ١٢٠٥ (٦٠٢ هـ) مملكة « آتشيه » الاسلامية التي ترسخت علاقاتها ببلاد العرب وتوطدت فيها أحكام الشريعة الاسلامية ، وكان أول ملوكها السلطان جيهان شاه الذي قدم الى سواحل أتشيه داعيا الى الاسلام ، واستطاع أن يدخل الكثيرين في هذا الدين ، وتزوج أميرة من أهالي البلاد ، فرحبوا به ملكا عليهم وتلقب بلقب « سري بدوكا سلطان » .

وقد لقبت منطقة آتشيه بلقب « سلاملك مكة » أي الصالة الأمامية لمكة . وعلى يد دولة آتشيه وطوال سنين كثيرة كان انتشار الاسلام منها منتظما ومكثفا يكاد يعم كل مناطق سومطرة باستثناء مناطق عشائر « الباتاك » وعشائر أخرى تنصرت فيها بعد أو بقيت على معتقداتها البدائية الأولى . .

أما عشائر « مينانج كابو » في غرب سومطرة فقد كانت مملكتهم تسيطر في القرن الخامس عشر على جزء من الجزيرة يقع شمالي خط الاستواء وجنوبيه . وبرغم أنها كانت قديما معقلا من معاقل الهندوكية ، إلا ان الاسلام وجد فيها أشياعا كثيرة ، رغم العقبات التي وضعت في سبيل تقدم الدين الجديد . . ومع هذه الحقيقة كان تأصل الاسلام في نفوس عشائر المينانج كابو أقوى منه في نفوس السواد الأعظم من السكان . . وكانت مقاومتهم لجهود المستعمرين والمبشرين عنيفة شديدة . . ولعل تلك المقاومة هي بعض الدوافع التي جعلت الاسلام في سومطرة الغربية متأصل الجذور ، وكانت وراء ذلك التمسك الشديد بالتعاليم الدينية والروحية .

أساليب التعليم الديني

من أبرز ما شهدناه في هذا المجال بعض صور التعليم الديني التي تتمثل في ذلك العدد الكبير من المدارس والمعاهد الأهلية التي ينفق عليها الأهالي من خلال المؤسسات والجمعيات الخيرية الاسلامية . . وتتميز كلها بميزة خاصة هي تدريس العلوم الاجتماعية والسياسية والقومية الى جانب التعليم الديني والاهتمام بقراءة وتجويد القرآن . . كما افتتحت عام ١٩٨٤ اكاديمية علوم القرآن التي اقيمت على نفقة الأهالي وبفائض ميزانية مسابقة تلاوة القرآن ، ويدرس فيها التفسير والفقه والشريعة والحديث وعلوم القرآن واللغة العربية .

في بادانج شهدنا أكثر من اسلوب للتعليم



● المياه الثلجية تتحطم على صخور شلالات هارو مندفعة من ارتفاع ٣٨٥٠ مترا قمة جبل [illegible] أعلى قمم [illegible] سومطرة .



● مقر المؤتمر التاريخي في باندونج .. يحمل اسم « جيدونج ميرديكا » حيث أول انطلاقة لتضامن الشعوب الافريقية الآسيوية .



● جانب من صور زعماء مؤتمر باندونج في قاعة المتحف بينهم نهرو وعبد الناصر وشواين لاي .



● أعلام دول مؤتمر التضامن الأسيوي الافريقي ما تزال ترفرف داخل القاعة وما تزال آلة التصوير السينمائي قائمة في مكانها ذكرى لانعقاد المؤتمر .

الديني ، وهو ما يجري ايضا في مختلف انحاء اندونيسيا . الاسلوب الأول ما يقدم عبر المدارس العمومية الحكومية والأهلية ، حيث نجد مادة تعليم الدين إجبارية في جميع مراحل التعليم . ويقوم المعلمون من خلال مناهج إضافية بتطوير التعليم الديني عبر أداء صلاة الجمعة،وإحياء ذكريات المناسبات الدينية . أما الأسلوب الثاني فبإنشاء المدارس الدينية ، وتضطلع بها وزارة الشئون الدينية بجانب المؤسسات الأخرى في المجتمع . أبرز المعاهد تسمى « البيسانترين » حيث يفرض على الطلاب الإقامة في الداخلية ، ويستقل كل معهد منها بشيخه وكل شيخ بطريقته ، ومواد الدراسة دينية تماما الى جانب اللغة العربية وعلومها . وكلمة بيسانترين تعني مكان إعداد « السانتري » أي رجل الدين . وهو يقيم في (داخلية) المعهد في اكواخ تسمى بوندوك . في هذه المعاهد يعد الطالب ليصبح عالما ملتزما بالاسلام سلوكا وانضباطا ، ولهذا كان له دور كبير من الكفاح ضد الاستعمار . والنمط المتبع في مباني البسانترين تتركز على المسجد ومنزل الشيخ والاكواخ والمباني المستحدثة المعدة لسكن الطالب ، ومدة التعليم غير محدودة حيث تتبع النظام الحر ، ويمكن للطالب أن ينهي دراسته في خمس سنوات أو عشرين . . لا بأس . . !

نموذج آخر للاهتمام بالتعليم الديني للفتيات شهدناه في سومطرة الغربية .

ففي سنة ١٩٢٣ أسست أول مدرسة للبنات سميت بالمدرسة الدينية بقيادة الزعيمة « رانكايورحمة » ، وبعد فترة من الزمن تطورت المدرسة واشتهرت في معظم المناطق الأندونيسية وفي بلاد اخرى مجاورة كسنغافورة وماليزيا ، حيث تفد الطالبات للدراسة في معاهدها .

الصورة كما شهدناها ورافقتنا أثناءها الدكتورة « اثنائيه صالح » مديرة المعاهد ، تعطي دليلا رائعا على الجهود الأهلية التي تعتمد على الجهد الذاتي . قالت لنا الدكتورة اثنائية : إن المعاهد الدينية للبنات لا تحصل على أي مساعدة من الحكومة ، ولهذا واجهتنا مشكلات كثيرة عندما تخلى بعض من يقدمون المعونة او اعتذروا عنها . فالمعاهد تعتمد على نوعين من المساعدات . . وفيما يتعلق بالمصاريف الادارية ومستحقات المدرسات والأدوات المدرسية واحتياجات الطالبات من الغذاء والأدوية والكتب وغير ذلك من المصاريف المماثلة يكون أكثرها على حساب أولياء أمور الطالبات،الا اذا كانت الطالبة من أسرة فقيرة فتخفف عنها المصروفات أو تعطي لها الفرصة للدراسة مجانا أو تتولى المعاهد توظيفهن في اوقات الفراغ . اما المصدر الثاني فيقوم على جمع التبرعات من المحسنين سواء في داخل البلاد أو خارجها . وأنتم ترون هذا المسجد الذي مايزال تحت الإنشاء قد تولت نفقاته إحدى المحسنات من المملكة العربية السعودية . .

ان مثل هذا الجهد يحتاج الى دعم المحسنين من بلدان العالم الاسلامي القادرة ، والى معونات مادية تساعد الأهالي على القيام بهذه الخدمة التعليمية الروحية من أجل تقدم الاسلام في هذه البلاد .

الى باندونج

الآن . . عودة الى جاوه . . وريح آخر من عبق التاريخ في مدينة كانت نقطة انطلاق لأبرز مظاهر تضامن الشعوب . . هي مدينة باندونج .

وباندونج هي المدينة التي جمعت كل قمم العالم الضائع بين الشرق والغرب ، من خلال اختيارها مقرا لأول مؤتمر تاريخي يضع اللبنة الرئيسية لحركة عدم الانحياز . فهنا التقى رؤساء ٢٩ دولة افريقية واسيوية ، من بينها تسع دول عربية ، من أبرزهم جمال عبدالناصر وسوكارنو ونهرو وشواين لاي ، من ١٨ الى ٢٥ ابريل ١٩٥٥ ، في أول ظاهرة سياسية عبرت عن بروز الشعوب والامم النامية في كل من اسيا وافريقيا على الساحة الدولية ، وتكريس ولادة « الافرو اسيوية » كظاهرة معادية للاستعمار .

وحين نأتي الآن ـ وبعد ثلاثين سنة ـ لندخل المقر الذي عقد فيه المؤتمر وشهد لقاءات قمم التضامن الاسيوي الافريقي . . ثم لنطوف ونجول وندور بين معالم المدينة . . فإنما لنسبر اغوار الماضي القريب ، ونعيش حاضر المدينة التي يقول أهلها أنها تعج بالكثير من الذكريات التاريخية لمناهضة الاستعمار . .

مقر المؤتمر الذي يحمل اسم « جيدونج ميرديكا » أي مبنى الاستقلال ، احتفظت به أندونيسيا وجعلت منه متحفا ومنارة لانطلاقة الشعوب الافريقية والاسيوية ، وقفنا في القاعة الكبرى نستعيد الذكريات ونتأمل أعلام الدول التسعة والعشرين التي ماتزال ترفرف حول القاعة وأمام المنصة . . وكأننا نسمع صوت عبدالناصر ـ أول صوت لزعيم عربي في المجتمع الدولي ـ يجلجل « باسم شعب فلسطين الذي طرد من وطنه ليحتل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا . . وكل هذا حدث على مرأى من هيئة



● وجوه معبرة للجيل الجديد في نظرات كلها الأمل في مستقبل مشرق . . بعيدا عن المعاناة التي يعيشون .

الامم المتحدة ، بل بمساعدتها وموافقتها . . إننا نقولها بصوت عال . . لقد استيقظ في الشعوب وعي جديد لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض . . وإننا لنطالب الدول الافريقية والاسيوية أن تعلن تأييدها لحق الشعب العربي في الجزائر ومراكش وتونس في تقرير المصير والاستقلال . . وإننا لنطالب بتصفية الاستعمار ونندد بأساليب الضغط السياسي التي تلجأ إليها بعض الدول الكبرى مستخدمة فيها الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراضها . . » .

في احدى قاعات المتحف عرضت صور الرؤساء الذين شاركوا في المؤتمر ، مع كل مانشر وصدر بعد ذلك من قرارات خلال المؤتمرات المتعاقبة لحركة التضامن الاسيوي الافريقي والتي أعلنت في المقر الذي اتخذ ايضا مركزا للدراسات للشئون الافريقية والاسيوية والدول النامية .

ويا لها من مبادىء وقرارات . . وآه لو أخذها العالم فعلا على محمل الجد . . ولكن هيهات . . !

إن الناس في باندونج لا ينسون أبدا أحداث المؤتمر التاريخي ، والشوارع التي تحيط بالمقر مازالت تحمل - وبالعربية - أسماء عبدالناصر ونهرو . . والفندقان اللذان يقومان على الجانب الاخر من الطريق الرئيسي « افرواسيا جالان » مازال يحمل صور الرؤساء سواء أثناء انعقاد المؤتمر أو بينما الزعماء يسيرون مشيا على الاقدام الى المقر من أماكن إقامتهم في فندقي هومان وبرينجر أو من الفيلات غير البعيدة عن المدينة .

كلية التكنولوجيا

على ان باندونج ، ويسمونها المدينة الزاهرة ، عاصمة جاوة الغربية بسكانها المليونين ، التي يمتد تاريخها الى القرن الرابع عشر حين كانت جزءا من مملكة باجاجاران ،والتي عرفت باسم « باريس جاوة - لا تكتفي بأن تعيش فقط على ما اكتسبت من شهرة في عالم السياسة ، فقد صنعت لنفسها أيضا عوالم جديدة في ميادين المسرح والموسيقا والغناء والعلوم والتقنية . . . وصناعة الطائرات . .

● اندونيسيا . . « سلامتك مكة »

في المدينة ٢٧ من الكليات والمعاهد العليا والمراكز العلمية المتخصصة ، أبرزها جامعة باجاجاران ، وكلية باندونج للعلوم التكنولوجية التي حصل منها الرئيس سوكارنو على شهادة الهندسة عام ١٩٢٦ .

في زيارة سريعة لكلية التكنولوجيا التقينا بعدد من الطلاب والطالبات الذين يبلغ عددهم عشرة آلاف ، إذ يقبل سنويا حوالي ١٥٠٠ طالب وطالبة يوزعون على ٢٣ قسما لجميع التخصصات التقنية .

لعل أبرز مالفت نظرنا مسجد سليمان التابع للكلية الذي أقيم ليكون جسرا بين التعليم الجامعي والتعليم الديني ، على أمل توثيق العلاقة بين التقنية والدين . المسجد أقامه عام ١٩٦٤ « مركز إرشاد الأمة » الذي يقوم بالأنشطة الدينية ، ثم تحول ليصبح ملكا للمجتمع والطلاب الذين يتولون جميع شئونه الادارية ، وهو ليس مخصصا فقط لأداء الصلوات ، إنما يقوم بمهمة التعليم الديني للطلاب بعد انتهائهم من دروسهم الاكاديمية في الكلية ، ويتولى التدريس علماء متخصصون في مختلف العلوم الدينية بلا مقابل ، كما يقوم المركز بنشر المطبوعات الدينية ونشرها . وتشارك الطالبات الطلاب في كل نشاطات الكلية والمسجد والتعاونيات من خلال لقاءات واجتماعات مشتركة .

المشهد المثير هنا - كما في جميع مساجد اندونيسيا - هو أداء النساء والفتيات من مختلف الأعمار للصلاة بالحجاب ، حيث يخصص لهن النصف الخلفي الذي يمتلىء عن آخره بصاحبات الزي الأبيض وهن يؤدين الصلاة وكأنهن موجات من الملائكة . . تلك صورة ما أروعها عند أداء صلاة التراويح في شهر رمضان .

قالت لنا « ميني بورنا ماواتي » « وكماليا ارتيني » الدارستان بالكلية : « الى جانب الجامعات الحكومية وعددها ثمانية ، قامت مبادرات أهلية لانشاء جامعات أهلية عمومية أو دينية ، وانشأت وزارة الشئون الدينية حوالي ١٤ جامعة حكومية إسلامية في مختلف العواصم الاندونيسية عدد كلياتها ٨٥ كلية ، بالاضافة الى كليات الجامعات الاسلامية الأهلية وعددها ٧٥ كلية . المهم أنه في جميع الجامعات والكليات توجد مساجد يؤم أحرامها الطلاب والطالبات والمدرسون بشكل منتظم ، سواء لأداء



● مع التوسع في صناعة الطائرات لم يعد مصنع نورتانيو يكتفي بسد الاحتياجات المحلية .. بعد أن انهالت عليه طلبات الاستيراد من الدول المجاورة (الصورة العليا) .



● الرقصات

الصلوات المكتوبة أو صلاة الجمعة أو المحاضرات والاحتفالات بالمناسبات الدينية .

عالم الفنون

أما الفنون في باندونج فقد التقينا بها أول الامر في قاعة الفندق . . ففي ركن القاعة في أكثر الفنادق توجد فرقة موسيقية تعزف على الآلات الموسيقية وأبرزها العود الشرقي . وتنتشر الأغاني العربية وهي تعرف في أندونيسيا باسم « كصيداهان » تحويرا من كلمة قصيدة . وتعتمد الفرقة عادة على ثمانية أو عشرة دفوف يصحب النقر عليها إنشاد جماعي من قبل فتيات في شكل (كورس) .

فرق الموسيقا والكورس هنا لها أساس نابع من مجتمع القرية ، وهي الركيزة الرئيسية في كل الأقاليم . فالفلاحون المرهقون بعد يوم عمل شاق في الحقول يجتمعون في المساء فلا يخفف عنهم إلا الموسيقا والغناء على أنغام آلاتهم التقليدية التي تعتمد في الغالب على أوان نحاسية وبرونزية وطبول ودفوف وآلات مختلفة الاشكال مصنوعة من البامبو . وسر استخدام البامبو هو أنه يزرع في كل مكان وهو يصحب الناس في كل أعمالهم ويرتبط بحياة كل يوم . فهم يبنون بيوتهم من البامبو . . السقوف والجدران والأرضية والاثاث وادوات الطبخ . . كما أن فراشهم مصنوع من البامبو وأطراف البامبو عندما تكون صغيرة مادة لذيذة يأكلها الصغار والكبار . . وعندما يموت الأندونيسي فإنه يحمل على نعش من البامبو ، بل يدفن أيضا في قبر جدرانه من البامبو . . لهذا فان أول ما تسمعه عندما يبدأ عزف الفرقة الموسيقية هو أنغام على أدوات البامبو سواء في النفخ أو الدق أو التحريك وهي كلها تسمى « اوركسترا أو جلونج » .

ذلك هو الانطباع الرئيسي لما شهدناه ونحن نحضر حفلا موسيقيا تقليديا في « سونج أو جلونج » كل أعضائه من الفتيان والفتيات الصغار يقدمون عزفهم ورقصهم وأناشيدهم بطريقة مثيرة .

وقد عرفنا أنهم تدربوا وتخصصوا في مدرسة خاصة للفنون الموسيقية تسمى « مدرسة باك أوجو » .

في جاوة الغربية كلها بما في ذلك باندونج عاصمة الصونديين تجد جميع انواع الفنون كالرقص والتمثيل وكلها تسمى « الوايانج » ، عروض الوايانج تتباين بين ألعاب الدمى الخاصة وخيال الظل والرقص التقليدي والتمثيليات المسرحية . وتاريخ « الوايانج » الوافد أساسا من الهند القديمة، يحكى بأن رواد الدعوة الاسلامية الاوائل في جاوة استعانوا بألعاب الوايانج بعد أن بدلوا الروايات التي تستعرضها في تمثيلياتها وشخصياتها الهندوكية بأفكار أخرى قائمة على الدعوة الاسلامية والتوجيهات الدينية .

تعال نذهب الى « جالان ناريبان » نتفرج على العرض المسرحي المسمى « يانج جوليك » وهو مسرح خيال الظل . انه نوع من الفن التقليدي حيث تخصص النحاتون والصناع والحرفيون المهرة في باندونج في صناعة وجوه العرائس الخشبية وأقنعة « الماريونيت » على أشكال مهرجين من الرجال والنساء بعد أن كانت هذه الاقنعة من قبل تمثل رؤوس البقر والجاموس . وهؤلاء الفنانون لم يتخصصوا فقط في صناعة العرائس بل أيضا في صناعة أغمدة السيوف وتزيين أنصالها بالتماثيل المرصعة والمزخرفة بالأحجار الكريمة .

« والوايانج أورانج » نوع آخر من الفنون شاهدناه على مسرح « رومنتانج سيانج » إنه عبارة عن رقصات تقليدية موروثة عن الثقافة والأساطير الهندوكية . وأغلب المسرحيات الراقصة من هذا النوع تعتمد على حكايات الرامايانا (الامير راما وزوجته سيتا) والمهابهاراتا والصراع بين الخير والشر . وتقدم العروض مصحوبة بموسيقا وغناء هو من أجمل ما يقدم في هذا الميدان . وقد يقدم الراقصون والراقصات الهواة عروضهم وهم يلبسون الأقنعة على مسارح الشوارع والأرصفة لامتاع الناس ودون أي مقابل مادي . . ولكنهم يفضلون العمل في الليل في عروض على مسارح متخصصة تدفع لهم أجورا مجزية .

أما « الوايانج كوليت » فهو نوع آخر من العروض المسرحية الوثيقة الارتباط بالدين ، وهو من أشهر مسارح الظل في أندونيسيا . وهو يقدم على طريقة « القراجوز » الشرقي من خلال راوية يجلس خلف ستار تنعكس عليه أضواء شموع أو سراج زيتي ، ثم يحرك بيديه خلال الظلام مجموعات من العرائس المصنوعة من الجلد ، يحكى من خلالها قصة الحياة . لم نعرف هذا النوع الا حين وجدنا زحاما كبيرا أو مجموعات من الناس كبارا وصغارا يلتفون حول هذا اللاعب الفنان . كان اللاعب خلف الستار يزرع شجرة الحياة في ساق شجرة موز تتحرك عليها الدمى ممثلة الأرض وناسها . وهو يحرك ضوء السراج وكأنه الشمس لتظهر أحداث التمثيلية التي تنعكس ظلالا تتحرك على الستار ، وهو خلال كل ذلك يغير نغمات

صوته فهي تارة حزينة وتارة مبهجة ، ممثلا في بعض الأحيان أصوات معارك وصراعات بين الخير والشر حتى يكون النصر في النهاية للخير .

صناعة الطائرات

في باندونج أتيحت لنا فرصة لزيارة مصنع « تورتانيو » للطائرات ، أحد مفاخر النهضة في أندونيسيا . صناعة الطائرات لها قصة بدايتها عام ١٩٧٦ . فقد كانت الحاجة ماسة الى وسائل للنقل الجوي بين جزر الارخبيل المستلقية على اتساع المحيط والمتباعدة عن بعضها البعض لمسافات بعيدة ، وليس أهم من الاعتماد على النفس في هذا الإنجاز الكبير . وتقرر إقامة مصنع لطائرات النقل الخفيف بالاعتماد على خبرات فنية تقنية يقودها الدكتور المهندس يوسف بحر حبيبي ، الذي وضع تخطيط المشروع وتولى تنفيذه وادارته . وكانت البداية بتجميع طائرات (كاسا ١١٢) بترخيص من المصنع الأم باسبانيا ، وهي طائرة حمولتها ١٩ راكبا أو طنان من البضائع ثم بدأت عمليات التطور بتصميم جديد رفع حمولة الطائرة الى ٤٠ راكبا لتبدأ مهمتها في حركة الطيران الداخلي الخفيف تمهيدا لتصعيد مجالاتها الى النقل الاقليمي ثم النقل الدولي .

قال لنا المهندس محمد شولحي مدير العلاقات العامة للشركة وهو يصحبنا في جولة داخل المصانع ، نستعرض خلالها مختلف أنواع الطائرات وهي تحت التجميع والتصنيع :

لم تكن المهمة سهلة .. ومع هذا فخلال أربعة أعوام من إنشاء المصنع جرى التعاقد لتصنيع طائرات أكبر حمولة بترخيص من شركة بوما الفرنسية ، تبعها تصنيع الهليوكبتر (ناس ٣٣٢) .. ومع التوسع في الصناعة وتطورها لم نعد نكتفي بسد الحاجة المحلية ، إذ بدأت الشركة تصنع الطائرات وتصدرها تلبية للطلبات التي انهالت عليها من الدول المجاورة وعلى رأسها تايلند . ومن أجل إعداد الكوادر المدربة لمزيد من الانتاج تم التوقيع على اتفاقية تعاون بين إدارة المصنع وبين كلية باندونج لعلوم التكنولوجيا في قطاع علوم الملاحة الجوية ، لدعم برامج صناعة الطائرات وتخريج الفنيين المدربين . وأعلن الدكتور حبيبي تصميمه على أن تكون الطائرات المنتجة في أندونيسيا على أعلى مستوى من الانتاج العالمي ، بعد أن تم الحصول على تراخيص إنتاج من أمريكا والمانيا الغربية وفرنسا .. وحتى يونيو ١٩٨١ كانت الشركة قد أنتجت وصدرت ٧٢ طائرة من مختلف الانواع .

بعد هذه النهضة الكبيرة بدأت الشركة تطور نفسها بانتاج الطائرات الهليوكبتر الحربية والطائرات القتالية لتزويد سلاح الجو الاندونيسي بالطائرات المنتجة محليا .. ثم كان أبرز أنواع الانتاج هو صناعة طائرات (بوينج) الأمريكية .. بالاضافة الى تصنيع قطع غيار الطائرات بعد أن تم التعاقد مع (جنرال الكتريك) لتصنيع التوربينات والموتورات والقطع الفنية التي تحتاج الى خبرة عالية من التقنية .. ونستطيع إدراك مدى التطور الكبير في هذه المصانع عندما نعلم أن عدد العاملين ارتفع من ٥٠٠ موظف عام ١٩٧٦ ليصل الى ١٣ الف موظف في العام الاخير .. وأن هناك عقودا لتصنيع ٢٥٩ طائرة لعدد من الدول بينها المملكة العربية السعودية .

وهو أمر يعبر بغير شك عن تطور ونجاح كبير في ميدان الصناعة والتقدم والتنمية .. في اندونيسيا .

معهد فابيلان

إن تنمية الانسان تقوم في الاساس على التربية والتعليم . ولقد شاهدنا نموذجا رائعا لهذه التنمية خلال زيارتنا لمعهد فابيلان الأهلي على مسافة ٢٠ كيلومترا الى الشمال من يوجياكرتا .

المعهد أسسه عام ١٩٦٥ الحاج همام جعفر وكان عمره وقتها ٢٦ سنة وشاركه في ذلك اخوه وزوجته - وهو مازال حتى الآن يتولى ادارته . وقد أقام المعهد على جزء من أرض صغيرة كان يملكها ، ثم جرى التوسع بعد ذلك حتى بلغت المساحة التي أقيمت عليها بقية أجنحة المعهد وأقسامه حوالي ٥٠ ألف متر مربع ، يحيط بها مساحة أخرى مزروعة جعل ريعها للصرف على الطلاب والطالبات الذين يفلحونها لانتاج كل الخضراوات والمواد الغذائية الاستهلاكية اللازمة للمعهد .

يقوم عند مدخل المعهد مسجد قديم مشيد على النمط التقليدي ، تم بناؤه عام ١٨٠٠ حيث يمارس فيه الطلاب والطالبات وأهالي قرية فابيلان الصلوات ويتلقون الدروس الدينية وتجري الاحتفالات الاسلامية ومسابقات تلاوة القرآن الكريم . الى اليسار من المسجد نجد قاعة جلست عند نافذتها الواسعة أربع فتيات في ردائهن الابيض وبين أيديهن دفاتر للتسجيل ، وحين نسأل عن مهمتهن نعرف أنهن يتولين تسلم زكاة المال تماما كما يتسلمون زكاة الفطر خلال أيام رمضان المبارك . وقالت لنا

إحداهن : اننا نسجل في هذه السجلات كل ما يصلنا من الزكاة واسماء من يقدمونها ثم نتولى توزيعها على الفقراء .

وننظر الى الناحية المقابلة ، فنجد طوابير النساء والصغار كل منهم يحمل كيسا ، بينما يجلس عدد من الطلاب على افريز مرتفع يكيلون كميات الارز التي اشتريت بأموال الزكاة ويوزعونها على المستحقين .

يقول لنا وكيل المعهد الذي كان يرافقنا : قبل أيام من حلول العيد يبدأ الناس أفرادا وجماعات في اخراج زكاة الأبدان وزكاة الاموال ، ولا يزال كثير من الناس يقومون بذلك بأنفسهم ، أو يقدمونها لمن يعرفون فيه الاستحقاق . ولكن بعض المناطق والجماعات ـ كما نفعل هنا ـ تنظم هذا العمل حيث تجمع الزكاة والصدقات ثم توزع على المستحقين بطريقة تتيح لهم أن يشقوا بها طريقهم للعمل والكسب . وفي عيد الاضحى وبعد أداء الصلاة يتم نحر الاضاحي وتوزيع لحومها على الفقراء المستحقين الذين قد لا يجدون اللحوم في عامهم إلا في هذه الفرصة . ونحن لا ننسى في هذه المناسبة دور الايتام والعجزة إذا تخصص لهم حصصهم من لحوم الاضاحي .

.. إلى يوجياكرتا

انطلقنا الى العاصمة القديمة يوجياكرتا في وسط جاوة . ويوجياكرتا مدينة غامضة عتيقة تخترق الذاكرة عبر بساط الريح ، ويصعب الإلمام بتاريخها الشامخ . وهي احدى المناطق الثلاث ذات الوضع الخاص بـ محافظات أندونيسيا (الاثنتان الأخريان هما العاصمة جاكرتا وأتشيه في سومطرة الشمالية) وهي احدى أهم المراكز الثقافية القديمة حيث السهل الاخضر الخصيب الذي كان خلال القرنين ١٦ و١٧ مقرا لامبراطورية ماتارام الجاوية التي ورثت عنها يوجياكرتا الحالية اروع معالمها .

يوجياكرتا الان يحكمها كاقليم خاص السلطان همنجو بونو التاسع . وقد برز تاريخها الحديث عام ١٧٥٥ عندما فقد المستعمرون الهولنديون صبرهم تحت ضربات الثوار المتوالية ، فكان أن لجأوا إلى تقسيم السلطنة الكبرى إلى مقاطعتين صغيرتين تحت الحكم الذاتي ، إحداهما سوالاكرتا والثانية يوجياكرتا . وعين الهولنديون الأمير مانوجلوجي للجلوس على عرش السلطنة تحت اسم همنجوبونو الأول ، وهو الجد الأكبر للسلطان التاسع الحالي الذي يحمل نفس الاسم .

قصر الشهادتين

قصر السلطان الكبير في قلب المدينة يسمونه (كراتون) ، ويطلقون عليه في بعض الأحيان قصر السكاتين . .

هل سمعت من قبل عن السكاتين . ؟

الاسم غريب ولكنه في الواقع تحريف باللسان الجاوي من كلمة الشهادتين . هذا الاسم اطلق على الساحة الواسعة امام قصر السلطان،والى يسار مسجد الشهادتين تمتد ساحة هي عبارة عن حديقة خضراء يحيط بجوانبها ٦٣ شجرة وهي رمز لسنوات عمر النبي محمد (ﷺ) ، وفي الصدر الموازي للقصر تقوم شجرتان ضخمتان عن يمين وشمال وهما الرمز لشهادتي ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وهنا وقبل وصول الاسلام كانت الساحة تستغل في اقامة المراسم التقليدية إذ تخرج الأدوات الملكية مثل الخناجر والرماح والعربة الملكية والأدوات الموسيقية والطبول لتنظيفها . وحين جاء عصر الدعاة الرواد ، وهم أولياء الله التسعة ، ونشطوا من أجل تقديم الدعوة الاسلامية ، تحول الاحتفال السابق ليصبح مجالا للدعوة الى النطق بالشهادتين لكل من جاء لدخول الاسلام . وكانت قمة البرنامج في هذه المراسم هي الاحتفال بالمولد النبوي . ولكن مع مرور الزمن تحولت الساحة لتصبح معرضا وسوقا يغص بأجنحة الباعة والعارضين من المنتجين والتجار والحرفيين . وفي قمة البرنامج يحضر السلطان الى ساحة المسجد في مراسم تقدم خلالها تلال الارز المطبوخ وقد غرست فيها اللحوم والاسماك كوليمة سلطانية للجماهير . وفي ذلك الوقت تصدح موسيقا (الجاملان) تعزفها جوقتان من العازفين على أدوات موسيقية من مخلفات عصر مملكة ماجاباهيت الهندوكية ومن مخلفات عصر الأولياء . .

وندخل قصر كراتون . القصر نموذج للفن التقليدي الذي تختلط فيه معالم الفنون الهندوكية والجاوية القديمة مع فنون المعمار الحديثة بديكوراته ونقوشه وزخارفه وساحته وقاعاته،والاعمدة المقامة على النسق الهندي الجاوي التي كانت تصور الفخامة الملكية منذ انشائه عام ١٩٥٥ . واستمر نفس الطابع عندما تم استكماله عام ١٩٥٧ . ولكن الواضح انه كان قائما قبل هذين التاريخين في عهد مملكة متارام ، إذ يلاحظ ان التاريخ المنقوش على البوابة الداخلية للقصر هو عام ١٦٨٢ ، كما ان المدخل يزدان على



● فن الباتيك من أبرز صناعات المنسوجات .. ويحتل مكانا متقدما في لائحة الصادرات الى خارج اندونيسيا (الصورة الى اليسار) .

جانبيه بتمثالين كل منهما على شكل رأس حية ينثني حولها الجسد حتى الذيل .

إن أهم معالم القصر هو ردهة الساحة الرئيسية حيث تتصدرها المقصورة ذات الأعمدة الذهبية ، وهي مثل أغلب الردهات الداخلية عبارة عن قاعة مفتوحة بأعمدتها الخشبية المزخرفة والمموهة بالذهب هنا كان السلطان يستقبل الضيوف الملكيين حيث تقام عروض المسرح والرقص التقليدي التي يقدمها راقصون مدربون تدريبا خاصا تليق بالقصر كمركز للنشاط الديني في الاحتفالات الاسلامية الرئيسية الثلاث : المولد النبوي وعيد الفطر وعيد الأضحى .

إن هذا القصر الآن لم يعد يحتفظ بمكانته السلطانية ، ولكن هذا لا يمنع من أنه مايزال معرضا للاسلحة السلطانية ومجموعات العرائس الجلدية المزخرفة ، والعربة السلطانية ، وأدوات الموسيقا ، والمعروضات الأخرى من الهدايا المقدمة للسلاطين من الضيوف الملكيين في الماضي القريب .

ديماك مزار الحجيج

الى الشمال من يوجياكرتا تقع مدينة سمارانج وتعتبر المنطقة المحيطة بالمدينة منطلقا لنشر الدعوة الاسلامية في جاوة في القرن ١٣ على يد الدعاة الذين اشتهروا بلقب أولياء الله التسعة حيث كانوا يبدأون مهمتهم ببناء تلك المساجد .

على مسافه ٢٠ كيلومترا شمال شرقي سمارانج تقع مدينة ديماك . . هنا يوجد أول مسجد أقامه هؤلاء الأولياء ويعتبره المسلمون رمزا لنهضة الاسلام في جاوة . ومسجد ديماك يؤمه المسلمون في أندونيسيا حجيجا ، على أمل أن يكون حجهم إليه تمهيدا للانطلاق الى موسم الحج الكبير في عرفات ومكة . وبالمسجد ظاهرة غريبة وهي أن أحد أعمدته السامقة متخذة من نفايات الأخشاب المنجورة ، أتى به من ماجاهابت عاصمة الامبراطورية الهندوكية المنهارة .

نظرة الاحترام والتقدير للمسجد الأثري ليست نابعةفقط من أن الأولياء الدعاة كانوا يعقدون فيه اجتماعاتهم الدورية للتشاور في شئون الدعوة ودراسة التقارير المقدمة عن ممارسات الدعوة في جميع أنحاء البلاد .

يتحدثون هنا عن ديماك باهتمام كبير . . وهم يتذاكرون قيام أول مملكة إسلامية في جاوة ، وأول ملوكها رادين باتاه (أو عبد الفتاح) وكان حصيفا حكيما في إدارة المملكة ، فلم يقتصر على استشارة علماء الدين في القضايا الكبرى فقط ، بل في سياسة نشر الدين بين أوساط الشعب الذي كان يعتنق الهندوكية . وفي ذكرهم لازدهار الاسلام في ديماك يقولون ان الملك عبدالفتاح (رادين باتاه) ونتيجة تشاوره المستمر مع الأولياء الدعاة ، كان يفرق في الأمور غير الاسلامية بين ما هو بالغ التعارض وبين ما هو بسيط لا يضير . فالأمور التي تتعارض أساسا مع تعاليم الاسلام لا يتردد في القضاء عليها قضاء مبرماً . أما الأمور البسيطة فإنه يتركها مؤقتا . ولذلك لم يغير من عادات الشعب وتقاليده طفرة واحدة . . وكان ذلك وراء نجاح الدعوة ، وهو ما اعترف به المؤرخون العالميون من أمثال أرنولد توينبي وتوماس أرنولد .

على بعد كيلو مترين من ديماك توجد مقبرة « سونان كالي حاقا » أحد الأولياء التسعة الرواد . والى الشرق في « بوباتيه قدوس » تقوم مئذنة تحمل نفس الاسم ، أقيمت بالقرب من المسجد المسمى مسجد « قدوس » الذي يمتاز بنمطه الخليط بين الفن المعماري الاسلامي والهندوكي . . وتمثل المئذنة التي يعتبرها الحجيج مزاراً لهم رمزا للدعوة الاسلامية المبكرة في جاوة . .

القرية التي أسلمت

على مسافة بضعة كيلومترات على الطريق بين معبد « بور وبودور » ومدينة يوجياكرتا ، توقفنا عند قرية بانجوريو الواقعة في دائرة « كاريباوان » وكان المختار واسمه « بري هارسيو » قد دعانا لزيارة قريته التي وصفها لنا وزير الشئون الدينية.عند لقائنا معه في جاكرتا ، حيث عرّفنا بهذا المختار الداعية الى الاسلام .

كنا نعرف كما قال لنا الوزير أن هذا المختار هو إمام وخطيب أكبر مساجد المنطقة ، وأنه كان لسنوات قليلة ماضية قسيسا ومبشرا للدين المسيحي ، ولكنه آمن بالاسلام واستطاع بجهوده الذاتية أن يقوم بالدعوة للدين الجديد الذي آمن به ، وتحولت قريته كلها (٢٥٠٠٠ نسمة) على يديه الى الاسلام .

ودخلنا القرية ، وشاركنا مع الأهالي في أداء صلاة التراويح ـ وكنا في رمضان ـ حيث لم تكن مساحة المسجد تكفي للمصلين والمصليات ، فافترشوا



● بري هارسيو . . امام وخطيب مسجد قرية بانجوريو . . وكان من قبل قسيسا . . واستطاع بجهوده الذاتية أن يقنع أهل القرية بدخول الاسلام .

الساحة الأمامية كلها لأداء الصلاة برغم هبوط الامطار غزيرة في ذلك المساء .

والتقينا بالناس وبالمختار الامام وسمعنا منهم الكثير . . .

في هذه المنطقة لم يكن عدد المسلمين يتجاوز ١٥٪ والآن اصبح سكانها كلهم مسلمين ١٠٠٪ . فعندما آمن قسيسهم بالاسلام استغرب الناس هذا التحول وبدأوا يناقشونه ويستمعون اليه ، وحين اقتنعوا بما كان يشرحه لهم من فضائل الاسلام وتعاليمه واقتنعوا بها ، راحوا يعلنون إسلامهم بين يديه .

ونسأله كيف آمن بالاسلام وهو الذي كان قسيسا مبشرا يدعو الناس الى المسيحية ؟

قال : لقد آمنت بالاسلام بعد ان تعمقت في دراسة القرآن الكريم وما جاء فيه من تشريعات وحقائق ، وأدركت أن ما كنا نتصوره من أن المسيح هو ابن الله أوهو الإله نفسه غير صحيح . ووجدت في الاسلام النور الهادي والنموذج العظيم للحياة الانسانية السليمة التي تقود الانسان على طريق الخير . وبدأت أدرس ما هو متاح لي من كتب التفسير فتفتحت أمامي آفاق الايمان وآليت على نفسي أن أسهم مع الدعاة المسلمين في الدعوة الى الاسلام ، وكانت قريتي بالطبع هي أول ساحة أبذل فيها جهدي بقدر ما مكنني الله .

والواقع أني لم اكتف بالمعهد الديني الذي أقمته في القرية ، بل عملت على إقامة تسعة مساجد صغيرة في كل منطقة ، وكنت ألقي فيها الدروس الدينية دون أن أحمل الناس عبء الانتقال للاستماع الى ما أقول .

في خطبة الجمعة لم أكن أتكلم أبدا عن مساويء العقائد والديانات الأخرى ، ولكني كنت أتناول فضائل الدين الجديد . لم الجأ أبدا الى الهجوم والتشويه والتحطيم لما كان الناس يؤمنون به ، ولكني عملت على فتح العيون على ما نزل به الدين الحق بأسلوب بسيط محبب الى النفوس ، لا ألجأ فيه الى الاكراه أو الضغط بل أتبع الكلمة الطيبة والقدوة الحسنة .

كنت أدرك أن الناس سيتعرضون لضغوط شديدة من المبشرين ومن المسيحيين من سكان المناطق المجاورة ، بل انني انا نفسي تعرضت لضغوط شديدة من اخوتي التسعة ، ولكني استطعت بحمد الله أن أقنع اثنين من أشقائي بدخول الاسلام ، فوقفا بجانبي وكانا عونا لي في مواجهة الضغوط التي كان يتعرض لها سكان القرية الذين رفضوا كل ما كان المبشرون يلوحون لهم به من أغذية وتسهيلات في المعيشة . والحمدلله أن السكان قد امتلأوا قناعة بدينهم الجديد ، ولم يتذبذب إيمانهم أبدا .

ولكن لي همسة تصل إلى حد الرجاء ، أريد أن أطرحها . فكما ترون أن أهل القرية فقراء ، ولكنهم متمسكون بدينهم الذي اقتنعوا به ، ومع هذا فإن أشد ما اخشاه مع الضغوط التي يتعرضون لها ، أن ينخدعوا بما يدخله الآخرون في روعهم من أن دخولهم الاسلام لم يفدهم شيئا . صحيح أن الأهالي يدركون بحق بأن الأمر ليس مجال مساومة ، وأن الاسلام سيفتح لهم الطريق الى الجنة ورضاء الله ، إلا أنهم يتمنون أن تخفف عنهم أعباء الحياة التي يعيشونها ، وأبرز ما يعانيه سكان القرية هو صعوبة حصولهم على مياه الشرب ، فمصادر الماء موجودة ، ولكنها بعيدة عن متناول أيديهم ، وهم يطمحون أن تمد شبكة أنابيب لتوصيل المياه اليهم ، وهو أمر لا نستطيع بالجهود الذاتية أن نحققه . ولاشك أن هناك من القادرين من يستطيع ان يتبرع باقامة هذه الشبكة من الأنابيب ، وهو أمل لو تعلمون كبير .

ودعنا نقول ان تحقيق الأمل يملكه الكثيرون في أقطار وطننا العربي ، أفرادا وجماعات ومؤسسات .

ونحن نعرف أنهم سيفعلون . □



جَرّاح المستقبل بين مبضع الليزر والموجات فوق الصوتية

بقلم : الدكتور عامر هشام جعفر

[illegible] [illegible] الأول [illegible] الاسلامي ، وإذ كنت حاضرا جلسات عمل [illegible] المؤتمر العلمي المهم فاذا بي أواجه دراسة تراثية [illegible] فريدة في بابها ، لمحاولتها الاجابة عن سؤال [illegible] مازلت أذكره بالنص .. ماذا لو كان لدى ابن سينا (الشيخ الرئيس) حاسب آلي ـ كمبيوتر ؟ ، وقبل ان اعمل فكري في الاجابة قال صاحب الدراسة « بدون شك سيكون بيته أكبر مركز طبي في العالم كما ستكون غرفته مكتبة طبية مركزية ، كذلك كتابه « القانون » اذ سيعد عند ذاك الاطار العام المستخدم في ارجاء المعمورة ، لاحتوائه على مسارات واضحة لكل البرامج الطبية » .

تمر بخاطري امنية الباحث في توفر الكمبيوتر لعالمنا الجليل ابن سينا اذ اتصفح كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للجراح العربي ابو القاسم الزهراوي ـ ت ٤١٤هـ/ ١٠١٣م ـ حيث ضمنه صورا مخطوطة لنماذج أجهزته الجراحية التي كان يستعملها في طبه تشخيصا وعلاجا ، فماذا لو حصل هذا العالم الجراح على تقنية العصر الحاضرة من أشعة ليزر وموجات فوق صوتية وأخرى صادمة .

ان التطور التقني الهائل الذي نعيش واقعه الحاضر يعكس نتائجه في مختلف أوجه الحياة المعاصرة .. وإذا كان هناك علم لا يمكن أن يكتمل دون تجريب علمي ومختبري وبالتالي دون أجهزة تقنية فهو علم الطب بفروعه التشخيصية

والعلاجية . . الأساسية والسريرية ، والأمثلة في العمل كثيرة ومتعددة ، بل أكاد أجزم أن التطور الصحي الذي أحرزته المراكز العلمية العالمية،ممثلا بانخفاض معدلات الوفيات،وازدياد متوسط العمر للافراد،جاء متزامنا مع تطور العلاقة ايجابيا بين الطب بفروعه والتقنية بأنواعها بما وفرت من سهولة ودقة وجودة وحرية لعقل الطبيب في تيسير سبل المعالجة والمداواة .

ولن نأخذ من فروع الطب الكثيرة الا الجراحة . . فهي علم وعمل . . فكم هو نصيب الجراح من أجهزة تقنية . . وكم هو نصيب المريض بعد ذلك من عافية وصحة . . وكيف هو حال جراح المستقبل مع تقنية المستقبل ؟

أشعة الليزر . . المبضع البديل

لقد عرفت أشعة الليزر منذ فترة ليست طويلة في عمر الزمن . . حيث استطاع العلماء من زيادة قدرة الضوء عن طريق تحريض وتحفيز الاشعاع ، فكانت القدرة الناتجة عن ذلك تخلق حرارة عالية تكفي بدورها لقطع النسيج الحي أو تبخيره . . وما ذاك الا في مجال الطب . . بينما تبقى استخدامات وتطبيقات هذه الدرجة الحرارية العالية الناتجة من أشعة الليزر كثيرة وعظيمة . .

ولو سبرنا غور مجالات العلوم الطبية لتقدير امكانية استخدام اشعة الليزر فيها تشخيصا وعلاجا ،لوجدنا أن الطب الحديث يستخدم الليزر في طب العيون ، والانف والاذن والحنجرة ، وطب الأمراض الجلدية ، والامراض الصدرية والهضمية والبولية ، اضافة الى علوم العمل الجراحي العام والدقيق بما فيه عمل جراحة الجملة العصبية . . وما بدايات استخدام الاطباء لأشعة الليزر في مجالات عملهم الا في سنة ١٩٧٠م . . ولكنها مسيرة التطور تضيف الجديد دائما . . وهكذا كان لأشعة الليزر أنواع عديدة يستخدم بعضها في مجالات الطب كنوع NDYAG ، CO2LASER ، ARGON LASER ، LASER ، HELIUM NEON LASER ، فاذا سلطنا أشعة الليزر على زلال البيض مثلا سينتج عن ذلك تخثر منطقة سطحية محدودة دون تأثير على المناطق الاخرى المجاورة أو الداخلية . . مما يعني أن لأشعة الليزر تأثيراتها الموضعية التي لا تتجاوز في قطرها نفس قطر الشعاع الساقط ، وبحيث لا تزيد في عمقها عن سنتمتر واحد ، حيث يعتمد عمق التخثر الحاصل مثلا على القدرة المعطاة للشعاع المستخدم،ودون تأثير ضار على المناطق المجاورة بطبيعة الحال .

ولكن ماذا عن سقوط أشعة الليزر على الأنسجة الحيوانية ؟ لقد أثبتت التجارب المختبرية الدقيقة وباستعمال نوع (NDYAG LASER) أن تسليط الأشعة على مثل هذه الأنواع من الأنسجة الحية يؤدي الى تبخير السوائل من خلاياها ، مما يؤدي الى جفاف الأنسجة وفقدان الخلايا لعوامل استمرار الحياة . . وبذلك كان تركيز علماء الجراحة على الاستفادة من الحرارة العالية والناتجة من استخدامات الليزر في فتح جلد غطى عضوا معينا لغرض مداواته جراحيا . . وفتح عضو في جهاز جسمي لتطبيبه . . وبذلك عرفت أجهزة الليزر الجراحية . . ومباضع الليزر الجراحية الخاصة في معالجة أمراض الاعضاء التي تزداد فيها أوعية الدم كثافة ، حيث أن حرارة الليزر لا تقتصر على فتح العضو وتسهيل شؤون العملية الجراحية،وايقاف النزف من عضو يغزر نزف الدم منه اثناء العملية لاسباب تشريحية طبيعية . . وعرفت استخدامات الليزر في مداواة بعض الأورام السرطانية حيث تصيب اعضاء الجسم . . فالحرارة العالية الناتجة من زيادة قدرة الضوء عن طريق تحفيز الاشعة كفيلة بسلب الخلية حياتها . . فتقتل الخلية السرطانية الخبيثة . .

ولابد من الاشارة الى أن تأثيرات اشعة (NDYAG LASER) تختلف حسب قدرتها ، ففي المجال ٢٠ - ٤٠ واط يحدث تناثر للاشعة في الانسجة،وان امتصاصها من قبل النسيج يؤدي الى توليد طاقة حرارية تصل الى عمق ٥ ملم تقريبا حيث،ينتج عن هذه الحرارة تبخر الماء من الانسجة وانكماشها مؤدية الى تخثر الدم في أوعيته ، وفي المجال ٦٠ - ٨٠ تتبخر

السوائل من الانسجة السطحية حيث تتطلب هذه الانسجة حرارة كبيرة جدا فلا تبقى قدرة كافية للتأثير على الانسجة العميقة .

وموجات فوق الصوت كذلك

ومختبرات الطب التشخيصية وردهاته الجراحية العلاجية لا تزال مفتوحة على نوع من الاجهزة مدهش في نتائجه،حيث يستند اساسا على مبدأ الموجات التي تزيد في ترددانها عن ٢٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية الواحدة مما يتعذر سماعه من الاذن البشرية فهي موجات فوق صوتية غير مسموعة ولكنها ذات قابلية للاختراق النسجي والعضوي مما له استخداماته وفوائده في الطب والجراحة .

فبامكان أطباء الجراحة اليوم الاستغناء عن عدد كبير من العمليات الجراحية اللازمة لاستخراج حصى الكلى مثلا . . وذلك باستخدام جهاز منظار الكلى المجهز بمعدات خاصة لتفتيت الحصى والتقاطه . . وما هذه المعدات الا مسبار خاص يدخل عبر قناة المنظار لتسليط الأمواج فوق الصوتية على الحصاة المتموضعة في نسيج الكلى،فتتفتت لتطرح خارج الجسم فيعافى المريض ويشفى .

واذا تموضعت الحصاة في حالب من حالبي الانسان فان الجراح اليوم يستطيع في صالة عملياته ادخال المنظار الخاص عبر المثانة ليصل الى الحالب ثم الى مكان الحصاة . . فتتكفل الموجات فوق الصوتية بتفتيتها وتخليص الجسم من آثارها الضارة .

وبعيدا عن مبضع الجراح . . تمكن العلماء مؤخرا من تطوير اسلوب في معالجة مرضى حصى الكلى وذلك بتوليد ما اصطلح عليه بالموجات الصادمة حيث انتجت الأجهزة المناسبة لذلك . . واستعملت في بعض المراكز الطبية بنجاح على ما يقرب من ١٠٠٠ حالة مرضية . وبعيدا عن النظريات العلمية التفصيلية المعتمدة في عمل مثل هذه الأجهزة الدقيقة التكوين ، نلخص المبدأ العلمي لجهاز تفتيت الحصى بواسطة الموجات الصادمة .

لقد أصبح معروفا أن قوانين الأمواج الصادمة التي يمكن توليدها من نبضات كهربائية تحت الماء ، يمكن استخدامها عمليا عن طريق جهازنا المذكور حيث توجه هذه الأمواج بواسطة عاكس اهليلجي لتسلط مباشرة على الحالب حيث تتموضع الحصى أو على الكلى ذات الحصاة .

ولم ينس الجراحون استخدام جهاز الأشعة السينية ذي المحورين في تحديد مكان الحصاة في الحالب أو في الكلى .

فاذا سقطت الأمواج الصادمة على المناطق الحدية . . نسيج ـ حصاة ـ نسيج ـ فان قسما منها ينعكس،ويؤثر القسم الآخر على الحصاة بواسطة الضغط الكبير الذي يعادل بضعة (كيلو بار) فيفتت الحصاة المقصودة الى أجزاء صغيرة جدا . . حيث لاتتحمل الحصاة مهما كان تركيبها الكيماوي قوة الضغط المسلط عليها والذي يستمر لمدة ٠,٥٪ من الميكروثانية .

ولا تسل عن تأثير أمواج الصدم على باقي نسيج الكلى فلا تؤثر الموجة الصادمة في النسيج الصحيح حيث المرونة والليونة التي تكفل تجاوز الصدم وموجاته . .

وجهاز تفتيت الحصى الكلوية على ذلك يتألف من أقسام عديدة . . حيث قسم توليد الأمواج الصادمة . . أما أجزاء توليد الأمواج الصادمة فتضم العاكس الاهليجي وقطب تفريغ الشحنات الكهربائية،ومولد الصدمات حيث يتم تفريغ الشحنات الكهربائية ضمن العاكس الاهليجي . .

وتأتي الطاقة اللازمة لذلك من مولد الأمواج الصادمة الذي يعمل بدورة بواسطة فاحم خاص .

انها فصول من قصة الطب التقنية . . فكم علينا أن نستوعب أفكار التقنية الحديثة واستخداماتها لصحة الانسان ؟ وكم علينا ان نسعى لتطوير العقل التقني عند ناشئتنا وشبابنا ؟ فالعصر الحديث عصر العلم وعصر التكنولوجيا . . وهي بشائر لمستقبل الانسان في عالم الغد . □

وجهاً لوجه





د. فــؤاد زكريــا ◘ د. إمام عبد الفتاح إمام

■ الكتابة السياسية عمل فلسفى يختلف فى الشكل فقط .

■ اختلاف منهج التفكير جعل من فلاسفة الشرق أنبياء !

■ الهدف الاساسي للكاتب هو تنوير العقول وتطهيرها من الاخطاء .

■ المقالات طلقات سريعة والكتب مدفعية ثقيلة والمهم توحيد الهدف .

الحوار بين اثنين من أساتذة الفلسفة من جيلين مختلفين ، د . إمام عبد الفتاح امام يحاور الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا ، واحد من ألمع المفكرين العرب وأكثرهم ثورية فى الفكر والسياسة فى آن معا ، تشهد على ذلك كتاباته الفلسفية عن « نيتشه » و « اسبينوزا » ودراسته لجمهورية افلاطون . . . الخ ، وكذلك آراؤه النقدية فى السياسة والاجتماع . عمل رئيسا لقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس لسنوات طويلة ، وهو يعمل الآن رئيسا لقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الكويت .

والدكتور إمام عبد الفتاح إمام من جيل تال ،كان استاذا مساعدا للفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، ويعمل الآن بجامعة الكويت ، وهو من الباحثين الذين يعملون على نشر الفلسفة الهيجلية تأليفا وترجمة ، لأنه يؤمن بأهمية الدور الذى تلعبه هذه الفلسفة العقلانية فى مجتمعا العربى ، وهو لهذا يشرف على مكتبة كاملة للدراسة الهيجلية هى « المكتبة الهيجلية » التي أصدرت اكثر من خمسة عشر كتابا فى حقل الدراسات الهيجلية ، فضلا عن مقالاته ودراساته الاخرى .

الواقع أننى لم أرد هذا اللقاء أن يكون مواجهة ـ فالمواجهة هنا بالغة الصعوبة ـ بقدر ما أردت له أن يكون ضرباً من « المحاكمة » العلنية التى توضع فيها بنود الاتهام وحيثيات الدفاع أمام القارىء ، ثم يترك له وحده إصدار الحكم فى نهاية اللقاء .

والسبب الذى جعلنى ألجأ الى تلك الطريقة أننى أمام مفكر ثائر ـ هو الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا ـ وهو بطبيعته جموح متمرد تصعب مواجهته ، ومن ثم فقد اعتقدت بأن طرح شبكة من « الاتهامات » قد تجعلنا نتغلب على هذه الصعوبة ، ونواجه هذا الثائر المتمرد ، لنبقى معه بعض الوقت مستمتعين بجلسة فكرية بقدر ما تسمح به صفحات المجلة ، وسوف أكتفى بثلاثة اتهامات رئيسية وبعض التفريعات القليلة .

الفلسفة والسياسة

ـ الاتهام الأول ، ويطرحه المشتغلون بالفلسفة ، وهم يتهمونك بأنك طلقت الفلسفة لصالح السياسة ، لاسيما فى الفترة التى تركت فيها مصر ، وقضيتها فى الكويت لأكثر من عشر سنوات ، لم يصدر لك فيها سوى دراستين فى « الحوليات » التى تصدر عن كلية الآداب بجامعة الكويت ، الأولى عن « شجرة المعرفة عند ديكارت » ، والثانية عن « الجذور الفلسفية للبنائية » ، بالاضافة الى ترجمة « حكمة الغرب » لبرتراند رسل ، لكن هذه الأعمال الفلسفية الضئيلة لا تقاس بالنشاط السياسى الواسع سواء عن طريق المقالات والدراسات فى الصحف ، أو أحاديث الاذاعة أو المحاضرات والندوات ، فحقل السياسة الواسع قد استوعب جميع اهتماماتك ، وطغت أنشطته على نشاطك الفلسفى . فما رأيك فى هذا الاتهام ؟

○ قد يكون الاتهام في ظاهره صحيحاً ، وله ما يبرره شكلاً ، من حيث ان مجمل النشاط الذى أقوم به يتجه نحو معالجة مشكلات سياسية واجتماعية . . الخ ، بينما الجانب الفلسفى الأكاديمى ربما أصبح أقل أهمية فى هذه الفترة التى نتحدث عنها . ولكنى أريد أولاً أن أصحح ما قيل عن أن المسألة لا تزيد عن بحثين . فأنا أعتقد أن هناك عدداً من البحوث أكثر من ذلك بكثير ، ولا أريد أن أضرب أمثلة ، ولكن يكفى أن أتحدث مثلاً عن بحثى الأخير عن « الاستشراق » .

- أنا أتحدث عما نشر فعلا .

○ لا بأس . . هناك بحث قبل ذلك عن « مستقبل الأصولية الاسلامية » وقد نشر فعلاً ، وبحث آخر عن : « العقل العربى والتوجه المستقبلى » وغيرهما . هناك مالا يقل عن عشرة بحوث ، وكلها تنتمى إلى المجال الفلسفى الأكاديمى بشكل أو بآخر ، يضاف الى ذلك كتاب كُتب فى هذه الفترة ، وأعنى به كتاب « التفكير العلمى » ، وأخر عن « الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة » ، وثالث عن « الصحوة الاسلامية فى ميزان العقل »

- أظن أن الكتاب الأول قد كُتب ، أو على الأقل تمّ إعداده ، قبل مجيئك إلى الكويت ، وان كان قد نشر بعد ذلك ؟

○ ربما بعض العناصر قد كتبت فعلا ، ولكن نوع المشكلات التى عولجت كتبتها أثناء وجودى فى الكويت .

وعلى كل حال فهذا رد من حيث « الشكل » كما سبق أن ذكرت ، لكن إذا تناولنا المسألة من حيث المضمون ، فأنا أريد أن أقول إننى فى الواقع كنت أعمل بالفلسفة فى الحالتين ، كل ما فى الأمر أن هناك اختلافا فى الموضوع الذى يتجه إليه عملى فى الفلسفة : هل هو موضوع فلسفى أكاديمى ، أم أنه موضوع فلسفى ولكنه مطبق على مشكلات أكثر عينية وأكثر واقعية من المشكلات الأكاديمية ؟ بمعنى آخر أنا عندما أكتب مقالاً مثلاً عن « الحكم العسكرى » ، أو عن « مشكلة تطبيق الشريعة » وما شابه ذلك ، فإن عنوان هذه الموضوعات يوحى بأننا نناقش مشكلات سياسية أو دينية فحسب ، لكن المضمون وطريقة المعالجة « فلسفية » ، ولولا أننى « فلان » صاحب هذا التكوين الفلسفى ، وهذه الخلفية الطويلة فى ميدان الفلسفة ، ما كان من الممكن أن يأخذ أى مقال أكتبه هذا الشكل الذى يتخذه ، ولهذا فأنا أريد أن أصحح صيغة « الاتهام » فأجعله يقول : ان هناك اختلافاً فى الموضوع الذى أصبح يتجه إليه عملى الفلسفى ، لكنه فى الحالتين عمل فلسفى . وسأضرب لك مثلاً على الفكرة التى أطرحها ، البحث الطويل الذى كتبته بعنوان « مستقبل الأصولية الاسلامية » وكان رداً على مقالات الزميل الدكتور حسن حنفى .

وها هنا لا بد أن أشير إلى تجربة طريفة مررتُ بها وتستحق التنويه . فعندما نشر الزميل الدكتور حسن حنفى مقالاته أعجب بها عدد كبير جداً من أصدقائي اشد الاعجاب ، وسمعت منهم تعليقات كثيرة فيها إشادة بهذه المقالات ومدى أهميتها . . الخ . ثم كتبتُ بعد ذلك بحثى ووزعته عليهم بشكل خاص ، فاذا بنفس الناس الذين كانوا معجبين أشد الاعجاب بالمقالات الأصلية يكتشفون أنها مليئة بالتناقض ، ويصدرون عليها حكماً مضاداً تماماً . وبالمناسبة مجموعة كبيرة من هؤلاء الأصدقاء كانوا من صفوة المثقفين ومنهم حملة دكتوراه . . . الخ . وما أريد أن أصل إليه هو أنه لعدم وجود المنهج الفلسفى عندهم فقد انساقوا وراء هذه المقالات عندما نشرت ، ثم اكتشفوا فيها بعد نقاط الضعف فيها بفضل التحليل الفلسفى ، والمنهج الفلسفى الذى اتبع فى نقدها . هذه التجربة تبين الفرق الأساسى بين مَنْ يكتب في هذه الأمور بمنهج فلسفي ، وبخلفية فلسفية قوية ، وبين من يكتب أو يقرأ بالمناهج العادية حتى ولو كان مثقفاً على مستوى عال !

ماذا يريد المفكر ؟

- أنا لا أنكر أهمية استخدام المنهج الفلسفى والتحليل الفلسفى فى معالجة مشكلات سياسية ودينية . . . الخ .

لكن هذا كله شيء ، والاضافة الأكاديمية للمكتبة الفلسفية شيء آخر مختلف أتم الاختلاف « كجمهورية افلاطون » مثلاً .

● هذا صحيح ، ولكن تأكد أن هناك ضغوطاً فى الطرف الآخر ممن يلحون من أجل المزيد من هذه الاعمال .

ـ أعرف أن هناك كثيرين تسعدهم هذه الأعمال وتهمهم أكثر من معرفة « افلاطون » . . لكن على كل حال أين تجدك نحن فى الجانبين » ؟

○ أود منك أن تقارن مثلاً تأثير كتابى الأخير « كم عمر الغضب » بتأثير أى كتاب فلسفى آخر أصدرته لدى الجمهور الذى يصل إليه . ثم علينا أن نتساءل : ما هو هدف المفكر الذى يعمل بالفلسفة فى نهاية الأمر ؟ هدفه تنوير عقول الناس . هذا هدف أساسى للمفكر ، أن يستطيع الوصول إلى عقول الناس ويساعد على تنويرها وتطهيرها من كثير من الأخطاء ، وتفتيحها على مشكلات لم تكن متنبهة إليها ، وتحليل الأمور بشكل لا يستطيع الانسان العادى أن يصل إليه ، فإذا كان هناك عمل تشعر أنه يستطيع أن يصل إلى عدد كبير من الناس ، ويؤدى هذه الوظيفة التى ربما لا يؤديها بنفس التعمق والتخصص الأكاديمى ، ولكن يقابل هذا انتشار كمى واسع ، أليس هذا شيئاً يستحق الاهتمام ؟

ـ هذه مسألة لا جدال فيها . ولكن هناك فارقاً واسعاً جداً بين « بقاء الاثنين » . فكتاب مثل « كم عمر الغضب » ، أو المقالات السياسية ، على الرغم من أنها تضيء نقاطاً بالغة الأهمية فى حياتنا السياسية ، فإنها « محددة » بالفترة الزمانية التى تعالجها ، بمعنى أن هذا الكتاب بعد مرور فترة من الزمن ، وانكشاف الفترة الناصرية كلها ، لن يكون له نفس الوزن القوى الذى له الآن ، أى أن كشفه للقوة الخافية التى يظللها تعتيم قوى هو الآن أمر بالغ الأهمية ، لكنها أهمية مرهونة بوقتها .

○ هذا الكتاب ، لا يدور حول الفترة الناصرية وحدها ، بل الساداتية ايضا .

ـ فلنقل الفترة الناصرية الساداتية ولنجمعهمامعا الآن على الأقل ـ لكن ما أقصده هو أن الكتاب مرهون بفترة معينة ، أما كتابك « الموقف الطبيعى » فهو عملية تنوير مستمرة لا تتقيد بمدة



الدكتور فؤاد زكريا في لقاء المواجهة مع الدكتور امام

زمنية معنية ، وما يقال عن هذا الكتاب يقال أيضا عن « دراسة لجمهورية أفلاطون » ، وعن « اسبينوزا » ، وعن « نيتشه » ، و « التفكير العلمي » .. الخ .. فهذه كتب أكاديمية تقوم بنفس عملية التنوير التي أشرتم إليها لكن على مدى أطول ، فهي « باقية » ، لأنها لا ترتبط بحقبة زمنية معينة ، وليس فيها « ومضة » أو « فرقعة » الكتابات السياسية التي يخبو ضوؤها بعد حين .

○ أنا مسلم بهذا ، فطبعاً هذه الأعمال الأكاديمية هي الأبقى ، لكن ، كما سبق أن ذكرت ، تلّح على المفكر مشكلات معينة في أوضاع محددة ، ويجد المفكر الملتزم نفسه ، في وطننا العربي المعاصر ، مستفزاً يومياً . وهناك أمور لا تحتمل التأخير ، ولا تحتمل أن تقف أمامها محايداً أو صامتاً ، خصوصاً إذا كنت تعلم أن لك جمهوراً وقراءً فتجد نفسك مدفوعاً إلى استخدام فكرك ومنهجك الفلسفي لايضاح الأمور التي تعرض على الناس بغموض متعمد ، أو بغش وخداع أو مغالطات .. الخ تجد أنك بالفعل مدفوع إلى الكتابة ولا تملك أن تقف صامتا ، أو أن تقضي سنوات في عمل أكاديمي في الوقت الذي يتعرض فيه وطنك لأخطار عاجلة وسريعة ولا تحتمل التأخير . وأستطيع أن أقول ان شكلاً من أشكال الشعور بالواجب والالتزام ، هو الذي يدفعني إلى معالجة هذه الموضوعات السياسية . وثق أنه لو استقرت الأوضاع قليلاً بحيث لم تعد مستفزة كماهي الآن ، فسوف يظهر إلى السطح ما لدي الآن من حنين قوي للاعمال الأكاديمية ..

الطلقات السريعة والمدفعية الثقيلة

- نحن في انتظار هذه الأعمال الأكاديمية التي ستكون بالغة الأهمية للمشتغلين بالفلسفة بصفة خاصة ، فأنا أشبّه مقالاتك السياسية « بالطلقات السريعة » في حين أن الكتب والأعمال الأكاديمية أشبه « بالمدفعية الثقيلة .

○ المهم أن كلا منهما موجه نحو هدف واحد ، وهو تنوير عقول الناس ولكن بطريقتين مختلفتين .. فالكتاب الأكاديمي يقرؤه جمهور ، صحيح أنه أكثر ثقافة ، لكنه أضيق نطاقاً بكثير ، وعندما تشعر بالالتزام تجد أنك مضطر الى مخاطبة هذه الجماهير الواسعة لكي تحد - ولوقليلاً - من تأثير تلك المؤامرة الرهيبة التي تدار ضد عقل الانسان العربي بشكل عام في السنوات الأخيرة ..

الاستهلاك والابداع الفكري

- الاتهام الثاني وهو ليس خاصاً بك وحدك ، في الواقع ، وانما هو يمتد ليشمل أساتذة الفلسفة جميعاً ، وربما غيرهم من أساتذة الجامعات العربية الذين يقولون لطلابهم بصفة مستمرة اننا في الشرق لا ننتج شيئا وانما نستهلك منتجات الحضارة الغربية دون أن نشارك في إنتاجها ، ولا نسهم فيها - بشيء إيجابي - والسؤال الآن : وماذا يفعل هؤلاء الأساتذه إذن ؟ أليسوا هم أنفسهم مستهلكين لفكر الغرب ، ألسنا نستورد كأساتذة فلسفة فكر الغرب كما نستورد صناعاته - عندما نتحدث عن الوجودية ، والبرجماتية والماركسية ، « ومناهج العلم » ..... الخ .. ؟

○ أود أولاً أن أقول إني لستُ من أنصار القسمة الحادة للحضارات ، فأنا أعتقد أن هناك مساراً ضخماً للحضارة الانسانية يحمل الراية - في كل مرحلة من مراحله - مجتمع معين أو مجموعة معينة من الأمم ، وكل إنجاز في هذه الحضارة البشرية يحمل في داخله باقي الانجازات التي سبقته منذ فجر التاريخ . صحيح أن الحضارة الغربية الآن في موقع الصدارة والقيادة ، لكن ما أنجزته هذه الحضارة كان يستحيل

أن يتحقق لولا إنجازات البشر قبل ذلك ، بداية بالانسان الذى عرف كيف يستخدم النار استخداماً نافعاً ، أو الذى يمسك بحجر بسيط ليحوّله الى أداة تنفعه فى عمله ـ ابتداء من هذه الانجازات البدائية البسيطة حتى عصر النهضة الأوربية ـ كل ذلك ساهم فى توصيل الحضارة الأوروبية الى ماهى عليه الآن ، لذلك فإن تقسيم الحضارة البشرية إلى حضارة غربية وغير غربية مرفوض ـ أوْ لا بد على الأقل أن نخفف من حدة هذا التقسيم . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فان هذا بالضبط ما كان يقال عن المسلمين أيام كانوا متأثرين بالحضارة اليونانية . بالطبع كان للمسلمين إنجازاتهم وابداعهم فى مجالات كثيرة كالشعر مثلا ، فلم يتأثروا بحضارات سابقة لكنهم كانوا فيه مبدعين ، لكن فى ميدان الفلسفة ، فى قمة العصر الذى كانوا يعتبرونه عصراً ذهبياً للحضارة الاسلامية ، كان المسلمون يعيشون عالة ـ بمعنى من المعانى ـ على الفكر اليونانى ، ويبدو لى اننا فى مجال الفلسفة بالذات لنا عذر عندما نسير فى نفس الاتجاه الذى سارت فيه الفلسفة الغربية ، لأنه يبدو أن الفكر الفلسفى الغربى كان مبدعا ، وكان الغرب منذ البداية هو الذى يحمل لواء هذا النوع من النشاط الانسانى الذى نسميه « بالفلسفة » . طبعاً كانت هناك فلسفات أخرى شرقية ، ولكن شكل الفلسفة كما نعرفه ، القائم على العقل والمنطق . . . الخ هو إلى حد بعيد ظاهرة غربية . فنحن المشتغلين بالفلسفة ربما كان لنا بعض العذر ، وعذرنا هنا أقوى من عذر المشتغلين بالفن أو العلم مثلا ، لأن الظاهر نفسها التى تخصصنا فيها هى ظاهرة غربية الى حد بعيد . ثم هناك شىء آخر أود ن أضيفه ، وهو أن هذه الظاهرة هى ضريبة التخلف التى لا بد من دفعها ، نحن لا بد أن نعترف أننا تخلفنا فى ميادين كثيرة ، فالضريبة التى تدفعها طالما أنك متخلف هى أن تدور بفكرك فى إطار خارج عنك ، والى أن نستطيع أن نسدد هذه الضريبة ويصبح لنا فكرنا الخاص ، فلا بد أن نظل الى حد ما فى فلك خارج عنا ، مع السعى الدائم فى اتجاه تحقيق الاستقلال الفكرى .

ـ بمناسبة التقسيمات ، يقال أيضاً انه إذا ظهر مفكر فى الغرب أُطلق عليه لقب فيلسوف ، أما إذا ظهر المفكر فى الشرق فانه يطلق عليه لفظ « نبىّ » هل تعتقد أن هذه القسمة صحيحة ؟ !

○ إذا صحّ هذا الكلام فهو ينطبق على فترات زمنية بعيدة جداً ، لأنه إذا كان الكلام عن الأنبياء فأنا أتصور أن هذا بدأ معظمه قبل عصر الفلسفة ، وجزء ضئيل منه تشابك مع القرون الأولى من الفكر الفلسفى معظمه عند اليونان وبعد ذلك انتهى الأمر .

ـ مثلا فى القرن السادس قبل الميلاد وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها الفلسفة اليونانية ظهر مفكرون فى الشرق مثل كنفوشيوس فى الصين ، وزرادشت فى فارس ، وبوذا فى الهند . . الخ واطلق عليهم لقب « أنبياء » لا فلاسفة ، وعلى آرائهم « ديانات » وليس مذاهب فلسفية ؟

○ أريد أن أقول إن هذا التصنيف يصحّ قديما لكنه لا ينطبق على العصر الحديث . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فينبغى علينا ألا ننسى أن عددا كبيرا من الفلاسفة فى أوروبا طوال العصر الوسيط كان يطلق عليهم لقب « قديس » .

ـ ربما لأنهم كانوا من رجال الكنيسة ، أعنى من رجال الدين أصلا ؟ !

○ نعم كانوا من رجال الدين ، ولكن إطلاق لقب « قديس » عليهم ، وهو لقب يقترب جدا من لقب « النبى » عندنا ، يعنى أن اللقب ليس مقتصرا على المفكر فى الشرق . فهؤلاء هم الذين نعترف بهم كفلاسفة فى الغرب فى تلك الفترة . لكن ربما قلنا ان الاختلاف الأساسى بين الشرق والغرب هو اختلاف فى « منهج التفكير » . فالمفكر فى الغرب يقدم لك الآراء والأفكار التى يطرحها لكى تناقشها وتنقدها وتفندها إذا شئت ، أعنى أنه يقدم لك الأفكار وهو يضعها « موضع الاختبار » ، أما فى الشرق فالمفكر يقدّم أفكاره ، فى الأعم الأغلب ، لكى تقبلها على

أنها شيء غير قابل للنقاش ، وغير مطروح أمام عقول الناس لكي يفعلوا به مايشاؤون

- هذا هو ، في الواقع ، الاختلاف الاساسي بين المنهجين ، وهو الذي جعل الحكماء الشرقيين أقرب الى طابع الأنبياء ، وهو الذي اعطى في الوقت نفسه ميزة التفوق الفلسفي للغرب .

○ هل يعني ذلك ان هناك عقلية غربية لها « طبيعة خاصة » بمعنى أنها تفكر بطريقة معينة فتنتج فلسفة ، وهناك عقلية شرقية ذات طبيعة مختلفة ؟

- أعتقد ان هذه القسمة مرفوضة ، فكيف نفسر اذن طريقة الفلسفةالغربية التي استمرت على هذا النحو قرونا طويلة ؟

○ الواقع أن القول بأن هناك طبيعة معينة لشعب ما مسألة مرفوضة كما قلت ، بل نحن ننفر منها لأنها لوصحت لكان معنى ذلك ان نغلق أبوابنا ونغضي الى حال سبيلنا ! لكن ، كما تعلم ، اذا تجاوزنا فكرة « الفطرة » أو الطبيعة فلا بد أن نبحث عن عوامل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أدت الى اتخاذ هذا النهج أو ذاك في التفكير . وهذه مشكلة معقدة غاية التعقيد ، وفيها اجتهادات كثيرة وان كنا لم نشعر بأن أيّا منها قد حل المشكلة بشكل حاسم . لماذا ؟ لأن الحديث يدور في الغالب حول فترات قديمة مجهولة الى حد كبير ، لم تترك لنا آثارا كافية لكي نصدر عليها حكما . فمن بين هذه الاجتهادات على سبيل المثال من يفسر هذا الطابع - طابع الفكر السلطوي الذي ساد الشرق والذي لا يطرح نفسه كفكر قابل للمناقشة المنطقية ، وقابل للتفنيد والاعتراض - هناك من يفسر هذا الطابع بأوضاع سياسية استبدادية كانت سائدة في الشرق ، ويربطون بين الظاهرتين على أساس ان ظاهرة الاستبداد السياسي تولد الميل الى التفكير بالسلطة وتولد الميل الى فرض الآراء فرضا ، بل أكثر من ذلك تؤدي الى تصوير العقيدة نفسها كما لو كانت سلطة مفروضة على الانسان ، وتتحول صورة الآلهة الى تضخيم لصورة الحاكم المستبد ، واظن أن هذا ينطبق على كثير من العقائد الشرقية القديمة . .

المبادىء والتطبيقات

- هناك اتهام ثالث موجه إليك ، يتلخص في أنك تتحدث في بعض الأحيان كما لو كانت الاشتراكية هي الحل الوحيد لدول العالم الثالث ، وأنا أعتقد أن في مثل هذا التعميم مغالاة شديدة ، لأن الاشتراكية ، في رأيي ، عبارة عن علاج لمرض . فاذا لم أكن مريضاً فلماذا أتناول الدواء ؟ خذ مثلاً الدول النفطية ذات العائد البترولي الضخم والعدد السكاني القليل ، هل هذه الدول يتحتم عليها تطبيق الاشتراكية ؟ أم أن المسألة « موضة » للعصر لا بد من السير في ركابها ؟ ثم ألسنا نجد عدداً من الدول التي طبقت الاشتراكية قد ازدادت فقراً على فقر ؟

○ أولا ، أرجو ألا نخلط بين التطبيقات المزيفة وبين المبدأ ، فهناك أنظمة كثيرة تتشدق بكلمة الاشتراكية ، ولكنها أبعد ما تكون عنها . وثانيا : لابد أن أقول ان الأمثلة التي ضربتها كلها أمثلة منتقاة بذكاء ، ولكنها « هدّامة » ، وهي هدامة بمعنى أن المراد منها هو ارباكنا فقط فيما يتعلق بالمبدأ العام الذي تحدثنا عنه ، لأنك اخترت مجموعة من البلاد حتى المصنفون الاقتصاديون يحارون في تصنيفها . هل هي تندرج ضمن دول العالم الثالث أم لا ؟ مثلا اذا أخذت مؤشرات مثل متوسط دخل الفرد ، أو متوسط الدخل القومي ، فستجد أنها تقف لتناطح أرقى الدول في العالم الأول بل تفوق العالم الثاني بكثير . ومعنى ذلك أن هناك مشكلة في تصنيف الدول النفطية القليلة السكان الواسعة الثراء . لكن عندما نتحدث عن العالم الثالث فنحن نتحدث عن

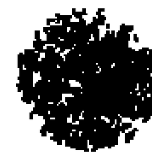
العالم الثالث بمواصفاته التقليدية ، أعني مجتمعات قليلة الموارد كثيرة السكان ، فيها تخلف عام في مختلف الميادين ، تخلف تعليمي وصحي واقتصادي وتنموي . . الخ . فمثل هذه المجتمعات هي التي أعنيها عندما أقول إنه لا علاج لمشكلات العالم الثالث الا بشكل من أشكال الاشتراكية . وأنا في هذه الحالة متفتح جداً ، لا أريد أن أفرض شكلاً معيناً أو تجربة معينة ، وأنا مؤمن إيماناً كاملا بهذا الحل ، واذاكان لديك بديل آخر أرجو أن تخبرني به !

أخر الرجال المحترمين !

ـ هناك في النهاية عتاب من شباب مصر موجه اليك! فقد سمعت من أحد الشبان المصريين أنهم يطلقون عليك لقب « آخر الرجال المحترمين » وعندما سألته ما الذي تقصدونه بهذا الوصف ، أجاب بأن المفكر « فلان » باع نفسه للسلطة ، والأديب « علان » لا رجاء فيه ، ومفكر ثالث غير مواقفه ، ولا أمل عندهم الا في الدكتور فؤاد زكريا المفكر ـ ومن هنا كان « آخر الرجال المحترمين » ـ ولهذا السبب أيضاً تراهم يعتبون عليك بقاءك خارج مصر هذه الفترة الطويلة . ألا يجعلك ذلك تفكر في العودة الى مصر ؟

O أولا أنا سعيد باللقب الذي أطلق عليّ ، وأعتز جدا به ، وان كنت آمل ألا أكون آخر الرجال المحترمين ـ لأن في الجيل الجديد علامات وبشائر تدل على أن تراث الرجال المحترمين لا بد أن يستمر ! أما بالنسبة للعودة إلى مصر فأنا أعتقد طبعاً أنهم على حق في جانب ، ولكنهم ليسوا على حق في جانب آخر . أريد أن أقول اننا لا بد أن نفرق بين الهجرة الى بلد أجنبي مثل أمريكا أو استراليا ، والسفر الى بلد عربي . فالكويت تفصلها عن مصر مسافة تقطعها بالطائرة في وقت أقل بكثير مما تقضيه عندما تنتقل من القاهرة الى الاسكندرية . . يعني أنت في أي بلد عربي كما لو كنت في ضاحية من الضواحي مع سرعة وسهولة المواصلات الحديثة . ومن ناحية أخرى فان وضع المفكر الموجود في بلد عربي يختلف عن وضع المفكر المهاجر ، لأنه أولا في الوطن العربي يكتب في قضايا عربية وباللغة العربية . وهناك اتصال قوي بين أي قطر عربي والاقطار الأخرى ، لأن الحواجز هنا قليلة جدا ، وأستطيع أن أقول لك من تجربتي التي عشتها بنفسي أن كثيراً من الأعمال التي كتبتها هنا في الكويت انتشرت بشكل أوسع بكثير من الأعمال التي كتبتها في مصر ، حتى أنني أجد جمهوراً كبيراً ـ في رحلات كثيرة قمت بها في الاردن وسوريا أو المغرب ـ يناقش مقالات لي كتبت في صحف يومية وكنت أتصور أنها لن تصل الى هؤلاء الناس على الاطلاق ، ربما أيضاً لأن الصحف الكويتية عالية المستوى وواسعة الانتشار في البلاد العربية ، وتقرأ باهتمام خصوصاً في البلاد التي تعاني من مشكلة حرية الصحافة والتي تعتبر صحافتها المحلية عبارة عن نشرات حكومية فقط . . ولهذا فانني أجد أن الكلمة التي أكتبها تصل الى الناس كما تصل أيضا الى الشباب في مصر . ومن ثم تبقى مشكلة التباعد الجسدي ، لكني أؤكد لك أن هذا التباعد لم يمنعني على الاطلاق من التفكير في مشكلات مصر كل دقيقة ، بل بالعكس ربما زادت حالة التباعد هذه من التزام الانسان ببلده ومن وضوح الرؤية بالنسبة له فيما يتعلق بالأحداث التي تدور في مصر ، لأن لديه مصادر للمعلومات أوسع ، ومن ثم تستطيع أن تخدم بلدك خدمة لا يستهان بها .

وهكذا أنهيت الحديث مع مفكرنا « الثائر » ، وقد تحول الى مفكر غاية في « الوداعة » عندما راوده الحنين الى الوطن ومشكلاته ، وبعد أن هزه بعنف وصف الشباب له بأن « آخر الرجال المحترمين » ! □



■ بوسعك أن تسحق الانسان ، لكنك لا تستطيع أن تهزمه .

ارنست هيمنجواي

فهد الدويري ناقدًا..

بقلم : سالم عباس خداده*

سنة الحياة هي التجديد والتغيير الى الأفضل ، وكل جديد له معارضون ملتصقون بالقديم ، إما خوفا من الجديد ، أو اتباعا للمألوف ، وكل جيل يأتي بمجدديه . فكيف طرح الدويري المجدد آراءه في الحياة والمجتمع من خلال تجديد الأدب في نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات ؟

عرف القراء فهد الدويري (١٩٢١) كاتبا في القصة ، وأدب الرحلات ، والمقالات الاجتماعية ، أما خطواته النقدية فذلك ما يجهله الكثيرون . حتى الذين كتبوا عن فهد لم يولوا هذا الجانب ما يستحقه من اهتمام ، فالدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه (الحركة الأدبية والفكرية في الكويت) عرض لاحدى لمساته عندما تناول النقد الأدبي في الكويت ، أما الأستاذ خالد سعود الزيد فقد قام بعمل جليل حين جمع تراث الرجل في كتابيه (أدباء الكويت في قرنين ، الجزء الثاني) ، و (شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري حياته وآثاره) . إلا أن الباحثين المذكورين - على الرغم من جهودهما المشكورة - لم يمنحا هذه الزاوية - زاوية النقد في حياة هذا الفنان - ما يفي بحقه فيها . وهي زاوية تبرز وعيه المبكر بكثير من القضايا الأدبية التي راح يدفع بها إلى الصحافة محركا الجو الأدبي ، دافعا به إلى رحاب التجديد .

بدأ فهد يحذر من المظاهر المادية التي أخذت تهجم على الحياة في الكويت ، بسبب تدفق النفط الذي بدأ تصديره عام ١٩٤٦ ، وطالب الأدباء بالظهور في ميدان الأدب ، والاسهام في النهضة الفكرية - كما جاء في مجلة البعثة (يونيو ١٩٤٨) - ويبدو أن هناك من لم يوافق الكاتب في آرائه ، وممن أثارته تلك الآراء الشاعر عبدالمحسن الرشيد الذي كتب قصيدة ضمنها رده ، مطلعها :

لمن اصوغ أناشيدي وأوزاني
وليس في القوم من يصغي لألحاني ؟

لكن الدويري الواعي بأبعاد القضية التي طرحها رد على هذا الشاعر بمقالة عاب فيها الركود الأدبي ، وضمنها اعترافه بأن للظروف والأحوال القدرة على تشجيع الأدب أو إضعافه ، إلا أن ذلك - كما يرى - (ليس سببا كافيا لهذا الركود الذي نحن فيه ، وعلينا أن نواجه الحقائق فنعترف صراحة أننا لا نملك إنتاجا أدبيا له قيمة يصح أن نباهي بها) ، ثم يخاطب الرشيد قائلا : (والكويت - رعاك الله - ياشاعرنا كأي بلد يجتاز فترة انتقال عقلي ، لن ترضى الأدباء والكتاب ، لأنها ما تزال في طريق الوعي حتى الآن ، ولتضع نصب عينيك - أنت وإخوانك من شعراء الوطن وكتابه - أنكم الضحايا على مذبح الفكر والفن ، فلتنزعوا من رؤوسكم فكرة اغتنام التبجيل والثناء ، لأنكم لبنات في الصرح الأدبي لا يجب أن تسألوا عن البدل والمقابل فيما تقدمون من غذاء عقلي لمواطنيكم ، ولا يجوز أن يصدكم عن الأدب والمساهمة فيه فئة تزعمون أنها لا تعي ما تقولون في هذه الأيام ، واعلموا أن جيل المستقبل سوف يقدر للمجيد منكم حقه) ، إلا أن عبدالمحسن الرشيد عاد فكرر رأيه

---

* شاعر وكاتب من الكويت ، حاصل على (ماجستير) في الآداب .

المطروح في قصيدته السالفة الذكر ، وهو يرى أن الأدب لن يزدهر ويسمو في بيئة تخيم عليها الأمية ، وتظللها الرغبات المادية ، ولا يستطيع الأديب أن يصور ما في نفسه بصدق وإخلاص .

لكن فهدا لم يقف عند هذا الحد من حث الشعراء والأدباء على الظهور في ميدان الأدب ، وإنما انتقل إلى تحديد الطريق التي يربد لهم أن يسلكوها لتحقيق وجودهم الأدبي ، فكتب مقالة بعنوان : (الترديد والتجديد) في نفس المجلة المذكورة عام ١٩٤٩م يقول فيها : (إن أكثر كتابنا وشعرائنا قد أمضوا نصف القرن الأخير في تكرار ما قاله الأولون ، يرددون معانيهم ذاتها ، ويقلدون أساليبهم عينها ، ولا يخرجون عن دائرة تفكيرهم أبدا ، حتى أنهم لم يتركوا لنا - نحن - شيئا نكرره ، ولم يبقوا لنا ما نقلده) . ويأتي صدى هذه المقالة قويا ، فتطالعنا مقالة ليعقوب عبدالعزيز الرشيد ، بعنوان (الترديد والتجديد) في مجلة الكويت عام ١٩٥٠م يتناول فيها قضية التجديد في الادب ، ويرد على الدويري مدعيا بأن من طالب بترك الأدب القديم كاتب يبغض العرب ولغتهم وهو سلامه موسى ، وتلك فكرته منذ جيل تقريبا . ويبدو جليا أن يعقوب لم يعالج قضية التجديد كما عالجها فهد ، ثم وضع فهد النقاط على الحروف في رده الذي جاء بعنوان (مهلا ياصاحبي) . حيث نفى اتباعه لسلامة موسى ، ورأى أن أهم شروط خلود الأدب هو الابداع ، ثم خاطب الرشيد قائلا : (فلو أنشأت حضرتك مقامات كمقامات الحريري لما التفتنا إليها ، إن اليوم غير الأمس ، ومفاهيم الماضي تختلف كل الاختلاف عن مفاهيم الحاضر) . ثم بيّن فهد أن الأمم لا تستطيع أن تتنكر لتراثها ، لكن على أن يكون التراث منطلقا للتجديد لا للتقليد ، لأن التقليد هو الجمود الذي يقتل ، بل هو الموت الذي لا بعث بعده .

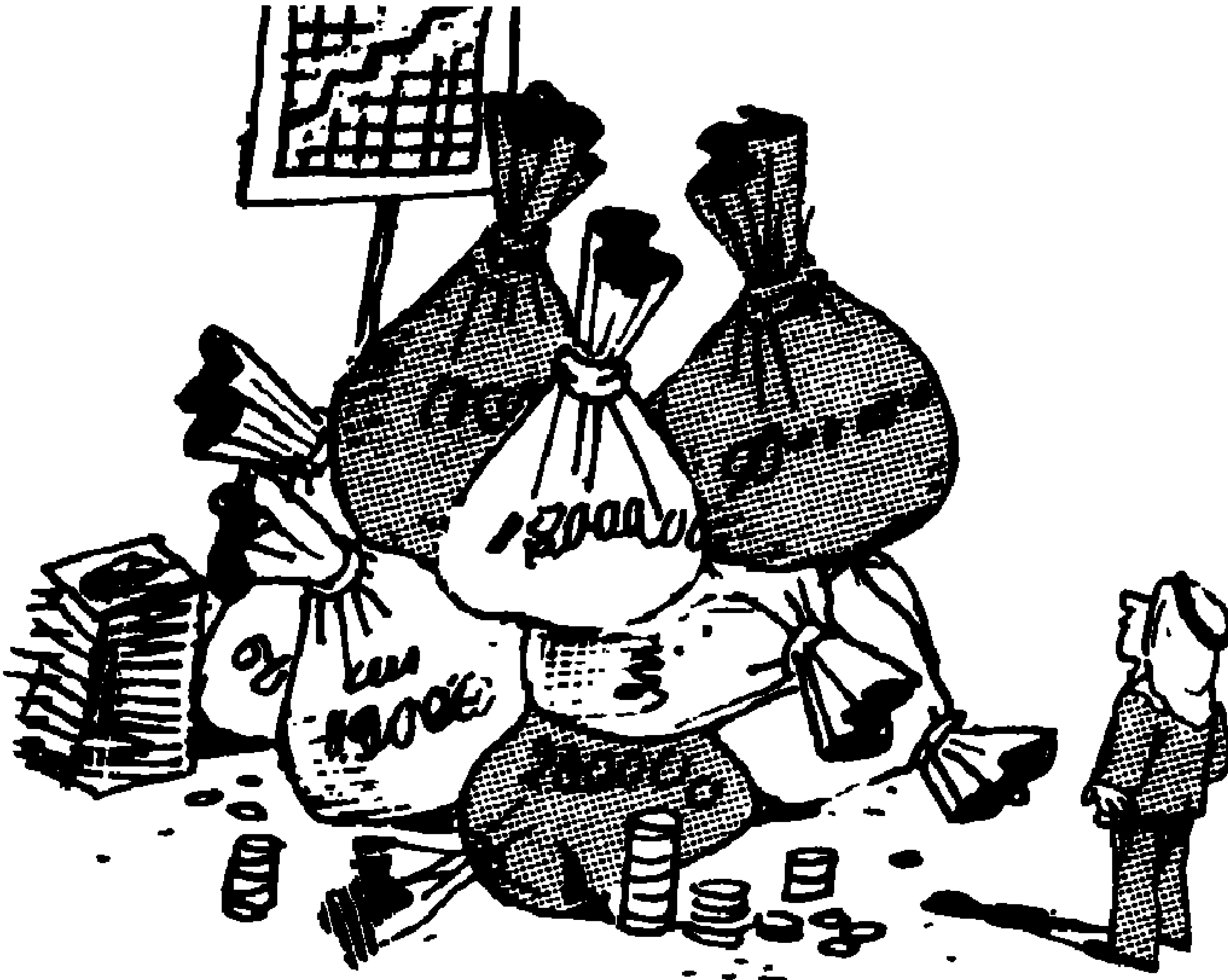
ويلح هذا الأديب على الابتكار في الأدب ، وقد جاء ذلك في مقالة (بين التقليد والابتكار) في مجلة الرائد أكتوبر ١٩٥٢م حيث طالب بتجاوز النماذج المرسومة ، وإطلاق اللغة من قيودها ، فالأدب الأصيل هو الذي (لا يقف عند نماذج معينة طال عليها القدم ، يبتهل إليها ويستوحيها ، ويبكي عليها ويستبكيها ، بل إن الأدب الأصيل ، المغرق في الأصالة ، هو الذي لا يكف عن ابتكار النماذج الأدبية ، فهو متجدد دائما ، متطور أبداً ، فدعوة الكاتب أو الشاعر إلى أن يلتزم محاكاة القوالب الموروثة ، كدعوة الحر الطليق إلى دخول السجن ، ثم يهاجم التقليديين ويعيب عليهم اجترار ما نظمه القدماء ، حتى جاءت أساليبهم كثوب ضم سبعين رقعة ، آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية ،

وألف مثل وحكمة ، وأطلال من الشعر ، لا رابط بينها إلا أدوات العطف . والدويري يشير هنا إلى الوحدة في العمل الأدبي ، وهي دعوة جديدة على الساحة الأدبية في الكويت ، وقد سبق له أن مهد لهذا المقياس النقدي خلال نقد تطبيقي لاحدى قصائد الشاعر أحمد العدواني وهي قصيدة (رأس حمار) ،

ففي مجال عرضه لهذه القصيدة يلاحظ إشادته بترابط ابياتها خلال انتهاجها الأسلوب القصصي ، يقول في مقالة نشرت في مجلة البعثة يناير ١٩٥٢ : (وعنصر القصة أو الوقائع المربوطة يلتزم وحدة القصيد إذا كان شعرا ، وتتابع الحوادث وتقييدها إذا كان نثرا ،

والعربيون يأخذون على شعرنا ونثرنا أنه لا يتقيد بهذه الحدود ، وإنما يقوم على الأسلوب القوي ، وروعة المعاني المفردة ووحدة البيت فقط ، بحيث يصبح في الامكان التغيير في قصيدة عربية تقديما وتأخيرا وحذفا دون أن يطرأ على القصيدة أي تغيير) ، لكنه يأخذ على العدواني وضوح عنوان القصيدة وضوحا يفضح مضمونها منذ البداية ، ويرى أن العنوان يجب أن يكون مثيرا وليس كاشفا لموضوع القصيدة فيقول : (كان اعتراضي على رائعتك أنك عنونتها بما يفضح فكرتها ، لقد سميتها (رأس حمار) فما كدنا نقرأ البيتين الأولين حتى أدركنا القصد وعرفنا الخلاصة) ، ومع أن ناقدا آخر هو عبدالعزيز الصرعاوي عقب على رأي فهد ، ورأى أن الكشف عن النهاية في الشعر يختلف عن الكشف ذاته في القصة ، وانتهى إلى صحة عنونة الشاعر لقصيدته ،

إلا أن العدواني - كما ثبت ذلك فعلا - قد اقتنع بوجهة نظر الدويري ، لأنه عند نشر القصيدة المذكورة في ديوانه (أجنحة العاصفة) قد اكتفى بكلمة (رأس) عنوانا لها ، ليزيد من مساحة إيحائها . □





الديون الخارجية للعالم الإسلامي

بقلم : الدكتور رمزي زكي

تمثل ديون العالم الإسلامي ٢٣ بالمائة من إجمالي ديون العالم الثالث ، سدّد عنها من الفوائد ما قدره ٨ مليارات من الدولارات في عام واحد . ونتيجة لعبء الديون وقعت دول العالم الإسلامي في تناقض بين حل مشكلة التنمية والديون . ورغم ذلك فإن هناك تصوراً لحل هذا التناقض يناقشه الكاتب في هذا المقال .

تنتمي مجموعة الدول الإسلامية إلى العالم الثالث ، وهي تضم دولاً تتوزع على ثلاث مناطق في خريطة العالم ، هي الشرق الأوسط ، وأفريقيا ، والشرق الأدنى . يصل عدد سكانها تقريباً إلى ٧٢٠ مليون نسمة أي ما يمثل ١٥٪ من إجمالي سكان العالم ، كما تصل مساحة أراضيها الى حوالي ١٨٪ من مساحة المعمورة . . وتبلغ نسبة صادراتها الى إجمالي الصادرات العالمية حوالي ٩٪ ، بينما تمثل وارداتها ٧,٢ من إجمالي الواردات العالمية ، وذلك في عام ١٩٧٨ ، وبينما تتكون صادراتها أساساً من المواد الخام والأولية ، فان وارداتها تتوزع على جبهة عريضة من مختلف السلع والخدمات ، وتتفاوت الدول الاسلامية فيما بينها تفاوتاً كبيراً ، من حيث درجات التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، ومن حيث طبيعة هيكلها الانتاجي ، ومن حيث ما تزخر به من مواد وثروات طبيعية وبشرية ومالية ، بل ومن حيث طبيعة المشكلات الاقتصادية الملحة التي تواجهها ، ومع ذلك فهي تشارك مجموعة دول العالم الثالث فيما تكابده من أزمات وصعاب تعترض سبيلها في اقامة حياة أفضل لشعوبها .

ولعل أزمات الديون الخارجية التي تواجهها مجموعة الدول الاسلامية ، هي خير مثال على مشاركتها هموم العالم الثالث ومشكلاته الأساسية ، فالشطر الأعظم من هذه الدول يدخل في عداد الدول المدينة ، والاستثناء الوحيد هنا هو حالة الدول العربية النفطية (السعودية ، الكويت ، قطر ، الامارات) ، كما أن الآثار والنتائج الخطيرة التي نجمت عن تفاقم الديون الخارجية لدول العالم الثالث ، هي نفسها الآثار والنتائج التي تعاني منها الآن مجموعة الدول الاسلامية .

وطبقاً للبيانات التي ينشرها البنك الدولي ، فقد وصلت الديون الخارجية لهذه الدول الى حوالى ١٩٠ بليون دولار في عام ١٩٨٤ . وهذا الرقم يعادل تقريبا ٢٣٪ من إجمالي مديونية دول العالم الثالث التي بلغت في نفس هذا العام حوالي ٨٢٨ بليون دولار . على أنه تجدر الاشارة هنا ، الى أن الرقم الفعلي لديون العالم الثالث يزيد عن هذا الرقم ، ذلك أن بيانات البنك الدولي تستبعد من أرقام المديونية الخارجية بعض عناصر الديون المهمة ، مثل الديون العسكرية (التي عادة لا تتوافر عنها بيانات) والالتزامات تجاه صندوق النقد الدولي ، والديون الخاصة التي لم تضمنها الحكومات ، فضلاً عن الديون الخارجية التي تدفع بالعملة المحلية ، وبناء عليه ، فإننا لو أدخلنا بعين الاعتبار هذه الديون المستبعدة ، فلربما يصل الرقم الفعلي لديون العالم الاسلامي الى ٢٠٠ بليون دولار أو أكثر .

أهم ملامح صورة الديون

واذا شئنا الآن أن نرسم صورة سريعة عن الديون الخارجية لمجموعة الدول الاسلامية ، فان الجدول رقم (١) الذي يوضح حجم المديونية الخارجية وأعباءها في عام ١٩٨٤ ، يساعدنا كثيراً في رسم هذه الصورة وتحديد أدق معالمها ، وبالتأمل في هذا الجدول يمكننا أن نرصد المعالم الأساسية التالية :

هناك تسع دول من مجموعة الدول الاسلامية هي : الجزائر ، وأندونيسيا . ومصر ، وتركيا ، وماليزيا ، ونيجيريا ، والمغرب ، وباكستان ، ونيجيريا ، تستأثر الشطر الأعظم من ديون مجموعة هذه الدول ، حيث بلغت ديونها حوالي ١٤٥,٢ بليون دولار في عام ١٩٨٤ ، وهو ما يعادل أكثر من ثلاثة أرباع (حوالي ٧٧٪) من إجمالي ديون هذه الدول ، أما النسبة الباقية فتتوزع على باقي الدول وعددها ٣٥ دولة .

يلاحظ من أرقام الجدول ، أن هناك دولاً نفطية ، مثل أندونيسيا والجزائر ، ونيجيريا ، وعُمان ، تدخل في عداد الدول النامية ، وقد وصل إجمالي ديونها في عام ١٩٨٤ حوالي ٦٧,٦ بليون دولار ، أي ما نسبته ٣٦٪ من إجمالي مديونية هذه الدول .

بلغ إجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية على ديونها الخارجية في عام ١٩٨٤ حوالي ٩,١ بليون دولار ، واذا علمنا أن إجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة دول العالم الثالث على ديونها الخارجية في نفس هذا العام حوالي ٤٠,٩ بليون دولار ، فان ذلك يعني أن الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية تساوي ٢٢,٣٪ من جملة الفوائد التي دفعها العالم الثالث .

وبالتأمل في الجدول المذكور يتضح كيف نما عبء الفوائد على نحو فلكي خلال الفترة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٤ ، سواء من حيث الحجم أو من حيث متوسط معدل النمو السنوي ، وكل الدول التي يشملها الجدول تشير الى ما يشبه الانفجار في هذا النوع من المدفوعات



جـدول رقـم (١)

الصورة العامة للديون الخارجية وأعبائها لمجموعة الدول الاسلامية في عام ١٩٨٤

الدولـة	إجمالي الديون الخارجية مليون دولار	مدفوعات الفوائد على الديون الطويلة الأجل - مليون دولار		معدل خدمة الدين (٪ من حصيلة الصادرات)	
	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤
الامارات	-	-	-	-	-
الأردن	٣١٩٦	٢	١١٧	١٤,٨	٣,٦
البحرين	-	-	-	-	-
تونس	٤٣٠١	-	-	-	-
الجزائر	١٣٨١١	١٠	١٢٩١	٣,٨	٣٣,٦
جيبوتي	-	-	-	-	-
السعودية	-	-	-	-	-
السودان	٦٦٦١	١٣	٦٥	١٠..٦	٣١,٦
سوريا	٣٠٧٥	٦	٨٣	١١	١٢,٩
الصومال	١٣٨٤	-	٣	٢,١	٢٨,٩
العراق	-	-	-	-	-
عُمان	١٥٢٥	-	٨٦	-	٤,٦
قطر	-	-	-	-	-
الكويت	-	-	-	-	-
لبنان	٤٣٩	١	١٣	-	-
ليبيا	-	-	-	-	-
مصر	٢٣٢٠٦	-	٦٩٨	-	٣٤,١
المغرب	١٠١٦٩	-	٤٩٤	-	-
موريتانيا	١٢٨٣	-	٢٣	٣,١	١٠,٠
اليمن / ش	١٩٥٧	-	١٦	-	٢٦,٦
اليمن / ج	١٣٣٧	-	١٢	-	٢٢,٠
أفغانستان	-	-	-	-	-
بنجلاديش	٥٦٤٤	-	٧٥	-	١٤,٢
الكاميرون	٢٦٢٨	٥	١٦٤	٣,٩	١٤,٥
تشاد	١١٤	-	١	٣,٩	١,٧
جزر القمر	-	-	-	-	-
بوركينافاسو	٤٣٣	-	٧	٦,٢	-
جابون	٩٤٥	-	٧٠	-	-
غينيا	١٢٣٤	٤	٢١	-	-
غينيا بيساو	١٩٧٧	٩	١٤٨	٢٤,١	٣٥,٩
أندونيسيا	٣٢٤٨٠	٤٥	١٩٠٠	١٣,٨	١٩,٠
بنين	٦٤٤	-	١٧	٢,٣	-

الدولة	إجمالي الديون الخارجية مليون دولار	مدفوعات الفوائد على الديون الطويلة الأجل ـ مليون دولار		معدل خدمة الدين (٪ من حصيلة الصادرات)	
	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤
إيران	-	-	-	-	-
ماليزيا	١١٨٤٦	-	٩٥٨	-	-
ملاديف	-	-	-	-	-
ملاوي	٨٨٥	٣	٣٢	٧,٢	-
النيجر	٩٤٥	-	٢٧	-	-
برونوي	-	-	-	-	-
باكستان	١٦٦٦٥	٧٧	٣١٧	٢٣,٧	٢٧,١
السنغال	٢٠٢٦	٢	٥٣	٣,٨	-
سيراليون	٤٤٦	٢	٤	٩,٩	٧,٢
تركيا	٢٢٢٦٧	٤٥	١٠٩٣	٢٢,٧	٢٣,٨
أوغندا	١٠١٦	٤	٣٢	٢,٧	-
نيجيريا	١٩٧٤٢	٢٨	١٢٨٢	٧	٢٩,٩
المجموع	١٨٩٢٧٢	-	٧٥٥٣	-	-

ويعود ذلك الارتفاع في أسعار الفائدة،على القروض وتعويمها ، فضلاً عن نمو أحجام الديون نفسها .

ولو دققنا النظر أكثر في تفاصيل عبء الفوائد المدفوعة فسوف يسترعي النظر ، أن هناك ست دول هي نيجيريا ، وتركيا ، وأندونيسيا ، وماليزيا ، ومصر ، قد دفعت ٧,٢ بلايين دولار ، وهو ما يمثل حوالي ٧٧٪ من إجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية (٩,١ بلايين دولار) في عام ١٩٨٤

وفيما يتعلق بمعدل خدمة الدين ، أي نسبة ما تستأثر به مدفوعات الفوائد والأقساط من إجمالي حصيلة صادرات السلع والخدمات ، فسوف نجد أن ثمة تباينا شديدا فيما بين هذه الدول . فهناك طائفة منها يصل فيها هذا المعدل الى ٣٠٪ وأكثر ، وتلك هي حالة الجزائر ، ومصر ، وغينيا ، والسودان . وهناك دول يتراوح فيها هذا المعدل فيما بين ٢٠٪ و ٣٠٪ وتلك هي حالة نيجيريا ، وباكستان ، واليمن الجنوبي ، واليمن الشمالي ، والصومال . وهناك طائفة ثالثة من الدول يتراوح فيها هذا المعدل فيما بين ١٠٪ و ٢٠٪ مثل أندونيسيا ، وسوريا ، وبنجلاديش ، والكاميرون ، وموريتانيا . أما أقل معدلات خدمة الدين فتوجد في الأردن ، وعُمان ، وسيراليون ، وتشاد وغيرها .

والواقع أن هذا النمو الكبير الذي حدث في احجام تلك الديون واعبائها خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة يعود الى ما شاب الاقتصاد الرأسمالي العالمي من فوضى واضطراب واضحين خلال هذه الفترة ، وتأثر مجموعة الدول الاسلامية بذلك ، فضلاً عن أخطاء السياسات الاقتصادية التي انتهجتها هذه الدول ، فمنذ مطلع العقد السابع الماضي دب ركود اقتصادي واضح في غالبية الدول الرأسمالية الصناعية المستوردة لصادرات هذه الدول من المواد الخام والأولية ، وانهار نظام النقد الدولي بعد اتخاذ الولايات المتحدة الأمريكية قرارها المنفرد بوقف قابلية تحويل الدولار الى ذهب في أغسطس ١٩٧١ ، وتعويم سعر الدولار ، والمضاربة على الذهب ، وارتفاع أسعار الفائدة في أسواق النقد الدولية ، وتزايد نزعة الحماية

بالدول الصناعية ، واندلاع تضخم شديد في الاقتصاد العالمي .

نمو الديون وانخفاض الصادرات

في خضم هذا العالم المضطرب انخفضت حصيلة صادرات الدول النامية ، ومعها بطبيعة الحال مجموعة الدول الاسلامية ، باستثناء الدول النفطية ، هذا في الوقت الذي اتجهت فيه أسعار وارداتها نحو الارتفاع ، ومن هنا كانت أزمة موازين مدفوعاتها ، حيث اتجه العجز فيها نحو التزايد بشكل سريع ، وآنذاك استطاع الاقتصاد الرأسمالي أن يخلق آليات التكيف مع هذا الوضع المتأزم . وهي الاليات التي استهدفت العمل على نقل الموارد المالية من بلاد الفائض الى بلاد العجز ، فبعد أن تمكن الاقتصاد الرأسمالي العالمي من اعادة تدوير الفوائض النفطية ، وبعد أن نمت قدرة سوق اليورو دولار الأوروبية على خلق السيولة بكميات هائلة ، نشأ ما يمكن أن نسميه « بالتخمة في السيولة الدولية » حيث راحت البنوك التجارية الدولية النشاط ، بعد أن تمردت على قواعد الغنى المصرفي التقليدية ، وقواعد الاحتراس المالي المعروفة ، راحت تتسابق فيما بينها في منح القروض للدول النامية بأسعار فائدة مرتفعة ، سعيا وراء تحقيق أرباح خيالية ، دون مراعاة لقدرة هذه الدول على السداد مستقبلاً .

ومن ناحية أخرى استسهلت مجموعة الدول النامية هذا النوع من الاقتراض لمواجهة العجز في موازين مدفوعاتها ، ووقعت في وهم كبير ، مؤداه ، أنه بالامكان الاستمرار في التنمية ، وزيادة مستوى المعيشة من خلال الاعتماد المتزايد على التمويل الخارجي ، ودون أن تهتم بتعبئة مدخراتها المحلية . معتقدة في ذلك انه لن تظهر مشكلات للسداد في الأجل الطويل ، واستمرت هذه الدول تقترض بمعدل نمو سنوي لا يقل عن ٢٠٪ ، وكان من جراء ذلك حدوث تشويه واضح في هيكل ديونها الخارجية ، حيث ارتفع النصيب النسبي للديون المصرفية في اجمالي مديونية هذه الدول ، وهي ديون ، كما نعلم ، باهظة التكاليف حيث تتسم بقصر آجالها ، وبارتفاع أسعار فائدتها ، وبضآلة فترة السماح فيها ، وكان من الطبيعي والحال هذه أن ترتفع مدفوعات خدمة هذه الديون ، فما بالنا اذا علمنا أن الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية عن ديونها الخارجية في عام ١٩٧٠ كانت تقل عن نصف مليار دولار ، بينما ارتفعت هذه الفوائد الى حوالي ٨ مليارات في عام ١٩٨٤ ، واذا أدخلنا في الحسبان مدفوعات الأقساط على هذه الديون فان الصورة تزداد قتامة .

ان هستيريا الاقراض التي حدثت في السبعينيات ، قد أدت الى التخفيف من حدة الركود الاقتصادي في الدول الرأسمالية الصناعية ، حيث ارتبط منح هذه القروض بزيادة صادرات هذه الدول الى البلاد المقترضة ، وبذلك خففت من حدة مشكلات البطالة والتضخم فيها ، وهذا ما يدعونا للقول ، بأن النمو المفرط الذي حدث في الائتمان الدولي كان عبارة عن محاولة لزيادة الطلب الكلي الفعال على النطاق العالمي من خلال ضخ المزيد من النقود ، في محاولة لمواجهة أزمة الكساد الاقتصادي في الرأسمالية العالمية ، بيد أنه لما كانت أزمة الرأسمالية العالمية حالياً ، وهي أزمة هيكلية وليست دورية ، وأنها ذات أمد طويل ، فان هذه المحاولة المستندة على الافراط في الائتمان الدولي ، سرعان ما استنفدت فاعليتها ، وبدلا من أن تصبح حلا للأزمة ، أصبحت جزءا منها .

ففي أغسطس عام ١٩٨٢ ، توقفت كبريات الدول المدينة عن دفع أعباء ديونها الخارجية (المكسيك ، البرازيل ، الأرجنتين) من جراء النمو الهائل الذي حدث في تلك الأعباء ، وكان توقفها عن الدفع يعني افلاس البنوك الدائنة لها (ومعظمها بنوك أمريكية) ، هنالك دب ذعر واضح في الدوائر المالية الدائنة ، وسارعت الولايات المتحدة الأمريكية - ومعها صندوق النقد الدولي وبنك التسويات الدولية - لمواجهة الموقف ، فأعطت هذه الدول مزيداً من القروض ، وأعادت جدولة بعض ديونها ، المهم أنه بعد ذلك التاريخ انكمش معدل نمو الائتمان المصرفي بشكل حاد ، بعد أن أعادت البنوك التجارية النظر في سياستها الائتمانية ، وأصبح من المتعذر على الدول المدينة - ومنها مجموعة الدول الاسلامية - أن تحصل على حاجتها من الائتمان الدولي ، الا بعد أن ترضخ لشرط الدائنين ، وبالذات لشروط صندوق النقد الدولي ، وهي شروط كما نعلم مجحفة وخاطئة ،

وتعرض البلاد المدينة للاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومنذ ذلك التاريخ (١٩٨٢) دخلت أزمة المديونية الخارجية مرحلة جديدة .

نتائج نمو الديـــون

وعلى أية حال ، فقد تمخضت أزمة الديون الخارجية المستحقة على مجموعة الدول الاسلامية ومعها دول العالم الثالث عن نتائج وخيمة ، وبخاصة في السنوات الأخيرة ، حيث أدى التطور المفزع الذي حدث في أرقام هذه الديون وأعبائها الى ارهاق اقتصادي شديد لهذه الدول ، فقد أدى ارتفاع أعباء خدمة الديون (الاقساط + الفوائد) الى التهام النسبة الكبرى من حصيلة صادرات السلع والخدمات (انظر الجدول رقم ١) ، كما أن تلك الأعباء تمثل الآن نسبة مهمة من الناتج القومي الاجمالي ، مما يعني ارتفاع نصيب الأجانب من الدخل القومي المتحقق في هذه الدول ، وقد وصل معدل خدمة الدَّين الى مستوى حرج في بعض الدول الاسلامية ، مثل : مصر ، الجزائر ، الصومال ، السودان ، غينيا ، بيساو ، وتركيا ، اليمن الشمالي . . الى آخره ، وزاد من حرج الموقف عدم نمو حصيلة الصادرات ، وتعرضها للتقلب والتدهور تحت تأثير موجة الركود العالمي ، ومن ناحية ثانية اضطرت الدول المدينة الى أن تستنزف جانباً كبيراً من احتياطاتها النقدية ، وهو أمر عرّض الجدارة الائتمانية لها للاهتزاز في أسواق النقد الدولية ، ومن هنا زادت أمامها صعوبات الاقتراض ، وكل ذلك تزامن بأخطاء السياسات الاقتصادية الداخلية ، وبضعف الاهتمام بزيادة المدخرات المحلية ، وترشيد استخدامات النقد الأجنبي .

على أن أخطر ما تمخض عن تلك الديون ، بعد وصولها الى هذا المستوى الحرج ، هو تهديد قدرة الدول على المحافظة على استيراد احتياجاتها الضرورية : الغذائية ، والاستهلاكية ، والوسيطة ، وهو أمر عانت منه أشد معاناة الدول الاسلامية والنامية الأشد فقراً ، الواقعة في أفريقيا ، فمع أزمات النقد الأجنبي التي صاحبت أزمة الديون ، لم تعد تلك الدول قادرة على أن توائم بين دفع الأعباء المتزايدة لديونها ، وبين الاستمرار في تمويل تلك الواردات بما يحافظ على الحدود الدنيا أو المعقولة للاستهلاك والانتاج المحليين ، وزاد من صعوبة الموقف تدهور أسعار الصرف لهذه البلاد ، وهروب الأموال للخارج ، وارتفاع معدلات التضخم المحلي ، وتدهور معدلات النمو الاقتصادي وزيادة البطالة ، وانخفاض مستوى المعيشة ، وكل ذلك عرض النظم السائدة بهذه البلاد لضغوط واضطرابات شديدة .

ومع وجود عجز حقيقي عن الوفاء بأعباء الديون ، ومع عدم القدرة على الحصول على المزيد من القروض الخارجية والمعونات الاقتصادية ، اضطر عدد كبير من هذه الدول (السودان ، ملاوي ، النيجر ، أوغندا . . . . . .) الى طلب اعادة الجدولة لديونها الخارجية ، والدخول في مفاوضات مع الدائنين لتأجيل الدفع ، والرضوخ لشروط صندوق النقد الدولي . ومن المعلوم ، أن تشخيص صندوق النقد الدولي لأزمات موازين مدفوعات هذه البلاد يقوم على رؤية غير صحيحة ، وهي أن العجز في هذه الموازين ناجم عن وجود افراط في حجم الطلب الداخلي ، وانه من الممكن من خلال تخفيض عرض النقود ، والغاء الدعم السلعي ، وتخفيض سعر الصرف للعملة المحلية ، والغاء الرقابة على الواردات ، وتحجيم الاستثمار العام أن تستعيد هذه البلاد توازنها الداخلي والخارجي ، وتقل من ثم حاجتها للاستدانة الخارجية ، والواقع أن كثيراً من الدراسات والبحوث قد أثبتت أن أزمة موازين مدفوعات تلك البلاد ترجع الى حالة التبعية التي تعاني منها ، فهي تعود الى تأثير مجموعة من العوامل الخارجية التي لا تستطيع التحكم فيها (مثل حصيلة الصادرات بسبب الركود الاقتصادي العالمي ، وارتفاع أسعار الفائدة على القروض ، وزيادة أسعار الواردات ، وارتفاع سعر الدولار عالمياً . . الى آخره) كما أن كثيراً من الدول المدينة ، وان كانت تتسم بافراط في استهلاكها الترفي لبعض الفئات الاجتماعية الا انها تعاني من مشكلات عويصة في ندرة المواد الغذائية والضرورية . والاصرار على تنفيذ « روشتة » صندوق النقد الدولي قد أدت الى تطبيق سياسات انكماشية صارمة .

حماية التنمية من غول الديون

ان التناقض الرئيسي الذي أصبحت تواجهه مجموعة الدول الاسلامية والنامية المدينة ، يتمثل في كيفية حل أزمة الديون وأزمة التنمية . فنمو أعباء الديون والرضوخ للشروط التي يفرضها الدائنون ، أصبح يعني ايقاف التنمية ، وتدهور مستوى المعيشة من أجل الوفاء بعبء الدين .

وقد صرح عدد كبير من رؤساء الدول المدينة ، بأن عبء المديونية الخارجية أصبح أمراً لا يطاق ، وان الشروط التي يطلبها الصندوق والدائنون لم تعد مقبولة ، وأنهم قد وصلوا في قبولها الى آخر مدى ممكن . وأنه من الضروري الحرص على مواصلة التنمية . وتحقيق التقدم الاقتصادي الاجتماعي لشعوبهم .

ولقد أعلنت الدول المدينة في المؤتمرات والمحافل الدولية عدة مطالب وأمانيّ لتخفيف أعباء الديون لمواصلة الجهد التنموي . وكان أهم هذه المطالب والأماني ما يلي :

١ ـ ان المسئولية مشتركة بين الدائنين والمدينين .
٢ ـ تخفيض أسعار الفائدة الحقيقية على الديون .
٣ ـ وضع حدود معقولة لخدمة الديون .
٤ ـ ضرورة تعديل شروط صندوق النقد الدولي .
٥ ـ وجود آليات تكفل مساعدة الدول المدينة .
٦ ـ تشجيع نفاذ صادرات الدول المدينة الى الدول الدائنة .
٧ ـ المعاملة الخاصة للدول الأفريقية الفقيرة .

وقد ترددت هذه المقترحات والأماني في اعلان قرطاج لمجموعة الدول الأمريكية اللاتينية ، وفي مؤتمر القمة الأفريقي الذي انعقد في أديس بابا في يوليو ١٩٨٦ . وفي قمة هراري لمجموعة دول عدم الانحياز في سبتمبر ١٩٨٦ ، ومع ذلك لم تلق هذه الأماني والمطالب أية آذان مصغية .

وليس هناك ما يدعونا لكي نتفاءل بامكان قبول هذه المقترحات والأماني ، وعلى ذلك نعتقد أن مشكلة الديون الخارجية سوف تستمر على النحو الذي سارت عليه في الآونة الأخيرة (حصار المدينين والضغط عليهم لدفع الديون) ، ولسوف تسوء أحوال البلاد المدينة ، ونسير من سيء الى أسوأ ، ما لم تبذل تلك البلاد جهوداً واعية وخلاقة ، لوقف افتراس غول الديون للجهد التنموي لمستوى معيشة السكان في هذه البلاد .

الاعتماد على الذات

وهنا نرى أن الحل يجب أن يكون من خلال استراتيجية الاعتماد على الذات بشقيها الجماعي والمحلي ، أما عن الشق الجماعي ، فيتمثل في ضرورة تطوير دعم أشكال التعاون الاقتصادي بين مجموعة الدول الاسلامية فيما بينها ، وبين مجموعة دول العالم الثالث الذي ينتمون اليه ، وهناك أشكال عديدة في هذا الخصوص منها :

* الاسراع بتكوين ناد للمدينين على غرار نادي الدائنين (نادي باريس) ، تكون مهمته وضع أسس ومعايير جماعية للمفاوضات مع الدائنين ، تحافظ على مصالح المدينين ، وتربط حل مشكلة الديون بمواصلة عملية التنمية ، ورفع مستوى معيشة السكان .
* دعم وتطوير اتحادات منتجي المواد الأوليه .
* زيادة التبادل التجاري والتعاون النقدي فيما بين هذه البلاد من عبر وسيط ثالث .
* تسهيل نقل التقنية الموجودة داخل هده البلاد
* توحيد المواقف تجاه المشكلات الاقتصادية العالمية (نظام النقد الدولي ، الشركات المتعددة الجنسية ، المنظمات الاقتصادية الدولية . .)
* تشجيع استثمار العوائض المالية للدول النفطية داخل هذه البلاد .

أما على المستوى الداخلي ، فلا مفر أمام هذه البلاد ، لحل مأزق الديون ومعضلة التنمية الا باعادة ترتيب الديار من الداخل ، وذلك من خلال اعادة النظر في نهج التنمية وتوجهاتها ، والعمل على زيادة المدخرات المحلية (لتقليل فجوة الموارد المحلية) وترشيد استخدامات النقد الأجنبي (لتقليل فجوة العملات الأجنبية) وفرض الرقابة على الصرف وتشجيع الجهد الاستثماري المنتج ، في القطاعين العام والخاص ، ودعم قطاع الصادرات والقطاع المنتج لبدائل الواردات ، بيد أن تنفيذ ذلك يتطلب دوراً فاعلاً ومؤثراً للدولة في قيادة حركة النشاط الاقتصادي . □

الأفق


الأمير جابر الأحمد


الملك فهد


الملك حسين

■ الخطاب الالهي موجه إلى المسلمين جميعا ، عليهم أن يترجموه إلى حياة نابضة بالتقدم والخير .

من خطاب أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح
بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري

■ إذا ما حللنا الأوضاع بالنسبة لموقف أمريكا وغير أمريكا سنجد أن مرد هذه التصرفات كلها نوع من عدم الاكتراث بالأمة العربية ، والانسان العربي ، والامعان في اتخاذ مواقف وسياسات فيها تحدٍ لكل مشاعر الوطن العربي ، وهذا شيء نحن ـ العرب ـ مسؤولون عنه قبل أي جهة أخرى ، لأن ما نعيشه واقع مؤلم .

الملك حسين بن طلال

■ في تاريخ الأمم والشعوب أيام تسطر على جبين الزمن أمجادا ، تحفل بمعان سامية ، وقيم أصيلة ، هي دائما مشاعل التوجه إلى المستقبل . وأحسب أننا نعيش اليوم واحدا من هذه الأيام الخالدة .

من كلمة أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
في افتتاح الجسر الذي يربط السعودية بالبحرين .

■ إن هذا الجسر هو من منجزات القرن العشرين .

خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز

■ العلم والمعرفة والآداب أسلحة المستقبل ، وغذاء حقيقي لأي مجتمع يريد لنفسه النهوض والتقدم .

راشد عبدالعزيز الراشد
وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ـ الكويت ـ
عند افتتاح معرض الكتاب العربي الثاني عشر .

■ حين يتوقف الكاتب عن لعب دور الضمير في مجتمعه ، عليه أن يعترف أنه اختار إما التنكر الكامل لنفسه ، وإما الانسحاب إلى موقع المسجل لحدث ولىً ، أو موقع طبيب شرعي ، يتعامل مع جثة هامدة !

وورل سونيكا
الحائز على جائزة نوبل في الآداب لسنة ١٩٨٦

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

الشريعة والناس

لا نحسب أن سوء الفهم وحده هو المسئول عن «تلغيم» العلاقة بين الشريعة والناس . وبنفس القدر فانه يظل من غير الانصاف أن نحمل طرفا بذاته كامل تلك المسئولية ، من قبيل ما فعل احد شيوخ الازهر الكبار «الشيخ محمد مصطفى المراغي» عندما أشار الى الفقهاء بأصابع الاتهام ، في مذكرة شهيرة له حول اصلاح الأزهر ، قدمها في سنة ١٩٢٨ ، حيث قال :

ان «الأمة المصرية» تركت الفقه الاسلامي ، لأنها وجدته ـ بحالته التي أوصلها اليه الفقهاء ـ غير ملائم . . . ولو أنها وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان ، وتبدل العرف والعادة، وراعى الضرورات والحرج لما تركته الى غيره» .

ووجه قلة الانصاف هنا أن الفقهاء ليسوا هم المتهم الأوحد في القضية ، وأكاد أقول انهم أيضا ليسوا المتهم الأول . ذلك ان اثارة تلك النقطة ترتب سؤالا آخر هو : ما الذي جعل الفقهاء يقفون في الجانب المعطل للمسيرة ، لا المعين على تقدمها ؟ هل هم الذين تخلوا عن مسئولياتهم ، أم انهم تخلوا عنها حينا ، وحيل بينهم وبين أدائهم لتلك المسئولية في أحيان أخرى . ثم من يكون هذا المجهول الذي أحلنا اليه : الاستعمار ؟ الحكام ؟ أم انها مسيرة التطور التي نحت هؤلاء عن مكانهم ، كما يحلو للبعض أن يفسر الظواهر الاجتماعية والفكرية ؟ . . أم انها الشريعة ذاتها ، التي لم تتمتع بالمرونة الكافية التي تمكنها من ملاحقة عجلة التقدم المتسارعة ؟

لانريد أن نشغل طويلا بالاسباب . فذلك بحث آخر ، فضلا عن أن محاولة الاجابة عن السؤال الأخير هي موضوعنا الذي نحاول أن نستجلي جوانبه . ما نريد أن نلفت النظر اليه في البداية هو أن الفقهاء ليسوا هم الذين صنعوا الأزمة . وفي أسوأ الفروض فانهم كانوا شركاء فيما جرى . ولم يكونوا الفاعلين الوحيدين . وقد نذهب الى أن ما يسمى بالجمود أو التزمت قد عطل تطور الفقه وتقدمه ، الا انه عند امعان النظر ـ لم يخل من فائدة ، ربما لم تكن مقصودة ولا واردة في حينها ، ذلك ان هذا الجمود قد حمى الفقه من الترخص والابتذال . في عصور لم يكن للفقهاء ـ ولا الشريعة ـ فيها حول ولاطول ، وكان كل المطلوب منهم هو مباركة خطا السلاطين «والمرونة» في الاستجابة لنزواتهم وأهوائهم ، أو في مسايرة كل جاء باسم التحديث والمعاصرة ! وهو خطر يتبدى بأكثر ما يكون في حالات الضعف التي يفتقد فيها الذين يتصدون لامور الفتوى لشروط الاجتهاد ولا يتمكنون من عدته وآلته .

وهنا قد يهمنا التنبيه الى أمرين :

الأول . ان عصور الضعف والتدهور لا تطل على

الواقع فجأة وبلا مقدمات ، لكنها جماع اسباب عديدة وامراض مختلفة تصيب جسد الأمة وتقتل خلاياها الحية والفاعلة ، واحدة تلو الأخرى ، حتى يتمكن الداء من الجسد ، ويهزمه في نهاية الأمر . وحجم الهزيمة لايرتبط فقط بطبيعة الجراثيم التي تسري في الجسم ، ولكنه وثيق الصلة أيضا بحالة الضعف أو المناعة لدى الجسم ذاته .

الأمر الثاني ، ان تأثير التدهور والانحطاط لايصيب جانبا دون الآخر ، وانما يمتد ذلك الأثر ليشمل الواقع بمختلف اطرافه وعناصره،وبالتالي فان التدهور الفقهي مرتبط بالتدهور الثقافي العام . والاثنان وثيقا الصلة بحالة التراجع الشاملة ـ سمها الانحطاط ان شئت ـ التي يعاني منها الواقع

ان العلاقة بين الشريعة والناس تصبح متينة وحميمة ، وتتبدى في أكثر أطوارها صحة وايجابية ، في مراحل الازدهار العقلي ، بينما تتعقد تلك العلاقة وتصاب بالجفاف والتيبس وربماالضمور أيضا في عصور الجزر والانحسار .

من هنا فلعلنا لانجاوز الحقيقة كثيرا ، ان قلنا ان جمود الفقهاء يعد أحد اعراض المرض الذي يسري في جسد الأمة ، وليس سببا له خارج تلك الدائرة ، فلا أحد ينكر أن ثمة التباسا في التعامل مع الشريعة دخل على عقول كثيرين ، لاسباب متنوعة .

فالمصدر الالهي للشريعة ، صنفها البعض في دائرة منفصلة عن البشر ، أو فوقهم . وذهب عديد من المستشرقين الى اعتبار الشريعة أمرا مثاليا يعنى بالقيم الدينية والاخلاقية التي ترتجى في حياة الناس ، ولا تنطبق على الواقع بالضرورة . من هؤلاء المستشرقين جولد زيهر واندرسون وشاخت ولولسون ، الذين وضعوا الشريعة في مرتبة القانون الطبيعي ، الذي هو جماع المثل العليا والقيم الاساسية في حياة الانسان . فنحن نجد واحداً مثل المستشرق نوبل ج . كولسون ـ استاذ القوانين الشرقية في جامعة لندن ـ يقرر في كتابه حول تاريخ القانون الاسلامي ان انقطاع الوحي بوفاة الرسول ﷺ جعل الشريعة الاسلامية بما تحقق لها من كمال التعبير والبيان ثابتة غير قابلة للتغيير . . واصبح على المجتمع ان يتطلع الى ما تمثله من معايير مثالية وصحيحة الى الابد . . وهو في كتاب آخر (التعارض والقضاء في الفقه الاسلامي) يخصص فصلا للتنازع بين النزعة المثالية والنزعة الواقعية في مسيرة الفقه الاسلامي ويبرز الوجه ذاته .

وهذا المعنى نجده في كتابات العديد من الباحثين والمثقفين العرب،الأمر الذي دعا احد كبار فقهاء زماننا ـ الشيخ الدكتور محمد مصطفى شلبي الذي كان يرأس قسم الشريعة في جامعتي الاسكندرية وبيروت ـ الى محاولة نقض هذه الفكرة في كتاب مهم بعنوان : الفقه الاسلامي بين المثالية والواقعية .

وربما أسهم في الالتباس أيضا الفهم الخاطىء الذي حملت به القاعدة الشرعية القائلة بأن « الشريعة حاكمة لامحكومة » الامر الذي دعا البعض الى استقبالها باعتبارها « قانونا » يقضي بأن الشريعة لاعلاقة لها بالواقع ، فهي تحكمه وتمضي قرارها فيه بصرف النظر عن ظروف ذلك الواقع . ساعد على شيوع ذلك الفهم ان هناك ممارسات تمت منطلقة من ذلك الاعتبار . تطبيق النص الشرعي بتجاهل تام لحقائق الواقع ، مما قدّم الشريعة فيصورة المتحكمة لا الحاكمة.وليست بعيدة عن أذهاننا ـ على سبيل المثال ـ تجربة تطبيق حد السرقة على ذوي الحاجة والجياع في بعض مجتمعاتنا الاسلامية الفقيرة . الأمر الذي لايقره نقل ولا عقل .

وغني عن البيان أن تلك القاعدة التي نحن بصددها يقصد بها أن تكون الشريعة هي الحكم والفيصل فيما يختلف عليه ، أو يستجد من أمور ، اعمالا للنص القرآني « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (النساء ـ ٥٩) . . ومن الخطأ الجسيم أن تقرأ العبارة بحسبانها دعوة الى تطبيق الأعمى للنصوص الشرعية دون نظر أو اعتبار للزمان أو المكان أو أعراف الناس أو عوائدهم واحوالهم .

ولا نستبعد أن يكون لتأثير التراث الكنسي الغربي دوره في هذا الصدد . حيث التفرقة قائمة بين اللاهوت والناسوت . وحيث للدين رجال ومؤسسة وبابوية ، ومدارج ليست في متناول كل الناس ، الأمر الذي استمر على النحو الذي يعرفه الكثيرون في العصور الوسطى ، حيث استقر في اليقين العام ان مفاتيح السماء بأيدي رجال الدين الذين باشروا سلطانا تراوح بين تلقي اعترافات المذنبين الى صكوك الغفران في الآخرة .

المناقشة

ان الناس هم موضوع الشريعة ، ومدارها ووعاؤها ،والتكاليف ليست« فرامانات » أو مراسيم الهية لايملك المتلقون ازاءها الا الانصياع والامتثال ، أيا كان الأمر ، والطريق الموصل بين الشريعة والناس يعد من أوسع الابواب وأكثرها ثراء في الفقة الاسلامي،حتى عرف الفقيه الحق بأنه من أدرك النصوص، وادرك الواقع ، وانزل كلا منهما على الآخر ، واشترط في المجتهد اضافة الى العلم العريض معرفة الناس . حتى ذكر ابن القيم في « اعلام الموقعين » أن المجتهد اذا افتقد هذا الشرط ، فإنه يفسد أكثر مما يصلح . وذهب الى أن معرفة الفقيه بالناس ينبغي أن تتجاوز الأحوال والعوائد الى معرفة « مكر الناس وخداعهم وحيلهم » ـ ونبه القرآن في « الأحكام » الى أهمية أن يكون الفقيه محيطا بلغة العامة ومصطلحاتهم ، حتى يصبح أقرب ما يكون الى خطابهم .

وما كان لهذا الفقيه أن يقطع شوطه البعيد في ذلك الاتجاه دون سند قوي من نصوص القرآن والسنة ودون معرفة عميقة بمكنون الشريعة ومقاصدها . واذا كان القرآن قد بدأ بحمد الله في فاتحته فانه اختتم بسورة « الناس » في منتهاه . وهذا المحور الاساسي (الله ـ الناس) كان له مردوده وانعكاساته العديدة على ساحة الفكر الاسلامي ، يدخل في ذلك مختلف القواعد الشرعية التي انبنت على التوجيهات القرآنية الداعية الى التيسير على الناس ورفع الحرج والمشقة عنهم ، واجتهاد الاصوليين في مسألة المصالح ، وذهاب البعض الى تفضيلها على النصوص ان حدث التعارض بينهما ، وتقدير قاعدة تغير الاحكام بتغير الأزمنة والامكنة وعوائد الناس ، ثم ذلك الدور الهام الذي يلعبه « العرف » في التشريع الاسلامي .

هذه العناوين ـ التي نرجو أن تتاح لنا فرصة الغوص وراء كل منها ـ ظلت موضوعات للاجتهاد والجدل الخصب بين أجيال الفقهاء وطبقاتهم قرنا بعد قرن ، حتى تكونت لدينا في صددها حصيلة معرفية ضخمة ، أغنت علم أصول الفقه ، ووضعت بين أيدي الباحثين المسلمين مفاتيح بالغة الاهمية للاستدلال والاستنباط ، مما يبعث دفئا مستمرا في العلاقة بين الشريعة والناس .

حسبنا هنا تأمل « العرف » ، الذي يجسد تلك العلاقة الحميمة في أجلى صورها ، اذ به لاتصبح الشريعة مجرد تلقين هابط من السماء وانما تستمد بعض منابعها من الأرض . ويتجاوز الناس دور المستقبل (بكسر الباء) والمتلقي ، الى دور المرسل والمؤثر ، مما يدحض مقولات الزاعمين بانفصال الشريعة عن الخلق ، وتحليقها في آفاق المثالية المجردة .

ولا يخلو كتاب لأصول الفقه من مبحث حول العرف ، بعدما أخذ مكانه ضمن مصادر التشريع الاسلامي . يستقبل حينا ، ويتداخل مع المصلحة والضرورة في حين آخر . وربما كتاب الشيخ محمد مصطفى شلبي الذي أشرنا اليه هو من أفضل الكتابات المعاصرة التي تناولت هذا الموضوع « بتفصيل وافاضة . يليه في ذلك كتاب استاذنا الشيخ عبد الوهاب خلاف « علم اصول الفقه »

ففي سورة « الاعراف » آية جامعة موجهة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (١٩٩) . . والعفو يطلق في اللغة على خالص الشيء وجيده . وقيل خذ الفضل من أموال الناس (قبل نزول آية الزكاة) ، والعرف المعني هنا هو ما تعارفه الناس من الخير .

وأخذا بهذه القاعدة ، فقد وجدنا لرسول الله احاديث نهى فيها عن أشياء نهيا عاما ، ولما وجد لقومه عادات تخالفها في بعض أفرادها ، استثنى موضع العادة ورخص فيه . من ذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد نهى عن بيع ما ليس عند الانسان في قوله : (يا حكيم بن حزام لاتبع ما ليس عندك) ، ولما قدم الى المدينة ووجدهم يتعاملون « بالسلم » وهو نوع من بيع ما ليس عند الانسان اقرهم عليه بعد أن نظمه . ويذكر البخاري عن ابن عباس أن النبي عندما وجدهم في المدينة يسلمون في

الثمار السنة والسنتين أقر ذلك ، واشترط ان يتم « في كيل معلوم ، ووزن معلوم الى أجل معلوم » .

على هذا النهج مضى الصحابة الذين عاشوا رحلة الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم ، فأقروا الصالح من أعراف الأقوام الآخرين وأفادوا منها ، ومن هذا الباب تم تدوين الدواوين التي كانت معروفة في بلاد الروم وفارس ، وضربت النقود وتم التأريخ بالهجرة ، وطبق نظام الخراج والجزية الذي كان يعمل به كسرى أنو شروان ملك فارس .

ولهذا قال العلماء ، العرف شريعة محكمة . والمعروف عرفا كالمشروط شرطا والثابت بالعرف كالثابت بالنص . والف ابن عابدين رسالة سماها : « نشر العرف فيما بني على الاحكام من العرف » . واستدل العلماء في ذلك بالحديث النبوي : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » (رواه أحمد في سنده) .

وقد بنى الامام مالك كثيرا من أحكامه على عمل أهل المدينة وذاع هذا النهج عن المالكية ، حتى ظهر في الاندلس والمغرب « فقه العمل » ، وعرف العمل الفاسي (نسبة الى فاس) ، والسوسي نسبة الى (سوسة) . وعند الاحناف احكام كثيرة مبنية على العرف . فالعرف هو الحكم اذا اختلف متداعيان ولابينة لاحدهما ، واذا لم يتفق الزوجان على المقدم والمؤخر والمنقول يصح وقفه اذ جرى به العرف . وللشافعي مذهبان قديم وجديد ، من جراء انتقاله من بغداد الى مصر وتغييره لبعض الاحكام لتغير العرف في البلدين .

وغني عن البيان أن العرف المعتبر هنا هو « الحميد » الذي لايتعارض مع النظام العام ، وبالتعبير المعاصر ، وهو العام وليس الخاص ، وهو ما لايهدر النصوص الشرعية الاساسية . □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ماذا يقول العرب في الماء ؟

● يقول الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية : « إذا كان الماء نتنا لا يشرب به أحد فهو (اسن) ، وإذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو (أجاج) . وإذا كان فيه شيء من العذوبة ويشرب به الناس فهو (شريب) ، أما إذا كان دون ذلك في العذوبة ولا يشرب به الناس إلا عند الضرورة أو قد تشرب به البهائم فهو (شروب) ، وإذا كان الماء عذبا فهو (فرات) . وإذا كان سهلا سائغا متسلسلا في الحلق من طيبه فهو (سلسل وسلسال) ، وإذا جمع بين الصفاء والعذوبة والبرودة فهو (زلال) . وهذا قليل من كثير مما أورده الثعالبي في باب الماء .

مفهوم غريب للجهاد !

بقلم : الدكتور محمد عمارة

« ليس الجهاد هو تكفير الناس ، واكراههم بالعصي والخناجر ، فالجهاد كما شرعه رب العزة ، وأوضحه ديننا الحنيف ، وشيوخ فقهنا ، يتسع لمعان أكثر نبلا وفهما ، لجوهر الدين ، ومعناه ، وغايته » .

لأمر ما ـ وهو ليس عبثا ـ توحد في لغتنا العربية المصدر والأصل في « الجهاد » و« الاجتهاد » ، فكلاهما يعني بذل أقصى الجهد ، واستفراغ الوسع في تعيين الموقف الحق ، ونصرته بمختلف السبل والأدوات الحقة ، وفي مختلف الميادين ، وعلى جميع الجبهات .

واذا كان ذلك واضحا ، وشهيرا ، ومتفقا عليه في باب « الاجتهاد » ، فانه صحيح أيضا في تحديد الاسلام للمراد من مصطلح « الجهاد » ، رغم ما يثيره البعض حول هذا المصطلح من غموض ، وابهام يقف به ، عند معنى « القتال » ، أو يعطيه أبعادا تدخل به نطاق « العدوان » !

في (التعريفات) للجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ ـ ١٣٤٠ـ١٤١٣م) نجد معنى « الجهاد » هو الدعاء الى الدين الحق ، أما (معجم الفاظ القرآن الكريم) فانه يذكر أن أكثر ما ورد الجهاد في القرآن ورد مرادا به بذل الوسع في نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها .

لاقهر ولا اكراه

ولقد ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية ، عندما كان « الاجتهاد » ابداعا حضاريا شاملا ، وعندما كان الجهاد « اجتهادا ، بكل السبل والأدوات ، وعلى مختلف الجبهات ، لحماية هذا البناء الحضاري ، وتمكينه من الاشعاع ، كي يكون المنارة الجاذبة الهادية الى صراط الاسلام المستقيم .

والذين يدركون ما يعنيه مصطلح « الايمان » في فكر الاسلام ، وكيف أنه تصديق بالقلب يبلغ مرتبة اليقين ، يعلمون أن ثمرة هذا « الايمان » لابد أن تكون « القدوة » التي تجتذب الغير الى هدى الاسلام ، وأن القوة والقهر والاكراه قد تضيف الى الأمة المؤمنة « منافقين » ، لكنها لايمكن أن تضيف الى هذه الأمة « مؤمنا » يعمر قلبه بالتصديق البالغ اليقين ، ولذلك قال شارع الاسلام في كتابه المبين : (لاإكراه في الدين) .

وهذه « القدوة » ، التي هي ثمرة « الايمان »

وترجمانه ، كما تكون سلوكا فرديا سويا ، تكون تحضرا وابداعا حضاريا ، يترجم عن السلوك الجماعي للامة في ميادين الابداع المختلفة ، فيفعل في عقول الآخرين وقلوبهم مالا تفعله أدوات القهر ، ووسائل القسر ، وعتاد الحرب والقتال ، لاسيما والمطلوب هو الاقتناع والايمان ، وليس استسلام المنافقين ، وطاعة المقهورين .

والذين ينظرون في مبحث الجهاد في تراثنا العربي الاسلامي ـ وخاصة في عصر ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية ـ سيجدون هذه المعاني واضحة ، وليس عليها اختلاف كبير .

لكن عصر التراجع والتخلف والجمود قد اغلق باب « الاجتهاد » ، على حين كانت السلطة والدولة في المجتمع الاسلامي قد غدت احتكارا للترك والمماليك » فاختل التوازن ما بين « القلم و « السيف » ، وبين « العقل » و « القوة » ، وعندما غاب الاجتهاد وبقيت « القوة » التي سميت خطأ « الجهاد » ، شاعت في ذلك العصر تلك المفاهيم التي وقفت بفريضة الجهاد الاسلامية عند « الحرب » و « القتال » ، فانفتح على المسلمين باب الانحراف في فهم المضمون الحقيقي لفريضة « الجهاد »

مفهوم عجيب غريب

وفي عصرنا الحديث ، اذا نحن ذهبنا نتصفح مذاهب اعلام اليقظة الاسلامية في معنى « الجهاد » وجدنا للاستاذ أبو الاعلى المودودي (١٣٢١-١٣٩٩هـ -١٩٠٣-١٩٧٩م) في هذا الامر مذهبا « جديدا » ، بل لانغالى اذا قلنا انه مذهب « غريب » و « عجيب » ،والأغرب والأعجب هو شيوع هذا المذهب لدى كثير من فصائل المد الاسلامي المعاصر ، وخاصة في صفوف الشباب ،

الاستاذ المودودي يتفق مع جمهور علماء الأمة على أن نشر الاسلام « كعقيدة »لاسبيل له الا الحكمة ، والقدوة الطيبة ، والحجة القوية ، والموعظة الحسنة فالايمان بالاسلام ـ كما قدمنا ـ تصديق بالقلب ، يبلغ مرتبة اليقين ، ولاسبيل لقيامه وتحصيله بأي سبيل من سبل الاكراه ، على الاخص اذا كان هذا الاكراه قتالا باسم الجهاد ، واذا كانت الآية الكريمة (لااكراه في الدين) تعني التشريع الالهي الأمر بذلك ، فاننا نفهم منها أيضا تقرير حقيقة استحالة تحصيل الدين والتدين بالاكراه .

في هذا الموقف الذي يرفض قتال الكفار كي يؤمنوا ، يتفق الاستاذ المودودي مع جمهور علماء الاسلام لكنه ـ وان أنكر قتال « الشعوب » غير المسلمة كي تؤمن بعقيدة الاسلام ـ يدعو الى قتال كل « النظم والحكومات » التي تحكم البلاد غير المسلمة ، لتحرير بلادها وشعوبها من طغيانها وطاغوتها ، وازالة قيود هذه النظم والحكومات عن حرية شعوبها في الاختيار الحر بين عقيدة الاسلام وعقائد الديانات الأخرى،ذلك هو جوهر المذهب الغريب العجيب.

انه يرى في ضوء هذه النظم والحكومات غير الاسلامية تكريسا لحكم الطاغوت ، ودعما للحاكمية غير الالهية ، فيضع أمام المسلمين مهمة الجهاد وفريضته في صورة مجاهدة كل نظم الدنيا وحكوماتها ، بكل الوسائل المناسبة واللازمة والمتكافئة ـ بما فيها القتال المسلح ـ وذلك من أجل الاستيلاء على هذه الحكومات ، واقامة حكم الشريعة الاسلامية في كل اقطار الأرض ، ثم ترك حرية الاعتقاد للشعوب ، تتدين بالاسلام أو تظل على عقائدها بعد تحريرها من طاغوت النظم والحكومات غير الاسلامية ، أي أنه ـ باختصار ـ يوجب على المسلمين ـ بفريضة الجهاد ـ السعي لحكم العالم ، وجعل كل الحكومات بيد المسلمين ، دون اكراه الشعوب غير المسلمة على اعتناق الاسلام ! . .

أما أفكاره ونصوصه التي صاغ فيها هذا الرأي،ولم يسبقه اليه أحد من أعلام الصحوة الاسلامية فكثيرة ، منها :

* « ان الاسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة ، وإن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم ، بل الاسلام فكرة انقلابية ، ومنهاج انقلابي ، يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ، ويأتي ببنيانه من القواعد ، ويؤسس بنيانه من جديد ، حسب فكرته ومنهاجه العملي

* « ان مجرد وجودنا لابد أن يكون تحديا صريحا لأية حكومة غير اسلامية ، سواء تحملت وجودنا هذا أو لم تتحمله ، وسواء أمكن التعامل والتعاون مع غير

المسلمين أو لا ، واذا كان نظام الاسلام وحده هو الحق وكل نظام سواه باطل فلا مفر على الاطلاق من تعميم نظامه ، وتغليبه في الأرض ، وتقويض النظم الاخرى والاطاحة بها

* ان غاية « الجهاد في الاسلام » هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه واقامة حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام في مكانها ، واستبدالها بها ، وهذه المهمة ـ مهمة إحداث انقلاب اسلامي عام ـ غير منحصرة في قطر دون قطر ، بل ما يريده الاسلام أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة ، الا أنه لامندوحة للمسلمين أو « أعضاء الحزب الاسلامي » عن الشروع في مهمتهم ، باحداث الانقلاب المنشود ، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها ، أما غايتهم العليا وهدفهم الاسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل ، فالاسلام يتطلب الارض ، ولايقنع بقطعة أو بجزء منها ، انما يتطلب ويستدعي المعمورة كلها ، وتحقيقا لهذه البغية السامية يريد الاسلام أن يستخدم جميع القوى والوسائل التي يمكن استخدامها لاحداث انقلاب عام شامل ، ويسمى هذا الكفاح المستمر « الجهاد » .

هجوم ودفاع

« إن ما اصطلحوا عليه اليوم من تقسيم القتال إلى الهجومي والدفاعي لا يصح إطلاقه على الجهاد الاسلامي البتة ، وإنما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية الوطنية فقط ، أما الجهاد الاسلامي فهو هجومي ودفاعي معاً ، هجومي لأن الحزب الاسلامي يضاد ويعارض الممالك القائمة على المبادىء المناقضة للإسلام ، ويريد قطع دابرها ، ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك ، وأما كونه دفاعيا فلأنه مضطر إلى تشييد المملكة وتوطيد دعائمها ، حتى يتسنى له العمل وفق برنامجه وخطته المرسومة » .

* « والاسلام لا يريد من وراء تقويض النظم والحكومات غير الاسلامية ، ومن إحلال نظامه وحكومته محلها أن يكره من يخالفه في الفكرة على ترك عقيدته ، والإيمان بمبادىء الاسلام ، وإنما يريد الحزب الاسلامي أن ينتزع زمام الأمر ممن يعتقدون بالمبادىء والنظم الباطلة ، حتى يستتب الأمر لحملة لواء الحق ، ولا تكون فتنة ، ويكون الدين لله إن غاية القتال ليست رجوعهم مؤمنين واتباعهم دين الحق ، بل القضاء على نفوذهم وسطوتهم ، فلا يكونوا حكاماً وأولي أمر في الأرض ، لأن سلطان الحكم والقيادة ومقاليد نظام الحياة على وجه الأرض يجب أن تكون في أيدي المؤمنين وحدهم الذين يتبعون دين الحق ، أما من هم دونهم فيعيشون تابعين لهم ومطيعين ، إن (لا إكراه في الدين) معناها أن الاسلام لا يكره أحداً على قبول عقيدته كرهاً ، كما أنه لا يفرض عليه عباداته جبراً ، لأن العبادات لا معنى لها دون إيمان متين بها ، فالاسلام يعطي كل انسان الحرية في هذين الأمرين ، لكن الأمر الذي يرفضه بشدة أن تكون قوانين المجتمع التي يقوم عليها نظام الدولة مستمدة من مصدر آخر سوى شريعة الله ، وإن كان لا محالة من تدخل أي الفريقين في دين الآخر ، فإن المسلمين إن لم يتدخلوا في دين الكفار فإن الكافرين سوف يتدخلون حتماً في دينهم ، وتكون النتيجة أن مذهب الكافرين سوف ينشر مظلته على قطاع كبير من حياة المسلمين ، ولهذا يطالب الاسلام أتباعه أن يتقدموا ويستولوا على مقاليد نظام الحياة ، بدلاً من أن يحدث ذلك من جانب الكافرين ، ثم يشرعوا بعد ذلك في معاملة غير المسلمين ، في ميدان العقائد والعبادات ، بما تقتضيه آية (لا إكراه في الدين) » .

تلك هي نصوص المودودي وصياغاته ، المعبرة عن أفكاره الرئيسية في قضية « الجهاد »

١ ـ فالصراع بين الكفر والاسلام حتمي ، وإذا لم يتدخل الاسلام في دين الكفر ، تدخل الكفر في دين الاسلام ، فعلى الاسلام أن يبادر بالتدخل .

٢ ـ والاسلام فكرة انقلابية عالمية تطلب كل الأرض وكل الأقطار وجميع الحكومات .

٣ ـ وعلى المسلمين بناء دولتهم الاسلامية ، ثم الانطلاق مجاهدين بكل الوسائل ، وبجميع أسلحة القتال ، لإزالة كل حكومات الدنيا ونظمها ، وإقامة الحكومات الإسلامية ، وحاكمية الشريعة الإسلامية ، في كل أرجاء الدنيا .

٤ ـ أما عقيدة الإسلام وعباداته فلا يجبر عليها أحد ، لأنه (لا إكراه في الدين) .

وباختصار ، فالجهاد الإسلامي دفاعي وهجومي ، بكل السبل والوسائل ، وغايته أن يحكم المسلمون العالم بشريعة الإسلام ، مع ترك التدين بعقيدة الإسلام والتعبد بعباداته للحرية والاختيار . ! . . .

نقد وليس محاكمة

لا نود محاكمة رأي الأستاذ المودودي في هذه القضية إلى آراء الفقهاء المسلمين ، في « دفاعية » الجهاد الإسلامي أو « هجوميته » ، وفي نطاقه من حيث « العالمية » ، أو ما هو دون « العالمية » ، وذلك لأسباب ثلاثة ، أولها ، أن اجتهادات الفقهاء القدماء ليست هي منطلق الأستاذ المودودي حتى نحاكم أفكاره هذه إلى تلك الاجتهادات،وهو يصرح ـ ومعه الحق ـ بأن هذه الاجتهادات القديمة غير ملزمة للاحقين ، وثانيها : أن الجهاد فريضة سياسية إجتماعية ، والاجتهاد فيها وثيق الصلة بالزمان والمكان والملابسات ، ومن ثم فإن الطبيعي والأوفق هو محاكمة فكرها ، والاجتهاد فيها ، إلى « مصلحة الأمة » في الزمان والمكان والملابسات التي يتم فيها هذا الاجتهاد ، وثالثها : أن الأستاذ المودودي قد صاغ فكره هذا في ظروف سياسية وحضارية محددة ، عاشها الرجل وجماعته الاسلامية ، وهذه الظروف هي التي لعبت ـ مع طبيعته في الصياغة لأفكاره ـ الدور الأول في مجيء أفكاره هذه على هذا النحو .

أ ـ أقلية إسلامية ، تتعرض قوميتها لخطر السحق والتشويه من قبل القومية الكبرى للهندوك .

ب ـ غياب وحدة الإدارة والتنظيم عن هذه الأقلية الإسلامية ، الأمر الذي يزيد مخاطر ذوبان قوميتها الحضارية في بحر الأغلبية الهندوكية .

جـ ـ وهيمنة عالمية للاستعمار الغربي وحضارته المادية على مقدرات المسلمين ، وأوطانهم ، وعزل لنسقهم الفكري عن أن تكون له الحاكمية في الدولة والمجتمع ، وطرائق المعيشة وفلسفة الحياة .

وأمام هذا الكابوس الرهيب لجأ الأستاذ المودودي إلى تكثيف الطاقة التي يشحن بها الأمة ، حتى تستطيع تجاوز اليأس القاتل ، ومواجهة المهام الصعبة ، والصمود في وجه التحديات الجسام .

هذيان الضعفاء

لكننا نعتقد أن الأستاذ المودودي قد تجاوز النطاق « المشروع ، والمفيد » بهذه الصورة الغريبة التي رسمها لمهام الجهاد الإسلامي ، ففي ظل الواقع الملموس ، وعلاقات القوى الراهنة ، وما لدى « حكومات الكفر » من أسلحة الدمار الشامل ، والجيوش الجرارة ، والطاقات الصناعية والزراعية ، ووسائل التجسس ، قد ينظر بعض الناس إلى تكليف المسلمين بهذا « الواجب » على أنه نوع من « هذيان الضعفاء » ، أما نحن فنقول : إن الأستاذ المودودي قد أراد أن يشحن عزائم الأمة بالكبرياء التي تتكفل باحياء روحها الخلاقة ، وتفجير طاقاتها المبدعة ، كي تصمد للتحديات ، وتجعل من إسلامها طوق النجاة من المخاطر التي تهددها بالمسخ والنسخ ، والتشويه ، فالغاية نبيلة ، والهدف مشروع ، لكن الرجل قد أخطأ الطريق ، وذلك لأننا نعتقد أن تجديد الفكر الإسلامي بالعقلانية الإسلامية المستنيرة التي تعيد عقد القران بين أصول الشريعة ومبادئها ومقاصدها ، وبين الواقع الجديد الذي تعيشه الأمة ، وصياغة المشروع الحضاري الاسلامي الذي يتكفل بنهضة هذه الأمة ، وإحيائها نداً للنماذج التي صاغت نهضتها وفق فكرية الحضارة الغربية .

إن تجسيد الاسلام السياسي والحضاري في دولة اسلامية قوية ومتقدمة ينهض كمنارة للجهاد الاسلامي الدائم ، تجذب الشعوب الاسلامية أولاً الى ساحة الجهاد الأكبر ، المتمثل في النهضة والتقدم وفق روح الإسلام ، ومقاصد شريعته ، كما سيكون هذا « النموذج الإسلامي المتحضر » مركز جذب لكل شعوب الدنيا ، يعلن رجحان كفة « البديل الإسلامي » في « خيار الحضارات » ، وعلينا أن نتأمل ونتمهل ونحن نجيب عن هذا السؤال :

أي السبيلين سيجذب الشعوب الأخرى إلى الإسلام : أن يحارب المسلمون حكومات هذه الشعوب ؟ أم أن يقف المسلمون بجهادهم عند تحرير بلادهم ، وحماية أوطانهم ، وضمان الحرية لدعوتهم ودعاتهم ، وبناء « بديلهم الحضاري » ، الذي يغري الآخرين بما يمثل من ميزات ؟ . .

حكمة التعددية

إن شن الحرب على الحكومات الأخرى - حتى لو حلمنا وتخيلنا إمكان حصوله - سيجلب على الإسلام وأهله ودوله عداء شعوب تلك الحكومات ، الأمر الذي سيباعد بينها وبين سبل التفكير في الإقبال على عقيدة الإسلام ، فليس غير سبيل تحرير الأوطان الاسلامية ، وتحويلها - بالاسلام المتجدد - إلى منارة حضارية ، يحميها الجهاد الإسلامي ليصل إشعاعها إلى كل أرجاء المعمورة ، عبر العقول والقلوب ، بواسطة الحرب والقتال ، ليس غير هذا السبيل سبيلاً لإمامة الإسلام الحضارية التي ينشدها الإسلاميون .

ثم لماذا تغيب عنا حقيقة أن حكمة الله وإرادته قد شاءت للإنسانية « التعددية » . وليس « وحدة النموذج والاعتقاد والشريعة » ؟ ! (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) . . (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) . . . إن مفسري القرآن الكريم ، قد أدركوا - في وقفتهم أمام هذه الآيات وأمثالها - أن حكمة الله وإرادته هي في « التعددية » ، فسعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥هـ ، ٦٦٥ - ٧١٤م) ، ومجاهد بن جبر المكي (٢١ - ١٠٤هـ ٦٤٢ - ٧٢٢م) ، والحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ ٦٤٢ - ٧٢٨م) ، ومقاتل بن سليمان (١٥٠هـ ٧٤٤م) ، وعطاء بن دينار (١٢٦هـ ٧٤٤م) ، والقرطبي (٦٧١هـ ١٢٧٣م) - صاحب (الجامع لأحكام القرآن) يقولون في تفسيرها : « ان الشرعة والشريعة هي : الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة . والمعنى أن الله جعل التوراة لأهلها ، والإنجيل لأهله ، والقرآن لأهله ، وهذا في الشرائع والعبادات ، والأصل التوحيد لا خلاف فيه ، ولقد جعل الله الشرائع مختلفة للاختيار ، فهو سبحانه للاختلاف خلقهم » .

ولقد يكون مفيداً أن نُذكِّر ، في هذا المقام ، بما قاله الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) عن أهداف الجهاد الإسلامي ، في ذات العصر والظروف التي عاش فيها المودودي ، قال :

« لقد فرض الله الجهاد على المسلمين ، لا أداة للعدوان ، ولا وسيلة للمطامع الشخصية ، ولكن :

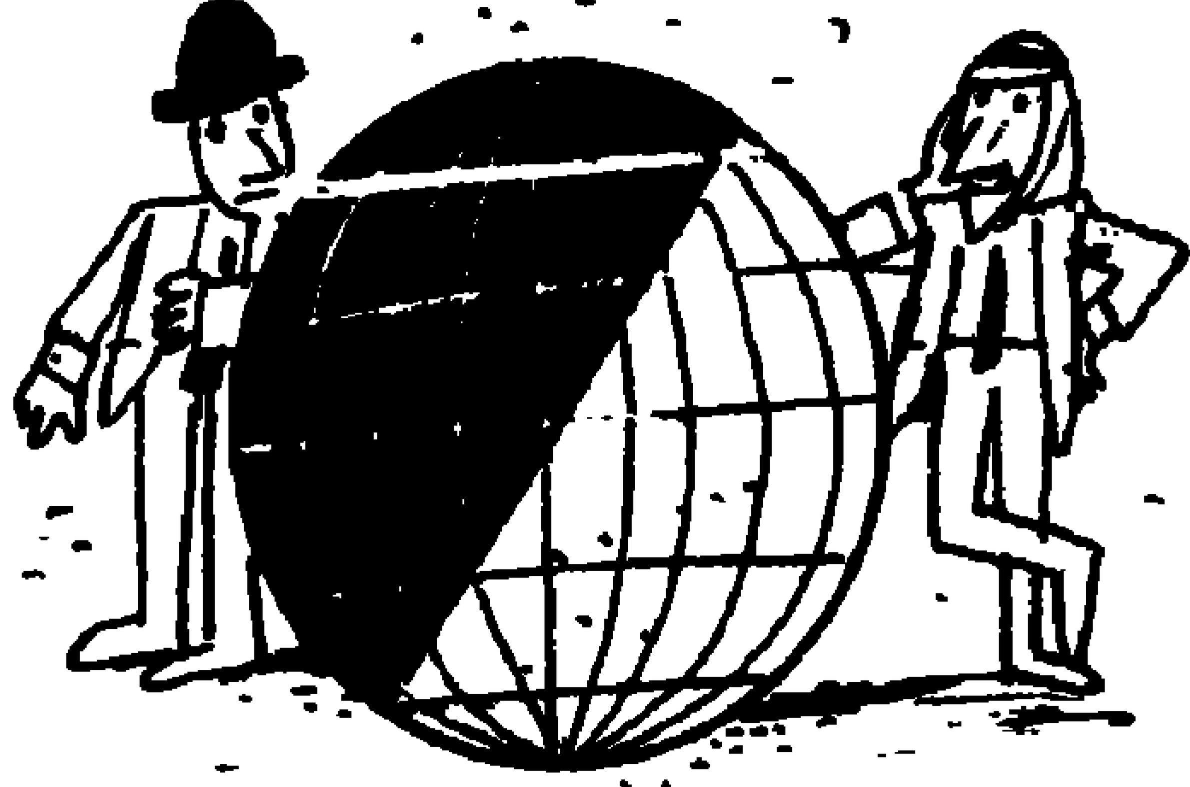
* حماية للدعوة .
* وضماناً للسلم .
* وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل » .

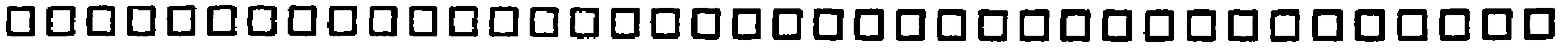
وأن الإسلام كما فرض القتال أشاد بالسلام ، فقال تبارك وتعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) . . . » .

فحماية الدعوة الإسلامية ، وضمان السلم لأوطان الإسلام ، وحرية الدعاة في ابلاغ صوت الإسلام إلى عقول الناس وقلوبهم هي مهام القتال في سبيل الله ، إن « الفكر الإسلامي » الخلاق ، وتجسيد هذا الفكر في « الدولة الإسلامية النموذج » هو الجهاد الأكبر للمسلمين في هذا العصر الذي نعيش فيه ، وتحقيقاً لهذا الهدف للمسلمين ، عليهم أن يسلكوا كل السبل الملائمة سلما كانت تلك السبل أو قتالاً .

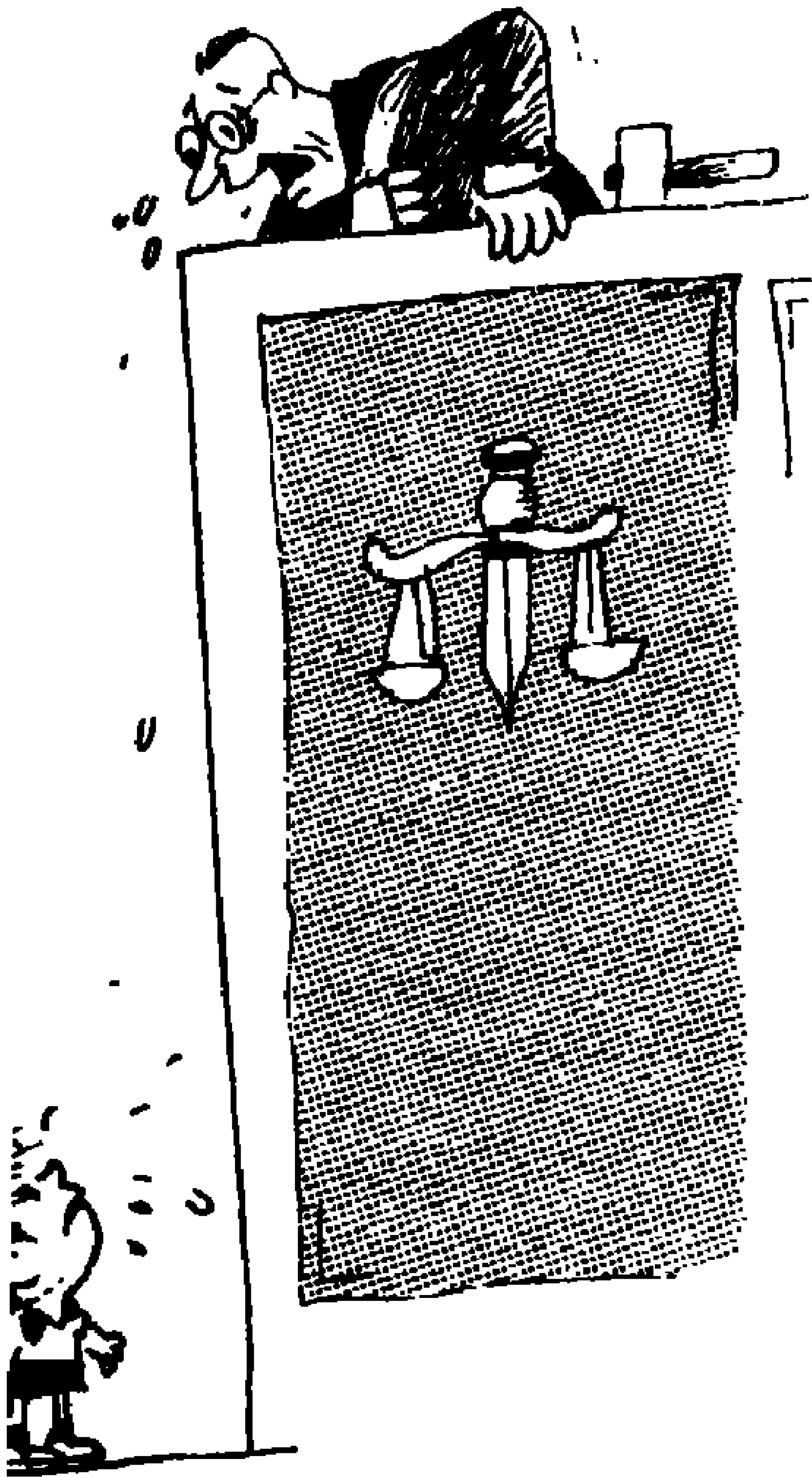
وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى رسوله ﷺ ، دينا لا ترقى إلى مقام حكمته وعقلانيته واتساق عقيدته وشريعته أي من الديانات التي حرفها الأحبار والرهبان ، ثم طلب إليه أن يقول لمخالفيه : (لكم دينكم ولي دين) . . فعلينا أن نجاهد لإقامة الوطن الإسلامي الذي يفوق أوطان الآخرين في القوة والحضارة والتقدم والاستنارة ، ثم نقول لهؤلاء الآخرين : لكم دولتكم ، ولنا دولتنا ، وليكن الابداع والعطاء الحضاري ، والتنافس في سبل التقدم الإنساني هي معايير الترجيح بين النماذج الحضارية ، كما هو الحال بين الشرائع والأديان ، (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) . □

حكايات شرق وغرب





عندما بكى القاضي



كان والده هو مَثَله الأعلى ، شأنه في ذلك شأن أي طفل آخر ، فهو لايمكن أن يخطىء ، ولايمكن أن يرتكب شيئا . . ولكن الأب في واقع الأمر كان لصا كبيرا . . لقد انفصل الوالد « آرنستو سري » عن زوجته وأم طفله « دانيل » بالطلاق ، وحمل الرجل ابنه ليعيش معه ، لأن بينهما صداقة قوية دفعت الطفل الى التعلق بأبيه ، ورفض أية محاولة للتفرقة بينهما ولو لبضعة أيام ، عندما كانت الأم تحن لرؤ ية ابنها . .

حتى عندما طردهما صاحب البيت بعد عجز الأب عن دفع الايجار ، رفض الطفل أن يفترق عن أبيه ، وفضل أن ينام معه في سيارته ، على أن يعود الى أمه ، وكان يقول كلما ألحوا عليه بالذهاب الى بيت والدته : « ان الحياة جميلة طالما انني أعيش مع أبي !

ورأى الأب أن ينتقل هو وابنه للحياة في مدينة أخرى . . . . الى مدينة فلورنسا بايطاليا ، بعيدا عن مدينة كاليجارى التي كان يعيش فيها مع ابنه من قبل ، والتي كانت مسرحا لجرائم السرقة التي كان يرتكبها ، دون أن يقع مرة واحدة في قبضة رجال البوليس .

ولكن الأب ما لبث أن اكتشف أن المال يعوزه حتى بعد أن باع سيارته ليسدد بها ديونه ، فقرر أن يعود الى السرقة ولو لمرة واحدة ، حتى يستطيع أن يدفع ثمن تذكرتي القطار الى فلورنسا .

وشاء سوء حظه أن يقع في أيدي البوليس هذه المرة ، وقدم للمحاكمة ، وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر . . وسمع الطفل « دانيل » الصغير القاضي وهو ينطق بالحكم ، فأسرع يتجه الى منصة القضاء ويقول وهو يبكي بحرقة ، : « لقد كنت مع أبي وهو يسرق . . أنا أيضا سرقت ، ولابد أن تحكموا علي بالسجن مثله . . انني أريد أن أكون معه في أي مكان .

وبكى القاضي وهو يستمع الى حديث الطفل البرىء ، واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم نظر الى الأب ، وقال : « غدا سنعيد النظر في هذه القضية » !

وامتلأت قاعة المحكمة بالحضور في اليوم التالي ، وجاء دور قضية آرنستو ، ونطق القاضي بالحكم الجديد : « وقد رأت المحكمة وقف تنفيذ الحكم ، ووضع الأب تحت المراقبة !

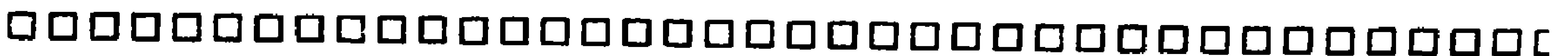
ومن وراء القضبان ذهب الطفل وأبوه في عناق طويل . .

أرخص طريقة للرحيل



● احتدم الخلاف بين الزوجين ، ونشبت بينهما معركة ، مالبث أن ترك الزوج على أثرها البيت ، وهو لايدري على وجه التحديد أين يمكن أن يمضي الليلة في هذا الجو البارد الذي هبطت فيه درجة الحرارة الى عشرين درجة تحت الصفر !

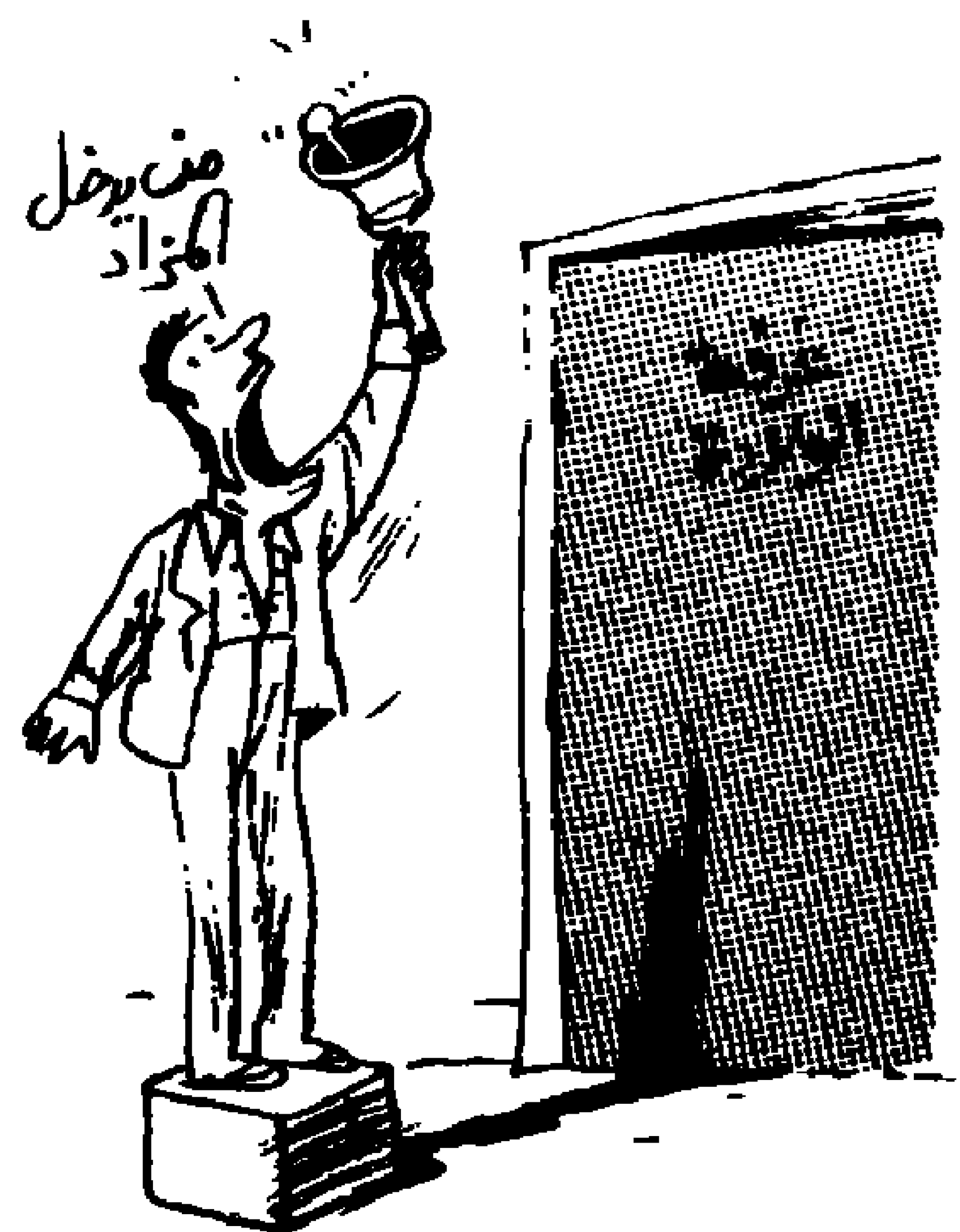
وراح الزوج يضرب في شوارع مدينة فيينا عاصمة النمسا على غير هدى .. وأخيرا استقر به المطاف في احدى الحدائق العامة ، وغلبه النعاس ، فقرر أن ينام فوق احدى الأرائك ، ولكنه قبل أن يفعل ، أمسك بقلمه وراح يسجل بضعة سطور في مفكرته الصغيرة ، ثم ما لبث أن أغمض عينيه واستسلم للنوم ! وهطلت الثلوج بغزارة حتى غطت جسمه كله ، وعندما جاء الصباح عثر عمال الحديقة على الزوج وقد تجمد من البرد وفارق الحياة .. وعندما بدأوا يبحثون في جيوبه عن شيء يمكن أن يقودهم الى معرفة شخصيته ، عثروا على المفكرة التي سطر فيها بعض كلمات قبل أن يذهب في نومته الأخيرة .. كتب يقول : انني مفلس ، وقد وجدت أن هذه هي أرخص طريقة للرحيل عن هذه الدنيا !!



طفل للبيع في الدانمارك

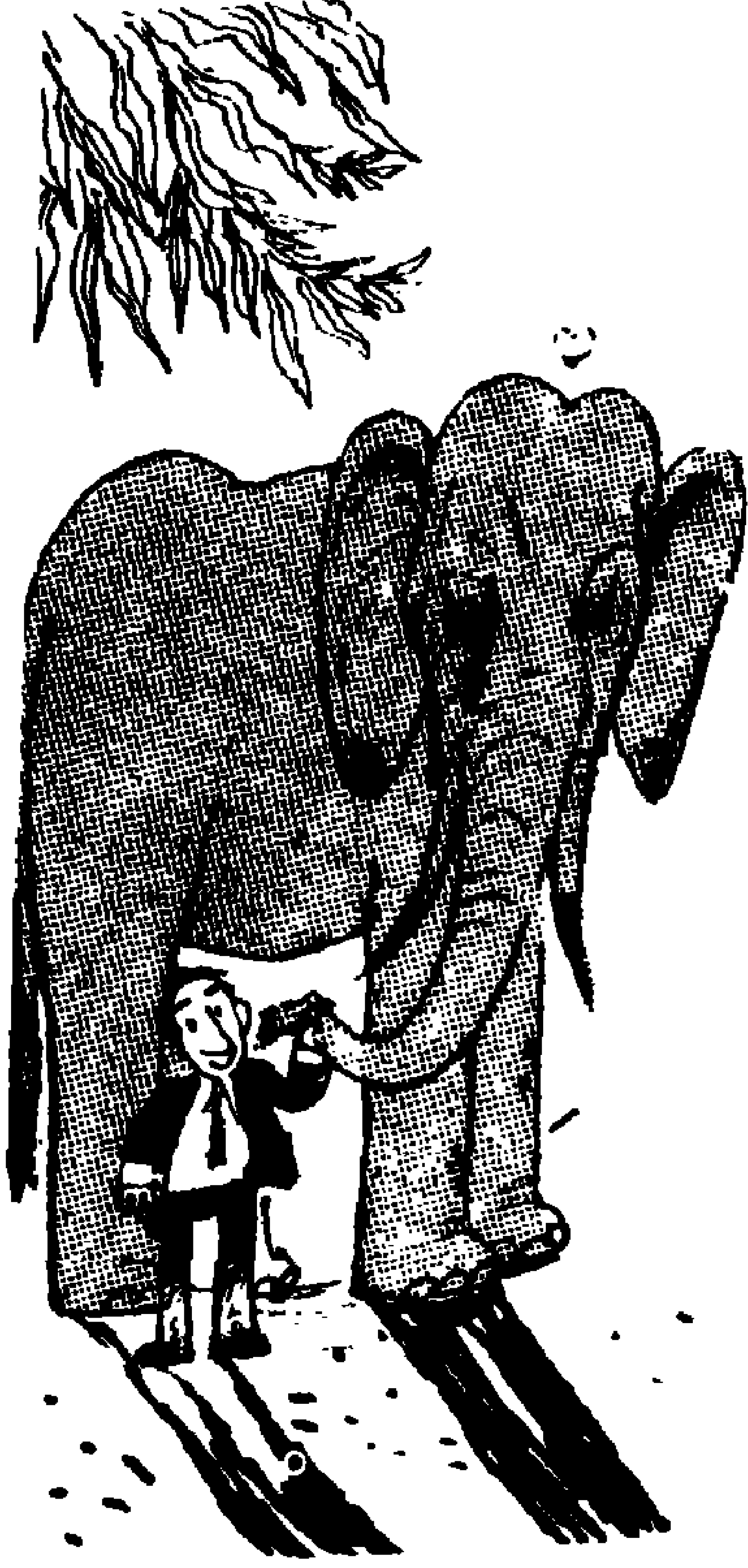
● أثارت سيدة دانمركية عاصفة من الاستنكار ، عندما وضعت اعلانا صغيرا في صحف كوبنهاجن تعرض فيه بيع طفلها الذي لم يولد بعد ، بمبلغ يوازي عشرة آلاف جنيه استرليني !!

ولكن السيدة وتدعى « هيلا نلسون » لم تبال باصوات الاستنكار ، ووقفت في تحد تقول : « نعم انني أريد أن أبيع طفلي .. انني لست أول أم تبيع طفلها .. لقد شاهدت مسلسلا في التلفاز بعنوان « داينستي » تبيع فيه احدى الأمهات طفلها .. ولكن الواقع ان الفكرة طرأت لي حتى قبل أن أشاهد هذا المسلسل ، أو عندما اكتشفت أنني حامل ، فقد فكرت في بادىء الأمر في القيام بعملية اجهاض للتخلص من الجنين .. فأنا أم لثلاثة أطفال ، أكبرهم في السادسة ، وأصغرهم لم يكمل عامه الأول بعد .. لقد بحثنا الفكرة أنا وزوجي مايكل ، ووصلنا في النهاية الى هذا القرار ، وهو أفضل بكثير ، كما ترون ، من التخلص من الطفل قبل أن يكتمل نموه ! انني لاأبحث عن المال بقدر ما أنا حريصة على أن ينشأ طفلي بين أبوين يمكن أن يقدما له كل الحب والرعاية .. ان هناك الكثير من الزوجات اللواتي حرمن من الانجاب ، وقد رزقني الله بثلاثة أطفال ، فلماذا لاأقدمه لاحداهن .. أنا أعلم أنه سيكون طفلا جميلا ، وسوف يصل في شهر ابريل المقبل !



ترى ما هو حكم القانون الدانمركي في تصرف هذه الأم ؟ لاشيء ، فقد أعطى القانون الآباء الحرية التامة في تصرفاتهم ازاء المواليد !!

« باتير » يتكلم
ويبحث عن عروس »



● منذ ثلاث سنوات حملت الصحف السوفيتية خبرا عجيبا نشرته على صفحاتها الأولى تحت عناوين عريضة تقول : « باتير يتكلم ! وباتير هو الاسم الذي اختاروه لفيل صغير جاء من الهند ليسكن في حديقة الحيوان باحدى مدن جمهورية كازاخستان .

ولم يصدق الناس الخبر في البداية ، لكنهم ما لبثوا أن اكتشفوا الحقيقة عندما بدأوا يتوافدون على الحديقة ، ويستمعون الى « باتير » وهو يتحدث مع السيدة يلينا بيلوسوفا المشرفة على قسم الحيوانات بالحديقة ، ثم ينصتون الى روايتها وهي تحكي لهم كيف سمعت صوت « باتير » وهو يحدثها لأول مرة - بالروسية طبعا - طالبا جرعة من الماء ! قالت يلينا : لقد خرجت كلماته بوضوح أذهلني ، فأسرعت أحمل اليه الماء ليروي ظمأه .

وكانت يلينا تجد متعة في الحديث عن حياة باتير الذي بلغ العام السادس عشر من عمره الآن ، فتمضي في رواية قصته لكل من يجيء الى الحديقة سائلا مستفسرا . لقد أشرف حراس حديقة الحيوان على تربيته منذ أن حملوه اليها بعد ولادته في الهند ، وكانوا يتحدثون معه وهم يقدمون اليه الغذاء ويغسلون جسمه بالماء ، ولايفوتهم بعد ذلك أن يداعبوه ويمزحون معه . الى أن جاء اليوم الذي بدأ فيه باتير يتكلم ، وكان ذلك منذ ثلاث سنوات ، ومازال الكلام يخرج من فمه حتى اليوم ، وهو يضع خرطومه في فمه ثم لايلبث أن يخرجه ، ومع خروج الخرطوم تخرج الكلمات التي حفظها « باتير » على مدى السنوات التي عاشها بين أصدقائه الذين يقومون بحراسة الحيوانات ورعايتها ، ان صوته عندما يتكلم أشبه ما يكون بصوت الانسان الذي يضع على فمه فنجانا !

ولكنه قليل الكلام ، ولذلك فقد رأت ادارة الحديقة أن تضع جهاز تسجيل قريبا منه ، ليسجل كل كلمة يقولها عندما يخلو بنفسه بعيدا عن عيون الزائرين ، لكنه قرر في احدى المناسبات أن يخرج عن صمته أمام الناس ويتكلم ، وكان الزائرون مجموعة من الاطفال الذين جاءوا في صحبة والديهم الذين ما كادوا يستمعون الى حديثه القصير حتى استبد بهم الذهول !

المهم أن باتير الآن يبحث عن « رفيقة » تشاركه حياته في الحديقة ، وتستمع اليه وهو يتكلم ، وقد بدأ البحث بالفعل عن انثى رقيقة تؤنسه في وحدته ، ولكن لابد أولا من تخليصه من الآلام التي يعاني منها بسبب التسوس الذي أصاب أحد نابيه ، سوف يتصل المسؤولون بموسكو - على بعد الفين وخمسمائة ميل - لارسال اختصاصي بيطري في علاج الاسنان ، وهو في حاجة الى مخدر حتى لايشعر بالألم وهم يحفرون نابه الكبير لحشوه بالبلاتين !

حيلة وحيلة !

بقلم : الدكتور عبدالسلام العجيلي

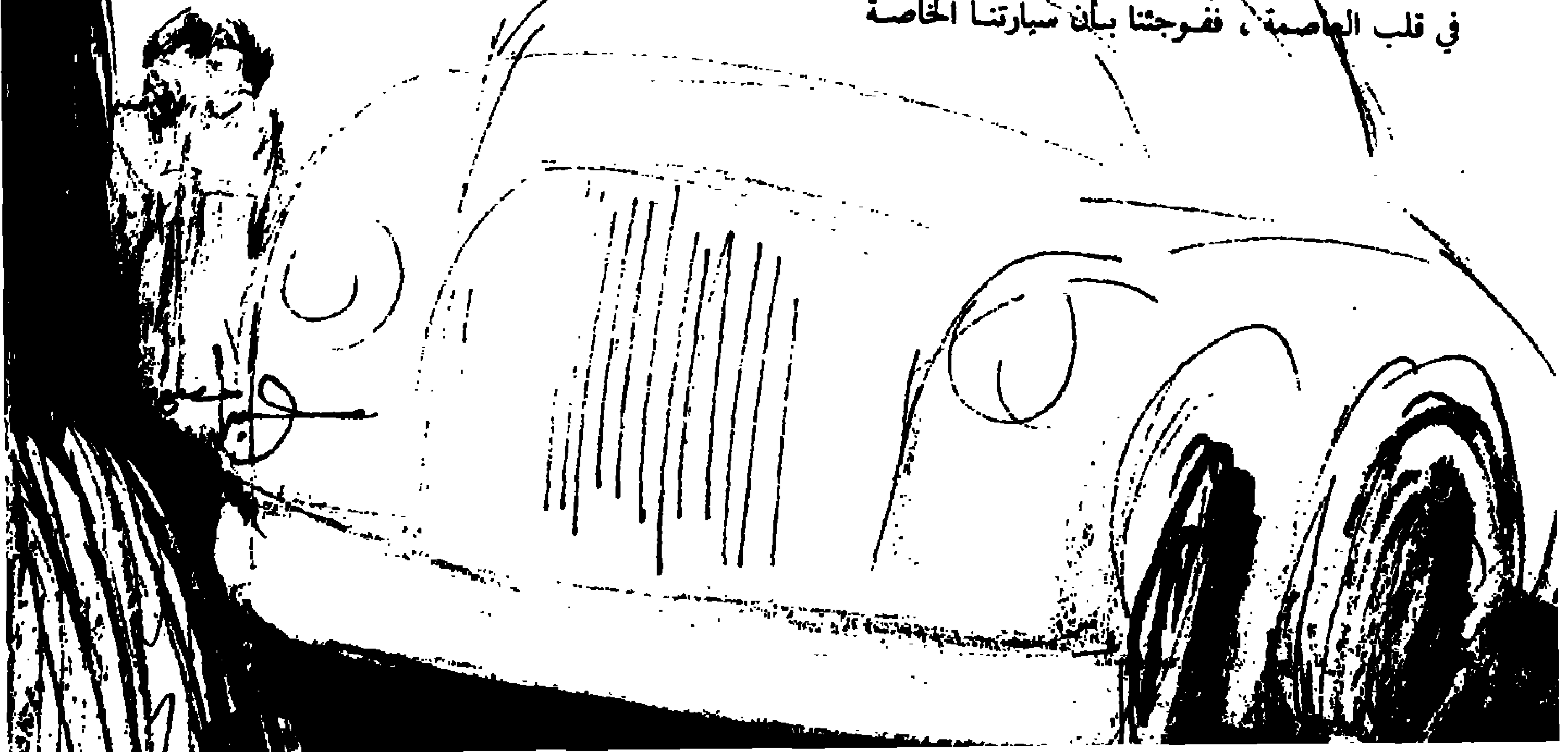
طويت الصحيفة التي كنت أقرؤها وأنا أبتسم ، فقال لي صديقي :

- كأنك قرأت ما سرّك وأضحكك ، هل في الصحف هذه الأيام ما يدعو الى الابتسام ؟

قلت : كنت أقرأ تحقيقا عن السرقات في فرنسا في العام الفائت ، فأضحكتني حكاية سرقة منها ، نكاد نغتفر أحيانا للسارق جرمه لطرافة أسلوبه في ارتكاب هذا الجرم .

قال : هذا اللص الذي أعجبك أسلوبه في السرقة ماذا فعل ؟ ارو لي حكايته ، فقد أعطيك الحق فيما تقول .

قلت : ليس لصا واحدا ، بل مجموعة لصوص على ما يبدو . والحكاية يرويها ضحيتها لرجال الشرطة الذين جاءوا يحققون في سرقة منزله ، قال لهم : أسكن أنا وزوجتي وحيدين ، في هذا المنزل في هذه الضاحية من ضواحي باريس ، منذ أربعة أيام خرجنا أنا وامرأتي في الصباح من دارنا لنتجه إلى مقر عملنا في قلب العاصمة ، ففوجئنا بأن سيارتنا الخاصة ليست حيث تركناها في الشارع أمام الباب ، سرقت ، اضطررنا الى التوجه إلى عملنا بسيارة أجرة أوصلتنا الى أقرب محطة مترو ، أبلغنا البوليس بالسرقة ، وعدنا في المساء الى بيتنا « بالمترو » ثم بسيارة أجرة ، كان ذلك أمرا مزعجا ، على الرغم من علمنا بأن خسارتنا فيه ستكون محدودة ، لأن شركة التأمين ستعوضنا عنها ، وماكان أشد دهشتنا حين خرجنا من الدار في صباح اليوم التالي ، فوجدنا سيارتنا نفسها أمام الباب في موقفها المعهود ، تفقدناها فاذا هي في أحسن حال ، نظيفة المقاعد ، لم ينقص منها برغي واحد ، ورأينا على المقعد الأمامي ، في مكان جلوس السائق مظروفا فتحناه فوجدنا فيه ورقة مكتوبة بهذه الكلمات : نشكرك أيها السيد ، ونعتذر إليك عن اضطرارنا لاستخدام سيارتك لليلة





واحدة ، نحن شباب من الضاحية القريبة ، وكنا بحاجة إلى سيارة تنقلنا إلى حفلة يقيمها أصحاب لنا في قرية تبعد قليلا عن مساكننا ، كانت حفلة رائعة ، ما كان في إمكاننا أن نستمتع بها لولا استعارتنا لسيارتك ، كتعويض عن إزعاجنا لكما أنت والسيدة زوجتك ، نرجوكما أن تتقبلا منا هاتين البطاقتين لحفلة الباليه في أوبرا باريس مساء الأحد القادم ، معذرة مرة أخرى ، وتمنياتنا لكما بسهرة طيبة . . .

قال الرجل في افادته لرجال البوليس : من كل قلبينا أنا وزوجتي ، غفرنا لأولئك الشباب ازعاجهم لنا في سرقتهم أو استعارتهم سيارتنا ، لولم نغفر لهم لعباراتهم المهذبة في رسالتهم لكان علينا أن نفعل لغبطتنا بالحصول على مقعدين في الأوبرا لباليه تعرض في باريس في عز الموسم ، من يستطيع أن يحصل على مثل هاتين البطاقتين إذا لم يقم بحجزهما قبل شهرين أو ثلاثة من موعد الحفلة ؟ وهكذا تركنا منزلنا في الضاحية منذ عصر يوم السبت ، وقصدنا حي الأوبرا في سيارتنا هذه المرة ، مرتدين أنا وزوجتي ثياب السهرة التي يحتمها مقعدانا المحجوزان لنا في صفوف الصالة المتقدمة . كانت حفلة رائعة ملأت متعتنا بها نفسينا امتنانا لهؤلاء الشباب الذين أتحفونا بها . تناولنا وجبة عشاء مابعد الحفلة في أحد المطاعم الجميلة على صفاف السين ، قبل أن نستقل سيارتنا من جديد عائدين الى هذه الضاحية ، وبلغنا منزلنا ، فأدهشنا أن نجد بابه غير مقفل ، وكنت متأكدا من أني أقفلته حين تركناه عند الأصيل ، وكانت دهشتنا أكبر ، وكان ارتياعنا كذلك ، حين اشعلنا الانوار فوجدنا دارنا على ما ترونها أيها السادة بأعينكم الآن . . . قاعا صفصفا !

تلك كانت حيلة أولئك الشباب ، استعاروا سيارة الرجل المسكين ، ثم اعتذروا اليه ، وعوضوه عن إزعاجه ببطاقتين للباليه في أوبرا باريس ! ففي الفترة التي كان فيها الرجل وزوجته في نشوة تمتعهما برقصات نجوم الباليه ، كان أولئك الشباب إذا كانوا حقا شبابا منهمكين في نقل محتويات المنزل برمتها من أثاث وتحف فنية وأجهزة ثمينة ، مطمئنين الى أن رب البيت وربته لن يعودا من سهرتهما قبل منتصف الليل في هذه الضاحية البعيدة القليلة السكان ، بطاقتا سهرة ثمينتان حقا ، إلا أن مردودهما على السارقين كان أثمن منها بما لا يقاس . . .

قال صاحبي معقبا على ما رويته له :

ـ لصوص أذكياء لاشك في هذا ، مغنمهم من الأثاث والتحف الثمينة يتناسب مع ما يملكونه من وسائل في عالمهم المتقدم ، نحن هنا كذلك لانعدم لصوصا ظرفاء ، لهم اساليبهم الذكية التي تسوق الابتسامة الى الشفاه ، ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم .

قلت : كأنك تعرف حكاية شبيهة بهذه التي أسمعتك اياها .

قال : بل حكايات ، أقص عليك واحدة من جنسها ، والقياس مع الفارق ، ضحية هذه الحكاية القديمة رجل من القرى المحيطة ببلدتنا الصغيرة اسمه موسى ، قصد موسى في ذات يوم المدينة الكبيرة ، فباع فيها صوف نعجاته وسمنها في الخان ، ثم انحدر الى السوق ليشتري حاجياته قبل أن يعود الى القرية ، كانت المعاملات آنذاك بالليرات العثمانية الذهبية ، قال له عميله التاجر بعد أن استوفى منه أربع ليرات ذهبية أخرجها من صرة في عبه : احذر النشالين في هذه السوق ياموسى . . . أيديهم خفيفة وحيلهم كثيرة ، ربما رآك احدهم وأنت تخرج الليرات من عبك فلحقك ليختلس مابقي عندك منها دون أن تشعر ، قال موسى : لاتخف عليّ . . . لم يبق عندي غير ليرة ذهبية واحدة هذه هي . . . سأخفيها في مكان لاتصل إليه يد سارق . . . انظر ! ووضع الرجل الليرة العثمانية الوحيدة التي ظلت في حوزته في فمه وأطبق شفتيه عليها .

ماقاله التاجر لموسى كان واقعا معروفا عند كل باعة السوق ، وحفاما كان هناك نشال واحد ، بل نشالان جذبتهما وقفة القروي على دكان عميله ، ومنظر الليرات الذهبية التي دفع منها ثمن مشترياته ، سمعا تحذير التاجر كما سمعا جواب موسى وتصرفه ، فجر أحدهما رفيقه من يده هامسا له : لافائدة ، فقد أطبق عليها فمه ! قال له الآخر : أتراهن على أني أسلبه الليرة التي أطبق عليها شفتيه ؟ سأله الأول : كيف ؟ فأجابه بقوله : تنتظرني هنا ريثما أعود . . . لاترفع عينك عن الرجل ، واحجزه في السوق إذا اراد الذهاب ، ولن أغيب أكثر من خمس دقائق . . .

ولم يغب النشال المتكلم أكثر من تلك الدقائق

الخمس ، عاد بعدها فوقف في زاوية قريبة منتظرا انصراف موسى ، وحين تحرك هذا من مكانه وأخذ طريقه في السوق العتيقة الضيقة جاء النشال متعجلا من زاويته وصدم القروي صدمة انثنى لها نصفين ، وكاد يقع منها أرضا ، إلا أنه تماسك وأراد متابعة طريقه ، عند ذلك تمسك النشال به وصاح : لا تتحرك ! قال هذا وأشار الى الأرض تحت قدميه حيث كانت تلتمع أربع ليرات ذهبية أفلتت من يد النشال .
لم يفهم موسى ماذا يريد منه هذا الرجل الممسك بثيابه فحاول التملص ، الا أن النشال قال له بصوت مرتفع : لا تتحرك قبل أن أجمع ليراتي التي تطايرت من يدي حين صدمتني . . . خمس ليرات عثمانية ذهبية ، هذه أربع منها فأين ذهبت الخامسة ؟

في هذه الاثناء لحق النشال الأول برفيقه متظاهرا بأن لا معرفة بينهما ، وراح يستفهم عما جرى أمام من احتشد عليهما من المارة وأصحاب الحوانيت المجاورة . قال صاحب الليرات : كانت في يدي خمس ليرات ذهبية فصدمني هذا الرجل صدمة اطارتها من يدي . . هذه أربع ليرات منها على الأرض . ولن أتركه يتحرك قبل أن اعثر على الخامسة ! وهنا قال رفيقه : مادمت قلت هذا فان عندي شهادة لله اريد أن أؤديها . . . كنت قريبا منكما حين صدمك هذا الرجل . . . رأيته يتناول شيئا من الأرض ويدسه في فمه ، افتح فمك يا من لا تخاف الله !

ولك أن تتصور الان ماذا أصاب موسى الذي كان يطبق شفتيه على ليرته الذهبية الوحيدة أمام هذه الواقعة التي لم تكن تخطر له على بال ، لم يفتح فمه ، غير أن غريميه المحتالين أخذا يصيحان به مرددين فمك ! وانضم اليهما في الالحاح عليه بأن يفتح فمه المتجمهرون حوله من أهل السوق ، بل ان أحدهم أمسك برأسه بين يديه ضاغطا على فكيه بقوة ، وفتح المسكين فمه في النهاية ، فسقطت الليرة الذهبية في يد النشال الذي ما لبث أن انسحب مسرعا يتبعه زميله ، تاركا صاحبنا القروي لأيدي المتجمهرين الذين انهالوا عليه صفعا وركلا ، ثم نتفا لشعر ذقنه وشاربيه . . .

جاء دوري في الضحك من حكاية المحتالين التي رواها صديقي . قلت له :

ـ لولا ما تعرض له ذلك القروي المسكين من اعتداء الجمهور عليه لهتفت إعجابا بمهارتهما ، لم يحتاجا الى كل تعقيدات اللصوص الباريسيين للحصول على مبتغاهما ، ذكيان حقا ، ألست معي في أن طرافة الأسلوب في السرقة تشفع في خروج هؤلاء على القانون وأحكامه ؟

قال : هذا ما لاأوافقك عليه ، انا لا اؤمن بالأسباب المخففة مهما كانت طبيعتها ، القانون يجب أن يطبق على جميع الناس بصرامة ، وأن ينفذه ذوو السلطان على الخارجين عليه دون هوادة ، وعلى الرغم من إعجابي بحيلة ذينك النشالين ، وحيلة اللصوص الفرنسيين قبلهما ، فالسارق يظل في نظري سارقا أيا كان أسلوبه ، لماذا تبتسم هكذا ؟

كنت في الواقع أبتسم للهجته المتشددة في تجريمه للصوص ، والخاطرة قفزت من اعماق ذاكرتي عندما أشار إلي ذوي السلطان الذين عليهم أن يطبقوا القانون دون هوادة ، سألته :

ـ هل سمعت بعمرو بن عبيد ؟

قال : ما أظنني أعرفه ، من يكون ؟

قلت : هو أحد أئمة المعتزلة ، ومن أشهر الزهاد والوعاظ في مطلع العصر العباسي . مرّ هذا الفاضل بجماعة وقوف على رجل فسأل عن الأمر ، قالوا له : هؤلاء رجال السلطان يقومون بقطع يد سارق . فقال : لاإله إلا الله . . . سارق العلانية يقطع سارق السر !

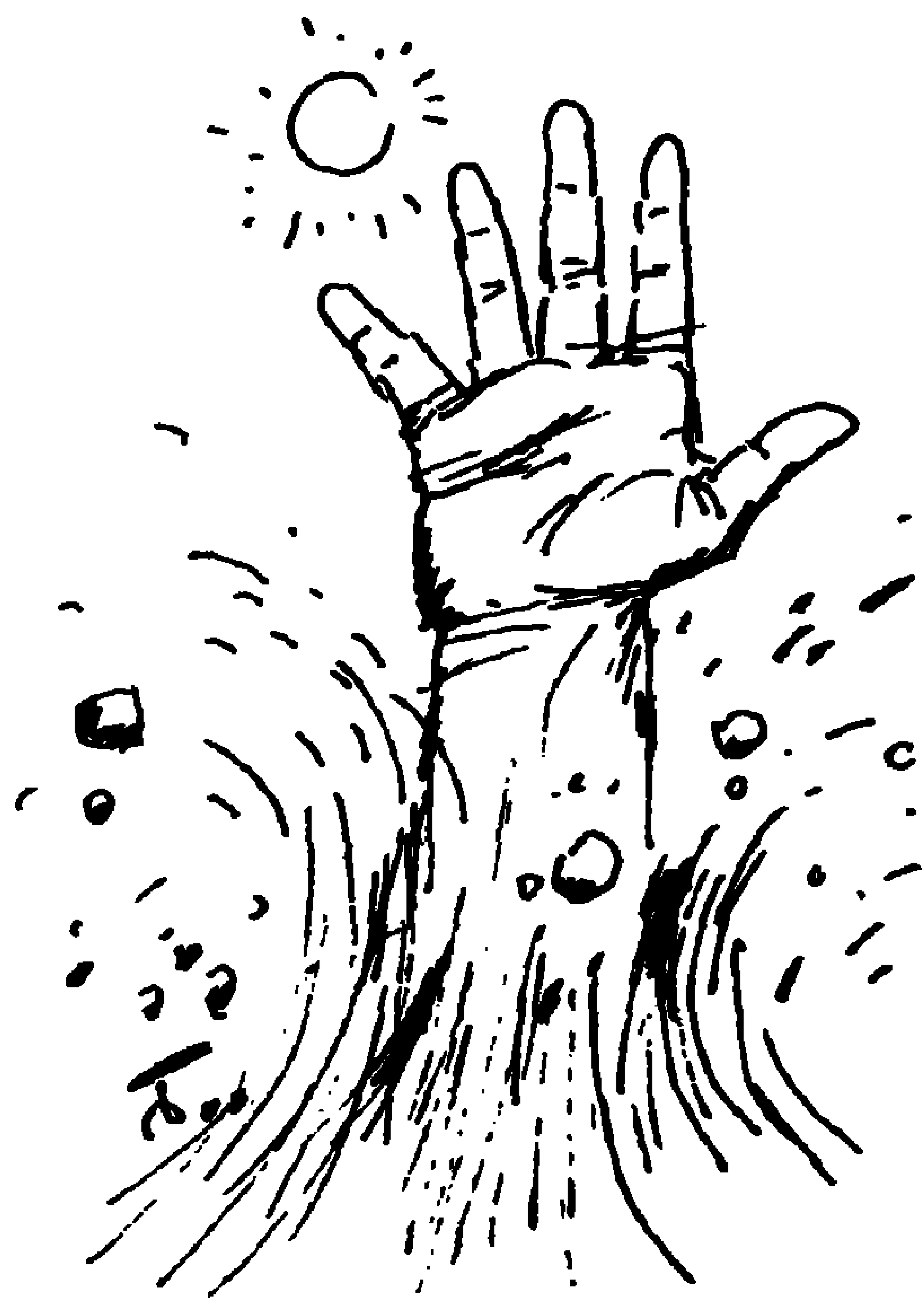
وهنا سكت صديقي لحظة كأنه كان فيها يتملى من كلمة عمرو بن عبيد ، وما لبث ان ترك لهجته المتشددة وقال :

ـ هذا كلام لا ينطبق على زماننا ، سارقو العلانية في هذه الأيام هم تاج رؤوسنا ، والمتفضلون علينا بخيرهم ، لولاهم لما صح لنا ان نأكل ونشرب ونتنفس الهواء من مناخرنا ، ولو أنه هواء مشحون بدخان مراكبهم المطهمة ، وبفضلات ترفهم وتسلياتهم ، اسكت عن هذا الموضوع يرض الله عليك ، واترك ما قاله الأولون لزمانهم الأول . . .

ولما كنت أعرف أن لصاحبي سوابقه في التعامل مع من ذكرهم عمرو بن عبيد ، وكنت أعرف أن من تلدغه الحية يخاف من قطعة الحبل الملقاة أمامه ، فقد اكتفيت من التعليق على كلامه بمتابعة الابتسام ، وأطعته فسكتّ . □

الأرض

شعر : الدكتور محمود الشلبي*



قَبْل لغْوِ العَصَافير ،
والفجرُ متشحٌ بالندى والضَبابْ .
كانَ طَيْفٌ يحاورني . . .
وأنا ماثلٌ بين نَبْضِ المدَى ،
واشتعالِ الترابْ .
يومَها . . .
كانت الأرضُ تنهضُ مِنْ صحْوها ،
ترْتدي ثوبها القرمزي ،
المطرزَ بالآسِ ،
والزعفرانِ المذابْ .
قالت الأرضُ للشمس ،
والشمسُ تغرقُ في نزْفها المشرقيِّ ،
وتصعدُ في سُلَّم من سرابْ :
ليت لي شعركِ الذهبيَّ ،
الموزَّع بينَ السَّماء ،
وأبعدِ ما ترتضيه الحِرابْ .
ليت لي أنْ أجابْ . . .
فأنا أشتهي صورة الموتِ في الحُبِّ ،
ينقلُها الموج للشجر الغض .
والشجر الغض ينقلها للسَّحابْ .
انني الأرضُ سيفٌ وغمدٌ :
فأنا الارضُ غِمْدٌ لسيفِ الشهيد ،
وسيفٌ لغمْد الشموس ،
ولي منزلٌ في الكتابْ .
انني الأرضُ أسْلَمْتُ
كُل الفصولِ لصوتي ،
وأدارَ للريح تزرعُ أنفاسَها ،
في بطونِ الهضابْ .
أيها البشرُ الغارقون بهذا الخرابْ .
انني الأرضُ قلبي يفجِّرُهُ الرَّفضُ . .
والرفضُ طقسُ الشهادةِ ،
والنارِ ،

* شاعر وكاتب ، وأكاديمي في وزارة التعليم العالي ـ من القطر الأردني .

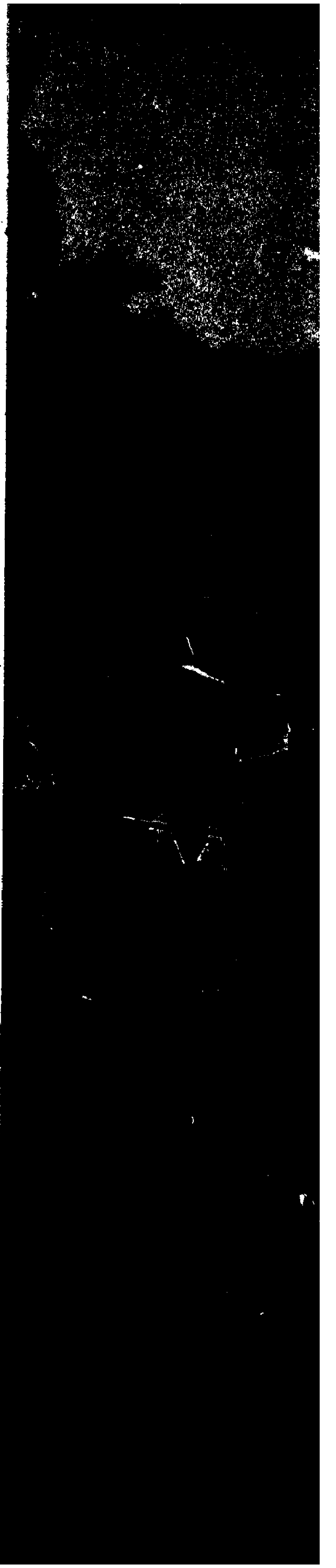
والطلقةِ ،
الكلمةِ ،
الحجرِ ،
الوردِ
والرفضُ تأشيرةٌ لِلْعُبابْ .
انني الأرضُ قلبي يُفَجِّرُهُ الرفْضُ ،
ياأيها النائمونَ على حُلُم مِنْ يبابْ .
انزلوا ، مصْعَد اللهو في ناطحَاتِ السحابْ
انزلوا واحداً واحداً . .
واشهدوا غَضَبَ الأرض ،
أوْ فاتركوا لْحَمَكُمْ للكلابْ .
كانتِ الأرضُ تَنْهضُ مِنْ صَحْوها
رَحْبَةَ الصَّدْرِ ،
في يدها سلةٌ من ضُلوعِ النَّخيل ،
بها برتقالُ السهولِ ،
وطيرٌ على غُصْنٍ داليةٍ ،
من كُروم الخليلْ .
كانَ مرجٌ من القمح في وجهها . .
والعيونْ .
أخذَتْ شكْلَ زيتونِها . .
في التراب الأصيلْ .
كان في هذه الأرضِ ذاكرةٌ ،
من عذابٍ نبيلْ .
صعَّدَتْ طَرْفَها لفضاءٍ ،
منَ النَّوْم والحُلُمِ ،
واهتزَّتِ الأرضُ لما دعتها الخيول
قالت الأرض للشمسِ ،
والأرضُ محفوفةٌ بالقيودْ :
جئتُ ، هل ألتقي بالبنودْ ؟ .
قُمْتُ كي أستقرَّ على راحةٍ ،
للشهيدِ الجديدِ ،
المُسافِرِ نَحْوي ،
على فَرَسٍ من رعودْ .
قالتِ الشمسُ للارض ،
والأرضُ تنثُر أبناءَها
ثمراً دامي الخَدِّ .
هذي الحجارةُ طلقاتُهمْ ،
والأناشيدُ تعبر باب العمود

..*.*.*

امْدُدي حُلُماً أخضر اللونِ ،
أوْغُصُناً مِنْ دَم اللونِ ،
أوْ غُصُناً مِنْ دَم الكونِ ،
أوْ صَحْوةً مِنْ شهيقِ المدائنِ ،
ثُمَّ اتبعيني . .
الى قمة « الكرمل ـ اليوم ـ
أو رأسِ « عيبال » ،
و « الطور »
كي تمتطيني .
لكِ اللهُ أيتها الأرضُ ،
يا جَسَداً من دمٍ ،
غارقا في حنيني .
لك اللهُ أيتها الأرضُ ،
يا حَجَراً رافضاً ،
أشْعَلَ الصَّمْتَ ،
والوقتَ ،
في شارعٍ للجُنونِ ،
فاسكبيني . . اسكبيني ،
على قببِ القُدْسِ ،
وانتظري فرحةَ العُرْسِ ،
قادمةً كالنهارِ المضيءِ
على بَيْرقٍ في جبيني .



استطلاع :
أبو المعاطي أبو
تصوير :
فهد الكوح



تلك هي الجزائر . . ويرتعش القلب . . فأنت لا تملك أن تكون محايدا في زيارتك الأولى للجزائر !

لاشيء ولا أحد سوف يمنحك هذه الفرصة ، على الاقل في الساعات الأولى ، أو في الأيام الأولى .

صحيح ان الجزائر دولة تنتمي الى العالم الثالث ، مثله عانت من الاستعمار ، ومثله دفعت ثمنا غاليا للحرية ، ومثله بدأت رحلة البناء من الصفر تقريبا ، ومثله واجهت مشاكل البحث عن هَوِيَّة،ومشاكل التنمية دون امتلاك كل أدواتها ، ومشاكل الحيرة بين أهل الثقة وأهل الخبرة ، ومشاكل البحث عن صيغة للديمقراطية ، توفر قدرا من الحرية والمساءلة والمشاركة في صنع القرار مع المحافظة على الوحدة الوطنية ، ومع توفير القدرة على الانجاز السريع في بلد يبدأ من الصفر .

صحيح كل ذلك ، ولكن صحيح أيضا أن استعمار فرنسا للجزائر كان يختلف عن أي استعمار آخر لأي بلد آخر . فقد كان استعمارا استيطانيا لا يرضى بأقل من الالتهام ، يكفي انه دام ١٤٠ عاماً ، وانه احتاج لاقتلاعه حرباً دامية شرسة ، شاركت فيها كل طبقات الشعب الجزائري وفئاته ، قرابة ثماني سنوات متصلة وعاصفة ، بعد عشرات الثورات والانتفاضات المتفرقة عبر سنوات الاحتلال الطويلة المظلمة !

وترتب على ذلك أن سلطة الثورة في الجزائر ، كانت من الحالات القليلة في العالم الثالث التي لم تصل الى الحكم بانقلاب عسكري مفاجيء ، تحتاج بعده الى جهد ووقت ، لإثبات شرعيتها وحسن نواياها وكفاءتها ، بل هي سلطة خرجت من غبار كفاح مرير ، وتعمدت كل عناصرها بالدم والعرق والتضحيات والدموع ، ونتيجة لذلك شهدت سلطة الثورة في الجزائر أقل قدر من التقلبات ، بالنسبة لغيرها من السلطات التي حملتها رياح الثورة الى الحكم في العالم الثالث ، مما ضمن للجزائر فرصة أفضل وأطول للانجاز والعمل المستمر والمكثف ، وصحيح كذلك أن الجزائر تمتلك موقعا فريدا في القلب من الشمال الافريقي ، والمغرب العربي ، وحوض البحر الابيض المتوسط ، واكبر مساحة لدولة عربية بعد السودان وأرضا غنية بما فيها من معادن وقابلية للزراعة ، وكثافة بشرية تصل الى عشرين مليونا من السكان ، فكيف لا يرتعش القلب ، وهو يخطو خطواته الأولى فوق ارض المليون ونصف المليون شهيد . ؟!

مقـــام الشـــهيد :

كان الوقت صباحا ، حين وقفنا - زميلي المصور وأنا - أمام نصب مهيب شامخ يطل على ميناء الجزائر ، نستمع الى السيد / حسن مزيعي وهو يشير الى جهة الشرق قائلا :

« هنا في غابة الاقواس على مقربة من هذا النصب انعقد اول اجتماع سري للتحضير للثورة ، وهناك في جهة الغرب اقام المستعمرون مركزا لتعذيب المجاهدين ، الذين يتمكنون منهم ، لذلك اختير هذا المكان بالذات لاقامة هذا النصب الذي بني على شكل نخلة طولها ٩٢ مترا ، وحولها تلتقي هذه الشُعَبُ الثلاث المصنوعة من البازلت ، وهي ترتفع من الأرض في شكل أقواس مفتوحة الى الخارج ، يتعانق انحناؤ ها الى الداخل مع النخلة في نقطة واحدة عند ارتفاع ٤٥ متراً ، وهذه الشُعَبُ الثلاث ترمز الى الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية ، وبينما انهمك زميلي المصور في التقاط صوره كان السيد حسن مزيعي يستطرد قائلا :

وكما ترون فان هذا النصب المعروف بمقام الشهيد قد انشيء في ساحته وعلى بعد خطوات منه ذلك المجمع الثقافي الضخم الذي تتعدد طوابقه تحت الأرض وفوقها ، وقد افتتحه بالامس الرئيس الشاذلي

ابن جديد ، ولذلك فسوف تتاح لكم فرصة زيارته ، وهو يحتوي العديد من المعارض الحديثة التي تقدم لكم لمحات عن الجزائر بعد حوالي ربع قرن من الاستقلال ، لكن قبل أن تزوروا هذا المجمع الثقافي اقترح عليكم أن تزوروا المتحف الخاص بمقام الشهيد الموجود اسفل هذا النصب .

ميراث الغضب :

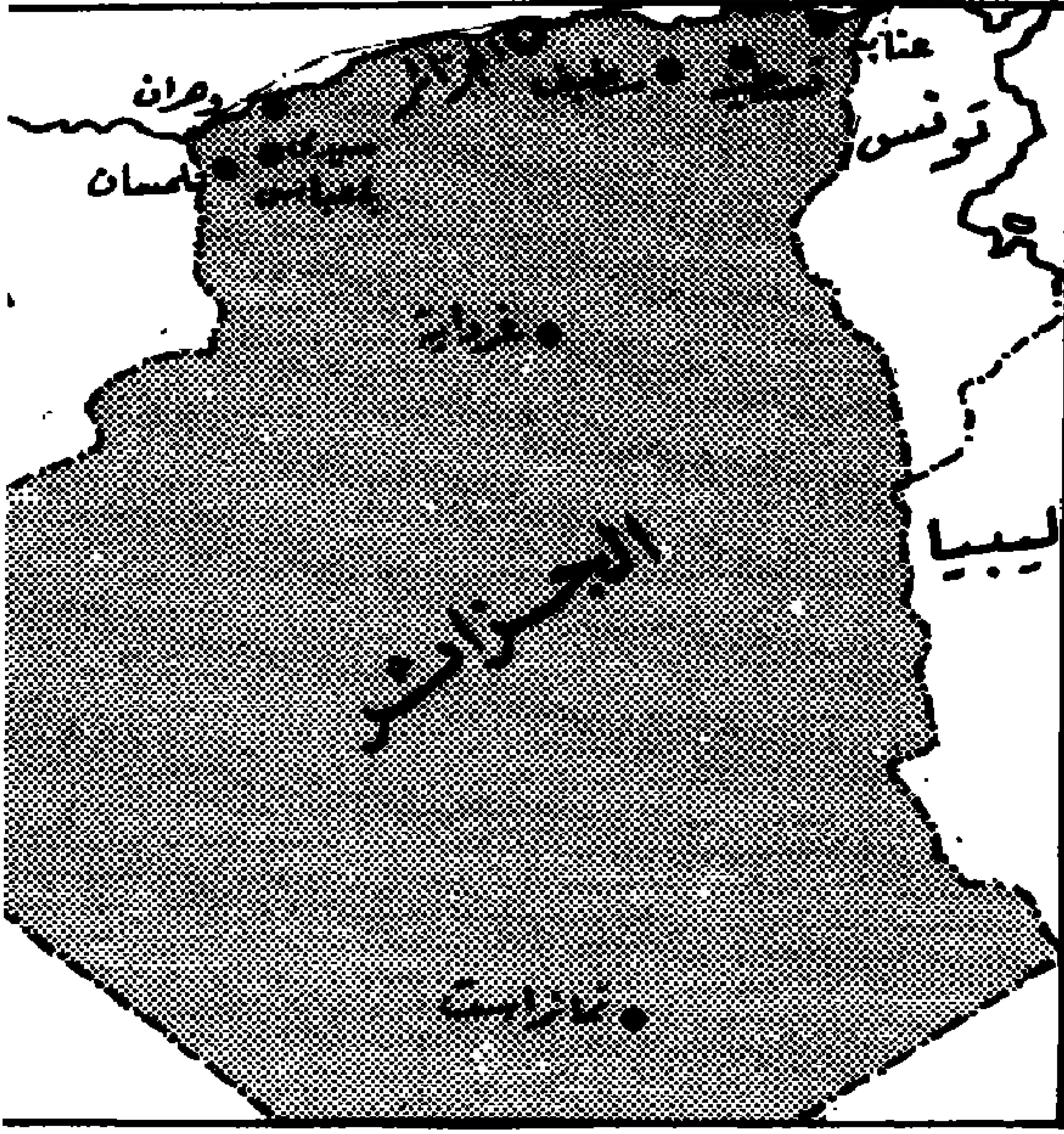
هبطنا الدرج ، لفت نظري طابور من تلاميذ المدارس تتراوح أعمارهم بين الثامنة والخامسة عشرة تقريبا ، يتجهون في نظام بديع الى داخل المتحف ، انهم طلائع الاجيال الجديدة التي اصبحت الثورة بالنسبة لهم حكايات يرويها الآباء والمدرسون ، واقتربت منهم اسألهم عن مدارسهم واسمائهم وماذا يدرسون ؟ ولأول مرة اسمع لغة عربية خالصة لا تختلط بأي كلمات فرنسية .

في صالة المتحف استقبلتنا شابة ذات شخصية قوية متميزة . .

ـ اسمي عائشة . . أهلا بكم . .

● السيدة عائشة هي التي تقود الزوار في رحلة حية رائعة عبر ١٤٠ سنة من تاريخ الجزائر . . هي كل تاريخ الاحتلال ، وأيضا تاريخ مقاومة الاحتلال . !! كنا ننتقل عبر صالات المتحف الرائعة التنسيق نستمع الى السيدة عائشة ، وهي تتحدث ، وهي تشير الى الصور والرسوم والوثائق والاسلحة والمعدات ، والملابس ، والنماذج المجسدة ، كل صالة تختص بمرحلة ، بموضوع ، بحادثة أو احداث بترتيب التاريخ ، « الكثير من هذه الوثائق تم الحصول عليها بعد اتفاقيات تبادل الأرشيف مع فرنسا ضمن اتفاقيات « إفيان » بعد الاستقلال » .

هذه صورة الأمير « عبدالقادر » رسمها فنان فرنسي اعجب بكفاح الامير ، وقد ظلت هذه الصورة في متاحف فرنسا حتى اهداها « فاليري جيسكار ديستان » رئيس الجمهورية الفرنسية الى الرئيس « هواري بومدين . . » ثم تستطرد في الحديث عن الامير عبد القادر « لقد قاوم الفرنسيين سنين طويلة ، وحرر داخل الجزائر دولته المستقلة ، واقام بداخلها مدينة عسكرية سماها « الزمالة » ، ولم يكن



● خريطة الجزائر

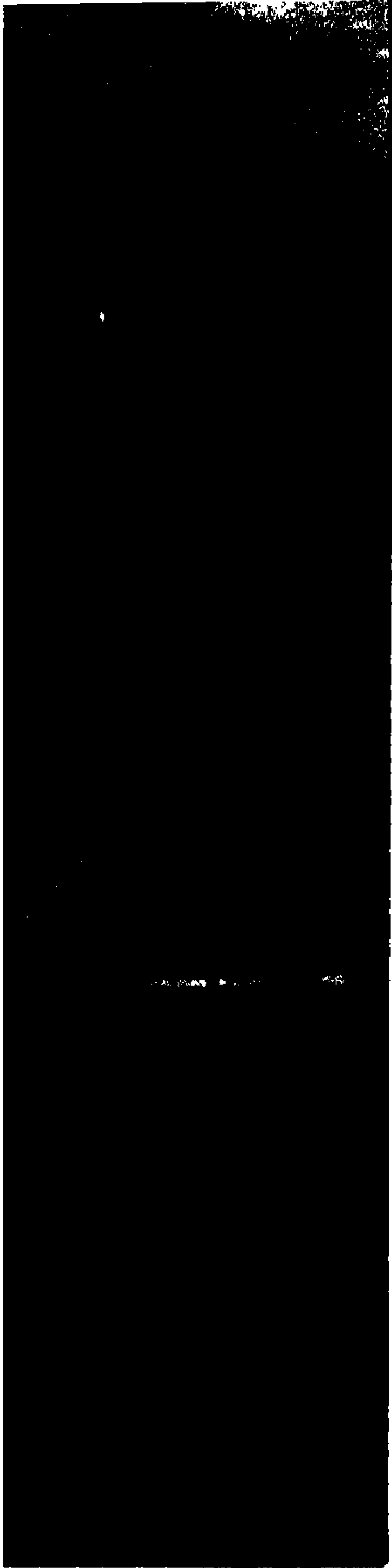
لهذه الدولة مكان ثابت ، فخلال حربه الطويلة ضد الاحتلال الفرنسي كان ينتقل بدولته بين الاقاليم والغابات والجبال ، يتنقل بجنوده وأسلحته وقوانينه ونظمه ونقوده التي سكها باسمه ، ليتعامل بها مواطنو دولته ، كانت دولة تقوم على القيم الاسلامية والتقاليد الجزائرية ، التي تقدس الجهاد والتضحية والتعاون ، ولم يسلم الامير إلا بعد ان قبض عليه بالخديعة من الفرنسيين ، ونفي الى باريس ثم الى دمشق » .

واتطلع الى وجوه الأولاد والبنات ، وهم يستمعون الى دراما التاريخ الهائلة ، بعضهم يكتب في دفتر صغير وبعضهم ينصت ، وبعضهم تشده الصورة والرسوم والمجسمات والأسلحة ، وبعضهم يتحدث الى زميله في همس ، وأتساءل في صمت ماذا يمكن حقا أن تعني هذه الكلمات لهؤلاء الصغار ؟

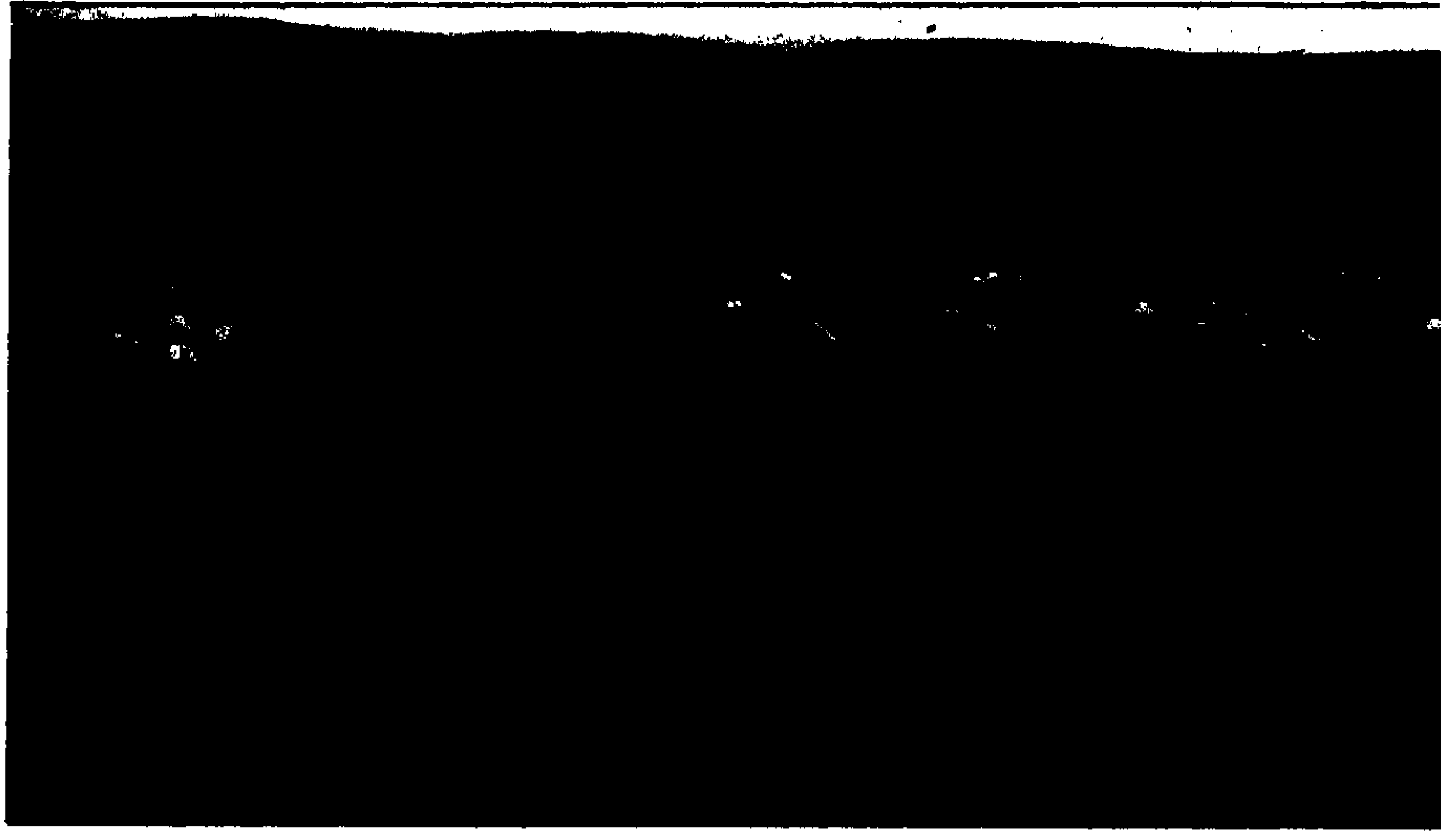
وما الذي يمكن أن تصير إليه تضحيات الرجال ، وآلامهم وعذاباتهم ؟ سنين قاسية حين تتحول الى كلمات تتردد في صمت متحف فاخر أنيق لتلاميذ صغار !!

وأفيق من تساؤلاتي على صوت السيدة عائشة وهي تشير الى احدى الصور المعلقة :

● هذه الصورة للمظليين الفرنسيين ، وهم يفتشون أهالي المنطقة لعزلهم عن ثوار جبهة التحرير ،







● في أعلى الصفحة الى اليمين .. «حديث الذكريات .. على الرصيف» وفي الوسط الأغنام ترعى في سهول سطيف اسفل مواسير لنقل مياه الشرب للجزائر العاصمة .





● في أعلى الصفحة الى اليسار .. « مدينة الجزائر ببنائها على البحر المتوسط » أسفل قرية اشتراكية في ولاية تيارا .

وهم هنا يعتقلون فتاة مجاهدة اسمها « ملكة سحنون » وهي ما زالت على قيد الحياة ، وأماً لطفلين بمدينة « وهران » .

ومرة أخرى تستغرقني التساؤلات : كيف تحيا الآن مثل هذه السيدة ؟ انها ليست في شهرة جميلة بوحريد ، أو غيرها من الجميلات ، كانت يوما ما بطلة ، انه حتى الابطال لا يمكن أن يعيشوا على بطولاتهم طوال العمر ، عليهم أن يتناسوا هذه البطولة ، وفي مرحلة جديدة ، ربما كان عليها أن تذهب الى أحد مراكز « التكوين » بالجزائر ، لتتعلم مهنة جديدة ، فالتضحية حتى بالدم لا تصلح مهنة دائمة ، ربما كان عليها ان تقف في طابور لتشتري ما تحتاجه أسرتها ، وهذه بطولة من نوع آخر ، هذا الجيل كله . . عاش حياته بين ضرورتين ، ضرورة أن ينسى ، وضرورة أن يتذكر ، فالاجيال الجديدة لا يجب أن تنسى ثمن ما تنعم به من حرية ، ولكن هذه الاجيال الجديدة ذاتها هي التي تفرض على الآباء أن يتعلموا مع ابنائهم منطق مرحلة جديدة من الكفاح والبناء ، تمنح فيها أوسمة البطولة ، لمن يعرف كيف يحرث الأرض ، ويقود الجرار ، ويصنع الآلة ويصونها ، ويبني السدود ، وبالتالي فعليهم ان يتعلموا النسيان ايضا !!

وأتذكر كلمات قرأتها في رواية « نهاية الامس » للاديب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة : وهو يصور مصرع الشيخ حمودة « أيتها الأرض ، حدثي من يمر من الأجيال أن الثمن كان باهظا ، وأن وجهك الأخضر كان ذات يوم احمر قانيا بدماء الابرياء ، حدثي من يأتي من الاجيال القادمة أنك شربت من دماء أبنائك البررة ، ما لايدع العطش يمتد الى عروقك أبد الآبدين » .

الوجه الآخر لمقام الشهيد :

المسافة التي مشيناها من مقام الشهيد الى المجمع الثقافي لا تستغرق سوى دقائق معدودة . .

ولكن هذه المسافة بمعنى آخر تنقلنا قرابة ربع قرن من الزمان ، بين نهاية الرحلة التي صحبتنا فيها السيدة عائشة ، وبين بداية الجولة التي يصحبنا فيها الأخ محمد الغزالي مرافقنا الدائم .

● كل هذه المعروضات التي تروبها في واجهات هذه المحال ، هي من إنتاج وصناعة الجزائر ، أقمشة ، ملابس جاهزة ، حقائب جلدية ، أحذية ، لعب أطفال ، مفارش ، أثاث ، أدوات مطبخ ، أجهزة كهربائية ، أدوات تجميل الخ . .

هكذا بدأ الأستاذ الغزالي حديثه ، ونحن معه نتفرج ونستمع الى موسيقا حديثة تنبعث من بعض المحال التي تبيع اشرطة التسجيل ، الصالات فسيحة ، تتخللها مقاعد للاستراحة وأحواض زهور ، ونوافير مياه ، شبان يرتدون الجينز ، وفتيات يرتدين البنطلونات ، ورجال ونساء من مختلف الاعمار بملابسهم الوطنية او الافرنجية ، يتنقلون ، ويستمتعون بالشراء أو الفرجة ووجدتني أسأل الاستاذ الغزالي لماذا سميتموه المجمع الثقافي ؟؟

انت لم تر كل شيء بعد ! هناك مكتبة عامة للجمهور ، وهنا قاعات للعروض الموسيقية الحديثة ، وللعروض السينمائية ، ومسرح ، وثمة قاعات للتدريب على أجهزة الإعلام الآلي لمختلف المستويات بأجور رمزية . . و . .

ونمضي ونشاهد ، ونسأل :

هل الدولة هي مالكة كل هذه المعارض والمحال ؟ الدولة سمحت للقطاع الخاص بأن يقوم بدور في هذه المجالات . ويعرفنا الاستاذ الغزالي بصاحب قاعة صغيرة للسينما في المجمع .

لقد عاش الرجل في فرنسا اكثر من عشرين عاما ، واصبح لديه رأس مال ، وعاد اخيراً مع اسرته ليعيش ويستثمر امواله في وطنه الجزائر ، وكان استئجاره لهذه الصالة هو البداية ، ويحدثنا الرجل عن السينما في الجزائر .

انها حديثة نسبيا ، لكنها قطعت شوطا كبيرا في تطورها ، لدينا مخرجون لهم أسلوب متميز ، وحصلوا على جوائز عالمية ، ويستطرد وهو يفرجنا على القاعة التي تتسع بالكاد لحوالي ٣٠٠ متفرج .

« ستكون لعرض أفلام متميزة جزائرية أو عالمية للجمهور الخاص الذي يحب هذه النوعية من الافلام ، الهدف ليس تجاريا بحتا ، ولكنه يتسق مع أهداف المجمع الثقافي »



● رابح قدور مدير التخطيط بوزارة الفلاحة

يا له من عالم مختلف :

في هذا المجمع الفخم يتعايش القطاع العام والخاص ، تتعايش التجارة والثقافة ، تلتقي أجيال الجينز وأجيال العباءات والموسيقا الحديثة والموسيقا التقليدية ، هل لهذا كله معنى ودلالة ؟

لا يجب أن نقفز الى النتائج ، لقد جئنا لنتعرف على رحلة الجزائر مع التنمية بعد قرابة ربع قرن من الاستقلال ، فلماذا لا نبدأ من حيث ينبغي ان تكون البداية ؟

ونتذكر ان لدينا في الغد موعدا في وزارة الصناعة الثقيلة ، فلا نتردد في قبول دعوة الرجل المضياف صاحب دار السينما الى فنجان قهوة في (كافتيريا) مجاورة يديرها لحسابه أيضا في المجمع .

مدينة جميلة جميلة :

لا اليوم الأول ولا الثاني ولا الثالث في مدينة الجزائر يمكن أن يقلل من إحساسك بأنك في واحدة من أجمل المدن التي رأيتها في حياتك ، وبأنك مأخوذ بسحر هذه المدينة الذي يتحداك أن تمسك به ، أو أن تتحرر منه ، أو تألفه ، من أين يأتي هذا السحر ؟

هل هو سحر التاريخ الذي تراه في طرز المباني الرومانية والعثمانية والعربية والأوربية ؟! أم سحر المكان حيث تنتشر المدينة بعمائرها وقصورها فوق مجموعة الهضاب العالية التي تطل على البحر الابيض المتوسط ، وعلى منحدراتها وسهولها وسط غابات وأشجار كثيفة الخضرة عميقة الظلال ؟!

أم سحر الشوارع التي تشعر انها لا يمكن ان تكون اكثر سعة او استقامة أو استواء ، انها طرق معبدة حقا ، ولكنك تشعر ان عمرها من عمر هذا الجبل الذي ترتفع معه وتنخفض ، تستقيم وتلتوي ، كأنها تجاعيد الزمن على وجه مدينة .

دائما كنا نسعد بالطريق الطويل من الفندق الى أي مكان نذهب لزيارته ، وفي هذا اليوم كنا في الطريق الى وزارة الصناعة الثقيلة .

الصناعة أساس كل تنمية :

في وزارة الصناعة الثقيلة استقبلنا السادة / استنبولي ابراهيم نائب مدير العلاقات الدولية ، « وعلاوي الزبير » « وبن عزو الياس » من قسم التعاون بالوزارة ـ ورحبوا بمجلة العربي في الجزائر ، كانت الساعة تقترب من الرابعة بعد الظهر ، ويوم العمل في الجزائر يستمر حتى الخامسة ، قلت لهم :

ـ يعني أمامنا ساعة ! قالوا ، لا خذ من الوقت ما تحب ، ويبدأ الحوار .

● من الملاحظ ان خطط التنمية في الجزائر منذ بداية الاستقلال وحتى اوائل الثمانينيات كانت تركز على الصناعة الثقيلة ، كانت نسبة الاستثمار في الصناعة ٢٠٪ مقابل ٣٪ للزراعة في المرحلة الأولى ، كما تشير بعض المصادر ، مع ان الجزائر في الاساس بلد زراعي فما اهم دواعي هذا التوجه ؟

* * *

ـ كان ترسيخ قاعدة الاستقلال الاقتصادي هو اهم الاهداف ، كنا خارجين من حرب التحرير ، وكنا مدركين ان الاستقلال السياسي لن يكون له معنى الا بالاستقلال الاقتصادي .

« من الصناعة الثقيلة يمكن أن نتطور لخلق نسيج صناعي متكامل يبدأ من الصناعة الثقيلة الى التحويلية الى الخفيفة .

● في أعلى الصفحة « في مركب المحركات والجرارات بجوار قسنطينة » في أسفل الصفحة الى اليمين : « شباب جزائري في مركز تكوين مهني »
الى اليسار : صفائح لصناعة مواسير مياه الشرب .



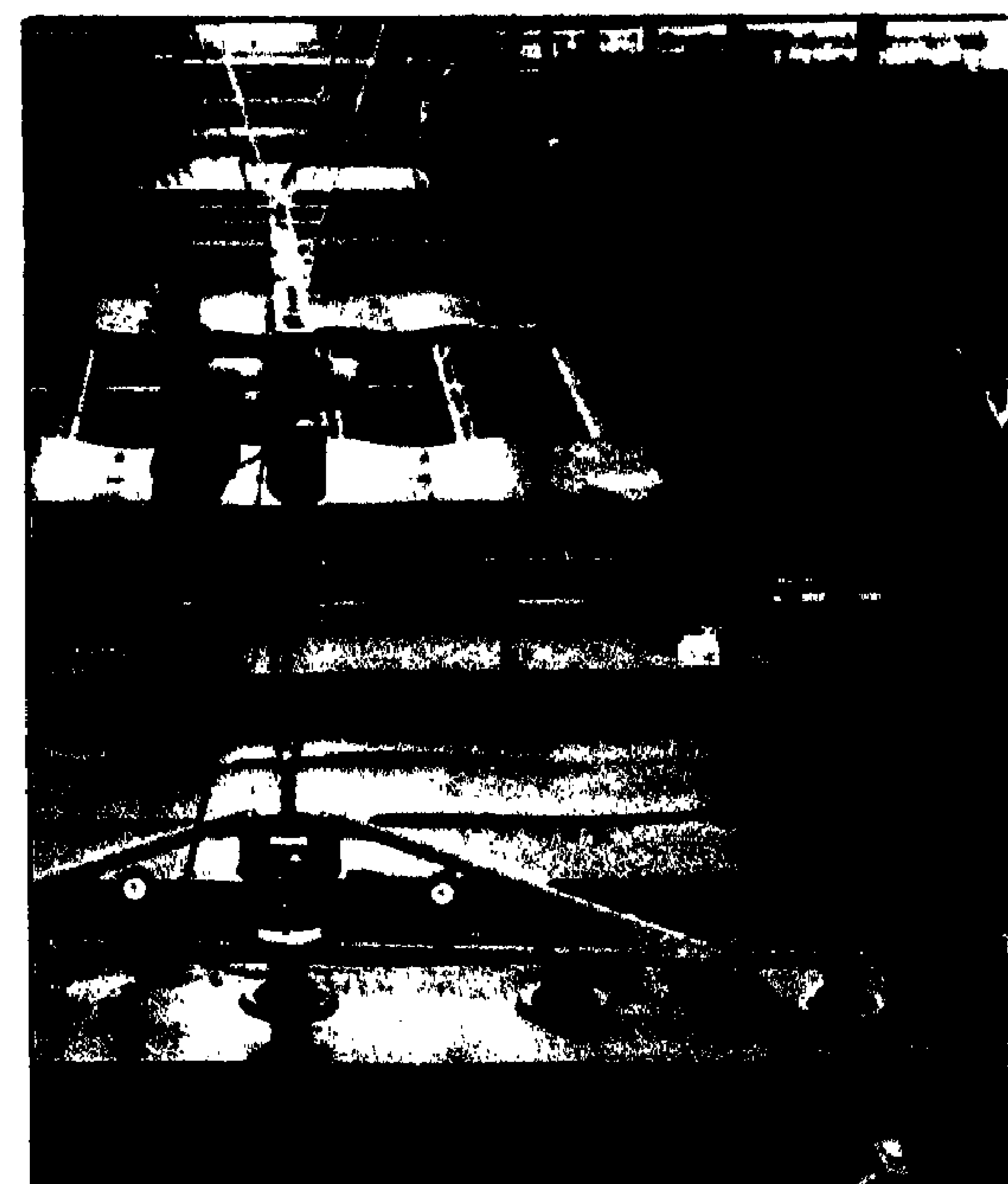


نفق في الجبل في الطريق الى قسنطينه



مصنع الروافع والجرافات .





« من ناحية أخرى فإن إيجاد مثل هذا النسيج الصناعي المتكامل كان يحتم علينا ان نعمل على إعداد آلاف من الايدي العاملة في مختلف مستويات العمالة ومختلف مجالات العمل ، مما يعني اننا سنخلق ثروة بشرية هائلة ، يمكنها ان تواصل تطوير الصناعة في البلاد ، في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه الآلاف من الايدي تنتظر فرصة عمل منتج كريم في الجزائر الاشتراكية المستقلة . . ».

● من ناحية ثالثة فان مثل هذا النسيج المتكامل ضروري لتطوير التنمية الشاملة في كافة القطاعات الاخرى ، كالبناء والري والزراعة والمواصلات وغيرها ، ويتصل هذا باشارتك الى ان الجزائر بلد زراعي ، هذا صحيح ، لكن تنمية الزراعة على أساس تقني حديث كان يحتاج الى مثل هذه القاعدة الصناعية ، التي تمدنا الان بكل ما يحتاجه قطاع الزراعة من جرارات وآلات حرث وغرس وحصاد ، وأنظمة حديثة للري ، حيث يعتمد الري في الجزائر على اقامة السدود ، ومد شبكات الانابيب . . فليست لدينا انهار ، فالسدود ضرورية لاحتجاز مياه الامطار التي تسقط على الهضاب العالية ، والانابيب ضرورية لنقل هذه المياه الى الاراضي الزراعية ، واجهزة الضخ والرش ضرورية لري المرتفعات أو السفوح أو جذب المياه الجوفية .

صعوبات على الطريق :

● من الملاحظ ان عملية التنمية الصناعية في الجزائر مرت بمراحل متعددة ، وواجهت بعض الصعوبات ، ربما بسبب ضخامة انجازاتها ، وفي اطار الاعداد للخطة الخمسية الاخيرة التي بدأت في عام ١٩٨٣/٨٢ ، جرت مناقشات واسعة لهذه الصعوبات ، واسفرت عن تبني تطويرات جديدة في الصناعة في الجزائر ، هل يمكن ان تلقوا الضوء على اهم هذه الصعوبات ؟ ثم على أبرز ملامح السياسة الجديدة في قطاع الصناعة ؟

- الصعوبات التي واجهتنا كانت هي صعوبات البداية من الصفر ، ومع ذلك ففي المرحلة من ٦٧ الى ١٩٧٨م امكننا ان ننشيء ونطور عدة مؤسسات صناعية كبيرة في قطاعات : « المناجم » ، « الحديد والصلب والألمنيوم » ، « الصناعات الميكانيكية » ، « الصناعات الالكترونية » « الكهرباء »

السمة العامة لهذه المرحلة هي انها كانت مرحلة نشر وتكثيف للمؤسسات الصناعية ، صحبها جهد مكثف لتوفير عناصر بشرية مدربة ، وخلق تقاليد صناعية .

أهم صعوبات هذه المرحلة هو اختلال التوازن بين انشاء المصانع بسهولة نسبية ، وفرتها فوائض البترول والغاز ، وصعوبة اعداد العناصر البشرية المدربة ، القادرة على ادارة وتشغيل وصيانة كل هذه المصانع بالكفاءة المرجوة ، وكان من الطبيعي نتيجة لهذا ان تظهر مشكلات تتعلق بمستوى الانتاجية ، والتحكم في التقنية ، وحسن استثمار التجهيزات الصناعية التي أصبحت متوفرة .

أيضا برزت صعوبة التضخم في حجم ومسئوليات هذه المؤسسات ، الأمر الذي أدى الى شيء من النقص في تحقيق التكامل بالصورة المأمولة بين هذه المؤسسات وبعضها من ناحية ، وبينها وبين بقية القطاعات الاخرى التي تتعامل معها من جهة ثانية .

هذا ما يتعلق بالجزء الأول من سؤالك عن أهم الصعوبات ، أما فيما يتعلق بالجزء الاخير ، عن اهم ملامح السياسة الجديدة .

● قبل ان ننتقل الى الجزء الاخير من السؤال لدى سؤال يتصل بالصعوبات : يقال : إن رغبة الدولة في توفير فرص عمل للجزائريين والجزائريات أثقل كاهل قطاع الصناعة بعمالة قد لا تكون كلها منتجة بالقدر المطلوب ؟ وزاد من التكلفة ، إلى أي حد يعتبر هذا الكلام دقيقاً ؟

- ربما حدث شيء من هذا بالنسبة للوظائف الادارية أو في قطاعات الخدمات ، لكنك لا تستطيع ان تضع أمام الآلة شخصا غير مدرب ، جميع العاملين في مجال الانتاج تم تكوينهم ، لكن جوهر المشكلة ان المستوى المطلوب قد لا يكون بالاعداد المطلوبة ، وإعداد العامل بالمستوى اللازم يحتاج الى وقت وامكانات ، لا تتوفر بين يوم وليلة ».

سياسة جديدة في الصناعة :

● اذن ما اهم ملامح السياسة الجديدة في قطاع الصناعة ؟

قال السيد علاوي الزبير :



● قادر محمد
مسئول الزراعة بولاية تيبازا



● مسعود تاره
مسئول مشروع تزويد العاصمة بمياه الشرب

« ان السياسة الجديدة نبعت من دراسة الصعوبات التي واجهتنا في المراحل السابقة .

فلمواجهة مشكلة « تكوين الأيدي العاملة » بشكل جذري ، وهي واحدة من أهم المشكلات التي تواجه الدول النامية ، تم إنشاء وزارة التكوين المهني لتكون رديفا مناسبا للتعليم العام ، وللجامعة ولوحدات التكوين التابعة لوزارة الصناعة ، وليتم تكوين الايدي العاملة على مستوى الوطن لمختلف القطاعات الاخرى كالزراعة والري والانشاءات الخ .

ولمواجهة ظاهرة التضخم في حجم ومسئولية المؤسسات الصناعية ، وما يؤدي اليه من نقص في التكامل أو في مستوى الانتاجية أو التحكم والمتابعة ، تمت إعادة هيكلة المؤسسات الصناعية (وجدير بالذكر ان عملية اعادة الهيكلة ، لم تكن مقصورة على قطاع الصناعة ، بل شملت الزراعة والري والانشاءات . . الخ) كما انها لم تكن ذات طابع فني او اداري فحسب ، بل كانت لها ابعاد اجتماعية وسياسية .

من اهمها :

● دعم الاتجاه نحو اللامركزية ، واعادة توزيع المؤسسات الصناعية وغيرها على كامل التراب الوطني وفق اعتبارات منها :

● توفير فرص العمل في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية .

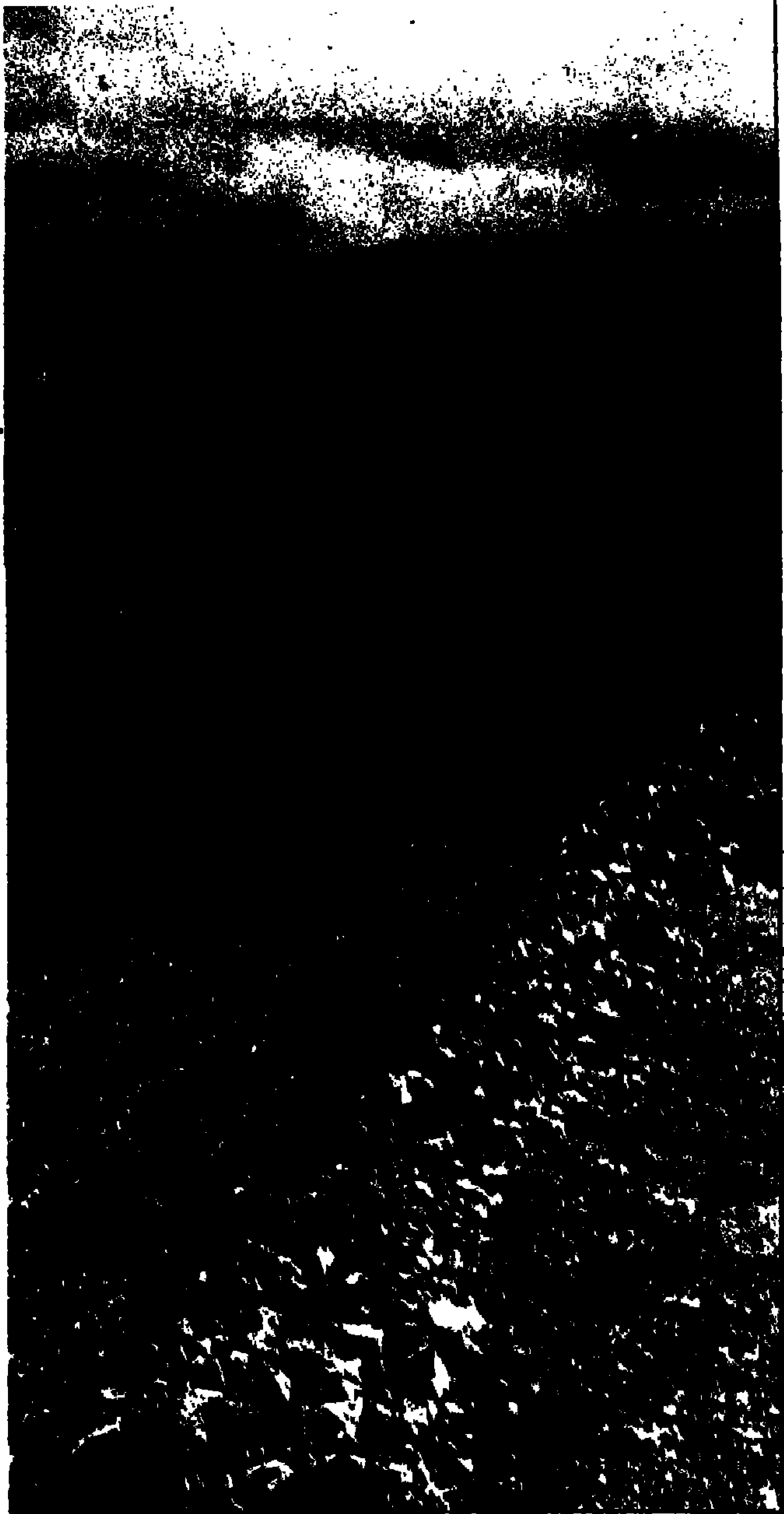
● أن يساعد هذا التوزيع على تحقيق التوازن والتكامل بين المؤسسات الصناعية من جهة ، وبينها وبين القطاعات الأخرى ذات العلاقة من جهة اخرى ، والجماهير ذات المصلحة .

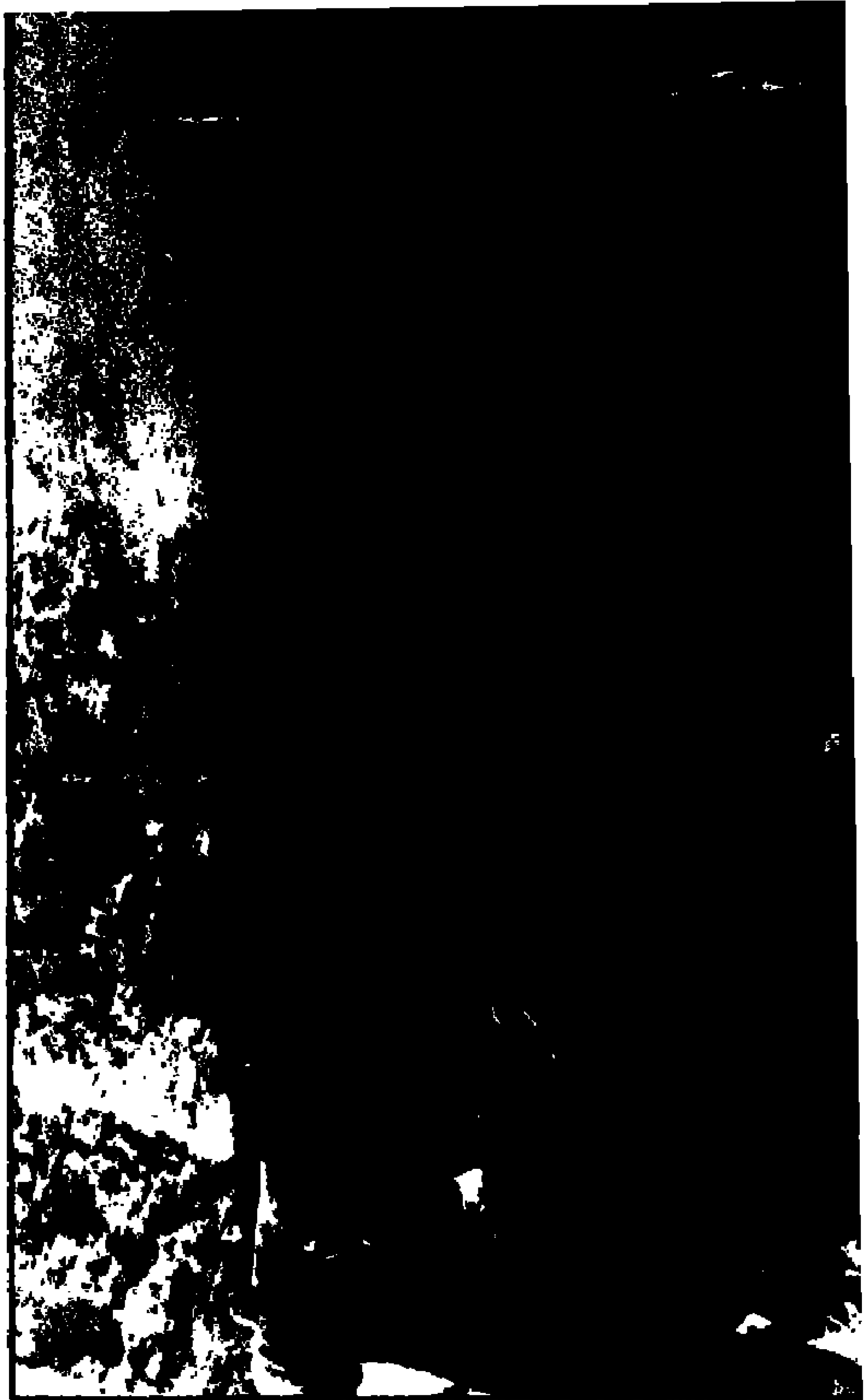
● بالاضافة طبعا الى ان تركيز كل مؤسسة على فرع معين من الصناعة يؤدي الى زيادة التحكم في التسيير ، والارتفاع بمستوى الانتاجية كما وكيفا ، وكفاءة استخدام التجهيزات الصناعية .

وفي هذا الاطار ، وكمثال ، اصبح قطاع المناجم يضم ٥ مؤسسات ، وقطاع الحديد والصلب يضم ١٤ مؤسسة الخ . وباختصار لدينا الآن في وزارة الصناعة الثقيلة ٤٧ مؤسسة،منها ١٤ مؤسسة خاصة بالدراسات ومتابعة الانجاز ، ويبلغ عدد العمال الآن في قطاع الصناعة الثقيلة حوالي ٤٢ ألف عامل . . !

● اذا كان الهدف الاساسي لأي صناعة هو تلبية حاجات السوق الوطني ، فان آلية التطور الصناعي تحتم العمل من اجل التصدير ، فأين تقف الصناعة في الجزائر بين السوق المحلي والخارجي ؟

مازلنا دون القدرة على تلبية حاجات السوق المحلي









● في أعلى الصفحة الى اليمين / بيت من الطراز القديم أسفل / حديث على مهل بين عجوزين لا أحد يستعجلهما ـ في أعلى الصفحة / سد قدارة بالجزائر حيث تشكل السدود نظاما متكاملا للرى ـ في الوسط / في مدينة برج بوعريرج .. نصب للشهيد ـ الى اليسار / شارع في نفس المدينة يظهر فيه التأثير الأوربي





في بعض المجالات ، مثل الجرَّارات وبعض الأدوات الفلاحية ، وذلك نظرا للامكانات الكبيرة لتطوير الزراعة في الجزائر ، لكن لدينا امكانات التصدير ، في مجالات صناعية اخرى مثل :

« مقطورات السكك الحديدية لنقل البضائع ، عدادات الماء والكهرباء والغاز ، الانابيب غير الملحومة ، الجرافات والروافع ، الحديد المسطح والعريض ، والصفائح ، والمقطورات الخاصة بالشاحنات بجميع انواعها ، والمكيفات .

وفي نهاية الحوار يقول : السيد / استنبولي ابراهيم : قل للاخوة في منطقة الخليج بعامة،وفي الكويت بخاصة،اننا مستعدون للتعاون معهم في كل ما يمكن ان يخدم التنمية في عالمنا العربي ، ونرحب بهم في اي وقت .

قسنطينة . . مدينة فوق صخرة :

الى الشرق من الجزائر العاصمة ، قطعنا اكثر من اربعمائة ك . م لنصل الى مدينة قسنطينة ، لنزور مركب المحركات والجرارات بجوارها .

جمال الطبيعة الذي تركناه في الجزائر يتسلل وراءنا عبر جبال « جرجراء » التي كانت تغطي قممها الثلوج في اوائل شهر مايو ، طريق السيارة يمضي احيانا على حواف المرتفعات ويخترق احيانا أنفاقاً قصيرة في الجبل ، ولكنه في النصف الاخير من المسافة ، يمضي في سهول ولاية « سطيف » المليئة بالمراعي الخضراء وقطعان الضأن والبقر .

إن مقام الشهيد الذي زرنا نصبه الشامخ في مدينة الجزائر يرافقنا هو الاخر في هذا الطريق الطويل ، ففي كل موقع جرت فيه معركة ، وسقط فيها عدد من الشهداء ، يرتفع نصب صغير ، بتصاميم مختلفة في الحجم ، وبخط اسود منحوت في قلب الحجر تقرأ اسماء الشهداء ، ومعلومات عن المعركة التي استشهدوا فيها ، وتاريخ الاستشهاد .

بعد رحلة استغرقت اكثر من ست ساعات بدأت تلوح لنا مدينة « قسنطينة » فوق صخرتها الشاخة ، وننزل في فندق « سيرتا الكبير » والفندق يحمل الاسم القديم لمدينة قسنطينة، تشير بعض الوثائق الى ان هذه المدينة ظهرت الى الوجود سنة ٢٠٣ ق . م وظلت « سيرتا » عاصمة للملوك النوميديين مثل « صفاقس » وماسينيسا » ويوغرطة » « ودمينيوس » ، وفي عهد هذا الاخير قامت ثورة ضد مظالمه تصدى لها الملك قسطنطين الأكبر سنة ٣١٣م الذي اخمد هذه الثورة ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح اسم المدينة « قسنطينة » وهو النطق العربي لاسم ذلك الملك ، ويبلغ أقصى ارتفاع للصخرة التي تقوم عليها المدينة ٥٣٤مترا في الشمال،وتتدرج الصخرة في الانخفاض جنوبا ، وتتكون من ركام صخري من أصل كلسي ويحيط بها وادي الرمال الفسيح الذي يشير الى ان المنطقة كلها كانت تغطيها في عصور سحيقة مياه البحر المتوسط ، ولعوامل جيولوجية فان الصخرة الهائلة تنشق بشكل طبيعي ، مخلفة في وسطها واديا ضيقاً حاداً يتدرج عمقه ، بتدرج ارتفاع الصخرة ، وتربط ضفتي الصخرة مجموعة جسور تحكي أساليب بنائها المختلفة ملامح الأزمنة التي بنيت فيها ، وفي العصور الاسلامية برز في قسنطينة عدد من أشهر العلماء منهم « ابن الخطيب » المؤرخ ، و« ابن حمزة » الطبيب ، و« ابن الفكون » الشاعر ، كما اصبحت قسنطينة مركزا علميا في عهد الحفصيين ، واثناء الاحتلال الفرنسي برزت في قسنطينة جمعية العلماء المسلمين التي اسسها الامام عبد الحميد بن باديس ، واستطاعت هذه الجمعية أن تنشيء رغم وجود الاحتلال أربعمائة مدرسة حرة لتدريس علوم الدين الاسلامي واللغة العربية وآدابها ، لمواجهة سياسة الفرنسة ، وبعد ان استقلت الجزائر فان قسنطينة قد اصبحت مركزا لأول جامعة اسلامية حديثة هي جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، كما انشئت بها جامعة عصرية تضم مختلف التخصصات في الآداب والعلوم الانسانية والعلوم البحتة .

رؤية عن قرب :

حين وصلنا الى موقع المركب في وادي حميمين « جنوبي قسنطينة استقبلنا السيد / دريد مبروك مدير المركب ، وخلال جولة في انحاء المصنع الكبير بدأ حديثه بقوله :

انشيء هذا المركب في ابريل سنة ١٩٦٩ وهو اول وحدة ميكانيكية انشئت في الجزائر،ومهمته تصنيع المحركات والجرارات ، وهو يصنع جميع المحركات التي تستخدم في الجزائر ، فمثلا نحن نصنع المحرك

الذي يستخدم في الجرار الذي نصنعه هنا أيضا ، والمحركات التي تستخدم في الجرافات والروافع في مركب « عين سمارة » والمحركات التي تستخدم في آلات الحصاد التي تصنع في سيدي بلعباس ، وباختصار:جميع المحركات التي يحتاجها أي موقع تصنيع ، وتحديدا فان هذا المركب يصنع ٢٨ نوعا من المحركات،ونستعد الان لتصنيع ٦ أنواع جديدة ، وعن جملة الطاقة الانتاجية للمركب قال : اننا ننتج حاليا ١٣ ألف محرك سنويا ، ونستعد قريبا لتوصيلها الى ١٨ ألف محرك ، وهناك خطة تحت الدراسة لانتاج ٢٥ ألف محرك .

وعن الجهة التي تحدد حجم الانتاج أوضح : ان تحديد حجم الانتاج يتم في اطار الاتفاق بين وزارة التخطيط ووزارة الصناعة وادارة المركب ، وهناك تنسيق بين كل هذه الجهات .

● هل يتم تصنيع جميع أجزاء المحرك هنا ؟

- نعم ، لكن هناك انواعاً من الخام التي تدخل في صناعة المحرك تأتي من الخارج .

كنا قد بدأنا نقترب من خط تركيب الجرارات . . فأشار الى أن المركب ينتج نوعين من الجرارات ، جرار صغير وقوته ٤٥ حصاناً ، ومتوسط وقوته ٦٥ حصاناً ، وان الانتاج الكلي في السنة يبلغ ٧٥٠٠ جرار ، ٧٠٠٠ من النوع المتوسط و٥٠٠ من النوع الصغير ، وطبعا لكل نوع استعمالاته ثم قال : لدينا برنامج جديد لانتاج جرار قوته ٣٥ حصاناً للعمل في الاراضي التي تزرع زراعة محمية ، وآخر قوته ١٢٠ حصاناً للاراضي الصلبة ، وهناك تخطيط للارتفاع بالانتاج الكلي للجرارات الى عشرة آلاف ، و٢٠٠ جرار في السنة لتلبية امكانات التطور في مجال الزراعة .

● هل روعي في اختيار هذا النموذج مواصفات معينة ؟

يمتاز هذا النموذج بأنه لا يحتاج الى عناية كبيرة من المستهلك ، لأن محركه يبرد بالهواء ، كما انه يستعمل في أصعب الاستعمالات الصناعية .

● كم عدد المهندسين في المركب وعدد التقنيين وعدد العمال في المركب ؟

يوجد ٣٥ مهندساً و٨٠٠ تقني ، و١٤٠٠ عامل من مختلف المستويات ، وهناك حوالي ٣٨٠٠ يعملون في مجالات غير الانتاج .

● هل توجد عمالة أجنبية بالمركب ؟ وما نسبتها ؟

الان جميع مستويات العمالة في المركب جزائرية ، أقصى عدد من الأجانب كان لدينا هو ١٧٢ في السنوات من ٧٦ الى ١٩٧٩ ، الآن لدينا فقط اثنان ، لا يحملون المركب أي تكاليف مالية ، ووجودهم في نطاق العلاقات الاقتصادية .

الزراعة . .

في طريقنا الى وزارة الفلاحة والصيد البحري ، كنا نحمل العديد من الملاحظات والتساؤلات التي نبعت من خلال الرحلة والقراءة والاستماع والمشاهدة :

تقول الملاحظات :

كانت فرنسا قبل احتلال الجزائر واحدة من خمس دول اوروبية تستورد القمح من الجزائر .

كانت فرنسا في ذلك الوقت أيضا مدينة للجزائر بقرض قيمته خمسة ملايين من الفرنكات الذهبية .

مساحة الأرض الصالحة للزراعة في الجزائر حوالي « ٧,٥ مليون » هكتار ، ما يزرع الان منها بالفعل هو « ٤,٦ مليون » هكتار .

هبط متوسط عدد السكان من الفلاحين في الهكتار الواحد من ٦٣٪ عام ١٩٦٧ الى ٣٦٪ عام ١٩٨٢ بسبب النزوح المستمر من الريف الى المدينة .

بلغت قيمة جملة واردات الجزائر من المنتوجات الغذائية سنة ١٩٨٠ حوالي « ٧,٤ مليار » دينار جزائري ، بنسبة ١٩٪ من جملة الواردات .

الجزائر تشتري من الخارج ٦٥٪ من حاجتها من الحبوب ، و٨٥٪ من الخضراوات المجففة ، و٧٥٪ من البيض .

كان هدفنا من الزيارة استطلاع رحلة التنمية في قطاع الزراعة في الجزائر ، ووضعنا جملة هذه الملاحظات والتساؤلات امام السيد/ رابح قدور مدير التخطيط في وزارة الفلاحة والصيد البحري فتفضل سيادته قائلا :

لكي نرى بوضوح مسيرة ومشكلات التنمية في قطاع الزراعة بالجزائر ، لابد ان نعود الى الوراء قليلا (بشيء من التركيز) وبخاصة انكم عدتم الى الوراء ايضا في ملاحظاتكم .



● أحد المساجد بمئذنتين ويظهر الطابع الجزائري في البناء

أثناء الاستعمار كان الفرنسيون يمتلكون ويستغلون السهل الخصيب، في شمال الجزائر، ويزرعونه بطريقة تقنية حديثة، وبرحيلهم اعطت الدولة هذه الأراضي لمن كانوا يعملون فيها من الفلاحين وبعض المجاهدين، ولم يكن من الممكن آنذاك استمرار زراعتها بالطريقة الحديثة، فلم يكن في الجزائر كلها في ذلك الوقت سوى عشرة مهندسين زراعيين، باختصار كان العجز في الاطر الفنية والآلات الزراعية شبه كامل.

التسيير الذاتي آنذاك فرض نفسه كأسلوب للزراعة، يدير الوحدة الزراعية من يزرعونها، من خلال لجنة التسيير المختارة من بين العاملين، ومعهم شخص من قبل الدولة، لم يكن مديرا، بل هو شخص له خبرة بالسياسة والفلاحة، ليقدم وينظم المساعدة التي توفرها الدولة في حدود الممكن، من الحبوب والسماد والآلات. الوحدات الزراعية آنذاك لم تكن تقوم على أسس علمية، واقتصادية، بعضها كان يقوم على مائة هكتار أو ٦٠ هكتارا، الآن الوحدة الزراعية تقوم على ٥ آلاف أو ٦ آلاف هكتار.

المرحلة الثانية :

كانت هناك مرحلة ثانية بدأت في أوائل السبعينيات بتأميم الأراضي التي كانت لكبار الملاك من الجزائريين انفسهم، وفق قواعد محددة، لم يكن من الممكن أن تستمر علاقات انتاج في المجتمع تسمح بالاستغلال، وخاصة للفلاحين الذين حقق الاستقلال للجزائر بفضل تضحياتهم في حرب التحرير، بالاضافة الى ان نسبة من استفادوا من العمل في الارض التي كان يملكها الفرنسيون لم تتجاوز ٢٠٪ من اصل ٩٤٠ الف عائلة ريفية، ظلوا في مستوى الاجراء.

لم تتجه الدولة في المرحلة الأولى أو الثانية لتمليك الاراضي، سواء التي كانت للفرنسيين أو لكبار الملاك، لمن كانوا يزرعونها من الفلاحين، لأن هذا التوجه لا يتفق مع الزراعة بالطرق التقنية الحديثة، بل كان التوجه ـ وخاصة في المرحلة الثانية ـ الى تقسيم هذه الاراضي الى وحدات زراعية تعاونية تدار بطريقة التسيير الذاتي وعائدها لهم.

الهدف كان توفير ظروف افضل لاستثمار الارض لصالح جماهير الفلاحين، ولربط الفلاح بأرضه من خلال علاقة انتاج افضل، ولدعم هذا الهدف انشأت الدولة في هذه المرحلة القرى الاشتراكية، التي يتوفر فيها الماء والكهرباء وتضم الى جوار البيوت المناسبة جميع المرافق الحيوية من مدرسة ومسجد ومستشفى وسوق وناد ووحدة بيطرية الخ.. كما كانت جهود الدولة (بفضل عوائد البترول والغاز وبفضل التطور الصناعي قد بدأت تؤتي بعض ثمارها في مجال توفير الآلات الزراعية، وتكوين الاطر البشرية المناسبة للعمل في قطاع الزراعة».

«لكن كل هذه الجهود كانت دون مستوى التحديات التي واجهتنا في هذه المرحلة، فمشكلة الري كانت ولا تزال واحدة من اهم الصعوبات التي تواجهنا، ان بناء السد الواحد يحتاج من ٣ ـ ٥ سنوات، لقد بنينا، ولا يزال امامنا ان نبني الكثير من السدود الصغيرة والمتوسطة والكبيرة.

طبعا كانت هناك مشكلات التكيف مع اسلوب العمل الجديد في الوحدات الزراعية التعاونية، التي كانت تحتاج الى وقت والى تفهم ووعي ليحقق هذا النظام اهدافه.

المرحلة الثالثة :

هي مرحلة الثمانينيات، وهي المرحلة التي شهدت اسلوب اعادة الهيكلة في القطاع الفلاحي..



● أحد الشوارع في حي
القصبة القديم بالجزائر .

وغيره ، إعادة الهيكلة بالنسبة لهذا القطاع تهدف ـ ضمن أشياء اخرى ـ إلى تقليل التعقيدات البيروقراطية بين الوحدات الزراعية ، وبقية الاجهزة الحكومية التي كانت تتعامل معها . . حيث انشئت ادارة قطاع خاصة بكل مجموعة من الوحدات الزراعية ، تكون مهمتها ان تمد هذه الوحدات بحاجتها من الاطارات الفنية والالات الفلاحية والسماد وغيرها .

طبعا هذه المرحلة شهدت تطورات كبيرة سواء من ناحية توفير الاطر الفنية بعد انشاء وزارة التكوين المهني ، وتوزيع معاهدها ومراكزها على سائر التراب الوطني . أو توفير الآلات الفلاحيه بصورة افضل ، أو التكيف مع اسلوب العمل في القرى الاشتراكية التعاونية .

وقد انعكس هذا على مستوى الانتاج في الموسم الفلاحي ٨٤/٨٥ ، فقد ارتفع انتاج الحبوب من ١٤ مليون قنطار ، الى ٣٠ مليون قنطار ، أي زاد بنسبة ١١٤٪ ، كما ارتفع انتاج البطاطا من ٤١٥ الف طن الى ٧٢٤ الف طن ، أي بزيادة نسبتها ٧٤٪ وهذه مجرد امثلة .

* * * *

شكرنا الاستاذ رابح قدور على هذه الخلفية المهمة التي تفضل بها عن تطور تنمية الزراعة في الجزائر ، وشاركناه تصوره بأن التحدي الجديد ليس هو مجرد زيادة الانتاج عن العام الماضي ، بل هو زيادة الانتاج لتلبية حاجة السوق الوطني ، ومواجهة النمو السكاني المتزايد ، وكان لابد لنا من رؤية عن قرب لتجربة القرى الاشتراكية في الجزائر .

رؤية من قريب لقرية اشتراكية :

هذه المرة اتجهنا الى الجنوب الغربي من مدينة الجزائر ، حوالي ٧٠كم نحو ولاية « تيبازا » التي تضم العديد من القرى الاشتراكية ، وفق التقسيم الاداري الاخير ١٩٨٥ ، فالجزائر تضم ٤٨ ولاية ، وتنقسم الولاية الى عدة بلديات ، وفي ولاية تيبازا ٤٢ بلدية .

وتتميز ولاية تيبازا بطابعها الفلاحي والسياحي ، فهي تمتلك عدة شواطيء بالغة الروعة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وتقول الاحصائية التي معنا من وزارة الفلاحة ، ان المساحة الاجمالية لتيبازا ٩٥٠٧٠ هكتاراً ، ومساحة الأرض الصالحة منها للزراعة ٧٥٠٣٠ هكتاراً ، يتبع القطاع العام منها ٥٦٣١٨ هكتاراً تنقسم الى ٢٦٦ وحدة زراعية ، والقطاع الخاص يمتلك ١٨٧١٢ هكتاراً ، الحد الاعلى منها لملكية الفرد الواحد هكتارين ونصف هكتار من الارض المسقية ، وأكثر قليلا من الأرض غير المسقية .

في مركز ادارة القطاع استقبلنا المهندس « قادر محمد » وصحبنا الى اقرب قرية اشتراكية هي قرية « تثالا الساحلية » ، وهي قرية لا علاقة لها بأي ساحل ، فهي تقع في قلب سهل اخضر من مزارع القمح وان كانت تحتل هضبة مرتفعة قلب السهل .

قلت للمهندس قادر :

● أود ان اعرف صلاحيات لجنة التسيير الذاتي في الوحدة الزراعية التعاونية . . ؟ ما هي الامور التي تقررها ؟ وما الأمور التي تحددها الدولة ؟

* * * *

الاتجاه الاساسي في عملية التسيير هو تأكيد استقلال الوحدة الانتاجية من خلال لجنة التسيير المنتخبة من بين عمال المزرعة الدائمين . . في اتخاذ جميع القرارات التي تتصل بالعمل في المزرعة .

لكن هذا لا ينفي ان الدولة تتخذ قرارات بشأن أمور اخرى محددة . . فمثلا كمية ما تزرعه ولاية من المزروعات الاستراتيجية كالقمح والبطاطا والكروم ، الدولة هي التي تحددها ، لانها تأخذ في اعتبارها اشياء مثل سياسة التصدير أو حاجة السوق الوطني لسلعة معينة ، أو صلاحية بعض الاراضي ، أو حالة المناخ في بعض المناطق .

أيضا الدولة تحدد سعر بعض المزروعات الاستراتيجية التي يقوم القطاع العام بتصديرها ، كالكروم ، او بتوزيعها على السوق الوطني بسعر مناسب مدعوم لصالح الجماهير .

على ان الدولة حين تتخذ مثل هذه القرارات تستند في دراستها الى الآراء التي تصلها من جهات متعددة ، منها الوحدات الزراعية التعاونية .

فيما عدا ذلك اللجنة تقرر كل شيء ، فالمزروعات

الأخرى غير الاستراتيجية كالفواكه والخضر وغيرها ، لجنة التسيير هي التي تحددها وتحدد اسعارها ، وهناك تفاوتات في الأسعار حسب الجودة والطلب وغير ذلك .

● كيف يتقاضى العاملون في الوحدة الانتاجية اجورهم ، وما أسلوب تقدير هذه الاجور ؟

في اطار الوحدة الانتاجية هناك عامل دائم ، مستقر في القرية الاشتراكية ، له بيت ، وله كل حقوق العامل الدائم مثل الترشيح للجنة التسيير ، والانتخاب ، وحق الالتحاق ببرنامج للتكوين المهني مرة كل سنتين لاكتساب خبرة ، أو لتطوير خبرته ، مما يؤدي الى ترقيته ، فيكون مسير حوامض أو كروم أو تربية دواجن او سياقة أو صيانة الجرار .. الخ .

والعامل الدائم هو الذي يعمل ٢٠٠ يوم عمل في الموسم الفلاحي ، ويوم العمل له أجر محدد يختلف من مجال عمل لآخر ، فمثلا اجر يوم عمل لحارس ٥٥,٤٠ ديناراً جزائرياً في اليوم ، ولعامل بسيط ٦٧,١٠ ديناراً جزائرياً ، ولعامل ماهر يصلح الجرار ٩١,٨٠ ديناراً ، ولعامل تربية نحل ٨٥,٤٠ ديناراً ، ملحوظة (الدولار = ٤,٥٠ دنانير جزائرية) بالسعر الرسمي .

طبعا هناك عامل مؤقت يأتي من أي مكان للمشاركة في الأعمال الموسمية ، كالحصاد وغيره ، وهذا يتقاضى أجراً لعمله يومياً ، لكن ليس له ما للعامل الدائم .

● هل هذا الاجر هو كل ما يتقاضاه العامل الدائم ؟

لا .... العامل الدائم له الحق اولا في سلفة وتسمى « تسبيقة » في بداية الموسم ، وتختلف من منصب لآخر ، ثم لجميع العمال في نهاية الموسم نسبة في الربح عند بيع المحصول ، حيث يوزع (حسب ايام عمل كل منهم) ٥٠٪ من الربح العام للمحصول .. فالتفاوت قد يحدث بحسب ايام العمل ولكنهم جميعا من الحارس الى المدير يتفقون في نصيب يوم العمل من هذه الـ ٥٠٪ .

● ما اجر المدير ؟

ـ المدير غالبا مهندس زراعي ويعين من قبل وزارة الفلاحة وهو ممثل الدولة في الولاية ، وهو غير رئيس لجنة التسيير الذي ينتخب من اللجنة ، وبداية مرتبه اربعة آلاف دينار في الشهر .. والتقني ٣ الاف دينار في الشهر .

قرية بدون سكان :

مع الاقتراب من قرية تثالا الساحلية « كنت بدأت ادرك معنى ما قاله لنا الاستاذ » « رابح قدور » في وزارة الفلاحة عن صعوبة انتقال الفلاحين من القرية الاشتراكية الى مواقع العمل ، فالأراضي التي تضمها أي وحدة زراعية مترامية ، اذ ليست كل الاراضي الصالحة للزراعة متصلة ، فقد كنا نمر بجوار حقول القمح الشاسعة ثم تقطعها هضبة عالية ندور حولها ثم تبدأ أراض كبيرة وهكذا ..

القرية بديعة ، منسقة ، بيوتها من طابق واحد تقريبا لكنها تبدو وكأنها بدون سكان ، كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة صباحا ، أين الأهالي ؟

الآن هم يعملون في الحقول ؟

ويضحك مرافقنا المهندس قادر محمد : سنجد من نلتقي بهم .

وحول نادي القرية ومسجدها وسوقها نلتقي بالشباب والناس ..

اسمي معمر مختاري ، اعمل سائق جرار ، كان هذا عملي من قبل ، أجري ٨٥ ديناراً في اليوم .

● هل يكفيك هذا الاجر ؟

ـ شوية [يكاد يكفيني] ..

فارس الطيب .. في الصف السادس من التعليم الاساسي ..

اعمل في غير اوقات الدراسة كعامل بسيط .

اجري ٧٥ ديناراً في اليوم .

اتدرب في مركز التدريب المهني على العمل على آلة تصوير .

سمارة عبد العزيز ..

توقفت عن الدراسة في السنة الثانية الاعدادية .

● لماذا لم تلتحق بمراكز التكوين بعد ذلك ؟

ـ بلغت سن التجنيد فدخلت الجيش .

ترى هل ينجح المسئولون في دولة الجزائر وفي وزارة الفلاحة وفي كل الولايات والبلديات والقرى الاشتراكية في رهانهم على ألا تبقى التنمية الزراعية هي الجناح المهيض للتنمية في الجزائر ؟ □

السلطان





الليلة بدون ملك،لكن الدور لا يتطلب أي مجهود . . الملك هو شخص يجلس على العرش ، ويصدر الأوامر فقط . توقف عن الكلام . ارتفعت أصوات من القاعة . قال المخرج :

من حقكم أن تقولوا يسقط المخرج ، لكني أقول لكم الحقيقة . الممثل الملك مات الليلة ، هذا ما لم أكن أتوقعه .

توقف عن الكلام ثانية ليرى تأثير عباراته على الجمهور . عاد الهدوء الى القاعة،واصل الكلام :

لا أحد يستطيع أن ينجو من الموت . الحل الوحيد لبدء العمل هو أن يتطوع أحد الحاضرين ليؤدي دور الملك .

استغل الحاضرون صمت المخرج ، فعادت الضجة من جديد . . ومن آخر الصف ارتفع صوت : أنا ، أنا . .

في هذه اللحظة تغيرت ملامح المخرج ، وانقلب اليأس في عينيه الى أمل حقيقي .

قال : حسنا ما عليك الا أن تصعد على الكرسي الذهبي .

عندما اقترب الشاب من حافة الخشبة ، بانت ملامحه تحت الأضواء للجمهور ، في الثلاثين من العمر ، ذو نظرة غامضة ، طويل القامة يرتدي بدلة رمادية .

يعلو الصفير والهتاف وتصيح الحناجر بنبرة رتيبة .

سلطان ، سلطان ، سلطان .

يرتد الشاب الى الخلف ويتمتم:سيدي كانت مزحة مني . لقد دفعوني الى هنا ، يقع المخرج في حيرة . إنه أمام وجه جاد القسمات لا يصلح لأن يؤدي مزحة ثقيلة . مهما حدث فهو بحاجة الى شخص يؤدي دور الملك .

يعلو الصفير والهتاف ثانية ، وتصيح الحناجر .

سلطان ، سلطان . .

اسمي سلطان بن الوالي لذلك صدرت مني المزحة ، ودفعتني الأكف الى هنا . . يصمم المخرج على التعامل مع هذا الوجه الذي يجيد المزاح وهو صارم ، فكل من في القاعة يرفض .

أنت قريب من الخشبة واسمك سلطان ؟

لكن الشاب قاطع بلهجة صارمة .

ان لي شرطا قبل أن أصعد على العرش الذهبي .



لا بأس سنتفق حين تذهب الى غرفة الملابس .

ما زال الشاب واقفا لا يتحرك . وضع المخرج يده على كتفه ، لكن الشاب لم يتحرك قال : ما دمت سأرجع الى التاريخ فلدي شرط !

هل تظنني أرفض .

حسنا والجمهور ؟

توجه المخرج الى الجمهور ، حك صلعته . قال : أتحبون أن نبدأ التمثيل ؟

حدثت ضجة ـ هتف الحاضرون بالموافقة . قال الشاب : شرطي أن توافقوا على كل شيء آمر به .

كان الجمهور متحمسا لبدء التمثيل . ترنموا . صفقت الأكف،ملأت القاعة - -سلطان موافقون ، سلطان موافقون !! . .

توجه الشاب الى غرفة الملابس . كان يبدو وقورا صامتا ، وهو يجلس على العرش بملابس قديمة ، كأن التاريخ تراكم على جسده،يحيط به جنود يحملون الحراب ، وخلف عرشه حارسان يمسكان سيفين . كل شيء في اللوحة يرمز الى حدث كبير . الملك صامت . الجنود مستعدون ، الحارسان متهيئان لأي أمر مفاجيء ، بقي الملك صامتا ، والممثلون ينتظرون الأوامر بفارغ الصبر . طال الانتظار . ضجر الجمهور .

بعد لحظات تحرك الملك . نهض من كرسيه . اقترب من حافة المسرح ، سبقه الجنود وبقية الحرس . أخيرا نطق : أيها السادة ما دمتم قد وافقتم على شرطي فأنا أحكم عليكم بالاعدام !!

استدار أحد الحارسين نحو المخرج ، أما الجنود حاملو الحراب فقد انتشروا بين المقاعد ! □



الجنوبي المسافر

شعر : الدكتور عبده بدوي

شاهدتُه .. مُستغرقاً ومفكرا   آنا يُطلُّ ، وَمرةً مُستغبرا
ضحكتْ عليه من النساء جميلةٌ   وتمايلتْ فغدا المطارُ مُثرثرا
كانتْ مُواطنةً تعذِّبُ نفسَها   فعلى الجبين ترى الجنوبَ الأسمرا
.. لكنَّني من مقعدِي أبصرتُه   يستحضرُ القَسَماتِ من إحدى القُرى
شاهدتُه والأمُّ تمسح دَمْعَه   وتقولُ : لا تحزنْ فلست مُخَيَّرا
ورأيتُ زوجَتهُ تقدِّم طِفلَها   ليرى أوائلِ ورْده مُخْضوضرا
كانتْ تَودُّ عناقَه ، لكنَّها   خَجلتْ ، ففطَّتْ خاطِرَينِ اسْتَعْبرا
ومَضتْ فرِجْل في الطَّريق تقودُها   بيْنا يسيرُ القلبُ سَيْرَ القَهْقَري
يامَنْ يرى حُزن الغريبِ بأرضِه   مُتَشابكا في حُزْن من هَذْ السُّرى !

**

وهنا تُطِل حكايةٌ مسكينةٌ   عن قِصَّةِ الكَدْح الذي لن يُفْتَرا
وعن الثمار ، وقد رَعاها بذرةً   حتى استدارَ الخصبُ ، ثم تكوَّرا
وعن الوجوهِ ، وقد غَدت معروقةً   وعن الشُّحوب امتدَّ ، ثم تأخَّرا
لكنَّ خوفاً قابعاً في نفسِه   يمتصُّ نضرتَه ، ويَمْضي مُدْبرا
.. وهنا تموتُ بشاشةٌ موقوتةٌ   فغدا يضيع بحُجرةٍ لن تُثمرا
ولقد تجودُ بفرحةٍ قد رفرفتْ   لكن غُربَتهُ تُشوِّهُ مايرى

**

صرخَ : ارجعوني نحو أرضٍ في دمي   مالِيَ وللطيرانِ في أعلى الذُّرا
فتضاحكَ الجمعُ الذي من حوله   لكن هذا الضحك صارَ مُؤثِّرا
فلقد أحسوا أنهم هذا الذي   ضحكوا عليه ، وأوسعوه تحيُّرا
.. ومَضوا . ولكن كان في أعماقهم   وطنٌ ينوح !! وحفنتان من الثَّري !!

البيض

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

حين اكتشف صيدلي ألماني مركبا كيماويا يبعث عند تناوله نشوة مؤقتة ، وتأخذ المرء في أحلامه بعيدا عن عالم الواقع ، لم يجد له اسما أنسب من اسم إله الاحلام اليوناني « اورفيوس » ومنها كان المورفين .

لكن النشوة المؤقتة والأحلام تتحول عند الادمان الى سموم قاتلة وأمراض فتاكة ، تعاني منها المجتمعات المتقدمة على وجه الخصوص . فما هو المورفين ؟ ـ وكيف انتشر تعاطي مركباته الأخرى من السموم البيضاء القاتلة ؟

عرف صمغ الأفيون منذ عهد بعيد ، يسبق زمن الميلاد بآلاف السنين ، فهناك داخل متحف العلوم البريطاني بلندن ، تعرض آنية فخارية وأخرى خزفية صنعت في قبرص ، وتعود تاريخيا الى العصر البرونزي المتأخر في حدود عام ١٥٠٠ق.م ، زخرفت جدرانها بأشكال زهرة نبات الخشخاش . وكانت تعبأ بمحلول صمغ الأفيون مع الماء أو الخمر ، وتصدر الى دول العالم القديم شرقه وغربه وشماله او جنوبه ، ويتلقاها كهنة المعابد ومزاولو الطب والسحر ، يعالجون بمحلوله الآلام ، ويخففون أوجاع المرضى . وقد يستمدون بسطحيهم [illegible] ويثبتون سطوتهم . كما ذكر في الأوديسة أن هيلين طروادة عالجت نفسها من الاكتئاب والحزن والقلق الذي اجتاحها بعد حصار المدينة بنفس المحلول، كما قدمته شرابا لحاشيتها يبث في نفوسهم السرور ، ويدخل على قلوبهم البهجة، ويبعث فيهم الأمل بعد أن ظهرت بوادر الهزيمة ولاحت في الأفق . نفس المحلول استخدمه أبو قراط في القرن الرابع قبل الميلاد ،

وعالج به الطبيب ديسكوريدس مرضاه ، كما استخدمه جالينوس كأحد أدويته وعقاقيره المميزة . ويقال أن شراب صمغ الأفيون قدم للمسيحيين الأوائل سرا حتى يخفف عنهم تعذيب الرومان لهم ، وفي عام ١٥٣٠ م طرحت في الأسواق صبغة الأفيون فاكتسحت ماعداها من أعشاب طبية وأدوية مهدئة .

وعن الأفيون سجل داود في تذكرته بأنه يشتق من نبات الخشخاش المعروف في مصر بأبو النوم ، وهو أبيض ـ وهو أجوده ـ وأحمره أعدله ، وأسوده أشد فاعلية ، وهو يزهر اصفر ويخلف هذا الزهر رؤوساً مستديرة غليظة ، يجمع آخره قمعا يشبه الجلنار ، يستخرج منه الأفيون بالشرط ، وقشره اذا دق كان جالبا للنوم ، مخففا للرطوبة وللسعال وأوجاع الصدر الحارقة .

مصدر أفيون العالم

ونبات الخشخاش هو مصدر أفيون العالم ، وأحد نباتات حديقة الطبيعة التي اتسعت وترامت أطرافها حتى شملت سطح الأرض اليابس ، وقيعان البحار والمحيطات ، وضمت قرابة نصف مليون نوع من النبات ، بينها الراقي والبدائي ، ومنها ربع مليون نبتة مزهرة تعطي ازهارا وثمارا وبذورا فضلا عن مئات الآلاف التي انقرضت وتلاشت ولم يبق منها سوى ذكرياتها .

ونباتات حديقة الطبيعة تروى بماء واحد ، تسقط عليها أشعة شمس واحدة ، يغلفها غطاء جوي متماثل ، إذ لا اختلاف بين نبات ينمو في الزقازيق وآخر في طوكيو وثالث في الهند أو بنجلاديش أو اليمن أو الصين ، ورغم هذا ، قدمت الحديقة طرحا متنوع الأشكال والألوان ، تراوح بين الغذاء والكساء ، والدواء والسموم ، هذا قطن وذاك قمح أو شعير ، وهذا أفيون أو كوكايين . . الخ . ويكمن سر هذا التمايز في شفرة وراثية وبرنامج عمل يتحكم ويحكم اداء خلايا كل نبات ، ويجعلها تعزف منظومة واحدة تؤدي دورها المرسوم والمسطور في كتاب الكون العظيم دون خلل او انحراف ، ولا تأتي بما يخالف سنة عملها وشرائع شفرتها ، فإذا بكل نبات يحيل مصادره المتاحة من غذاء وماء وطاقة الى توليفة



النبات يصنع السم داخل خلايا أوراقه



ثم يدفعها الى حوصلة بذوره



بعدها تخدش ويستجلب صمغ الأفيون

نبات مبهج ، وحوصلته تحمل العلاج والموت . . الحياة والدمار

كيميائية خاصة ، نبات قصب السكر يعطي من مفردات الماء وثاني أكسيد الكربون وطاقة الشمس نفس المفردات التي يتلقاها نبات الخشخاش ، فإذا الشفرة والبرنامج يضعان المفردات بجوار بعضها البعض وفق أسلوب آخر ، فتجد في نهاية المطاف الأفيون . . ولا غرابة ولا عجب . . وهل يختلف الأمر عما بين يديك الآن ، فهذه المجلة سطرت بالأبجدية والارقام العربية ، ومع هذا تقرأ مقالا أدبيا وآخر علميا وقصة أو قصيدة أو أخبارا أو تحقيقات او رسائل القراء ومناقشات عن الاقتصاد والمال والتجارة . . فرغم توحد المفردات صاغها كل فكر وفق ما هوى .

ونبات الخشخاش واحد من مجموعة نباتات يستحيل الاستغناء عنها تماما ، كما يستعصى تقبلها تقبلا تامابلا حدود أو قيود مثل الذرة والقمح أو القطن فهو المصدر الطبيعي الوحيد لانتاج خامة صمغ الأفيون ، أساس صناعة مادة المورفين والكورمين . والمورفين رغم اثارة الوخيمة ، اذا أسيء استخدامه مادة طبية استراتيجية لا يخلو منها مستشفى مدني أو عسكري ، وتوضع حقن المورفين بالأمر داخل حقائب اسعاف الجنود قبل ارسالهم للحرب،وتدرج الدول المورفين على قائمة مخزونها السلعي ، وتراقب وفرته مثلما تراقب كميات الملح والسكر واللحوم ، تحسبا لأي طارىء يستجد ، أما الكودائين فهو مادة كيميائية طبية من أهم أدوية تخفيف الآلام والسعال ونزلات البرد والجراحات البسيطة ، وكانت محوراً أساسياً وقاسماً مشتركاً أعظم ، في ٨٥ وصفة طبية أمريكية خلال عام ١٩٨٥ ، كما وصفها آلاف الأطباء لملايين المرضى خارج الولايات المتحدة . . لكن من الأفيون تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فهو أيضا خامة انتاج مخدر وسم الهروين . . أحد أخطر أنواع المخدرات البيضاء ، وسوط عذاب الناس في كل مكان ، وكأن نبات الخشخاش باعث صحة ومرض ، وبشير خير ونذير شر . . يحمل السعادة والدمار . . أو انه نبات شيطان وقديس .

وهو بذلك يتفرد عما سواه من النباتات ، ولعله النبات الوحيد في العالم الذي أشعل نار حرب استمرت سنوات طوال بين بريطانيا والصين في واحدة من الحروب ذات الدوافع المتعددة ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية . . اذ كان منطق الاستعمار . . كيف يترك قوة الصين البشرية الهائلة تجاور قواته المتمركزة في الهند ، دون أن يصدر اليها أفيونا تنتجه شركة الهند الشرقية ، فيحيلهم الى كتلة بشرية هامدة يتكسب منهم ، ويفرض تجارته عليهم ، ويأمن جانبهم ، ويقتطع بعضا من أرضهم .

نبات بريء المظهر

ونبات الخشخاش بريء المظهر ، بهي الطلعة ، مشرق يبعث منظره سرورا . له اوراق صغيرة نوعا ، سميكة الى حد ما ، وسيقان منتصبة ، واذا ازهر اشاع في الحقول بهجة ملونة ونثر على المسطحات الخضراء زهورا تتراوح ألوانها بين الأبيض والأحمر والأصفر والأرجواني ، تضفي على التلال والسهول لمسة فنية بارعة ، وتضيف اليها بعدا جماليا فريدا وكأنه قوس قزح ، امتد بين الأرض الخضراء والجبال الشواهق والسماء الزرقاء .

هذا المشهد الطبيعي المدهش يخفي أنواعاً من القتلة ، بشرا ذوي شراسة يحرسون الزراعات ، فان اقتربت وجهوا اليك فوهات بنادقهم الآلية ، وصبوا عليك موجات رصاصهم . يحرسون القاتل الأبيض الذي يتخفى وراء الخضرة والأزهار ، وداخل خلايا النبات ، وينضج على مهل حتى يحين وقت جمعه ، فقد مرت الأوقات الصعبة منذ ألقيت البذور في الأرض وامتصت ماء الري ، وانتفخت ونمت البراعم والسيقان ، وحملت أوراقها ، وتلاقت الأوراق مع ضياء الشمس ، وبدأت الشفرة والبرنامج عموما ، وقامت الأوراق بحل الشفرة وتنفيذ الأوامر ، وجرت داخلها صناعات كيميائية دقيقة ، وصنعت مواد نيتروجينية من فصيلة أشباه القلويات ، ضختها الاوراق ضخا الى خلايا النبات ، حيث تم تخزينها ليوم معلوم ، يوم تسقط التيلات وتبدأ حوصلة البذور نموها ، وتسحب العصارة وتنمو وتتضخم ، ويصبح القاتل الأبيض معدا اعدادا كاملا . بعدها يشطرون أو يخدشون الحويصلات بمشارط حادة ، وعلى الجدران ينزف سائل أبيض اللون ، لزج القوام ، ويتبخر بعض مائه ، ويقتم لونه ، ثم يجمع في الصباح المبكر بسكاكين حادة على شكل كتلة لونها

بني . . انه صمغ الافيون أو الافيون الخام ضاما اليه تشكيلة كيميائية غريبة ومتنوعة . . بعدها تبدأ سلسلة صراع مسلح ضد القانون لتهريب السموم وتوزيعها . .

أشباه القلويات

ولأن الألمان تستهويهم بحوث الكيمياء ، ويعشقون لعبة التحاليل واستخدام الدوارق والانابيب ، وكشف اغوار المواد الكيميائية ، وصولا الى جوهرها وتحديد تركيبها الحقيقي ، فقد قدموا للعالم الجديد والمثير في هذا المجال ، مثل ابتكار الأسبرين ، وتحويل الفحم الى بترول ، وصناعة السماد من الهواء والماء . . الخ .

منذ عام ١٨١٥ م جذب صمغ الافيون اهتمام الصيدلي الألماني ف . سير تيرنر ، فبدأ مع المادة رحلة بحث شاقة ، وحاول بما يعلم التوصل الى ما لايعلم ، استخلص مكوناتها تارة بالاذابة في الماء ، وأخرى في الكحول ، وثالثة مع المذيبات العضوية ، وحلل عناصر كل مستخلص ، وقدر الأوزان الجزيئية ، وحل معادلات حسابية كانت عويصة آنذاك ، اذ أن المواد الطبيعية ذات الصفة العضوية سيان النباتية أو الحيوانية ، ليس لها تركيب كيميائي شامل ، جامع مانع ، واحد لاسواه ، انما هي مجموعة مواد مختلطة ببعضها بعضا ، والعالم والباحث الكيميائي القدير من سيطر على أدواته ومناهج بحثه فلا يضل طريقه اليها ، وقد كان للرجل هذه القدرات ، واذا به يفصل أول المواد الفعالة ، ووجد أن أقل قدر ممكن منها يحمل خصائصها الكيميائية والفيزيائية . . . يتشكل من سبع عشرة ذرة كربون ، وتسع عشرة ذرة هيدروجين ، وذرة نيتروجين واحدة ، وثلاث ذرات أوكسجين $C_{17}H_{19}No_3$ وتبلغ نسبتها في صمغ الأفيون ٢٣ر٣٪ وحار الرجل في تسمية المادة ومنحها شهادة الميلاد العلمية ، وكعادة العلماء آنذاك ونسبتهم مسميات ما يبتكرون أو يكتشفون الى مسميات يونانية ، تحمل قدرا من خصائصها ، وجد ان انسب مسمى هو اسم إله الأحلام . . أورفيوس . . فأطلق على المركب الكيميائي اسم المورفين ، فالمركب الكيميائي يبعث نشوة مؤقتة وتخديرا ، ويبث أحلاما لمن يشاء حظه العاثر تعاطيه أول مرة . وعليه فان اسم إله الأحلام هو أفضل الأسماء .

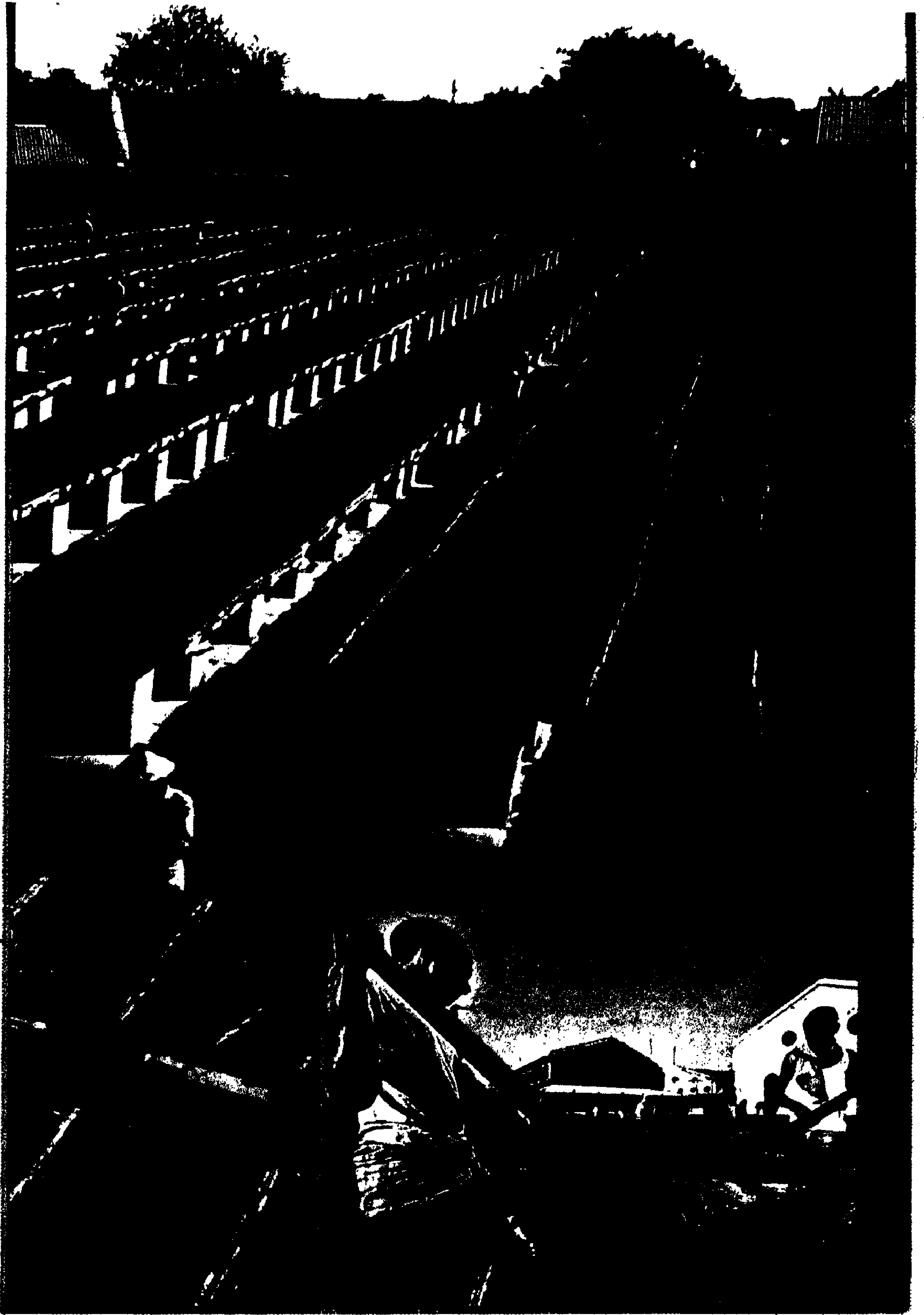
بعد ذلك تم فصل الكودين $C_{18}H_{19}No_3$ ، وتتراوح كميته بين ٣٪ حتى ٢٪ ، والناركوتين $C_{22}H_{23}No_3$ ، وتتراوح نسبته بين ٧٥٪ الى ٩٪ والثيابين $C_{19}H_{21}No_3$ بنسبة ٦٥٪ كما تم اكتشاف مواد ومركبات كيميائية أخرى مثل الخشخاشين واللوادانومين والهيروين ، الى جانب عدد آخر من المركبات ذات القدر المحدود جدا والسمية البالغة .

حكومات تصدر الأفيون

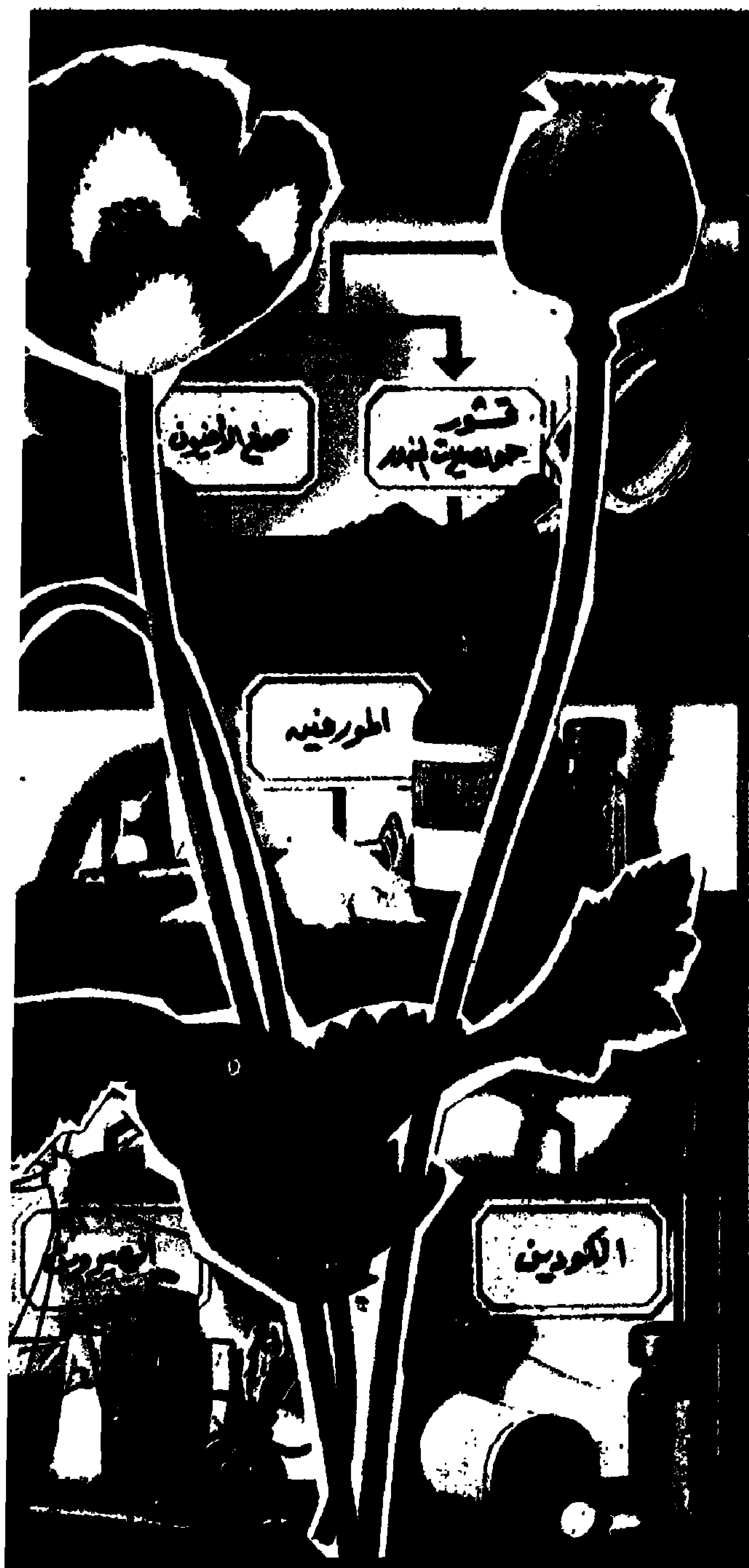
ويتم اعداد صمغ الأفيون للتصدير داخل مصانع أنشأتها شركة الهند الشرقية عام ١٨٢٠ ، وآلت ملكيتها وادارتها للحكومة الهندية ، ويقوم على زراعة وجمع المحصول قرابة ١٧٠ ألف أسرة ، تعداد أفرادها حوالي مليون شخص موزعين على ٦٠٠٠ قرية ، ويحصدون من كل ثلاثة آلاف كبسولة قرابة ٦ر١ كيلوجرام ، وفي المصانع توضع العصارة داخل علب خشبية . معرضة للشمس والهواء ، ويقلب الصمغ كل ساعة ، ويبقى على حالته اثني عشر يوما ، بعدها يتحول الى عجينة سوداء لامعة ، تقطع قطعا ، وزن الواحدة خمسة كيلوجرامات ، وتغلف وتعبأ . وتشحن تحت حراسة مشددة الى الدول المستوردة .

المهم أن عمال المصنع يستحمون اجباريا ويوميا بعد انتهاء العمل ، ويفحصون طبيا مرة كل أسبوع ، ولا يسمح لأي منهم بالخروج بحذائه أو أدواته ، منعا للتهريب ، واحكاما للسيطرة .

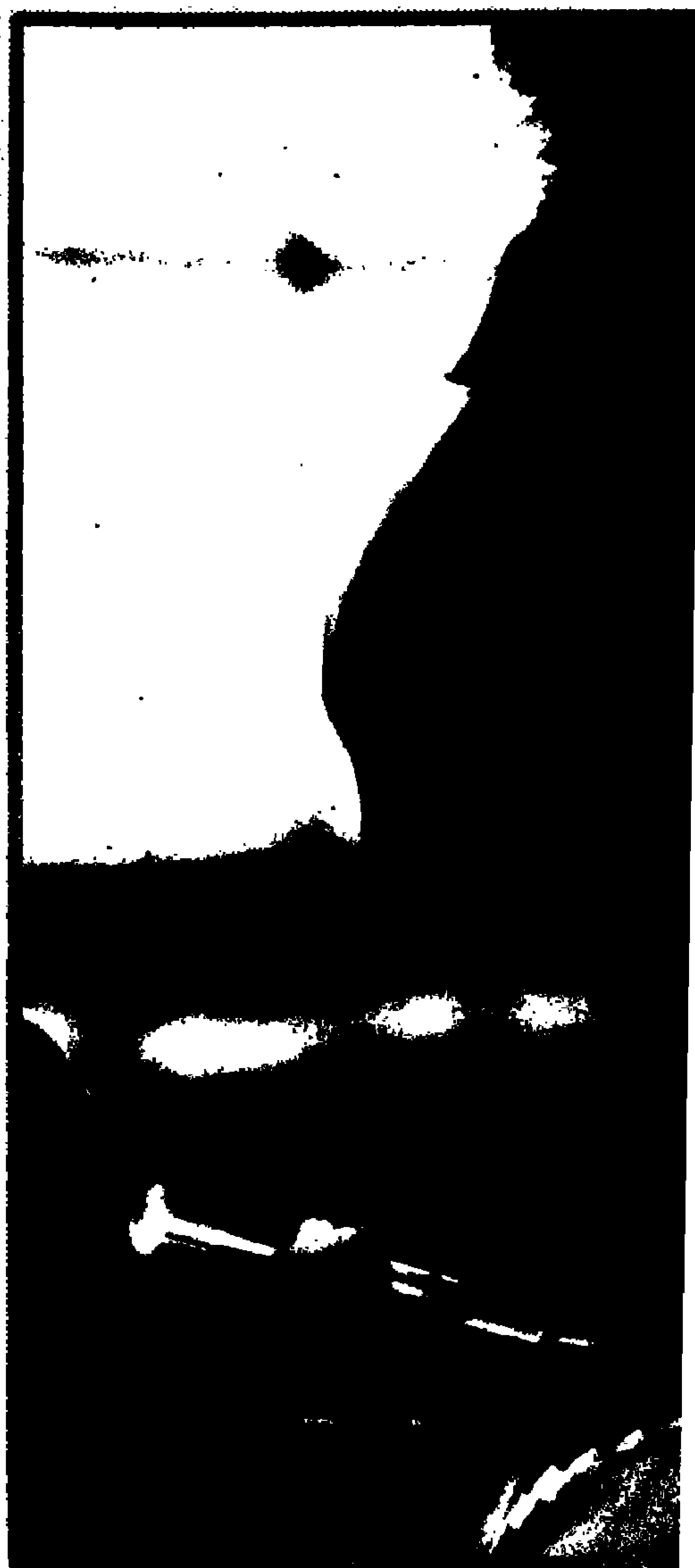
ومادامت هناك سيطرة ورقابة وهدف طبي من الصيانة ، فلا مانع ولا ضرر أو ضرار . . لكن الأرباح الطائلة من التجارة المحرمة ، ومناعة مناطق الزراعة ، جعلت عصابات دولية تمول الفلاحين والوسطاء والمهربين ، وتمدهم بالأموال والسلاح ، فأذا أضفنا الى ذلك سهولة تحويل الصمغ كيميائيا الى مورفين ثم الى هيروين ، وتقطيره تقطيرا بدائيا ، داخل أوعية حديدية صدئة ، في مواقع داخل الزراعات أو الغابات ، يتوافر عندها مصدر ماء جار ، ومصدر طاقة حرارية ، جعل تجارة الهروين تجارة رائجة رغم كل المشاق والصعاب ، لذلك



مصنع انتاج خام الأفيون الحكومي بالهند ، وقد أنشأته شركة الهند الشرقية عام ١٨٢٠ ، وكان أحد أسباب حرب الأفيون بين الصين وانجلترا .



نبات الخشخاش والمواد المستخلصة منه . .
صمغ الأفيون . . ومركز قش النبات ،
ومنها يستخلص المورفين الذي يمكن
تحويله كيميائيا الى دواء الكودين ، أو الى
مخدر المورفين



الدمار يدخل الى الدم مباشرة



مصانع الهيروين البدائية بعد أن
اقتحمها رجال الشرطة

تحولت منطقة المثلث الذهبي التي هي أكبر منطقة تصدير للسم القاتل في العالم ، رغم وجود مناطق انتاجية أخرى في كل شرق آسيا تقريبا حتى اليابان ، وانتشر ادمان السم القاتل ، وأصبح مرضا خطيرا يدفع أفراد المجتمعات دفعا صوب ارتكاب الجرائم ،

ويكفي قولا أن ٧٥٪ من جرائم السرقات وحروب الشوارع داخل مدينة نيويورك دافعها الأساسي جيوب خاوية وجسد مدمن ، وعقل مدمر لا يفكر ولا يتدبر ، سوى الحصول على المال لشراء المخدر ، وكل مرة يلقم جهازه الحيوي قدرا فاذا به صوب حاجة أشد

من سابقتها ، وكأن خلاياه غول مفترس لا ترتدع أو تشبع ، لا تقنع ولا تقاوم ، ويزداد المتعاطي استسلاما ، ويضع زمام قيادته تحت امرة طاحونة مرعبة ، عبر عنها الشاعر الانجليزي توماس دي كوينتزي أصدق تعبير ، في مؤلفه اعترافات مدمن :

« كنت أشعر بالموسيقا مثل العطر ، أحس انني أحيا مئات السنين خلال يومي أو ليلتي . السعادة تملأجوانبي ، ثم أصحو من أحلامي فأصاب بالرعب المدمر ، بعدها أمضي يوما طوله ألف سنة داخل كفن حجري ، تحاصرني تماسيح تنهش لحمي وتدق عظامي »

ولو قدر للعالم النمساوي « فرويد » - أشهر مدمن مخدرات بين العلماء - قراءة ما كتبه الأديب الانجليزي بتمعن ، فربما تردد أو أحجم عما سطره عن المخدرات ، شارحا خلال كتاباته المستفيضة خصائصها ، والانتشاء والنشوة واللذة والشعور بالحيوية الجارفة ، نتيجة استثارة الأجهزة العصبية والجنسية والحسية ، ومهد الناس لتلقي سوط المخدرات والسموم البيضاء بعد الخمور والأفيون .

ابتكارات في تعاطي المخدرات

وتعاطي السموم البيضاء لها طرق وأساليب وابتكارات ، منها الشم والمضغ والتدخين ، وأخطرها ما استحدث عام ١٨٥٣ فور ابتكار الحقنة ، اذ استخدمت في ادخالها مباشرة الى الدم ليظهر تأثيرها بعد ثلاث دقائق . وان ركز المدمنون على الشم فلأن



ورقة القنب الهندي

تجويف الأنف يحتوي على شبكة أوعية دموية هائلة ، ممتدة داخل منطقة رطبة ساخنة ، تساعد على سرعة امتصاصها ، والواقع أنها مثل كل الطرق تؤدي الغرض نفسه . . فكلها تفضي الى فقد الاحساس ، والانتشاء المؤقت ، وهبوط دقات القلب ، وانخفاض ضغط الدم ، وقد يصل الى حد النوم العميق فيما يشبه الغيبوبة ، ومع استمرار التعاطي والانتقال صوب الادمان القاتل يبدأ ضمور خلايا المخ رويدا رويدا ، ويصاب الجهاز العصبي كله بالوهن ، ويتداعى اداء القلب والجهاز الدوري ، وتنشب أمراض الجهاز الهضمي ، زد على ذلك أن الشمامين يعانون التهاب الحلوق والعيون ، وتتحول أنوفهم الى حنفيات يتدفق منها ماء غزير ، كما تثقب عظمة الأنف مع سعال مستمر ، كما ثبت من تجارب معملية على الفئران داخل المركز الطبي بجامعة ديوك الامريكية ، تلف خلايا الكبد ، وموت الخلايا العصبية ، وظهور علامات الارهاق والتعب مما أدى الى وفاتها .

والموت نتيجة حتمية للادمان ، ولعلنا نعود بالذاكرة الى حادثة الموت المفاجيء لنجم كرة السلة الأمريكي ليونارد باياس في أوائل يوليو ١٩٨٦ ، وظل اهله ذاهلين غير مصدقين قرابة أسبوعين ، حتى بدد الدكتور جون سريلان الشكوك ، وسحب الذهول باعلانه أن سبب الوفاة كان نتيجة شم اللاعب للمخدرات البيضاء ، ولم يصدق أحد ما أعلنه وأمطرته وسائل الاعلام بأسئلة لا نهاية لها ، فاضطر الى تفسير الأمر . . لقد أغلقت جزيئات المخدر نقاط

الاتصال العصبية داخل خلايا المخ ، وحوصر قلبه ، فلم يستقبل أي اشارة ، ومن ثم فشل وارتبك وتوقف عن العمل ، وانتقل اللاعب الى رحمة مولاه رغم شبابه وعضلاته المفتولة وعوده الغض ، وما عرف عنه من استقامة ، وقد يكون اللاعب القتيل تناول الكوكاكين وهو مادة شبه قلوية ، ذات خصائص مخدرة ، ولها درجة سمّية عالية ، ويسحب عليها ما يسحب على الهيروين والمورفين وما شابه من سموم بيضاء ، حيث لا ينفع معها شباب أو فتوة أو لياقة بدنية .

حدود الموت

وعلى حد قول الدكتور جيفري انسر ، أستاذ امراض القلب ، في بحث نشره بمجلة الأكاديمية الطبية « لايستطيع احد في العالم تحديد الجرعة القاتلة ، اذ تتوقف على عوامل تخص جسم المدمن نفسه ، فالجرعة القاتلة لشخص قد لا تكون كذلك بالنسبة لآخر أو لنفس الشخص في تاريخ سابق او يوم الوفاة ، اذ تختلف خصائص وقدرة الجسم يوما عن يوم وساعة عن ساعة ، فأجسامنا ليست آلة حديدية صماء ، بل عدة أجهزة حيوية وعصبية ، تتشابك معها مؤثرات نفسية واجتماعية وسيكلوجية ، قد يتكامل دورها الوظيفي في لحظة ، ولا يتكامل في لحظة أخرى ، ومعنى هذا أن متعاطي السموم البيضاء مثل رجل حشا بندقيته رصاصا وصوبها الى صدره ، وأخذ يلعب بزنادها ظانا أن الرصاص لن ينطلق ، وحتى اذا افلت المدمن من الموت المفاجيء ، فان ادمانه يجره جرا صوب تعاطي المهدئات والمسكنات والخمور والكحوليات ، مما يضعه تحت رحمة ثلاثة شياطين مردة يلهبون ظهره بالسياط دون رحمة أو هوادة ،

والنتيجة خلل اجتماعي واقتصادي تحتمله الآن بعض الدول أو بعض الأفراد ، لكن للاحتمال حدودا ، وما زاد عن حده انقلب الى ضده .

ولعل الاحصائيات الأمريكية أكثر الاحصائيات الدولية صدقا ووضوحا ، فقد ذكرت أن عدد المدمنين يتراوح بين أربعة وثمانية ملايين فرد ، ينفق الواحد منهم اسبوعيا مئة دولار لشراء جرام واحد . أي ينفقون حوالى ٢١ بليون دولار سنويا تلقي في بالوعة المخدرات ، كما ذكرت بأن جميع طلبة الجامعات والمعاهد العليا مارسوا لعبة تعاطي السموم البيضاء بشكل أو بآخر ، تحت وهم أنها مواد منشطة ومنبهة ، في حين ربط الذين أدمنوا بينها وبين سعادتهم الأسرية .

وقد أرجع تقرير نشرة فرانك جاوين ، الأستاذ بجامعة ييل الامريكية ، سبب الادمان الى رغبة المدمن تحقيق قدر من السعادة لا يمكنه تحقيقها داخل الاطار العام للمجتمع ، فاذا واكب هذه الرغبة رغبة في العزلة والانطواء على النفس ، ينظر للمجتمع على أنه مجتمع رمادي اللون ، لا يجمله ويلونه ويبهجه سوى تعاطي المخدرات ، مثلما تلون زهور الخشخاش المزارع الخضراء ، وتخفي عن عين الزائر البؤس الشديد الذي يعاني منه المزارعون .

محاولات للعلاج

وتتكشف بعض أسرار الادمان بفضل توافر معدات وأجهزة حديثة ، وأساليب جراحية متطورة تجاوزت مرحلة التسجيل الى مرحلة توضيح فسيولوجية الأعضاء ووظائف الخلايا العصبية ،

وانطلقت البحوث والدراسات من لمحة ذكية أدركها اطباء المخ والأعصاب ، اذ تيقنوا ان أدويه « الاحباط » مثل الامرامين لها خصائص قوية في كبح رغبة المدمن تعاطي السموم بنسبة ٩٠٪ خلال أسابيع ثلاثة يبقى المدمن خلالها تحت الاشراف الطبي الكامل ، فإن واكب العلاج الكيميائي استثارة المدمن نحو الشفاء برأ وشفي مما ألم به ، وان ارتد على عقبيه ساءت حالته يوما تلو يوم ، حتى يفارق الارض الى السماء .

والواقع أن تناول أداء الخلايا العصبية موضوع يحتاج تفصيلات كثيرة لا مجال لها ، لكن اذا نظرنا للخلايا على أنها تشبه البطاريات الجافة،اذ رصت خلف بعضها البعض وأغلقت الدائرة أضاءت مصباحا صغيرا أو انطقت راديو ترانزستور ، وان عزلت عن بعضها فلا نطق راديو ولا أديت وظيفة ،

وما دمنا نتحدث عن خلايا عصبية ، فلا محل للاتصال المعدني أو السِّلْكي ، بل يتم اتصال الخلايا داخل منطقة التقاء عصبي تتصل ببعضها عن طريق سائل لزج رقيق للغاية ، وكما في البطاريات الجافة ، هناك باعث للألكترونيات ومستقبل لها ، فان لكل خلية باعثا ومستقبلا ، وكل مستقبل من خلية يواجه باعثا من الأخرى ، فان أرادت خلية عصبية بث اشارة تنبيه ، أو امرا بأداء وظيفة ، أطلقت نبضة كهربية تترجمها الخلية الى شفرة كيميائية ، تطفو فوق سائل الاتصال ، الى حين تصل الخلية التالية ،

وتتكرر العملية حتى تصل الاشارة العضو المطلوب أو الخلية المقصودة ، معنى ذلك انه يمكن فصل الاتصال ، اما باستعادة مادة الشفرة الكيميائية من فوق سطح السائل ، أو جعلها تتفاعل مع مادة أخرى تغير خصائصها تماما ، وتجعل وصولها الى الخلية المستقبلة عديم الجدوى .

ونلقي نظرة على أسباب الاحباط ، لنجد انه ينجم عن تحرك انزيمات خاصة داخل الخلايا عبر السائل الاتصالي ، وفور تناول المريض الأدوية ، يمنع الانزيمات من استكمال مسيرتها ، فيشعر المريض بأنه منتعش ومسرور .

هذا تماما ما تقوم به مواد الهيروين والكوكايين ، اذ تحيط جزئياتها بالانزيمات ، فتنطلق مادة الدوبامين والنورالدين ، وتبقى طافية فوق سطح سائل الاتصال مدة أطول .

لكن مع استمرار تعاطي المخدرات البيضاء تستهلك وتستنزف الباعثات العصبية ، ويسحب الخمول ظلاله فوق خلايا المخ كلها مما يسبب انهيارا عصبيا أشد ، ويشعر المدمنون باحباط أشد وطأة مع تزايد القلق والتوتر والخمول والجوع الشديد ، لذلك يحتاجون كميات مخدرات ذات جرعات أكبر فأكبر .

ولأن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، ولحكمة لا يعلمها سواه ، وجد الأطباء أن أدوية الاحباط لا تسبب ادمانا أو استنزافا عكس السموم البيضاء ، لهذا بدأت الدراسات الجادة نحو وضع منهج علمي محض لعلاج المدمنين بأدوية علاج الاحباط أو الشلل الرعاش ، أو أدوية الشلل العصبي ، وما زالت كلها اجتهادات وخطوات على الطريق ، سوف تتبعها الاف الخطوات .

والعلم يسعى ويكثف العلماء جهودهم . والحقيقة انه مهما حاول العلماء ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلا علاج حاسم وناجع لمشكلة القتلة البيض دون ايمان مطلق بالله سبحانه وتعالى ، واتباع أوامره والبعد عما نهى .. وصدق رب العزة القائل « لايغير الله مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » □

محجات الجاهلية

● تشير النصوص السريانية واليونانية واللاتينية القديمة إلى وجود الحج عند العرب قبل الاسلام ، غير أنها لم تشر إلى « وجود بيت واحد كان يحج إليه العرب جميعا . يقول الهمذاني : إن العرب كانت لهم محجات متعددة ، منها بيت اللات ، وكعبة نجران ، وكعبة شداد الايادي وكعبة غطفان » كما يذكر ابن الكلبي بيوتا أخرى ، كبيت ثقيف . ويشير الزبيدي الى بيت ذي الخلصة الذي كان يدعى الكعبة اليمانية . ويذكر الدكتور جواد علي بيوتا أخرى ، مثل كعبة ذي غابة ، وكعبة ذي الشرى ، ويقول إن الحج إليها في يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) من كل عام .



أدب الرحلات في حياتنا الثقافية

دكتور سيد حامد النساج

شغلت الدراسات الأكاديمية والنقدية العربية ، بدراسة فنون الأدب ، من قصة قصيرة ورواية طويلة ومسرح وشعر ، لكنها لم تلتفت ـ طويلا ـ الى لون أدبي نثرى ، شهد عددا من التآليف فيه . وأقدم على الكتابة فيه عدد لا بأس به من الكتاب الأعلام . . . ذلك هو أدب الرحلات،فما هو موقعه من حياتنا الثقافية ؟ .

يستطيع الباحث المدقق أن يظفر بمئات الكتب في « أدب الرحلات » . أي ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا ، أو بمعنى آخر : الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز ، وفي لغة خاصة ، ومن خلال تصور بناء فني لـه ملامحه وسماته المستقلة .

اذا كان المستشرقون الروس يرجعون هذا اللون من الكتابة الى القرن العاشر الميلادي ، فان المكتبة العربية تؤكد أنه ظل ممتدا ومستمرا حتى عصرنا الحديث ، بل انه ازدهر وشهد تطورا في الموضوع ، والرؤية ، والهدف منه ، واللغة التي يكتب بها ، إذ من الملاحظ أن عددا كبيرا من الكتاب المعاصرين ، يحرصون بين لحظة واخرى ، على ان يدونوا رحلاتهم ومشاهداتهم ونقلاتهم هنا وهناك وهنالك ، وذلك في كتب مستقلة لها طابعها الخاص .

القديم والحديث

يساعدهم في ذلك أن وسائل الاتصال الحديثة ، والعلم والتقنيـة ، قـد يسـرّا الانتقـال الى أقصى الأرض ، بـل بعيـدا عن الأرض ، حيث يـوجـد القمـر ، وهم يستعينـون في كتـابتهم لـرحـلاتهم بـالصور ، والمعلومـات ، والوثـائق ، والتشـويق ،

والترغيب ، والمقارنة ، والخبرة ، والثقافة ، والرؤية ، وهي بالتأكيد كتابات تختلف كثيرا عن تلك الكتابات التي خلفها الأعلام الرواد ، مثل ابن خرداذبة ، واليعقوبي ، والبلخي ، وابن حوقل ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، وأبي دلف مهلهل الشاعر في « عجائب البلدان » ، والمسعودي في « مروج الذهب » ، وأبي الريحان محمد البيروني في « تاريخ الهند »، وأبي عبيد البكري الاندلسي في « المسالك والممالك » .

ان الذي يقرأ كتابات الدكتور حسين فوزي التي تدور حول الرحلة ، مثل « سندباد مصري » و « سندباد في رحلة الحياة » و « سندباد في سيارة » و « سندباد عصري » و « سندباد الى الغرب » و « سندباد عصري يعود الى الهند » و « حديث السندباد القديم » . أو يقرأ كتب محمود تيمور « أبو الهول يطير » ، و « شمس وليل » ، و « جريرة الحبيب » و « الأيام المائة » . وكتابات أنيس منصور المتنوعة في هذا الجانب : «حول العالم في ٢٠٠ يوم » و « اليمن .. ذلك المجهول » و « بلاد الله خلق الله » و « أطيب تحياتي من موسكو » و « أعجب الرحلات في التاريخ » و « غريب في بلاد غريبة » «انت في اليابان» وكذلك كتابات أحمد حسين « من وحي الجنوب » وأحمد محمد حسنين « في صحراء ليبيا » . وطاهر أبو فاشا « وراء تمثال الحرية » وأمين الريحاني « المغرب الأقصى » ومصطفى محمود « مغامرة في الصحراء » و « الغابة » وعبد الفتاح رزق « مسافر على الموج » و « رحلة الى شمس المغرب » . وخيري شلبي « فلاح مصري في بلاد الفرنجة » . وصبري موسى « في الصحراء » ومحمد كامل حتة « في ظلال الحرمين » . ومفيد فوزي « جواز سفر انسان » .

أقول ان الذي يقرأ هذه الكتابات ، وغيرها كثير مما لا سبيل الى حصره ، سوف يلاحظ تطور هذا اللون من الكتابة النثرية الأدبية .

دراسات نقدية

وهذا هو الذي يدعو الى ضرورة أن تتجه الدراسات النقدية الى هذا الأدب ، لدراسته ، وتحليله ، وبيان فائدته ، ودوره ، وأهميته إن كانت له أهمية ، من حيث هو عمل أدبي وفني ، وليس من أية زاوية أخرى ، والى أي حد أفاد من فنون الأدب النثرية كالقصة والرواية ، والشعر أيضا ، اذ ليس يكفي أن نقف عند الحديث عن أدب الرحلة عند ابن بطوطة ، وابن خلدون ، وابن جبير ، ورفاعة رافع الطهطاوي في العصر الحديث .

ولا يعني هذا أنه لا توجد دراسات حول أدب الرحلة ، هناك كتاب (أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي) لأحمد أبو سعد . و (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لكراتشقوفسكي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، و(الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) لزكي محمد حسن ، و (الرحلات) للدكتور شوقي ضيف . و (أدب الرحلة عند العرب) للدكتور حسني محمود حسين ،

الذي درس هذا اللون من الأدب منذ الفتح الاسلامي حتى العصر الحديث . وبالتحديد وقف عند القرن التاسع عشر ، من خلال عرضه لرحلة ابن جبير ، ورحلة ابن بطوطة ، وكتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ورحلة رفاعة رافع الطهطاوي الى باريس ، ورحلة أحمد فارس الشدياق الى مالطة وبريطانيا وفرنسا .

وفي هذا الكتاب اقترب الدكتور حسني محمود حسين من عالم كل رحالة ، وحاول اعطاء صورة عامة عن الظروف التي أحاطت بالرحلة ، وبكاتبها ، وبالكتاب نفسه ، ثم انه عرض الرحلة عرضا وافيا ، أفاد فيه بنصوص من كتب الرحلة ذاتها ، وكان له اهتمام ملحوظ باللغة التي كتبت بها الرحلة ، كما حرص على أن يبين الى أي حد تختلف رحلة ابن جبير عن رحلة ابن بطوطة مثلا ، وكذا الرحلات التي قام بها أصحابها في القرن التاسع عشر ، بمعنى أنه فاضل بين رحلة وأخرى من حيث الرواية ، والاسلوب ، والاقتراب من السيرة الذاتية .

وهو من هذه الجوانب ، اختلف كثيرا عن غيره ممن كتبوا عن أدب الرحلة عند العرب ، أولئك الذين اعتبروا الرحلة عملا جغرافيا وليس ابداعا أدبيا ، درسوا الرحلات من حيث هي تسجيل لجولات قام بها اصحابها ، ودونوا فيها ملاحظاتهم ومشاهداتهم ،

وحاولوا أن يتلمسوا الدوافع الى الرحلة وأسبابها ، ونتائجها ، كما حاولوا تفسير بعض ملاحظات الكتاب ، وشرح كلماتهم التي تستعصي على الفهم .

اتجاهات مختلفة

وفي تصوري أن دراسة أدب الرحلة تستلزم البحث في كل رحلة على حدة من حيث هي بناء فني ، وابداع أدبي ، له أسسه الخاصة ، وملامحه الذاتية ،

التي تميزه من غيره من فنون الأدب الأخرى ، التي قد تشترك معه في بعض الخصائص والسمات ، هذا هو المنطلق الذي ينبغي أن تنطلق منه أية دراسة موضوعية

لهذا اللون من الأدب ، فنحن عندما نتعامل مع هذا الأدب باعتباره « شكلا » فنيا خاصا ، خير ألف مرة من التعامل معه باعتباره تسجيلا جغرافيا ، مما يخرجه من دائرة الأدب .

وهذا يتيح لنا فرصة استكناه كل عمل ، وجلاء ما يتميز به ، وما أضافه ، كما يسمح بالمقارنة بين الأعمال المختلفة ، بل انه يكشف عن الاتجاهات المتباينة لأدب الرحلات ، وفقا لما تتضمنه كل رحلة ،

فهناك رحلات ذات اتجاه ديني ، وأخرى ذات اتجاه جغرافي ليس غير ، وثالثة ذات اتجاه حضاري ، ورابعة كتبت بقصد تدوين الرحلة في حد ذاتها ، وهكذا ، وهو ما يستدعي تصنيفا موضوعيا للرحلات ، ودراسة فنية لها في ضوء هذا التصنيف ، وهنا سوف يدع الباحث جانبا ما أشيع من أن معظم ما كتبه العرب في هذا الجانب أدب جغرافي ، كما قال بذلك الباحثون الروس ، وغيرهم من الباحثين العرب ، وهذا المصطلح تلزم دراسته ، وتحديد مفهومه ودلالته ، والانتهاء من تحديد موقف علمي منه ، من قبل كل من يتعرض للكتابة عن أدب الرحلة .

وعندما ينتهي الدارس أو الباحث من تحديد موقفه من المصطلح ، يبدأ في تحديد رؤية الكاتب الرحالة ، ثم ما كان يستوقفه ويلفت نظره ، ويقف عنده

طويلا ، هل كانت تشغله المعالم الحضارية كالآثار ، والمعابد ، والمتاحف ، والمساجد ، والكنائس ، والأماكن التاريخية ، فيصفها وصفا مطولا ، ويستطرد في ذكر كل ما يتصل بها ، من تواريخ ، وأعلام ،

ووقائع ، أم كان همه الأوحد هو وصف الأماكن من حيث موقعها الجغرافي ، وما تتسم به ، وفيم تتشابه وفيم تختلف ، وتأثير العوامل الطبيعية فيها ؟

وهناك من كان يستهدف الاتصال بالسلطان أو الحاكم . فيشغل به عمن عداه ، وهناك من كان يحرص على لقاء العلماء ، ورجال الدين ، ومجالس العلم ، في البلدان التي يمر بها في رحلته ، وكان هذا

يستغرق كل وقته ، فيعطيه مساحة كبرى داخل نص الرحلة ، ومسألة موقف الكاتب ـ الرحالة من الطبقات الاجتماعية ، ومن الناس العاديين الذين كان يصادفهم ، نظرته اليهم ، دراسته لأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، اقترابه من فهم أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومعرفة وسائل معيشتهم ،

وطرق حياتهم اليومية ، والعلاقات الاجتماعية بين الطبقات وما شابه ذلك ، هذه مسائل تلزم دراستها عند التصدي لموضوع الرحلة في الأدب العربي .

وقد يتبع هذا بيان عنصر الصدق في الرحلة ، وجلاء الحقيقة ، أين تكون ؟ . أحداثا ووقائع وأماكن وأناسا . وما هو دور الخيال ، اذ ربما تكون الحقيقة جانبا هامشيا ، وتترك الخيال كي يلعب أهم الأدوار .

بداية ونهاية

ويلعب مدون الرحلة أو راويها دورا هو الآخر ، فصاحب الرحلة ـ في بعض الأحيان ـ لم يكن يقوم بكتابتها بنفسه ، اذ كان يمليها أحيانا ، أو يرويها لمن يقوم باملائها أحيانا ، وفي الحالين هناك كاتب للرحلة

ليس هو صاحبها بطبيعة الحال ، ومعروف أن السلطان أبا عنان سلطان فاس وفر لابن بطوطة محررا أدبيا من كتاب ديوانه هو « ابن جزي » ليقوم بتدوين رحلة ابن بطوطة .

وهذا يقتضي تحليلا معمقا لبيان دور كاتب الرحلة أو مدونها ، واستخلاص خصائص أسلوبه ان كانت له بصمات واضحة ، وذلك لتحديد سمات وملامح أسلوب صاحب الرحلة الأصلي ، ولن يتأتى ذلك الا بدراسة نقدية لكتابات كل منهما ، في ميادين أخرى .

أما من حيث البناء الفني للرحلة ، أو معمارها الأدبي ، فان أحدا من الدارسين السابقين لم يلتفت اليه ، فلكل رحلة « بداية » و « نهاية » كيف جاءت « البداية » ، وكيف وفق الكاتب الى « النهاية » . وهل هي نهاية فنية ، أم أنها نهاية تقليدية ، حكمها عنصر الزمن ، والفترة المحددة للرحلة ، هل هي نهاية طبيعية ، أم مفتعلة ، وعنصر التشويق في كل من « البداية » و « النهاية » ، وسيلة الدخول الى موضوع الرحلة وطريقة الانتهاء منها ، لغة « البداية » ولغة « النهاية » .

ولا شك أن كل رحلة حفلت بعدد وافر من الشخصيات ، من مستويات اجتماعية وفكرية وثقافية مختلفة ، كيف تعامل كاتب الرحلة مع هذه الشخصيات ، وأي نوع من البشر حرص على تقديمه في رحلته ، وكيفية معالجته لهذا الجانب ، وصفه للشخصية ، تحريكه لها ، دور الخيال في هذه المعالجة ، هل كل الشخصيات في الرحلة مستمدة من الواقع الذي رآه ، وعاشه ، واحتك به ، وتعامل معه ، أم أنه اكتفى ببعض من صادفهم ، ثم صور من وصفوا له ، أو سمع بهم ، من قبل آخرين ، بمعنى أن الشخصيات عنده نبعت من مستويين مختلفين ، المستوى الأول واقعي ناجم عن رؤية ومعايشة ، والمستوى الثاني مستمد من معايشة الآخرين ، ومن السماع ليس غير ، والى أي حد انعكس ذلك في تقديم الشخصيات ، كذلك الحال بالنسبة لوصف الأماكن ، وتدوين الوقائع والأحداث .

دور الشعر

وللشعر في معظم الرحلات التي بين أيدينا وجود ملحوظ ، وبخاصة تلك التي كتبت في العصور المتقدمة ، أما الرحلات التي كتبت في القرن العشرين فان الشعر لا يلعب فيها دورا على الاطلاق .

وهي ظاهرة تلفت نظر الدارس ، مما يدفع الى الوقوف عند « الوجود الشعري » في الرحلة ، بقصد دراسته ، ومعرفة مصدره ، والى أي حد جاء « الشعر » منسجما مع بقية العناصر الفنية في الرحلة ، بحيث يأتي البناء الفني الكلي للرحلة مستقيما ومتماسكا .

وثمة تساؤل ينبغي على الدارس الاجابة عنه : هل « الشعر » الموجود من تأليف كاتب الرحلة وصاحبها الأصلي ، أم أنه من تأليف غيره ؟ ولماذا استشهد به ؟ وكيف كان الاستشهاد ؟ وهل كان موفقا فيه أم لا ؟

الى غير ذلك مما يثيره « الشعر » كعنصر موجود في البناء العام للرحلة ، استشرافا للحكم على « الوحدة العضوية » للرحلة ، عملا أدبيا فنيا .

ولا يفوت دارس هذه الكتابات الأدبية التي تدور حول « الرحلة » جانب « المقارنة » : مقارنة أساليب الكتاب ، واتجاهاتهم ، ووسائلهم الفنية ، وأدواتهم التي استعانوا بها ، وصولا الى تبين الملامح الفنية الأساسية لهذا اللون من الكتابة الأدبية ، وبحثا عن مواضع التأثر والتأثير المتبادل ، وبيانا للمراحل الفنية التي مر بها هذا الشكل الأدبي ، وكشفا للملامح الجديدة ، ومعرفة الاضافات التي أضافها الكتاب المحدثون .

ان هذا اللون من الأدب العربي أصبح يشكل جانبا مهما في مكتبتنا العربية ، منذ تلك الرحلة التي قام بها « أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير » الكتاني الأندلسي ، ليحج بيت الله الحرام ، في الثامن من شوال سنة خمسمائة وثمان وسبعين للهجرة ـ ثلاث وثمانين ومائة بعد الألف ميلادية ـ وهي الرحلة التي استغرقت سنتين وثلاثة أشهر ونصفا .

لقد فتحت هذه الرحلة الباب لكثير ممن جاوا بعده من الرحالة والجوابين ، كي يقدموا على كتابة رحلاتهم بشكل أدبي ، وقد كانت الحصيلة مكتبة كاملة ، تراثية ومعاصرة ، لأن الأدباء المعاصرين في كل الدول العربية أسهموا ـ بشكل أو بآخر ـ لتدعيم هذه المكتبة ، وللاضافة الى هذا اللون من الأدب .

ومن ثم كانت دعوتنا لدراسة هذا الشكل الأدبي المتميز ، في ضوء تلك الملاحظات التي أبديناها وحددناها .

دورة الحياة والموت النباتية

هل تؤدي إلى فك أسرار الشيخوخة الانسانية ؟

بقلم / بدور عبد الكريم

اذا كان الانسان قد بدأ يفتتح ـ بفضل تطوير تقنيات استكشاف الفضاء ـ مغاليق الكون الخارجي والكواكب السيارة ، واذا كان بفضل كرة الغوص التي ابتكرها البروفيسور « كوستو » قد بدأ يفتتح مغاليق أعماق البحار وقيعانها ، فان هناك عالما أقرب منالا ، لم يكشف الانسان بعد عن مغاليقه ، ولم يسجل على صعيده أي فتوحات علمية ، إنه العالم الذي يرقد تحت أقدامنا ، أي عالم التربة المباشرة ، هذا مع ان اتجاهات العلم الحديث تفترض أن مفتاح لغز دورة الحياة والموت الانسانية يكمن في دورة الحياة والموت النباتية في التربة ، وهكذا في خط مواز لذلك ، تتجه الابحاث الهادفة الى فهم ظاهرة الشيخوخة ، ومحاولة الحد من تأثيرها في الجسم الانساني الى دراسة ظاهرة الذبول والجفاف الموسمي ، لأوراق من الشجر وسقوطها على الأرض .



ذلك انه اذا نثرت ريح الخريف أوراق الشجر الجافة على الأرض ، لتتخلل وتتحول الى هباء منثور ، فان كل ورقة تقع على الأرض وتتلاشى هي في نظر علم البيولوجيا ، تمثل الدورة الكاملة للحياة ، كما أنها تمثل عملية التغذية المستمرة للحياة بمقومات الصمود والاستمرار .

المعروف أن أوراق النباتات التي تنتج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة ـ المستعصية على الرؤية الا عبر المجهر الالكتروني ثلاثي الابعاد ـ انما تؤمّن في الوقت ذاته المواد اللازمة والجوهرية من أجل النمو النباتي بالذات .

ومع أن الحياة في التربة المباشرة لم تزل مجهولة

نسبيا ،ويحيط بها الكثير من الغموض بما يتحدى الذكاء الانساني والقدرات العلمية ، فانها على مايبدو لم تستقطب بعد الاهتمام العلمي اللائق بها ، الا مؤخرا وبشكل نسبي ، بعد أن أصبحت ظاهرة الامطار التي يتخللها حامض الكبريت وحامض الكربون مصدرا كبيرا للقلق ، كجائحة وباء بيئي يفتك بالقدرة الانباتية في التربة ، ويميت كل حياة فيها ، ويطرح على العلماء سؤالا لم يزل دون جواب قاطع :

كيف تحدث عملية تشبع ابخرة السحب بحامض الكبريت ، وكيف يمكن تجنب أخطار الأمطار المشبعة بها ؟

ردا على هذا السؤال يتفحص العلم بشكل متعمق ظاهرة تحلل وتعفن أوراق الشجر الجافة ، وبشكل يبشر بقرب افتتاح آفاق وكشوفات جديدة ومثيرة على صعيد علم « الأحياء الجزيئية » أي المخلوقات المتناهية الدقة ،وعلى هذا الصعيد فان (النيماتودات) أي الديدان المجهرية الأحادية الخلية التي يعج بها باطن التربة ، هي في طريقها الى أن تصبح سلالة جديدة من فئران المختبرات ، بل سلالة ثمينة فعلا .

ولما كانت دورة حياة هذه الديدان قصيرة جدا ، لاتتحاوز أياما معدودات ، فان علماء البيولوجيا يركزون على استخدامها في سلسلة لا متناهية من التجارب الهادفة لفك مغاليق لغز من أكثر الألغاز تحديا لعلم الكائنات الحية ألا وهو : سر التباين في تركيب الخلايا . . اي الطريقة التي يستطيع فيها كائن دقيق متعدد الخلايا أن يختلف عن غيره في السمات والخصائص ، انطلاقا من بويضة أثناء عملية تكون يرقته ونموها .

ولكن على هامش ذلك فان ظاهرة تساقط أوراق الشجر لاتزال تؤلف الأفق الذي يستقطب علماء البيولوجيا الراغبين في احراز فتح علمي يؤمن لهم قهر الشيخوخة في الكائنات النباتية ، ثم الحيوانية والانسانية ، ذلك أن هذه الظاهرة ليست الا نموذجا لشيخوخة سنوية متكررة ، أو لمرحلة من الهدم تؤدي الى موت الأوراق .

ولكن لم هذا الموت الجماعي الذي يحدث بشكل نظامي منضبط العمليات تقريبا ؟

لقد حاول البروفسور السويدي لينارت نيلسون



● قراءة مجهرية من نوع اخر . وهو نوع يعشش في التربة وفي الغبار في زوايا البيوت ، وبين ثنايا أسرة النوم ،وفي هذه الصورة نراها تدب على بقايا ورقة شجرة التهمتها البكتريا ، ذلك أن مهمتها ان تلتهم مخلفات البكتيريا وما يتناثر من رقائق الجلد من جسم الانسان خلال عملية التجديد الدائم التدريجي للبشرة الانسانية .

ان دور الفراويات كبير في دورة الحياة والموت الانسانية ، ولكن لها دور سلبي في الحياة الانسانية ، اذ تؤلف عاملا رئيسيا من عوامل الاصابات بالربو .

بأساليبه الخارقة في التصوير عبر المجهر الألكتروني ، أن يضع تحت ايدي العلماء وبخاصة زميله نيلزنيلفست،مجموعة رائعة من الصور المكبرة الملتقطة عبر عدسة المجهر الألكتروني،الذي يمكنه من خلالها تكبير الأحياء المتناهية الدقة حتى ١٦٠٠ مرة ، بل حتى ٢٥٠٠ ، وأحيانا حتى ٥٣٠٠ مرة .

وتلعب هذه الصور دورها المهم في توضيح بعض غوامض التحولات الخفية التي تحدث باستمرار في باطن التربة ، وتحت أقدامنا مباشرة ، دون أن نشعر بها بالطبع .

ولعله يجب التذكير أن نيلسون قد حقق فتحا رائعا

عندما استنبط وسائل فنية معقدة ومتقدمة ، مكنته من تصوير الجسم الانساني من الداخل ، وبشكل دفع الى الامام أساليب معالجة أمراض القلب وتصلب الشرايين ، واستكشاف الخلل في وظائف الأجهزة الحيوية ، مثل الكلية والكبد والمرارة الخ .

وتكريما له اختارته جامعة اوبسالا السويدية استاذا فخريا .

هذا ويضطلع . والبروفيسور ريتشارد هاردويك ـ أحد الباحثين في مشتل الأبحاث النباتية في ويلزبورن (بريطانيا) ـ بنظرية جديدة ، يرد فيها سبب تساقط الاشجار في شكل موت جماعي ، الى أن الشجرة تنتج في مواسم معينة هرمونات الهرم والشيخوخة كدعوة الأوراق التي اكتملت حياتها من أجل أن تغادر الدنيا بموجب قانون الانتخاب والانتقاء الطبيعي القائم على أساس مبدأ الحياة للأقوى .

وبالطبع فان ذلك يعود بأذهان الباحثين الى سر مغلق لم تزل الأجوبة عليه في حكم النظريات الاختيارية غير القاطعة . إنه اللغز الماثل في هذا السؤال ، « ما هو أصل الشيخوخة ؟ »

المتعارف عليه بشكل تقليدي أن الشيخوخة هي ببساطة : نتاج مرور الزمن والتقدم في السن ، وكذلك حاصل تراكم أخطاء ترتكبها الكائنات الحية ذات الخلايا المتعددة ، ونتيجة للشيخوخة تتوارى هذه الكائنات من الحياة ، لكي تترك المجال لأنسالها ذات المعالم الوراثية المتماثلة مع معالمها .

ان هذا التفسير يبدو منطقيا على صعيد دراسة دورة الحياة النباتية ، ذلك لأن موت الأوراق لايؤدي لموت النبتة بالذات ، فالأوراق الذاوية المتساقطة على الأرض تسهم وتشارك ضمن التربة في دورة الحياة الكونية ، وتقدم بالتالي للكائنات النباتية الغذاء على شكل آزوت وأحيانا على شكل منغنيز .

في هذا السياق يقول البروفيسور هاردويك ان الأوراق الميتة تستطيع على صعيد تغذية بعض الأنواع والفئات النباتية أن تلعب دورا في تنافس هذه الانواع والفئات مع أنواع وفئات نباتية مجاورة ، ومن ناحية أخرى فان تلاعب الريح بها بما يؤدي الى انتشارها هنا وهناك ، يمكن من تجنب التركيز المخطر للمواد الثقيلة السامة في النباتات .

وهكذا . . فان الأشجار أو الكيانات النباتية لم تعد في نظر العلم مجرد كيانات آلية بسيطة توجهها بيئتها ، انما هي بالأحري أجهزة وتكوينات متوائمة ومعقدة ، تخضع لقانون التطور (النشوء والارتقاء) وبالتالي فان لشيخوختها سببا حياتيا .

وكما هو الحال في شيخوخة المخلوقات البشرية ، والكائنات الحيوانية ، يجابه علم الأحياء تحديا جديدا له وللطب ، الا وهو التحدي الكامن في ايجاد تفسير قاطع لظاهرة الشيخوخة الموسمية التي تجر الى موت أوراق الشجر .

عند هذا الحد تستقطب التربة اهتمامنا بقدرتها الانباتية ، وبما يذكرنا بقول حكيم المعرة .

خفف الوطء ما أظن أديم الأ
رض الا من هذه الأجساد

لقد أجرى البروفسور السويدي نيلز نيلفبست ـ الاخصائى العالمي الشهرة في دراسة التربة الذي يقوم بأبحاث رائدة ـ الاحصاء الطريف التالي :

مئات المليارات من البكتريا . . ملايين الفطريات النباتية والجرثومية ، أكثر من ٢٠٠ الف من الديدان العنكبية،أكثر من مئة ألف من فئات الحشرات الفروية بالاضافة الى ما يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ من ديدان التربة العادية ، والآف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية الدقة والقراديات من كل الفئات المعروفة ، بما فيها الكائنات الدقيقة التي تنتسب الى فئة الخلد . . »

الأرقام السابق ذكرها انما هي احصاء تقريبي لعالم الأحياء الذي ينطوي عليه المتر المربع الواحد من التربة التي ندوسها !

إنه عالم يؤلف مصنعا للحركة الدائمة ، ويقوم بمهمات قد تكون أكثر مهمات الكائنات الحية غموضا واستغلاقا ، ولكنها بالتأكيد من أكثر المهمات فائدة للحياة الانسانية والكونية .

لكي نفهم هذا الوضع الذي يمكن أن يثير ذهولنا ، يجب أن نعى باستمرار حقيقة أن كل مانأكل يأتي بشكل مباشر أو غير مباشر من النباتات الخضراء ، فهي التي تستخدم (عبر عملية التحليل والتمثيل الضوئى) الطاقة الشمسية وغاز الفحم والماء ، لكى تقوم بانتاج وتكوين الغذاء الكونى العام ، أى المواد العضوية التي تستهلكها الكائنات الحيوانية والنباتية التي نأكلها ، ولكننا مع ذلك لا

نستخدم الا شطرا يسيرا جدا من المواد العضوية التي تنتجها الكائنات النباتية ، اذ ان الشطر الأعظم ينتهي الى حالة التحلل الحتمي .

ولكن ذلك لايؤلف هدرا كبيرا في الواقع ، نظرا لأن تحلل المواد العضوية على يد الجماهير الشرهة من الكائنات المجهرية الكامنة في التربة يؤمن انتاج المواد التي تستخدمها النباتات في نموها عبر دورة الحياة .

وكما يقول البروفسور نيلز نيلفست فان سقوط أوراق الشجر على الأرض في الخريف لا يؤلف خاتمة نهائية لكيان الورقة الذاوية ، انما يؤلف في الوقت ذاته بداية لمرحلة جديدة من مراحل استمرار الحياة وتطورها ، فلا تكاد عملية الدمار تقضي على أغشية الخلايا في الورقة الذاوية المتساقطة ، حتى تدب مليارات الكائنات المجهرية في جثمان الورقة الذابلة ، لكي تهيىء أسباب تسهيل مهمة فئات أخرى من « المستهلكين الكبار والصغار » تلك التي يستهويها الغذاء الأكثر عفنا وفسادا

هذه الفئات تؤلف جماهير (دافني الأموات) وينطوي تحت لوائها مختلف أنواع البكتريا والفطريات المجهرية .

انها فعلا جحافل غفيرة . ذلك أن غراما واحدا فقط من تراب التربة ، وبخاصة اذا كان مسمدا ، يحتوي على عدة مليارات من وحدات البكتريا ، ومنها بكتريات تشبه - عبر عدسة المجهر - العصيات ، وبعضها يشبه الكريات ، وبعضها الآخر يشبه اللوالب ، وبعضها يحتاج الى أوكسجين ، وبعضها لايحتاج اليه ، وبعضها عار ، وبعضها الآخر مكسو بأهداب اهتزازية تمكنها من التنقل .

هذه البكتيريات هي كذلك جزء أساسي من دورة الحياة ، ذلك أن كائنات أكبر منها تنتسب الى فئة « احاديات الخلايا » - وهي أيضا فئات لاترى الا بالمجاهر الالكترونية - تقوم بالتهامها ، لتتحول هي الأخرى بدورها الى مادة غذائية لبكتريا أخرى .

وفي الوقت ذاته تؤمن عملية التنفس للتربة ، ولما فيها من نباتات ، مئات من الديدان العادية والحشرات التي تعيش في التربة الباطنة التي تقدم المأوى حتى لبعض الحيوانات اللبونة (الخلد مثلا) ، وهي في الغالب تتغذي ببعضها بعضا ، وتفتح في بحثها عن فرائسها الانفاق الباطنية التي يتسلل اليها الهواء بما يؤمن التنفس للنباتات ، وفي الوقت ذاته فإن هذه الحشرات والكائنات تفصل بين المواد المهترئة في باطن التربة ، وتهيىء المجال في المتر المربع لمئات المليارات من جماهير القوى العاملة من البكتريا التي تحتوي افرازاتها على كائنات أدق منها حجما ، أي أحاديات الخلية التي تدعم عملية التعفن والتحلل التام .

ان أنواع أحاديات الخلية التي ليس بينها وبين الديدان شبه كبير ، يمكن أن تعد بالملايين ، وبعضها يأكل البكتريا وبعضها يعيش طفيليا على النباتات والخضار ، على أن أكثر أحاديات الخلايا تواجدا هي فئة الاحاديات العنكبية ، ذلك أن المتر المربع من التراب الخصب يمكن أن يضم ٢٠٠ ألف واحدة منها ، ولكن الغالب أن المتر المربع من الأراضي المستثمرة استثمارا زراعيا التي يكثر فيها استخدام السموم والمبيدات ، لا يضم أكثر من ١٠ آلاف واحدة منها ، وتقل هذه النسبة كثيرا في التربة ذات الطين الصلصالي .

أما ديدان الأرض فهي تشارك بقسط كبير في انتاج السماد الطبيعي ، حيث تلتهم التراب وما فيه من بقايا نباتية ، كما تستهلك البقايا التي أمنت تحللها الكائنات المجهرية ، ومن ثم تفرز هذه المواد بعد هضمها على شكل سماد ، وترمي ما يستعصى هضمه على شكل صلصال لزج ومتين يشبه الاسمنت .

هذا ويضرب لنا تشارلز داروين - الذي قد لايعرف الكثيرون انه وضع مؤلفا مستفيضا عن ديدان التربة - مثالا حيا على دور هذه الديدان في تمهيد التربة وتغيير معالمها ، عندما تابع بالملاحظة مدة خمسة عشر عاما مساحة من الأرض الصلصالية الصفراوية التربة ، ليجد أن سطح هذه المساحة من الأرض قد خسف ٧ سم نتيجة نشاط الديدان في باطن التربة .

ان كل ما تقدم يرسم صورة مثيرة ، تبشر بفتوحات علمية رائعة على عتبة القرن الحادي والعشرين ، اذ أن هناك اجماعا في الاعتقاد بأن الأبحاث التي تجرى على دورة الحياة والموت النباتية ستفتح الكثير من مغاليق أسرار دورة الحياة الانسانية . □

منتدى العربي

قضية

الاكتفاء الذاتي والإرادة القومية

بقلم : الدكتور فهد الفانك

« لم يعد الغذاء مجرد سلع تجارية ، فقد تجاوز هذا المعنى الضيق للتبادل وأصبح سلعة استراتيجية يخضع للسياسة ولرغبة محتكريه ، وفي وطننا العربي امكانات كبيرة لانتاج الغذاء ، ورغم ذلك فاننا نقنع باستيراده معرضين سيادتنا وأوطاننا للخطر » .

ليس هناك خلاف بين المفكرين وصناع القرار العرب على أن الغذاء الذاتي العربي في خطر ، وأن هذا الخطر يتزايد عاما بعد آخر ، بحيث يصبح العرب أكثر اعتمادا في غذائهم على الاستيراد ، وما يعنيه ذلك من عدم التأكد من توافر المواد الغذائية في المستقبل أو أسعارها .

لقد أمكن التغطية على المشكلة المتفاقمة ومنعها من الوصول الى حد الأزمة والمجاعة (الا في السودان والصومال وموريتانيا) نتيجة لتوافر العملات الأجنبية في العقدين الماضيين ، مما مكن الدول العربية من شراء احتياجاتها من الخارج . ولكن ، ماذا يحدث اذا هبطت أو تلاشت موارد الدول العربية من العملة الصعبة وتبخرت الاحتياطيات العربية من العملات الأجنبية كما تدل كل المؤشرات الحالية ؟

لن نركز على الأرقام والاحصاءات ، فليس من المهم اثبات ان الانتاج العربي من القمح قد هبط الى ٤٠٪ أو ٣٠٪ من الاحتياجات القومية ، فالاجراءات والسياسات المطلوبة لا تختلف في الحالتين . وهناك اجماع على أن الوطن العربي يعاني من نقص حاد في السلع الغذائية الاستراتيجية ، وفي مقدمتها الحبوب واللحوم الحمراء والسكر والزيوت .

ولقد لمسنا فعالية سلاح النفط في عام ١٩٧٣ ، عندما استخدم بشكل جزئي ولفترة قصيرة ولأهداف محدودة ، ومع ذلك فقد هز العالم من أقصاه الى أقصاه . وفي خلال عقد واحد تمكنت الدول الصناعية من ابطال هذا السلاح المحتمل ، وتحويله الى سلاح موجه الى صدور العرب أنفسهم ، ونقطة ضعف في جبهتهم الاقتصادية والسياسية .

وسلاح القمح ليس اصطلاحا غريبا ، فقد ذكر صراحة كرد على سلاح النفط . واذا كان في الوقت الحاضر غير فعال كما دل استعمال أمريكا له ضد الاتحاد السوفياتي قبل أكثر من ست سنوات ، فان السبب في ذلك يعود الى استعمال هذا السلاح في وقت كانت السوق الدولية تشكو فيه من فائض انتاج

القمـح . ولكن ، ماذا يحـدث عندما يـزداد الطلب العالمي على القمح لدرجة تزيد عن كل المعروض من القمح ؟ سيبدأ تصاعد الأسعار والتحكم في الجهات التي يسمح لها بالحصول على احتياجاتها من هذه المادة الغذائية الأساسية .

ولو كانت المشكلة عالمية أو شـاملة لقلنا ان قـدر الأمة العربية أن تتعرض لجميع المشكلات التي تواجه الدول النامية ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك . فالأزمة تنحسر عاما بعد آخر في كل أنحاء العالم تقريباً ولكنها تتفاقم في منطقتين فقط هما الوطن العربي . وأفريقيا السوداء ، وفيما عدا ذلك فان معظم حكومات الدول النامية حزمت أمرها على تحقيق قدر أكبر من اكتفائها الذاتي في مجال الغذاء . وحتى الدول المكتظة بالسكان كالهند والصين ، التي كانت مرشحة للمجـاعات ، تمكنت من انتـاج ما تحتـاجه لاستهـلاكها الـداخـلي وتحـولت الى التصديـر . كما أن ٣٠ دولـة في العـالم انتقلت من مجمـوعـة الـدول المستـوردة للقمـح الى مجموعة الدول المصدرة له . وهذا الـوضع الجـديد خلق وفرة كبيرة في القمح المعروض في السوق العالمية لدرجة جعلت العرب لا يشعرون بـالأزمة الـزاحفة عليهم .

واذا كانت كل هذه الدول ، وفي مقدمتها الهنـد والصين ، قد استطاعت عن طريق اتباع السياسات الزراعية الملائمة أن تحقق اكتفاءها الغذائي ، فالمهمة اذن ليست مستحيلة ، خاصة اذا كانت الامكانيات موجودة بشكل أراض زراعية شاسعة تعادل ثلاثـة أربـاع مسـاحـة الأراضي الـزراعيـة في الـولايـات المتحدة ، ولكن لا يستغل أكثر من ربعها ، ولا يروى سوى ٥٪ منها .

وذلك رغم توافر المياه التي يـذهب معظمهـا الى البحر ، وكثافة عدد السكان الذين يمارسون الزراعة ويقاربون نصف السكـان ، وكفايـة القوى العـاملة الزراعية التي لا تقل عن خمس القوى العاملة العربية بأسرها .

عوامل الانتاج المتعارف عليها (موارد طبيعية وقوى عاملة ورأسمال) موجودة ، فما ينقصنا إذن هو العنصـر الرابـع من عنـاصـر الانتـاج وهـو الادارة والتنظيم ، أو فن الجمع بين عوامل الانتاج الأخرى بالنسب الملائمة للانطلاق في الانتاج ، أو السيـاسة الزراعية العربية المناسبة .

من هنا فان مهمـة راسمي السياسـات وصانعي القرارات العرب ، والتحدي الذي يواجههم ، هو كيف يقومون بهـذه المهمة ، مهمـة توظيف عـوامل الانتاج المتوافرة ووضعها في نمط انتـاجي تصاعـدي وديناميكي ، وكيف يمكن للاقاليم العربية أن تتكامل في سـوق زراعيـة عـربيـة واحــدة ، تحـل مشكلة التسـويق ، وتجمـع بـين أزمـة الفـوائض في بعض الأصناف وأزمة النقص لذات الأصناف في دولة عربية أخرى .

وهـذا ينطلب الاتفـاق على استـراتيجية جـديدة للأمن الغذائي العربي ، قابلة للتطبيق ، وبعيدة عن الاعتبارات السياسية المتقلبة بين قطر عربي وآخر .

استراتيجية للاكتفاء الغذائي العربي

قبـل ست سنـوات - وبـالتـحـديـد في ٢٦/١١/١٩٨٠ - انعقـد في عمـان مؤتمـر للقمـة العربية هو مؤتمر القمة الحادي عشر . واتخذ قرارات واضحة باستراتيجية اقتصادية عربية شاملة ، توجت بخمسة بلايين دولار تعهدت بها الدول العـربية المصـدرة للنفط لتمـويـل الخـطة . وقـد اشتملت الاستـراتيجية العـربية عـلى المنطلقـات والأهـداف والاولويات والبرامج والآليات .

وكان للغذاء موقع متميز فقد جاء في الفقرة الرابعة من اطار الاولويات نص على « تحقيق الأمن الغذائي بتوفير أقصى قـدر ممكن من الاستقلاليـة في اشباع الحاجات الغذائية الأساسية في تطورها وذلك بدعم العمل العربي في ثلاثة اتجاهات هي :

- توفير الشروط الأساسية اللازمة لزيادة الانتاجية وتوسيع طاقات الانتاج الغذائي .
- القضاء على صور التبديد في المراحل المختلفة من الانتـاج الى التـخـزين والتـوزيـع ، الى نمط الاستهلاك .
- تحسين شروط تبادل المواد الغذائية بين الأقطار العربية من ناحية وبينها وبين العالم الخارجي من ناحية أخـرى ، على النحـو الـذي يحمي المستهلك من التضخم المتزايد في أسعار المستوردات وعدم الانتظام في حجمها .

وقد أعدت المنظمة العربية للتنمية الزراعية دراسات خاصة ببرامج الاكتفاء الغذائي العربي تجسّد النصوص المقررة في مؤتمر القمة العربي، وممكنات تطوير الموارد الأرضية والمائية، وبرامج تطوير الحبوب والبذور الزيتية، والسكر، والانتاج الحيواني، والاسماك وأخيرا المخزون الاستراتيجي على مستوى الوطن العربي.

ولأننا لا نريد أن نبدأ من نقطة الصفر في كل اجتماع اقتصادي عربي، فالقرارات العربية تم اتخاذها على أعلى المستويات السياسية، والدراسات الفنية وضعت على أفضل الأسس العلمية والمؤسسية، والتنمية الزراعية ليست من الأسرار المغلقة، وكل ما يلزم هو توافر الارادة القومية.

لكن هذا لا يجوز أن يقف بنا عند الصورة الكلية التي لا خلاف عليها، فلا بد من الانتقال الى السياسات والاجراءات المطلوبة، بحيث تقاس كفاءة العمل بعد ذلك بمقدار تطبيق هذه السياسات وتحقيق الأهداف التي ترمي اليها.

الامكانيات والعقبات

وللحقيقة فان عملية وضع استراتيجية عربية للاكتفاء الغذائي العربي هي عملية سهلة وصعبة في الوقت ذاته. فهي سهلة زراعيا واقتصاديا من حيث توافر الامكانيات والموارد. وهي صعبة سياسيا من حيث عدم الالتزام بالقرارات، والتقلب في المواقف، فضلا عن التبعية وضعف الارادة القومية.

أما عن توافر الامكانيات والموارد فيمكننا أن نشير الى الحقائق التالية:

١ - يملك العرب نحو ٢٠٠ مليون هكتار صالحة للزراعة، يزرع منها ٥٠ مليون هكتار فقط، ويروى منها ١٠ ملايين هكتار لا غير.

٢ - ان بالامكان مضاعفة الأراضي المستغلة زراعيا أكثر من ثلاث مرات. كما يمكن وضع مساحات شاسعة تحت الري.

٣ - ان الموارد المائية العربية هائلة ولكن جزءا مهما منها متروك اما للبحر أو للسطو الاسرائيلي.

٤ - ان رأس المال اللازم متوافر، وتستطيع الدول العربية أن تمول أضخم المشاريع الزراعية اذا ثبت أنها مجدية وعملية.

٥ - ان الطاقة البشرية العربية هائلة، وتشكو من البطالة الظاهرة والمقنعة، وبالامكان رفع مستواها وزيادة انتاجيتها عن طريق منح الحوافز المناسبة.

٦ - ان العرب يستوردون مواد غذائية ببلايين الدولارات سنويا، مما يعني أن السوق موجودة، وكذلك الطاقة الاستيعابية فيما لو تم توصيل الانتاج العربي للأسواق العربية بيسر وحرية.

٧ - ان هبوط أسعار النفط وتعرض موازين مدفوعات أغنى الدول العربية للعجز يدل على أننا لا يمكن أن نعتمد على الاستيراد الى مالا نهاية، ولا بد من سد العجز في الموازين التجارية.

٨ - تنوع الاقاليم العربية من حيث المناخ والتربة والموقع يجعلها قادرة على انتاج كل أو معظم المواد الزراعية، مع قدر من التحصص في بعض البلدان العربية وفق المزايا النسبية التي تتمتع بها لانتاج الخضار أو الفواكه أو الحبوب أو الزيوت أو اللحوم الخ..

وأما عن الصعوبات فهي تظهر بأقسى صورها للذين صدمهم تعثر العمل العربي المشترك. فنحن نتفق بسهولة على الأهداف النهائية الكبيرة، ونعتقد أنها قد تتحقق لمجرد اصدارنا بيانا جماعيا حولها.

نحو سياسات وقرارات عملية

والواقع أن الاكتفاء الغذائي العربي ليس بحاجة فقط الى أهداف كبيرة لا خلاف عليها، بل هو أشد حاجة الى المنطلقات والأولويات والآليات والبرامج والمشاريع المحددة بوضوح، وليس هناك عيب في الاختلاف حول هذه التفاصيل، لأن للاختلاف حلولا وتسويات لتحقيق الحد الأدنى لجميع الأطراف، ولكن العيب كل العيب في التظاهر بالموافقة ثم تجميد كل شيء.

من هنا فانه يهمنا أن لا تكتفي المؤتمرات الاقتصادية العربية باصدار بيان يكرر الأهداف العليا، ويؤكد أهمية الاكتفاء الغذائي العربي، ويحذر من المخاطر التي تتهدده. على العكس من ذلك فانه يهمنا أن تتخذ قرارات تطبيقية تشمل جميع النقاط

المثارة في مجال تنمية الانتاج الزراعي مثل :

١ ـ فيما يخص المشاريع العربية المشتركة التي طرحت ودرست حتى تم (قتلها) بحثا ، أي من هذه المشاريع لها الأولوية ومستوفية للشروط ؟ ، ومتى يبدأ تنفيذها ؟ ، وما هي الأموال اللازمة لذلك وما مصادرها ؟ ، والجدول الزمني لتنفيذها ؟ ولعل تقرير الخبراء حول تطور العمل في مشروعات الأمن الغذائي العربي سيضيء النور على هذا الموضوع ويساعد في اتخاذ القرارات بحيث يدخل بعض المشاريع مرحلة التنفيذ ، وتتقدم مشاريع أخرى الى مرحلة دراسة الجدوى الاقتصادية النهائية ، وتتحرك مشاريع أخرى الى مرحلة الدراسة وجمع المعلومات وهكذا .

٢ ـ في حقل التبادل الزراعي العربي ، هل يمكن الاتفاق على سوق زراعية عربية مشتركة ، تتمتع فيها المنتجات العربية بالأولوية ، ولا يسمح باستيراد المواد التي يتوافر أو يمكن أن يتوافر فائض عربي منها .

٣ ـ في مجال السياسات الداخلية ، هل نستطيع الغاء مبدأ التسعير الاجباري الهادف لخدمة المستهلك في المدينة على حساب المنتج في الريف . مما يشكل حافزا سلبيا للمنتج الزراعي واساءة اضافية لتوزيع الثروة بين فئات المجتمع .

٤ ـ هل نستطيع اقامة شركة تسويق عربية مشتركة تنظم عملية التبادل الزراعي التجاري ، وتؤمن تسويق الانتاج العربي في الاسواق العربية على أسس اقتصادية سليمة تفيد الدول العربية المنتجة والمستهلكة على السواء .

٥ ـ وهل نستطيع اقامة صناعة قومية للتصنيع الزراعي ، تتولى صنع وتوفير الأسمدة والمبيدات الحشرية وعمليات الحفظ الكبيرة .

٦ ـ وهل نستطيع ايجاد بنك زراعي عربي يقوم بتمويل النشاطات الزراعية القطرية والمشتركة بقروض طويلة الأجل على أسس مالية سليمة بما في ذلك عمليات المتابعة لحسن التنفيذ .

٧ ـ وعلى المستوى القطري هل نستطيع :

ـ أن نعطي القطاع الزراعي أولوية أعلى في خططنا الاقتصادية والانمائية ؟

ـ وأن نقوم بالاستثمارات اللازمة في مجالات الري والطرق وباقي متطلبات البنية الأساسية .

ـ وأن نعلن ونطبق سياسات سكانية من شأنها تنظيم الأسرة ورفع مستوى الانسان وعدم نشر الفقر .

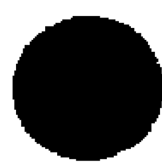
ـ وأن نضمن الاستقرار القانوني فيما يخص ملكية الأرض وعلاقة المالك بالمستأجر والحدود القصوى والدنيا للملكية الزراعية حسب نوعية الأرض .

ـ وأن نوقف الهجرة من الريف الى المدن عن طريق تحسين نوعية الحياة الريفية وزيادة فرص العمل في الريف .

ـ وأن نجد طريقة لحماية المنتج الزراعي المحلي من حبوب المساعدات والدعم الاستهلاكي الذي يجعل الانتاج المحلي غير مجد .

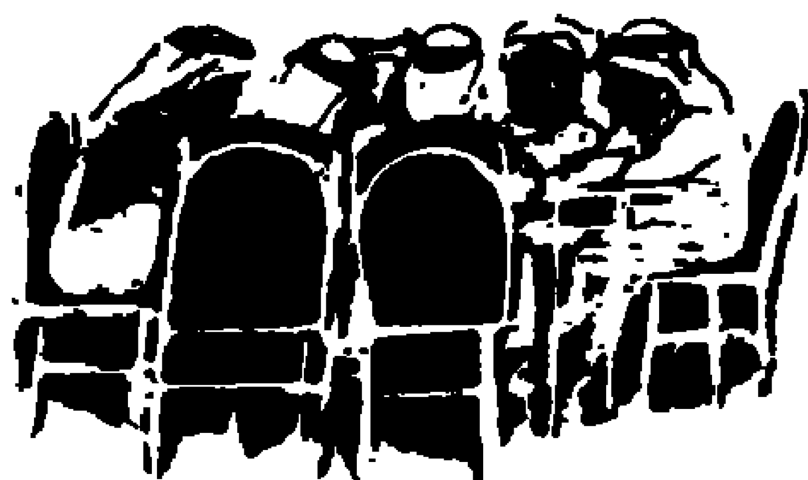
في تصوري أن كل هذا ممكن اذا توافرت الارادة القومية ، وبدأنا العمل من اليوم قبل أن تدركنا المجاعة ، ويفقدنا الاحتياج الى الغذاء الاستقلال والسيادة .





مزقوها

● رفع صاحب الخبر إلى الخليفة العباسي المأمون كتابا جاء فيه : إنا أصبنا ـ ياأمير المؤمنين ـ رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة ، وفيها تهديد ووعيد ، وبعضها عندنا محفوظ إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره : « فكتب المأمون إلى صاحب الخبر رسالة جاء فيها : « هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به ، واتسع فرقه علينا ، فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا مثل هذه الرقاع أن يمزقوها ، قبل أن ينظروا إليها ، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يظهر لها أثر ولا عين » .



منتدى العربي

تعقيبات

تعقيب على "مرض عربي اسمه الطاعة"

بقلم : كمال محمود علي

تناول الدكتور فؤاد زكريا في عدد يونيو ١٩٨٦ ،وهو العدد رقم ٣٣٢ من مجلتنا العربي ، وفي موضوعه الموسوم بـ« مرض عربي اسمه الطاعة » قيمة اجتماعية نعتز بها ، وفضيلة من الفضائل التي تبقى على بنياننا الاجتماعي السليم ، وبالصورة التي نرجوها ، غير انه نظر اليها من زاوية مخالفة لزوايا كثير من الناس ، ونشأ عن ذلك رأي له في هذه القيمة عجيب ، حيث يصفها قائلا « انها بغير تحفظ رذيلتنا الأولى ، وفيها تتبلور سائر عيوبنا ونقائصنا » .

والحق أن الدكتور فؤاد قد طرق موضوع الطاعة بصورة مستعجلة . اذ كان من المفترض قبل الولوج في حديث مسهب عن الطاعة ، أن يحدد مفهوم الطاعة عنده ، ذلك أن الطاعة لفظة معنوية ، والالفاظ المعنوية كما يدرك جمهور المثقفين وغير المثقفين لا تتفق بشأن مدلولاتها وما تحمل من المعاني كل العقول والأذهان .

« فالحرية » مثلا لفظة يرفعها الجميع شعارا لحركاتهم ، ولواء ينضوون تحته ، وتحدث الصراعات وتشتد وتتأزم الأوضاع وتتوتر ، وتسيل الدماء ويعم الخراب والدمار ، كل هذا باسم الحرية ، فهل يكون معقولا أن تمتلك اللفظة - اعني لفظة الحرية - دلالة واحدة عند كل الأطراف المتنازعه

الجواب جلي وواضح ولا يحتاج الى شيء من التعليق .

وعلى هذا الأساس فإني أرى أن الدكتور فؤاد قد أقحم لفظة لم يكن ليريد التحدث عنها اطلاقا ، فالملاحظ أن الحديث ظل سائرا باتجاه واحد لا غير ، ذلك هو اتجاه الحديث عن الانصياع لا « الطاعة» ، وفرق بعيد بين اللفظتين .

فالطاعة هي الانقياد ، ولكن مع القدرة على اختيار البدائل ، وهي طريق يلتجىء اليه المرء طواعية ، أي أن ارادته لا تستلب ، واستقلاليته لا تتعطل ، وشخصيته لا تلغى .

تلك هي الطاعة فما تراه يكون الانصياع ؟

الانصياع يختلف في تعريفه اختلافا جوهريا عن الطاعة ، فهو الانقياد مع عدم وجود القدرة على الاختيار ، وهو طريق يدفع اليه المرء دفعا ، ويسير فيه مرغما دون اقتناع ، وبالتالي فان ما يجري على الطاعة يجري عكسه تماما على الانصياع . فاذا ذهب أحدنا الى طبيب ما لتلقي العلاج ، وكان أن أمره الطبيب باتباع نظام غذائي مثلا ، فانه يمتلك حرية أن يختار بين أن يتبع نظامه الغذائي الخاص به ، أو أن يتبع ما

أمـلاه عليه الـطبيب من أنواع الـطعام وأصنـافه ، وبالطريقة هذه أو تلك ، انه اذا ما أطاع طبيبه وانقاد له حرصا على صحته وايمانا منه بطبيبه المعالج ، يكون قد دخل باب الطاعة .

لكن هذا الفرد عينه ، لو اقتيد الى قسم الشرطة لسبب أو لآخر ، وأمر ضابط الشرطة بحجزه على ذمة التحقيق ، كما يقولون ، فانه يكون ملزمـا بدخـول زنزانة قسم الشرطة رغما عنه ، لاخيار له في تنفيذ الأمر أو عدم تنفيذه ، انه ينصاع للأمر انصياعـا ، فالرفض أمر لا قبل له به .

وعلى هذا فان الطاعة قد تكون بين ندين لا سلطة لأحدهما على الاخر .

ومن الجـائز فيهـا ـ وهدا مـا تؤكده المـلاحظات والشواهد على مر الأزمنة واختلاف الأمكنة ـ أن ينقاد الرئيس للمرؤوس ، والأضعف حجـة وسلطة للأقوى حجة والأسطع رأيا .

ولقد حفظ لنا تراثنا العربي والاسلامي بعضا من هذه المشاهد الدالة على الطاعة بالمعنى الذي نفهمه ، حيث قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الناس ، وخطب فيهم قائلا : اسمعوا وأطيعوا . فانبـرى له أحدهم قائلا « لا سمع ولا طاعة حتى يتبين لنا من أين لك هذا الثـوب . وقد كـانت حصة عمـر من القماش لا تكفي لأن يخيط لنفسه منها قميصا ، فلما بدد عبد الله بن عمر الالتباس ، وأزال الشبهة عن أبيه ، قال الرجل « الآن نسمع ونطيع » .

هي الطاعة اذن مع وجود الارادة والاستقلالية ، وامتلاك الشخصية .

نخلص مما تقدم الى تشخيص المرض تشخيصا اخر غير الذي قدره الدكتور فؤاد وراح يدافع عنه . ان الداء الذي يشكو منه الناس في كثير من بلاد الدنيا هو داء التسلط من جهة القوي ، والانصياع من جهة الضعيف .

وعليه فإننا نثبت خطأ ما ذهب اليه الدكتور فؤاد ، ويعيد للفظة الطاعة قدرها ومنزلتها التي نفتخر بها ، ونعتز ونرى انـه لولا الـطاعة لاختلطت الأمـور في المجتمع ، وعمت الفوضى بين أفراده ، وتـداخلت المهام ، وسار المجتمع ان عاجلا أم آجلا الى التفكك والانحلال ، وانتهى الأمر الى ما لا تحمد عقباه . □

□□

تعقيب
للدكتور فؤاد زكريا

لا أملك الا أن أشكر الأخ الكريم على اهتمامه بالموضوع،واجتهاده في عرض وجهة نظر أخرى في هذه المسألة الهامة . غير أنني لا أملك أيضا إلا أن أبـدي دهشتي من محـاولتـه التمييـز بـين الـطاعـة والانصياع ، وتأكيده أن ماقلته في مقالي السابق ينطبق على الانصياع لا الطاعة . ورأيه هذا يواجه صعوبتين أساسيتين :

الأولى : هي أن الوضع الصحيح للمشكلة على عكس ماذهب اليه ، ففي حالة الانصياع ، بمعنى أن يضطر المرء الى االاذعان دون أن تكون لديه أية قدرة على الاعتراض ، لاتكون هناك مشكلة ، فحين يقهر المرء على شيء ، وحين تكون إرادته مسلوبة تماما ، لا يكون من حقنا أن نلومه على شيء ، لسبب بسيط هو أن هذا الشخص قد فقد قدرته على الاختيار ، ولو كانت لديه هذه القدرة لكان من الجائز جدا أن تسير في الاتجاه السليم . وعـلى ذلـك لايمكن أن يـوصف الانصياع بالمعنى الذي حدده الأخ الفـاضل ، بأنه رذيلة أو مرض ، بل ينبغي استبعاده من موضوعنا لأن أشد الناس تمردا يمكن أن ينصاع إذا أرغم على ذلك بقوة قاهرة .

أمـا الصعـوبـة الثـانيـة فهي أن التمييـز بـين الانصيـاع بمعنى الانقيـاد مـع عـدم القـدرة عـلى الاختيـار ، وبين الـطاعة التي « تكـون بـين نـدين لاسلطة لأحدهما على الآخر » هـذا التمييز كثيـرا ما يكـون وهميا . فـالاخ الكريم يضـرب مثلا بـطاعة المرءوس لرئيسه ، أو تناول المريض للدواء ، بوصفها

حالات للطاعة مع القدرة على اختيار البدائل !! ولكن هل هذا صحيح ؟

اذا كان الرئيس يمسك في يده بمفاتيح رزق المرءوس ، وإذا كان قادرا على تجويعه وتشريده حين يفصله من العمل ، فهل تسمى هذه « طاعة بين أنداد » ؟ واذا كان المريض يعاني من داء عضال ، أو آلام جسدية ونفسية مبرحة ، فهل تكون لديه حرية الاختيار بين تناول الدواء أو رفضه ؟

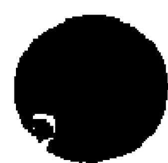
واذا كان الزوج يهدد زوجته بالطلاق وبحرمانها مع أولادها من المورد الذي يعيشون منه ، فهل نسمي إذعانها لأوامره طاعة أم انصياعا ؟

من الواضح اذن أن هناك حالات غير قليلة يصعب فيها التفرقة بين المعنيين ، وفي هذه الحالات يبدو ظاهريا أن المرء يطيع بملء إرادته ، بينما هو في الواقع مرغم على ذلك .

إنني حين وصفت الطاعة بأنها « مرض عربي » كنت أعني بالفعل أنها داء متأصل فينا يتفشى بيننا على أوسع نطاق ، وكنت أدرك أن معظم القراء لن يرتاحوا الى هذا التشخيص ، وأن كل انسان تمنحه « الطاعة » امتيازا على غيره ، أو سلطة عليه ، سيعترض على ماكتبت . ولكني أعود مرة أخرى فأقول : من المستحيل أن يفكر عاقل في دعوة الناس الى الفوضى الشاملة ، أو الخروج على كل القوانين ، ولكن مقدار الولاء الذي نبديه ، في ثقافتنا العربية ، لقيمة الطاعة ، يزيد بمراحل عما تعرفه معظم الثقافات الأخرى ، وكل ما أهدف اليه هو أن يراجع القارىء مسلماته ويختبرها من جديد ، ويفكر قليلا في عبادة الطاعة السائدة على كل المستويات . فالأنبياء وكبار المصلحين لم يكونوا مطيعين لسنن آبائهم وأجدادهم ، والمكتشفون والمخترعون الكبار لم يكونوا مطيعين لقوانين العلم الموروثة في عصورهم ، والشعوب التي ثارت وتمردت على أوضاع جائرة لم تكن مطيعة لظلم الظالمين ، والفنانون والأدباء المبدعون لم يكونوا مطيعين لتراث الفن أو الأدب كما تلقوه من الأجيال السابقة ، وهلم جرا . . . وفي هذه الحالات كلها كان الانسان الذي تمرد على الظلم أو الجمود أو الخطأ أو الركود قادرا على أن يطيع ، وربما كان قد أراح نفسه ، وجعل حياته أقل تقلبا وتعرضا للخطر لو فعل ذلك ، ولكنه لم يفعل ، وآثر المخاطرة ، واستطاع بفضلها أن يغير نفسه ويغير الاجيال المعايشة له والآتية من بعده الى الأفضل . . .

هذا ماكنت أدعو اليه في مقالي ، وتظل المسألة ، بعد هذا كله ، اختيارا حرا للقارىء : فقد تكون الطاعة في بعض الاحيان طريقا للسلامة ، ولكن التمرد بالقطع ، ليس في جميع الأحوال طريقا للندامة . □



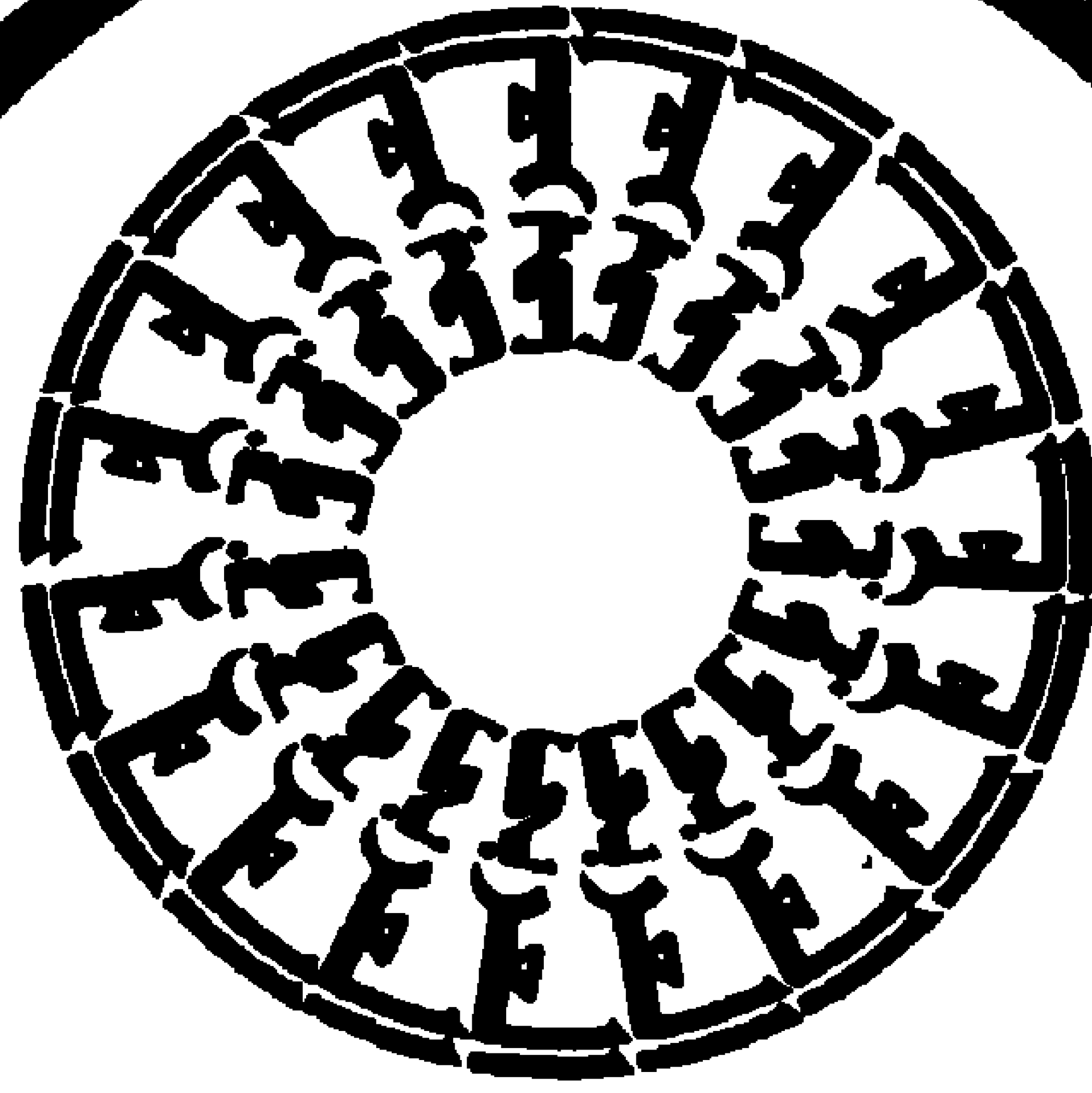


كتب الحب عند القدامى

● اهتم أدباؤنا في العصور القديمة والحديثة بموضوع الحب . ففي العصور القديمة تناول أسلافنا هذا الموضوع الانساني ، ودرسوا هذه العاطفة دراسة متأنية دقيقة شاملة ، وتعد هذه الدراسات محاولات مبكرة لما يعرف اليوم بعلم النفس .

من هذه الكتب كتاب في العشق والنساء للجاحظ ، وكتاب طوق الحمامة في الالفة والألاف لابن حزم الأندلسي ، وكذلك رسالته في تهذيب الأخلاق ، ثم الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل إخوان الصفا ، ثم كتاب مصارع العشاق لابن السراج ، وكتاب ذم الهوى لابن الجوزي ، ثم كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية .

يصدر في ١٥ يناير ١٩٨٧



كتاب العربي

الرابع عشر

المسلمون والعصر

بأقلام

د. عبد العزيز كامل

د. أحمد كمال أبو المجد

د. يوسف القرضاوي

خالد محمد خالد

د. ادريس الكتاني

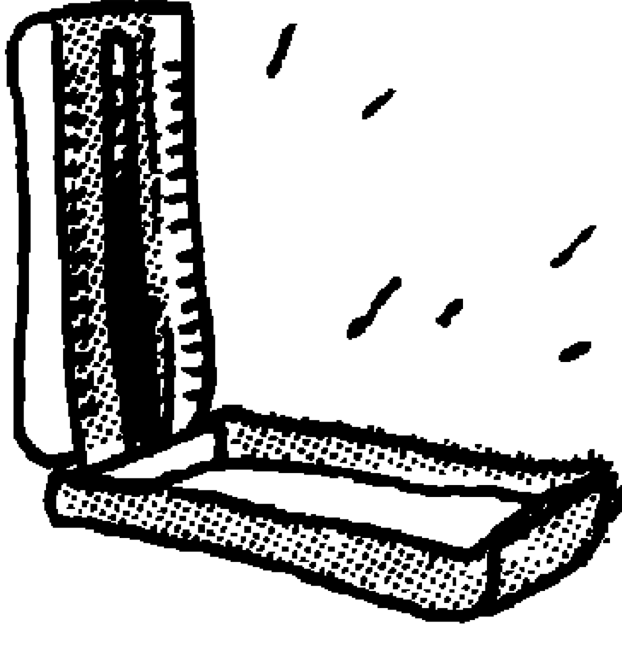
د. محمد عمارة

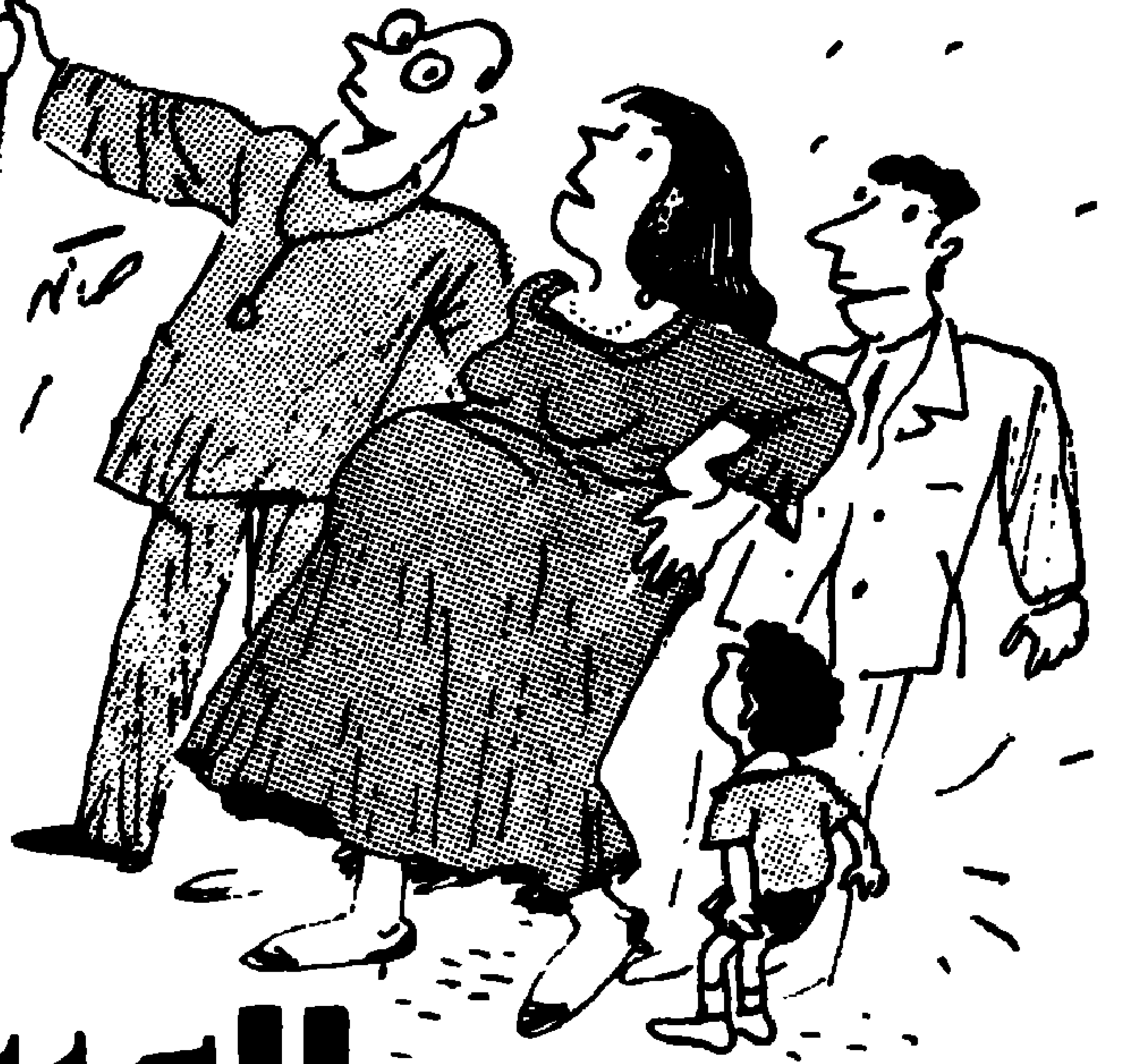
د. محمد جابر الأنصاري

د. محمد سلام مدكور

وآخرين

كتاب العربي مرآة العقل العربي





أيها المرضى "لا مبرر للخوف"

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

لا مبرر للخوف المبالغ فيه في مواجهة الحوامل والمصابين بارتفاع الضغط وأمراض القلب والسكر . لا داعي لحيرة طبيب الأسنان فيمكنه بعد اتخاذ الاجراءات المناسبة تقديم العلاج المطلوب في كل حالة ، ففي القرن العشرين لا يمكن عزل هؤلاء المرضى وحرمانهم من علاج أسنانهم بلا مبرر مقنع .

كثيرا ما يقف طبيب الأسنان حائراً أمام مريض يعاني من حالة مرضية عامة في فمه ، ولا يمكنه بالطبع ترك مريضه فريسة سهلة للخوف المبالغ فيه ، ويجب أن يكون تحفظه في اطار الواقع الذي له ما يبرره .

وسنقصر حديثنا على بعض الحالات الأساسية الأكثر شيوعا ، التي يكثر الحديث عنها بشكل يومي .

ارتفاع الضغط

يشكل ارتفاع الضغط في أحيان كثيرة عرضا عاما وجوهرياءأو سبباً مرضياً لمجموعة حالات مرضية اخرى . ولا يمكن تحديد نقطة فاصلة وواضحة بين القيم الطبيعية للضغط وتلك الزائدة ، وبالتالي فالشكل المتعارف عليه بعبارة ١٤٠/٩٠ملم لا يعتبر دقيقاً اذا لم تتم مقارنته وربطه بنوعية الفرد ، وسن

معينة ، ووضع نفسي اعتيادي .

وإذا كان ارتفاع الضغط يسبب في بعض الأحيان مجرد مضايقات خفيفة فقد يؤدي أحياناً أخرى الى عواقب وخيمة .

ويختلف الضغط باختلاف سن المريض ووزن جسمه ووضعه النفسي ، من حيث الاجهاد والراحة ، والقلق والخوف الخ .

وتستدعي الحالات المرضية الخطيرة التي يسببها الضغط وهي : ضيق التنفس ، والجلطة ، وتخثر أو نزيف الأوعية الدماغية ، اهتماما كبيراً من طبيب الأسنان المعالج،لاحتمال ظهورها أثناء قيامه باجراء العلاج على المريض في عيادته. وهكذا فالتعرف على ضغط المريض من قبل طبيب الأسنان يهدف الى الوقاية من الاصابات الحادة التي ذكر بعضها مسبقا . وأول اجراءات الوقاية الاتصال بالطبيب المعالج المختص لتحديد درجة الخطر في العلاج الذي سيقدمه طبيب الأسنان لمريضه ، ولتحديد المجال الذي يمكن ان يتراوح خلاله النشاط العلاجي في فمه .

ومن النقص أن يعجز طبيب الأسنان عن امكانية قياس ضغط مريضه عند الحاجة ، ومسئولية النقص لا تقع على عاتقه بل على برنامج التدريب الدراسي الذي لا يمنح له فرصة تعلم ذلك لتطبيقه عند الحاجة ، وقولنا هذا يستدعي وجود جهاز لقياس الضغط داخل كل عيادة أسنان .

وتتراوح المعدلات الطبيعية الكبرى لقياس الضغط عند البالغين بين ١٢٠ ـ ١٤٠ملم زئبقي، أما الطبيعة الصغرى فتتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ ملم زئبقي، وهنالك قانون يطالب بأن تصل الصغرى في حالة الضغط المنخفض الى نصف الكبرى +١٠ أي ٨٠/١٤٠ .

وأما في حالة الضغط العالي فالصغرى تصل الى نصف الكبرى +٢٠ أي ١٥٠/٢٦٠ ، ويعتبر فرق هذا الضغط عنصراً مهماً لتقدير خطورة الحالة ، ورغم ان هناك قواعد تسمح لنا بتجنب الأخطاء خلال القياس إلا أن طبيب الأسنان لا يحتاج بالضرورة لاستنفاد كل هذه التفاصيل من أجل اجراء عملية القياس .

ويعتبر قياس ضغط المرضى المسنين ممن سيتعرضون لأعمال صعبة في أفواههم ضرورياً من أجل اتخاذ الاجراءات الوقائية أو حتى تأجيل المواجهة العلاجية اذا دعت الحاجة الى ذلك . فاذا كان الضغط يقع تحت مستويات ٩٠/١٤٠ ملم زئبقي فيمكن مواجهة مثل هؤلاء المرضى بلا خوف أو تردد ، بشرط أن تكون هذه المستويات ثابتة لفترة زمنية طويلة،وتتعلق بأفراد تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة .

واذا وصلت مستويات الضغط هذه الى ١٦٠ ـ ٢٠٠/١٩٥ ـ ١١٠ملم زئبقي (ارتفاع ضغط طفيف) فيحتم قبل القيام بأي عمل في فم المريض أن يسبقه قياس ضغطه . واتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة (تسكين ألم تام أو عمليات قصيرة وغير متعبة) بشرط أن تكون استجابة المريض طبيعية خلال اللقاءات السابقة،ذلك لأن الاتصال الأول مع مرضى يعانون من نفس مستويات الضغط هذه وهم في سن صغيرة نسبيا ـ يتطلب اشرافا منظما قبل القيام بأي عمل في أفواههم .

الضغط المتوسط

وبخصوص المرضى المصابين بارتفاع الضغط الذي تتراوح مستوياته بين ١٦٠ ـ ١١٥/٢١٠ ـ ١٢٥ملم زئبقي(ضغط متوسط) والذي تتم السيطرة العلاجية عليه،فمن الضروري تكرار القياس ٢ ـ ٣ مرات خلال العمل،عدا عن قيامنا باجراء ذلك قبل بدئه .

أما المرضى الذين وصلت معدلات الضغط لديهم حتى ٢١٠ ـ ١٢٥/٢٦٠ ـ ١٤٠ملم زئبقي فيحتم التفاهم المسبق مع الطبيب المعالج ، فمواجهة الحالات الطارئة عند مثل هؤلاء المرضى تتم بتحويلهم للعلاج داخل أحد المستشفيات في اطار اشراف طبي أعم . وحتى في مثل هذه الحالات فمعدلات الضغط التي تحدثنا عنها ذات موضوعية نسبية لأنها ترتبط بالضرورة مع عمر المريض ، والفترة الزمنية لمعاناته من هذه المشكلة .

والمواجهة العلاجية لارتفاع الضغط تشكل إحدى مهام الطبيب المختص ، ولا تعدو مهمة طبيب الأسنان معرفة مقدار الأدوية المقدمة في مثل هذه الحالة والتي لا يُعدُّ اعطاؤها لهم ـ في حالات محدودة

للغاية - تجاوزاً خطيراً .

لذلك فمن الضروري في حالات الضغط العالي استخدام المحاليل المخدرة المحتوية على الأدرينالين ، حيث لا يعتبر التخدير الموضعي كافياً إذا لم يكن يحتوي على ذلك ، ويسبب في مثل هذه الحالة زيادة ألم المريض وارتفاع ضغطه .

وأما الأدوية التي تعطى في هذه الحالة فهي ترتبط بالمرض الذي يشكل ارتفاع الضغط عرضاً له .

مواد تسبب الانقباض

وقد اثبتت أبحاث جرت مؤخراً أن الخوف والقلق يعملان على افراز مثل هذه المواد طبيعياً في جسم الانسان ، بشكل يفوق بكثير الكمية التي تضاف عادة الى محاليل التخدير ، وهكذا فعلى طبيب الأسنان توخي الحرص لأن احتمال انتهاء تأثير المخدر وظهور ألم المريض قبل انتباهه من انجاز عمله سيسبب الافراز الطبيعي لهذه المواد مع كل ما يحمله ذلك من خوف على المرضى الذين يعانون مثل هذه المشاكل .

ان أنصار هذه النظرية يشددون على ان كمية هذه المواد في المحاليل المخدرة يجب ان لا تتجاوز ٠,٠٤ ملغم للجلسة الواحدة،ويبقى الاساس في التفاهم مع الطبيب المختص . كذلك يجب عدم استخدام مثل هذه المواد لايقاف النزيف وبخاصة بعد حالات القلع لمرضى القلب بسبب الدخول السريع لهذه المواد وبكمية كبيرة في الدورة الدموية للمريض .

ولا يمكن اخضاع مثل هؤلاء المرضى - ممن تعرضوا لوعكة قلبية - للقيام بأعمال في أفواههم قبل انقضاء ستة أشهر على الأقل من تاريخ تعرضهم للوعكة ، وبعد التفاهم على ذلك مع طبيبهم المعالج . واذا كانت الحاجة ملحة لمواجهة احدى الحالات الطارئة في أفواه هؤلاء المرضى - مثل الالتهاب الحاد - قبل استكمال هذه الفترة ، فيجب ان يتم تحويلهم لأحد المستشفيات للاشراف المباشر على حالتهم ولمواجهتهم بشكل أتم وأشمل .

وجدير بالذكر أن ابسط عمل يمكن القيام به في الفم - مثل تنظيف الأسنان - يمكنه أن يسبب حالة دخول الميكروبات مؤقتا في دورة المريض الدموية والتي تبقى في الدم حتى انتهاء العملية ولفترة وجيزة بعدها .

وتستطيع المقاومة الحيوية في الأفراد الطبيعيين التغلب على النشاط الضار لهذه الظاهرة التي يمكن أن تصبح خطيرة في المرضى الذين يعانون من نقص في مقاومتهم (مثل المصابين بأمراض القلب والسكري الخ) والوقاية من ذلك تتم باعطاء جرعات عالية من البنسلين أو أحد المضادات الحيوية الأخرى قبل وخلال وبعد العملية .

وتتمثل الوقاية الأهم في الحرص على تطبيق قواعد صحة الفم لحماية الأسنان من التسوس والقلع الذي لا مبرر له .

السكري

مرض شائع بين سكان الكرة الأرضية،تكمن خطورته في أن الكثير من المصابين به يتجولون بيننا دون معرفتهم أنفسهم بذلك . ولا يمكن السيطرة على الأعراض التي يسببها وبخاصة أمراض اللثة مادام المرض في مرحلة التطور وغير خاضع للسيطرة .

ويسعى طبيب الأسنان المعالج لمعرفة مستوى السكر في الدم والذي يجب ان لا يزيد على ١٨٠ملغم / ١٠٠سم^3 قبل البدء في أي عمل من خلال فحص حديث لدم وبول المريض من أجل العمل - في حالة التأكد من اصابته - على تغطيته بالمضادات الحيوية القوية الواسعة النشاط مثل الأمبسلين ، قبل القيام بأي علاج في فمه .

وفي الحالات الحادة مثل دمل الأسنان فيتوجب على الفور-وبعد الفتح وتصريف القيح - تغطية المريض بمثل هذه المضادات تحت مراقبة واشراف طبيبه المعالج المختص ، ويتقرر استكمال العلاج بالقلع أو العلاج الجراحي على ضوء معطيات الفحص الميكروبولوجي حيث يمكننا ذلك اذا كانت نسبة الجلوكوز تتراوح تحت ١٨٠ - ٢٠٠ملغم ٪ مع ضرورة تغطية المريض بالمضادات الحيوية .

ويعتقد بعض الباحثين بأن ازدياد نسبة السكر في الدم عن ٢٠٠٪ ملغم لا تعني مانعاً مطلقاً أمام القيام

بالعمليات الصغيرة بشرط ان تتم المواجهة العلاجية للمريض داخل أحد المستشفيات،وتحت سيطرة قوية بالمضادات الحيوية .

وبالطبع فالخوف الذي يعتري اطباء الأسنان من مواجهة مرضاهم المصابين بالسكري له مايبرره ، لكن يجب ان لا يصل الخوف بهم الى حد يعذب المريض في الوقت الذي استطاع فيه الطب الحديث تنظيم حياة مثل هؤلاء كي تكون طبيعية بشكل قريب من حياة الأفراد الأصحاء .

والسعي الحثيث بلا شك يهدف الى وقاية المريض من المضاعفات الحادة المباشرة للمرض والتي قد لا يكون لها تأثير على قلبه ، الامر الذي يكتسب أهمية خاصة لدى من يجهلون اصابتهم به .

مشـــاكل الحمـــل

رغم معاناتها من أعراض الحمل والقيء وتعكير المزاج الخ ، فالمرأة الحامل تعتبر طبيعية وصحية . وهي قد تجد نفسها مرشحة للقيام بعمل ما في فمها خلال أي من مراحل الحمل المختلفة ، ويواجه طبيب الأسنان في هذه الحالة شركا ، وبخاصة ان الكثيرين من أطباء النساء والولادة يحرضون مريضاتهم على عدم زيارة طبيب الأسنان خلال فترة حملهن حتى وان لم يكنّ يعانين من مشاكل مرضية مهمة . وهكذا فالتحفظ في مواجهتها له مايبرره .

ويمكننا من الناحية العملية مواجهة مشكلة الحمل من ثلاثة جوانب .

(١) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال التأثير على الحالة العامة للمرأة بتأثير عمل طبيب الأسنان في فمها (السكري ، فقر الدم ، امراض الكلية الخ) .

(٢) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال الحاق الضرر بالجنين في حالة العمل المجهد،أو إن دعت الحاجة لاجراء تخدير عام .

(٣) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال نشوء مضاعفات صعبة في منطقة العلاج داخل الفم بعد مواجهة إحدى المشاكل (قلع احدى الأسنان) .

ويواجه طبيب الأسنان عادة ثلاث حالات من هذه الحوامل :

(١) الحوامل اللاتي سبق لهن الحمل والانجاب لأكثر من مرة في الماضي .

(٢) الحوامل اللاتي يحملن لأول مرة .

(٣) الحوامل اللاتي تعرضن لاجهاضات مسبقة خاصة خلال الثلاثة اشهر الأولى لحملهن .

أما الحالتان الأولى والثانية فيمكن مواجهتها على انها طبيعيتان للغاية ، وبالتالي تقديم كل علاج مطلوب لهما مع مراعاة اجراءات الوقاية الكلاسيكية حسب طبيعة ونوع وشدة الحالة التي دعا طبيب الأسنان لمواجهتها . واذا كانت هذه النساء في شهري حملهن الاخيرين ولم يكنّ يعانين رغم حساسيتهن لأي من المشاكل الطارئة ، فمن المفيد تأجيل العلاج لما بعد الوضع .

وبخصوص حالات الحمل الثانية (الحمل لأول مرة) وبخاصة للنساء ذوات العمر المتقدم ، فمن الصواب التحفظ على اجراء العمليات المطولة الشاقة وبخاصةإذا كان الحمل ما بين الشهر الثاني والرابع ،

اما الحالة الثالثة فحتى أبسط الاجراءات التي يمكن القيام بها في فم الحامل المريضة يمكنها أن تكون ملفتة للانتباه بسبب احتمال تحميل طبيب الأسنان مسئولية انقطاع الحمل لو تم ذلك لأي سبب كان من قبل الحامل أو أهلها لأسباب نفسية .

والمرأة التي تعاني من كثرة مرات الاجهاض التي تعرضت لها مسبقاوبخاصةخلال أشهر الحمل الثلاثة الأولى بسبب مشاكل في رحمها أو اضطرابات هرمونية ، فمن الطبيعي ان تتأثر بجو العيادة الذي يشكل منبعاً حقيقياً للتوتر ، وان تعزى مسئولية أي اجهاض بعد ذلك للطبيب الذي قام بعلاج أسنانها .

والخلاصة أنه من الحكمة بمكان تجنب ـ ليس فقط العمليات الشاقة بل وحتى البسيطة (مثل القيام بالحشوة)لمثل هؤلاءالنساء وتأجيل ذلك لحين انقضاء الستة أشهر الأولى للحمل . أما فيما يتعلق بالحالات الطارئة التي تتطلب مواجهة عاجلة مثل دمل الأسنان،فمواجهتها تتم كلاسيكياً باعطاء المسكنات والمضادات الحيوية التي لا تؤثر على الحمل مع الفتح وتصريف القيح ، والتشاور مع الطبيب المختص المعالج . □



حصان طروادة جديد!

بقلم الدكتور فهمي جدعان

منذ أن تحققت البلدان « المتخلفة » من هزيمتها أمام العلم والتقنية والسيطرة الغربية ، ومنذ أن أشرعت هذه البلدان أبوابها لتنفذ منها قوة الغرب الطاغية ، وانجازاته المعرفية والتقنية ، وقيمه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، ومثقفو هذه البلدان يضعون الاسئلة حول مسألة الثقافة ، والثقافة الدخيلة ، ويجيبون عنها جواب الآخذ أو الراد أو الحائر !

يمكن للقضية في حدودها البسيطة بطبيعة الحال أن ترتد مرة واحدة الى مسلمة خلدونية تقول : «ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب» يأخذ عنه معارفه ، وصناعاته ، وعاداته ، وأساليب معاشه ، وأخلاقه ، بيد أنه من الممكن أيضا صياغة التساؤل التالي : هل هناك حقا انتاج ثقافي مصنوع ابتداء لكي يحقق أهدافا مخصوصة خارج حدود صانعيه ؟ وهل هناك قصدية « في ثقافة الغزو » تهدف ابتداء الى احتلال أرض الدماغ والنفس عند المغزو ، وتبديل فكره بفكر آخر ، وثقافته بثقافة أخرى بحيث يكون الغزو الثقافي بديلا للحرب فعلا ؟ ان الأصوات تعلو وتعلو في أيامنا هذه لتنبهنا الى الخطر الماثل أمام أعيننا ، بسبب هذه الثقافات الدخيلة التي تغزو مدينتنا لتحطم في حرب حقيقية ـ غير معلنة ـ ذاتنا الأصلية وقيمنا ، تحت شعار الفائدة الفنية ، أو المتعة الجمالية ، أو الحاجة الاستهلاكية ، في صورة كتب ومجلات وأفلام سينمائية أو تلفزيونية ، وعلب (فيديو) ، وموسيقا صاخبة ، وأغان شرسة ، من

شأنها جميعا تحويل العقل والذوق والنفس والذات عن مجراها الطبيعي الى مجرى آخر مماثل لمجرى الثقافة الغازية وقيمها . انها تصرخ عاليا حذار حذار من هذا (الحصان) الجديد ، حصان طروادة الذي يريد أن يتخذ من الثقافة ومنجزاتها وسيلة جديدة لالحاق هزيمة أخرى بنا، بأن يجردنا من عقولنا وارادتنا وذاتيتنا ، بعد أن يئس صانعوه من ذلك بأساليب الحرب التقليدية ، حذار حذار ان الهدف الجديد يتمثل في تحويل وجودنا عن مساره الذاتي ، ودمجه في (الأنا) الغازي ، وانه ليس لنا من سبيل الا أن نعلن الحرب على ثقافة الغزو وحضارته ، بأن نعض على التراث و قيم التاريخ بالنواجذ .

الوجه الآخر للحرب

ليس ثمة شك في أن صرخة الفزع هذه تعكس نمطا من المحاكمة ، أو التأثر ، يمكن أن يكون له بعض الوجاهة . ولا ينبغي أن ينظر اليها باعتبارها مجرد وهم خالص من أوهام الاتباعيين ، فالحقيقة هي أن التاريخ قد علمنا أن الغاء (الآخر) لايمكن أن يتم الا باحدى العمليات الاتية ، اما الاعدام المادي الجذري بالحرب ، أو بالعنف الجماعي ، أو بالحصار الكامل حتى الموت ، أو بالتفكك الداخلي العميق ، أو بالدمج الحضاري أو الثقافي الذي يفضي الى تحويل (الآخر) المباين أو المعادي أو المخالف الى الـ (نحن) المتجانس المجانس . لكن أين الغزو الثقافي أو الحرب الثقافية من الحرب نفسها ؟ وما هي الحرب أصلا ،

حتى يكون في امكاننا الزعم بأن الغزو الثقافي أو الفكري يمكن أن يكون بديلا عنها ، أو صورة من صورها ؟ لاشك أن التعريف الذي يقدمه (كلاوزفيتش) هو أفضل التعريفات التي قدمها لنا (الاستراتيجيون) حتى الآن : « الحرب فعل للقوة ، تهدف القوة به الى الزام الخصم بالخضوع لارادتنا » ، وبتعبير آخر : « هو فعل عنيف ، ينشد فيه كل واحد من الخصمين الزام الآخر بالقانون الذي يريده هو ، فيرتب ذلك على كلا الخصمين اللجوء الى الأطراف (الحلول) القصوى ، بيد أنه اذا كانت الأهداف القصوى للحرب أهدافا سياسية محضة ، والحرب هي أولا وآخرا أداة للسياسة ، ومطية لها ،

فانه قد يكون من الحكمة اللجوء الى حرب غير مادية ، وغير عنيفة ، من أجل الأهداف نفسها التي تنشد تحقيقها الحرب العنيفة ، وكل ذلك بخسائر أقل ، وكلفة أدنى ، ولعلنا نستطيع بمثل نضربه من التاريخ العربي أن نقرب هذه المسألة للاذهان ، ذلك أن بعض الروايات التي يتناقلها الكتاب العرب بصدد تعليل مسألة نقل التراث اليوناني الى العالم الاسلامي في القرن الثاني للهجرة تقول ان بطارقة بيزنطة يئسوا من دحر الفاتحين العرب المسلمين ، ومن رد هجمتهم على العالم النصراني آنذاك بالوسائل الحربية العسكرية ، فعقدوا اجتماعا لهم أو مجمعا وتداولوا فيه أمر أصحاب هذا الدين ، وفي الاساليب الناجعة لدحرهم ، فارتأى بعضهم تنفيذ عملية من نوع خاص جدا وهي أن ترسل الكتب والمصنفات الفلسفية والعلمية اليونانية الى بغداد دار الخلافة لتكون نتيجة ذلك أن تغرق هذه المصنفات عقول المسلمين وتضللهم عن دينهم ، وأن تحدث في البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية للمسلمين الفشل والتوزع والتفكك ، بما يمكن أن تولده من تفرق وانشقاقات و(هرطقات) تزعزع الاسلام من جذوره ، ويكون فعلها شبيها بما تولد عن ادخال (الحصان) الى طروادة . تقول الرواية ان بطارقة القسطنطينية قد نجحوا فعلا في ادخال المصنفات الوثنية الى دار الخلافة ، أما الاتباعيون المسلمون فمازالوا يؤكدون حتى يومنا هذا - من حيث يدرون أو من حيث لايدرون - أن الخطة قد نجحت ، ويؤكدون أن انحطاط حضارة المسلمين هي نتيجة هذا «التلوث» الذي نجم عن دخول علوم أهل الكفر الى عالم المسلمين ، وهم يعززون وجهة النظر هذه بكلمة ابن مسعود (رضى الله عنه) :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ، أو بأن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قد نهى المسلمين عن أن يأخذوا علومهم عن النصارى ، أو بألا يتحرجوا من التهمة الجائرة التي زعم أصحابها أن عمر نفسه قد وجه أوامره الى فاتح مصر بأن يحرق مكتبة الاسكندرية ، لما تنطوي عليه من علوم الكفار ، (وذلك على الرغم من أن ما نهى عنه عمر - حقيقة - هو الرجوع الى كتب النصارى في الأمور الدينية الخالصة ، لأنه نعتقد أن مالدى المسلمين من دينهم

يكفيهم ، وعلى الرغم من أن مكتبة الاسكندرية لم يكن لها وجود حين فتح العرب مصر) ، وليس هنا مكان النظر والتحقيق في هذه الاقوال ، لكن من الثابت أن دخول التراث اليوناني الى العالم الاسلامي لم يتم اطلاقا على النحو الذي تصوره هذه الرواية الخيالية ، بيد أن تصديق هذا كله يتولد عنه عمليا الموقف التالي : اذا كان الفكر الغريب الغازي صورة من صور الحرب التي تهدف الى قهرنا وارغامنا على الخضوع لارادة الخصم ، فان من الحكمة أن نغلق الأبواب والنوافذ في وجه كل عناصر الغزو ، وأن نعلن حربا شعواء على التلوث الفكري والغزو الثقافي ، وأن تكون الحرب الشاملة على كل الانجازات الثقافية التي تصدر عن الآخرين ، ثم نرتد الى حدود عالمنا الخاص وذاتنا التاريخية .

قوة الوجود

ان هذا النمط من المحاكمة لايتفق مع ما يحدث في الواقع ، والغزو الثقافي نفسه لايتم على هذا النحو ، فالواقع هو أن الثقافة الغازية ، لم تصنع أصلا من أجل أن تغزو الآخرين ، وانما صنعت من أجل الاستجابة لحاجات ابنائها قبل كل شيء ، أي من أجل أن تستهلك محليا ، والمنتجون لها يتوخون المنفعة ، أما مبدعوها فانهم سيتوقفون عن الابداع في اللحظة التي لاتلاقي بضائعهم القبول والرضا ، وتكف عن ادرار الربح المرغوب . والحقيقة أن سمة الغزو التي يمكن أن تكتسبها هذه المنتجات تأتي من شيء آخر تماما ، هذا الشيء هو (قوة الوجود) في هذه الثقافة ، وقدرتها على الانتشار الكوني في المواطن التي تقابل فيها (قوة وجود) أخرى ضعيفة أو متداعية . لاشك أن هناك منتجات ثقافية (مثل الأفلام أو الكتب) عدائية أصلا ، أو فاسدة أخلاقيا ، تهدف الى الطعن في الآخرين ، والحاق الأذى بهم ، كما هو حال كثير من الافلام الامريكية ، لكن ليس هذا هو أصلا مضمون ثقافة الغزو على وجه التحديد ،لأن ثقافة الغزو هي تلك التي تستطيع أن تتسرب بشكل سلمي وادع تحت ستار الغرابة والامتاع الى عقر دار (الآخر) ، وتنجح بمقادير متفاوتة في تحويله نفسيا وثقافيا الى ثقافة تلك المبدعات ، دون أن تعلن أي هجوم صريح مباشر على القواعد الاجتماعية والاخلاقية والفكرية للارض المغزوة ، والمنجزات الصريحة في عدائها ، الشرسة في أذاها ، تخضع عادة لقرار الرقيب بالمنع أو الاتلاف أو تحديد التداول أو غير ذلك من الاساليب .

فاذا كانت ثقافة الغزو تتسرب بفعل (قوة الوجود) المحركة لحضارة الغزو أو ثقافته فمن الطبيعي اذن ألا يكون الارتداد الى الذات والتاريخ ، والاعتصام بهما ، طريقة ملائمة من أجل تجنب الكارثة ، كما أن اغلاق الابواب واعلان الوطن منطقة (حراما) ، وتسويره باجراءات شكلية أو مصطنعة ، لن يكون وحده كافيا من أجل تجنب الآثار المترتبة على ذلك الغزو ، لأنه كي تتم عملية من هذا النوع على نحو كاف ينبغي أن تكون التضحية تضحية كاملة بحرية المعرفة وحرية الاتصال والانتقال ، وحرية التفكير بوجه عام ، وليس هذا هو الثمن الأفضل ، لأن الحقيقة هي أن المسألة برمتها ترتد في ذاتها الى ما يمكن أن أتفق مع باول تيليش على تسميته « مواجهات قوى الوجود » من ناحية ، وقوة الوجود التي نرتد اليها ونعول عليها من ناحية أخرى ، فاذا كانت (قوة الوجود) هذه قاصرة ماديا وتقنيا ، وواهنة فاترة ثقافيا وأخلاقيا ، فان مسألة رد الهجوم لن تجد لها حلا في عملية الارتداد الى ذات غير فاعلة ، والى تاريخ غير حي ، والى تراث غير ماضي التأثير ، وفضلا عن ذلك فان أي كلام على ثورة « ثقافية » في ظروف الحصار التاريخية الراهنة لن تزيد المسألة الا بلبلة واضطرابا ، لأن (قوة الوجود) الواهنة المعطوبة المفرغة من ذاتيتها الحية لن تستطيع انتاج شيء فاعل ، ولن يقدر لها النجاح في مجابهة (قوة الوجود) الحائزة على جميع أسلحة الغلبة والقهر .

البحث عن مخرج

ما المخرج اذن ؟ انه بكل تأكيد لايكمن في أن نلقي بأنفسنا في أحضان قوة الوجود الغالبة ، وفي الانصياع لمنطقها الطاغي ، ولا هو يتمثل في أن ندير ظهورنا للغالب ، اذ أن الغالب لن يتيح لنا هذه الفرصة ، وسيقول لنا دوما أننا في حاجة اليه لكي يحمينا من أعدائه (الآخرين) ، فضلا عن أنه بمنطق غلبته لن يرضى بأن تفلت من يده ثمار غلبته . فما

الذي يتبقى اذن ؟ الذي يتبقى هو المجابهة فحسب ، والمجابهة تعني اعادة بناء (قوة الوجود) الذاتية ، أو - على نحو مباشر - بناء (قوة وجود) حقيقية تقوى لاعلى المقاومة والصمود فحسب ، وانما على الاندفاع والملاحقة والفعل المؤثر .

أما في حالة الصراع المباشر المشخص فان ما يقوله كلاوزفيتش هو الصواب : « من أجل أن نتغلب على الخصم لابد أن نفحص مدى التناسب بين جهودنا وكفاياتنا من جهة ، وبين قدرته على المقاومة من جهة أخرى ، أما القدرة على المقاومة ، فانها نتاج عاملين لانفصال بينهما : حجم الوسائل المتوافرة ، وشدة العزم » وان شئنا أن نستخدم مصطلحا يفصح عن المسألة على نحو آخر يكون أثيرا لدى باول تيليش ؛ أوردنا مصطلح (قوة الوجود) الذي يعني في نهاية التحليل « التأكيد الذاتي للحياة في دينامياتها المتجاوزة لذاتها » ، وأن الوجود في النهاية هو يمثل قوة الوجود التي تتجلى في غمار التطور الذي تتحقق فيه ، وفي مجابهتها لقوة وجود أخرى ، وكل مواجهة بين شخص قوة وجود وبين شخص آخر يمثل قوة أخرى تفترض معرفة (كم) القوة المتجسدة في كل منهما وهي معرفة لايمكن أن تتكشف الا بالمواجهة الفعلية التي تتخذ أشكالا مختلفة وعلاقات متباينة ، مثل علاقات الاندفاع ، والانسحاب ، والاستيعاب ، والرفض ، والتوحيد ، والانفصال أو مثل مقولات التحدي ، والاستجابة ، والانسحاب التي شهر بها توينبي ، والواقع في رأيي ، أن مسألة « الغزو الثقافي » - وهو ما أميل الى تسميته « الانتشار الثقافي » لقوة الوجود - لايمكن أن تفهم فهما حقيقيا نيرا الا ضمن « علاقات المجابهة » هذه ، وهي علاقات لاتحدث بين الأفراد فحسب ، وانما أيضا بين الانسان والطبيعة ، وبين الافراد والجماعات ، وبين جماعات وجماعات .

أهمية المجال

ويمكن أن نعبر عن واقع المسألة بصيغة أخرى أكثر تبسيطا ، فنقول ان قضية الافكار الدخيلة أو الوافدة أو المستوردة لايمكن أن ينظر اليها الا من حيث أنها صورة من صور صراع الأفكار والمجابهات الثقافية المجتمعية ، وهي صراعات ومجابهات لامفر منها ، طالما أن ساحة الوجود ستظل مرتعا لقوى الوجود المتجابهة ، ومن بين جميع علاقات المجابهة تبدو علاقتا الاستيعاب من جهة والتوحيد والانفصال من جهة ثانية علاقتين يمكن التعويل عليهما ، بشرط أن يفهم من علاقة الاستيعاب الدمج والتجاوز ، ويفهم من علاقة التوحيد والانفصال الضم والتوحد بالعناصر « الوافدة » والانفصال عن خصوصياتها الاصلية ، والتميز بالخصوصيات الذاتية للانسان « الموحد » أو للثقافة الموحدة ، وذلك في عملية تشبه عملية التأصيل والحداثة في الآن نفسه .

بيد أن للمسألة وجها آخر لاينبغي اغفاله ، وهو أنه اذا كانت مسألة الغزو الثقافي أو الفكري هي صورة من صور المجابهة الثقافية المجتمعية بين قوتي وجود متقابلتين أو أكثر ، عجزت احداهما عن ارغام الأخرى على الرضوخ بالقوة المادية ، فلجأت الى الارغام قصدا أو طبعا « بقوة الانتشار الثقافي » ، فانه ينبغي أن نلاحظ أن هذه المجابهة مرتبطة ارتباطا وثيقا جوهريا بما يسمى في الفكر الاستراتيجي (المجال) .

ونظرية المجال على الرغم من قدمها النسبي تظل صحيحة مفيدة ، على الأقل فيما يخص تحليل المسألة التي ننظر فيها هاهنا ، والأصل الذي يقرره (الاستراتيجيون) يرتد الى القول أن أساس قوة الجماعة بأسرها يتمثل في ذلك المجال أو الفراغ الذي ينبغي أن تتيحه لذاتها ، فالوجود القوى يعني امتلاك المجال ، أو بصورة أدق افساح المجال أو الفراغ لذات المرء أو الدول أو جماعات القوة ، وذلك هو سبب الأهمية الفائقة للمجال الجغرافي ، وللقتال من أجل حيازته من جانب كل جماعات القوة ، والأمثلة هاهنا كثيرة صارخة ، لعل أقربها الينا ذلك القتال الذي تشنه الصهيونية ، بعد أن امتلكت مجالها الخاص في فلسطين ، وجسدت قوتها في « دولة « اسرائيل » التي مالبثت أن أفصحت عن قوة وجود بالغة الشدة والخطورة في ذاتها ومن حولها . ان ضرورة حيازة المجال تضرب جذورها عميقة في طبيعة قوة الوجود التي تستند اليها ، أما الهدف الحقيقي في اجتياز المجال فانه يكمن عموما في جذب المجال الى مجال قوة أكبر ، وحرمان (الآخر) من قوته الوجودية الذاتية ، بارغامه على الانضواء في مجاله الخاص الذي يتطلع على الدوام الى تعزيزه وترسيخ جذوره في الارض .

ليس المجال الجغرافي هو وحده الذي يضفي القوة على وجود ما ، ويعزز هذه القوة ، فثمة ايضا المجال الاقتصادي والمجال الثقافي ، وفي حالة هذا المجال الأخير تتبلور قوة الوجود في التوسع الفني ، ونشر العلوم والافكار والرموز الحضارية والتقنيات ، وفي بعض الحالات القصوى تتخذ الأمور شكل حالة (الاستعمار) الطاغي ، ونحن لسنا في حاجة الى بصيرة نافذة من أجل أن نتبين أن المثل الامريكي في أيامنا هذه يفقأ الابصار في اعلانه عن هذا الطغيان ، وعن هذه الغطرسة المتعطشة الى احتواء العالم والهيمنة عليه عسكريا وثقافيا في الآن نفسه مما يعكس نزوع المجال الى حالة (الاستعمار) الصريح .

وما (الحلم الأمريكي) الذي يريد أن يري الكون كله خاضعا لمملكة « الرب » الأميركية - قد خلصته ملائكة الرحمة التي ينشرها في كل مكان من شروره ، وآثامه وبربريته - الا صورة لمدى تطلع المجال الامريكي الى ضم المجالات الأخرى اليه ، وممارسة ضرب من السيادة الالهية على الأرض ، ومنذ أن هتف تيودور روزفلت في عام ١٨٩٨ قائلا :

« قَدَرُنا أمركة العالم » والرياح الأمريكية تعصف بالعالم ، عسكرا وتقنية وثقافة ، وليس يقف في وجه هذه الرياح الا رياح أخرى ، على سبيل المنافسة والتحدي من أجل انتصار (ايديولوجية) مضادة تنشد هي بدورها المجال الخاص لقوة وجودها الذاتي ، وهذا أمر طبيعي ، لكن ما ليس طبيعيا هو أن تسقط القوى الواهنة من حسابها شروط وجودها الذاتية ، وتحاول أن تتقوى بعمليات تقمص كامل غير مشروط لهذه الثقافة أو تلك .

خلاصة

ما الذي يمكن أن نرتبه على ما مر من تحليلات ؟ هناك عدة أمور :

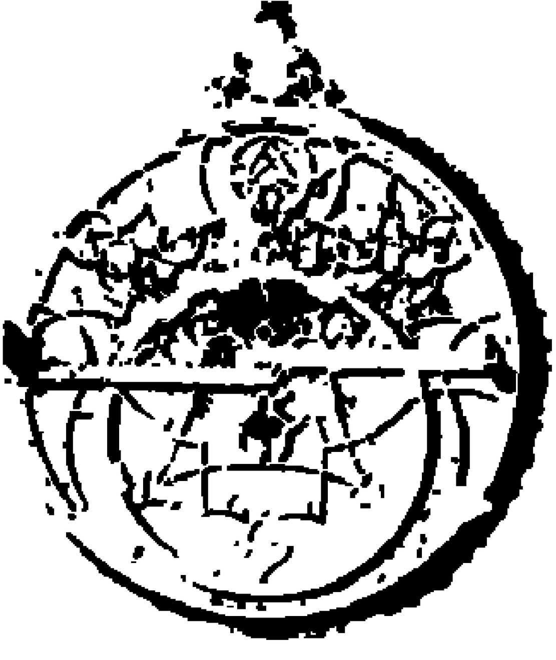
أولها : ان مفهوم (قوة الوجود) يستحق أن يتصدر كل المفاهيم الأخرى في ساحة الحياة ومسارها ، وقد يجوز لنا أن نتبين تجسيدا صريحا لهذا المفهوم في الاندفاعية التاريخية للاسلام نفسه ، وذلك حين تحددت قوة الوجود الاسلامية في دفع (الروح) الدينية للقوى العربية ، وفي تعزيز هذه القوى بما استوعبته في حركتها التاريخية الحية ، من قوى وجودية أخرى مادية وثقافية ، يونانية وفارسية وهندية، وبما انفصلت به عنها وتميزت من خصوصية وذاتية .

ثانيها : ان مسألة الثقافة والثقافة الدخيلة تجد لنفسها الوضع المناسب في هذا المنظور ، وذلك أن قوة الوجود المندفعة الى الأمام ليس لها أن تخشى المباين أو الدخيل أو الوافد ، فهي تستوعبه وتتميز عنه في الوقت نفسه فتتجاوزه ، أي تدمجه في ذاتها وتتوحد به وتتخصص ، وقوة الوجود الواهنة المحكومة بعلاقات الانسحاب والرفض هي وحدها التي تنتابها (فوبيا الغزو الثقافي) فتتوجس خيفة من كل غريب ، وتأباه ، وتنكره وتفزع منه ، وتعتبره غزوا خارقا ، بينما هو في الحقيقة صورة من صور انتشار قوة الوجود لدول أو جماعات أو حضارات صاعدة . ان صرخة الفزع من « الغزو الثقافي » علامة على حال أناس يحتضرون ، أو يتوقعون أن ساعة احتضارهم قد أزفت، أما القوى الصاعدة الحية ، فانها تعلن عن صرخة الدهشة والفرح بالجديد ، وتتأهب لاستيعابه ، وتنقيته وتجاوزه .

ننظر الى مواقف الأوائل مثل الكندي وابن رشد ، والى مواقف الأمم والثقافات المغايرة أو المباينة ، فنشعر أننا أمام حضارة واثقة مطمئنة، يحركها الأمل والرجاء ، وننظر الى مواقف معاصرينا من الاتباعيين الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى غيرهم ، فنحس أننا أمام ثقافة ترتعد فرائصها خشية الغرق أو الموت .

ثالثها : ان قوة الوجود المندفعة « المنتشرة » ستصل بسهولة أيسر الى غايتها ، أي ستتحقق تحققاً أيسر وأكمل اذا ما لقيت أمامها حالة استلاب ثقافي كف الانسان فيها عن التفكير والعمل بدءا بالمعطيات الذاتية المشخصة لأوضاعه ، واختار أن ينظر في أموره وقضاياه بأفكاره ، وبمقولات ومناهج هي نبات لأوضاع أخرى غير مماثلة .

آخرها أن حالة قوة الوجود المرابطة ، لايمكن أن تتشخص بعيدا عن ثقافة متميزة بنظرتها الخاصة الشاملة الى العالم،ونظرتها هذه نشطة حية متجذرة في التطلعات العميقة الاصيلة لاصحابها ، و فاعلة مشحونة بارادة الوجود ، وبالوعى الأخاذ بأن الحياة أمر تشتهيه نفوس الافراد والأمم على نحو أصيل،وبأن هذه الحياة تستحق فعلا أن تعاش على نحو فذ متفرد . □



الجديد في العلم والطب

علاج الأمراض العصبية .. بات قريباً

نجح علماء اليابان في تحديد بنية أهم البروتينات ذات الصلة بالاعصاب .. ورسائلها أو اشاراتها ..

ومعنى هذا أن البحث عن العقاقير الفعالة للاعصاب ولشبكات رسائلها سينشط كثيرا ، ويبشر بنتائج ايجابية يحرزها في مستقبل غير بعيد .

جاء ذلك في تقرير مفصل نشرته مجلة ناتشر في شهر اكتوبر ١٩٨٦ لفريق من العلماء اليابانيين يعملون في أربع مؤسسات علمية مختلفة ، وقد وصفوا في تقريرهم هذا المتقبل المسكراني muscar-inic receptor التابع لمادة الكولين الأسيتيلي وهي المادة المنتشرة في المخ وفي الجهاز العصبي المركزي .



كحل العيون سم في الدسم

درج العرب على كحل عيون أطفالهم منذ القدم ، فقد وجدوا في العيون الكحيلة جمالاً حظي بإعجاب الشعراء والأدباء في كل زمان ومكان ، واعتقدوا أن في الكحل شفاء . يقول لسان العرب : الكحل هو ماوضع في العين يشتفى به .

وجاء العلم الحديث ليصدر حكما في ذلك ، بل قل ليثبت أن في الكحل سما لاشفاء ، فهو يحتوي على مادة (الجالينا) اللماعة ، ومادة (الجالينا) هذه لاتعدو كونها رصاصا ، أي أنها من أخطر الملوثات السامة التي عرفها الإنسان في تاريخه الطويل ، وحسبك أن سقوط الامبراطورية الرومانية نفسها يُعزى لأسباب مختلفة كان من بينها التسمم بالرصاص ، فقد استعمل أباطرتها ونبلاؤها الأواني الرصاصية لشرب النبيذ ، فما لبث أن انتشر الرصاص في أجسامهم ، وكانت مقاديره الضئيلة كافية



الدكتور جوثري وبين يديه أحد الأطفال الذي حرص أبواه على كحل عينيه ، قدما له السم في الدسم .

لإحداث اختلال في تصرفاتهم ، فضلا عن تقصير أعمارهم .

حقا لم يعرف عن الرصاص أنه ملوث سام إلا في السنوات الأخيرة ، فقد اكتشف العلماء أنه يسبب البطء في التفكير ، والاختلال في السلوك ، واتخاذ القرارات ، وأنه قد يؤدي الى الموت في بعض الأحيان ، واكتشفوا أيضا أنه أسرع وأعمق أثرا في الصغار منه في الكبار ،وأنه يتسرب إلى دم الإنسان من حيث لايدري ، فقد يأتيه من أواني الرصاص التي تستعمل في الأكل أو الشرب ، وقد يأتيه أيضا من الأصباغ التي صبغت بها جدران المنزل ، والتي يدخل الرصاص في صناعاتها ، وقد يأتيه كذلك من أنابيب الماء الجاري ، فقد كانت تصنع من الرصاص حتى قرروا حظرها ، وحظر الأصباغ . إن في الكحل الذي يكحلون به العيون من أجل جمالها وسلامتها سيما قاتلا وبخاصة للأطفال الصغار ، إنهم يقدمون السم في الدسم لأولئك الأطفال الأبرياء عندما يزينون عيونهم بالكحل .

الدكتور جوثري بروفسور طب الأطفال في جامعة نيويورك بمدينة بوفالو ، صاحب الفضل الكبير في استكمال فحوص الرصاص في الولايات المتحدة ، يقول : (لقد أجرينا الفحوص والتحاليل الخاصة بتحديد مقادير الرصاص الموجودة في الدم ، وقد أجريناها على عدد كبير من الأطفال من أبناء بلدان جنوب آسيا والشرق الأوسط ومن ضمنها الكويت ، فوجدنا ارتفاعا ملحوظا في نسبة ما يحتويه الدم من الرصاص في أولئك الأطفال) .

ويدعو الدكتور جوثري إلى اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على عادة كحل العيون ، ثم استدرك وفطن الى أنها عادة راسخة الجذور ، وأن لاسبيل الى استئصالها والقضاء عليها نهائيا إلا بالإرشاد والتعليم والتوعية على المدى البعيد .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

المادة العلاجية في الديكة

من المعروف أن عرف الديك يحتوي على مادة فعالة جدا في معالجة عدد من الأمراض ، تعرف باسم حامض (هيالورونيك) ، ومن المعروف أيضا أن المقادير التي يحتويها عرف الديك من الحامض المذكور ضئيلة جدا ، لا تتعدى غراما واحدا في كل خمسة كيلوجرامات ، وهذا المقدار في عرف ديك يبلغ من العمر ستة أشهر . لهذا كان غلاء حامض (الهيالورونيك) الفاحش ، فإن ثمنه ١٥ مليون دولار للكيلوجرام الواحد ، ولهذا أيضا كانت الصعوبة التي تحول دون الاستفادة من هذا العلاج بالقدر الكافي ، وتجدر الإشارة إلى أن حامض عرف الديك يوجد طبيعيا في سائل العيون وسائل العظام ، كما يوجد

يظهر عرف الديك فوق رأسه كالقبعة .

أيضا في المفاصل والجلد والحبل السرّي وقد استعمله جراحو العيون حيثما

وجلده ، واستعمله أطباء البيطرة لحقن ركب خيول السباق التي تعاني من التهاب المفاصل . إن أمراضا أخرى عديدة يمكن معالجتها لو أصبح في الإمكان توفير حامض (الهيالورونيك) بكميات كافية من فوائده معالجة الجروح ، والشفاء السريع من الحروق ، فهو يمنع البكتريا من التسرب إلى الحرق ، لكنه يسمح للاوكسجين بذلك ، والأوكسجين ضروري لشفاء الجلد كما لا يخفى ، والبكتيريا ضارة به . والحامض المذكور مرطب ، جاذب للماء ، يحول دون جفاف الجلد حين تعالج به الحروق ، نافع في علاج الجلوكوما وغيرها من أمراض العيون ، . . يمكن استعماله كحامل للمستحضرات (الكورتيزونية) وغيرها ، قادر على التغلغل بها إلى داخل المفاصل لتحد من آلام التهابها .

لا عجب إذن إن كانت الشركات الصناعية في سباق للحصول على حامض (الهيالورونيك) بطريقة أو بأخرى .

نجحت شركتان في تصنيع هذا الحامض بمقادير كافية بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية ، إحدى هاتين الشركتين انكليزية ، وهي شركة (فرمنتك) ،

والأخرى أمريكية ، وهي شركة (دياجنوستك) التي ظفرت مؤخرا بترخيص من وكالة الغذاء والدواء لإنتاج الحامض السالف الذكر بأساليبها الخاصة ، وباستعماله في الجراحة تحت اسم (فسكوت) .



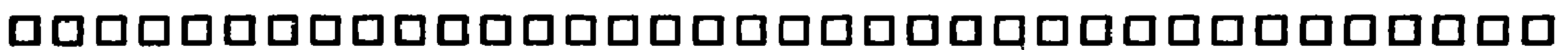
النقاهة ضرورية

أجرى مستشفى كولبس للاطفال (في اوهايو) دراسة للمضاعفات التي تعقب عمليات استئصال اللوزتين ، لاسيما في الأطفال . . وقد أثبتت الدراسة التي استغرقت سنتين ، والتي شملت ٢٩٤٤ طفلا كانوا من الذين اجريت لهم العملية ، أثبتت أن الكثير من تلك المضاعفات (١٤٪) كان سببها تعجل الخروج من المستشفى ، وأن في الامكان تجنب تلك المضاعفات لو لم يسمح للأطفال بمغادرة المستشفى في نفس اليوم

الذي اجريت لهم العملية فيه . . واثبتت الدراسة أيضا أن (٢٠٪) من الأطفال فقط

يستطيعون مغادرة المستشفى في يوم اجراء العملية بالذات . . أما الباقون (٨٠٪)

فيستحسن بقاؤهم في رعاية الأطباء يوما آخر في أقل تقدير .



حبوب شبه مثالية لتحديد النسل

أحرز العلماء الفرنسيون نجاحا كبيرا في تطوير حبوب جديدة لمنع الحمل ، تفوق كثيرا كل ما عرفته النساء من حبوب قديمة . جاء هذا الخبر في تصريح للدكتور برزلاتو ، أحد كبار المسؤولين في منظمة الصحة العالمية الذي أكد أن الحبوب الجديدة ستنزل إلى الأسواق في غضون سنة ، أي قبل الخريف المقبل سنة ١٩٨٧ .

تتميز الحبوب الجديدة بأنها تبطل الحمل حتى إذا تم ، فحبة واحدة منها كفيلة بإتلاف البويضة الملقحة ، وإحداث الطمث ، وهي كفيلة أيضا بتنظيم دورة الطمث الشهرية ، وإعادتها إلى طبيعتها ، خلافا للحبوب القديمة التي تسببت كثيرا باضطراب تلك الدورة ، وعدم انتظامها . أضف إلى ذلك أن الحبوب الجديدة لا تفقد فاعليتها إذا تناولتها المرأة بعد الجماع . لكن ليس لهذه الحبوب اسم تعرف به حتى الآن سوى الرمز (٤٨٦) .



سلامة البشرية في سلامة البيئة



التعرض للغبار الذري يسبب الاصابة بالســـرطان

● شاع الاعتقاد بين العلماء أن التعرض للغبار (أو الاشعاع) الذري يؤدي الى الاصابة بالسرطان . . ولكن هذا الاعتقاد الذي افتقر الى دليل علمي ما لبث أن تحول الى حقيقة علمية مؤكدة ، تمخضت عنها دراسة ميدانية واسعة . . وكانت مصلحة الوقود النووي في بريطانيا هي التي كلفت نحبة من المتخصصين بالقيام بهذه الدراسة التي شملت (١٤٠٠) نسمة يعملون في محطات توليد الطاقة النووية في سلافيلد في بريطانيا . والتي استغرقت نحو ٣٠ سنة (١٩٤٧ - ١٩٧٦) .

لقد أثبتت هذه الدراسة أن التعرض للاشعاع الذري يضاعف احتمالات الاصابة بامراض سرطانية ثلاثة هي :

سرطان الدم (اللوكيميا) ، وسرطان المثانة ، وسرطان نخاع العظام .



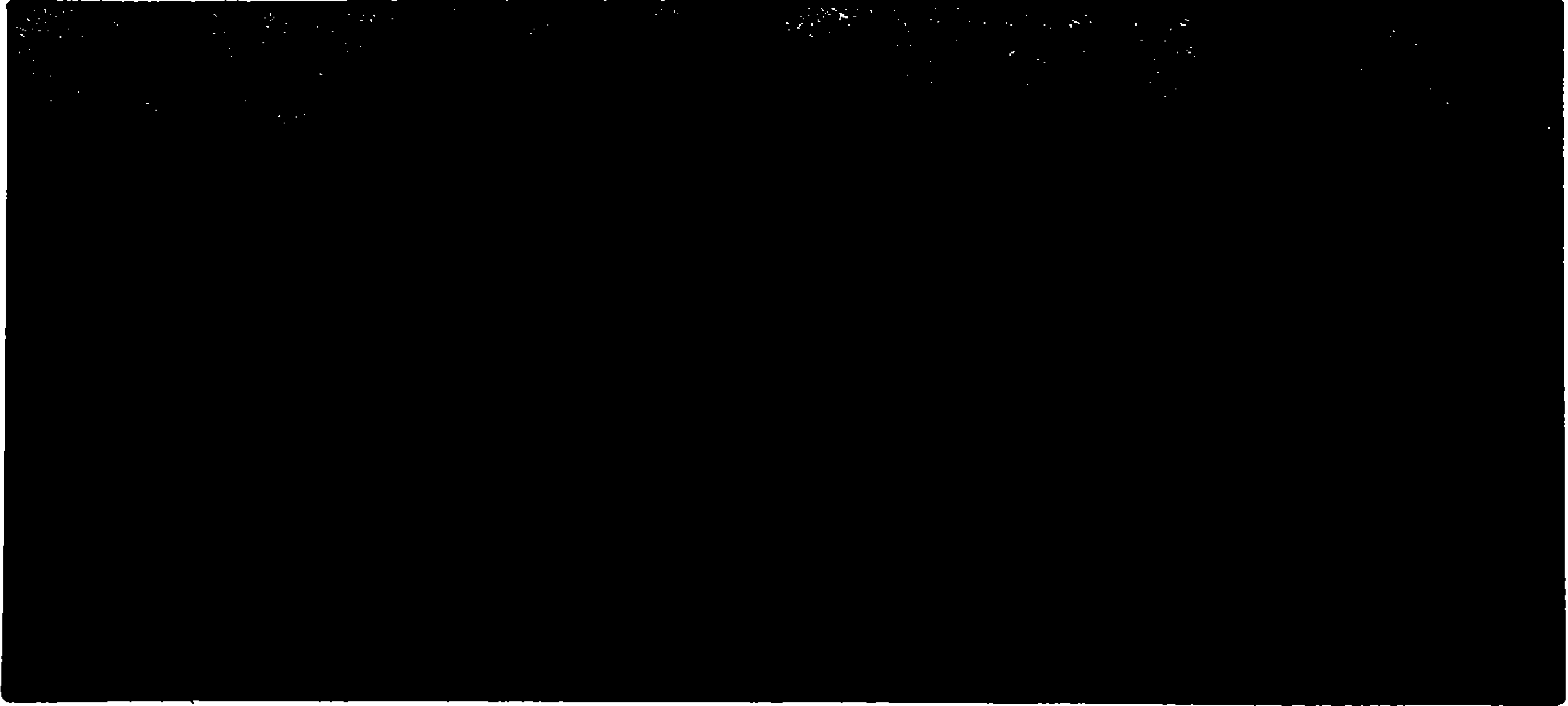
انفجار القنبلة الذرية يسبب سحابة من الغبار الذري

طبقة الاوزون في خطر

● يبدو أن الفجوة أوالفتحة التي اكتشفها العلماء في طبقة الاوزون في جو القطب الجنوبي آخذة في الاتساع . . لقد اكتشفوها سنة ١٩٧٩ وهم يؤكدون أن تفاقمها ينذر بمخاطر قد يتعرض لها جنوب الارجنتين عما قريب .

فقد تتسع الفتحة المذكورة بقدر يسمح للاشعة فوق البنفسجية بالتسرب بمقادير كبيرة قد تهدد بالخطر سكان الارجنتين في مناطقها الجنوبية القريبة من القطب الجنوبي .

ومما يذكر أن فتحة طبقة الاوزون هذه تظهر بوضوح في شهر أغسطس من كل عام .. ثم تأخذ بالاتساع في شهور الخريف حتى اذا حل شهر نوفمبر انكمشت واختفت وكأن شيئا لم يكن .



عودة الى الوحش الأسطوري .. نسي

● مازال البحث جاريا على قدم وساق عن (نسي) وحش بحيرة نس في اسكتلندة .. فالعلماء واثقون من وجود هذا الوحش في أعماق البحيرة ، وقد التقطت له أكثر من ٣٠٠٠ صورة منذ بداية الاهتمام به سنة ١٩٣٣ .. ولكنهم عجزوا حتى الآن عن صيد الوحش أو حتى عن اقامة الدليل العلمي القاطع على وجوده ...

نقول حتى الآن ، لأن أجهزة السونار الجديدة التي بدأوا يستعملونها في حملتهم الجديدة (حملة أو مشروع مورار) تبعث على الشعور بأن الوحش المخادع لن يفلت من أيدي العلماء هذه المرة .

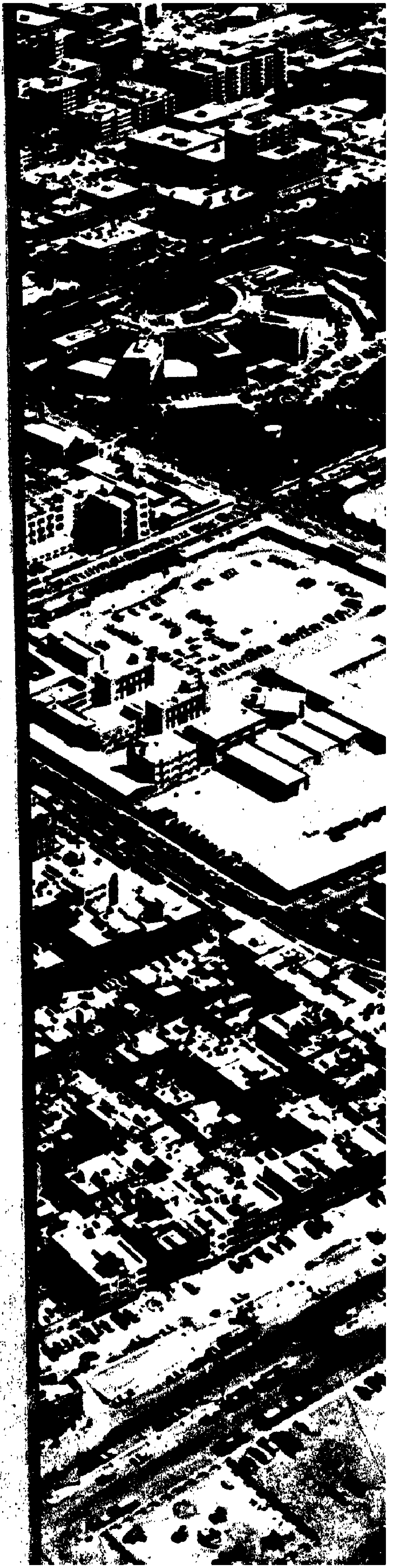
المبيد الأصيل

● اكتشف العلماء الباحثون في وزارة الزراعة الأمريكية ، مبيدا فعالا وآمنا يضمن القضاء نهائيا على الصراصير .. اكتشفوه بل اكتشفوا خامته الأولية في رؤوس الصراصير نفسها . فالمواد الكيماوية الطبيعية التي عثروا عليها في رؤوسها تشمل مادة لها أثران ، أثر المبيد وأثر تحديد النسل ، أما المادة التي نجحوا في تطويرها من تلك الخامة فقد ثبتت قدرتها على الفتك بالصراصير وقتلها على الفور .. وتجدر الاشارة الى أن العالم الذي تسنى له اكتشاف الخامة ، ومبيد الصراصير الفعال قد أمضى نحوا من ٢٢ سنة في دراسة الصراصير،واسمه بنيامين كوك .

الرياض مدينة زرقاء اليمامة

استطلاع : صادق يلي

من زار الرياض قبل ثلاثين سنة ، ثم زارها في الآونة الأخيرة ، يدهشه التطور الكبير الذي حققته المدينة ، والنهضة العمرانية الملفتة للنظر ، وأكثر مايثير الاعجاب هو أن يتم ذلك كله في هذه المدة القصيرة من الزمن . . .







قد تكون الرياض - عاصمة المملكة العربية السعودية - إحدى العواصم العربية التي ليس لها تاريخ قديم ، كما هو الحال بالنسبة لعواصم عربية أخرى ، مثل بغداد ، أو دمشق ، أو القاهرة ، تلك المدن التي لعبت دورا بارزا في التاريخ العربي الاسلامي ، فالرياض مدينة حديثة لم يتجاوز عمرها الزمني قرنا ونصف قرن من الزمان ، منذ أن اتخذها الامام تركي بن عبدالله بن سعود ، مؤسس الدولة السعودية الثانية في عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) عاصمة لمملكته ، ومع ذلك فإن كتب التاريخ والرحلات حينما تتحدث عن منطقة نجد ، أو منطقة اليمامة ، تورد لنا قصة تلك الفتاة العربية التي تدعى زرقاء اليمامة ، التي يضرب بها المثل في حدة البصر ، ورؤية الأشياء من مسافات بعيدة ، وتشير هذه الكتب إلى أن منطقة اليمامة (وعاصمتها مدينة تدعى حجر) هي الآن نفس المنطقة التي تقع فيها الرياض اليوم ، وقد كانت هذه البقعة مكانا ملائما للاستيطان البشري ، من حيث المناخ ، ووفرة المياه ، والموقع (الاستراتيجي) عند ملتقى واديين ، هما وادي حنيفة ، ووادي البطحاء . وقد نبه الرحالة الفارسي ناصر خسرو - في كتابه (سفرنامة) - إلى وجود مدينة حصينة ، محاطة بأسوار دفاعية ، تضم مسجدا جميلا ، وسوقا كبيرة ، تدعى مدينة حجر ، ثم أتى الرحالة العربي ابن بطوطة ، وتحدث عن هذه المدينة ، ووصفها بأنها خصبة ، ذات مياه وفيرة ، ونخيل يانع ، أما العلامة السعودي الأستاذ حمد الجاسر فيذكر في كتابه « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » أن اسم الرياض بدأ يحل تدريجيا محل اسم حجر في القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد ضمت هذه المدينة الجديدة البقية الباقية من المدينة القديمة ، والأراضي المحيطة بها ، وحدائقها .

الرياض مركز ثقل

شهد التاريخ المدني في شبه الجزيرة العربية تبدلات ، وتغيرات ، في مراكز الثقل البشري ، فقد كانت مدن ساحلي البحر الأحمر والخليج العربي هي الأكثر نشاطا ، والأقوى جذبا في الماضي ، وبخاصة تلك التي تحاذي البحر الأحمر ، مثل مدينة جدة التي كانت عاصمة سياسية للمملكة ، لكن نظرا لتعاظم دور الرياض في خلق وحدة المملكة السياسية ، بفضل موقعها الجغرافي المركزي ، ثم العوامل التاريخية ، والسكانية ، فقد عززت اختيارها عاصمة للمملكة ، أضف إلى ذلك أنها احتفظت بمكانة خاصة في تاريخ الأسرة السعودية ، ومآثر موحدها الملك عبدالعزيز بن سعود ، فالرياض اليوم تحتضن مؤسسات الحكومة ، والادارات الكبرى ، ومراكز المؤسسات المالية ، والتجارية ، والصناعية الرئيسية ، وقد أدى ذلك إلى منحها المكانة العليا في نظام المواصلات ، حيث ارتبطت بشبكة طرق ، وخطوط مواصلات جوية ، وبرية ، وبفضل تلك الانجازات الكبيرة أصبحت ملتقى جميع المدن ، والتكتلات السكانية التي تؤلف بنية المملكة المدنية ، ولقد أولاها المسؤولون اهتماما كبيرا ، مما جعلها المدينة الأولى في المملكة . في عهد الملك الراحل سعود بن عبدالعزيز أنشئت فيها مباني الوزارات والدوائر الحكومية ، وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٥م تم نقل الوزارات إليها ، ثم نقلت إليها وزارة الخارجية من مدينة جدة ، ثم تم نقل السفارات والهيئات الدولية والاقليمية إليها تباعا . .

إن السمات الجديدة لمدينة الرياض أكثر من أن تحصى ، فنسب النمو المتزايدة التي تحققت في مرافق البلاد ، تغطي كافة مجالات الحياة المدنية ، والتجارية ، والاسكانية ، والتعليمية ، والخدمات الهامة وغيرها .

من جدة إلى الرياض

بقيت مدينة جدة تحتضن وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية منذ أن توحدت المملكة العربية السعودية تحت قيادة الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود ، وقبل سنتين تم نقل وزارة الخارجية إلى الرياض العاصمة .

مبنى وزارة الخارجية يقع على مساحة مقدارها ٨٤ ألف متر مربع ، ويعكس تصميم هذا المبنى - بشكل حديث - الفن المعماري الاسلامي التقليدي ، مع مراعاة تحقق الهدف الرئيسي من إنشائه ، ويحيط به كثير من المعالم مثل بوابة العاصمة ، وقاعة المؤتمرات ، كما روعي في التصميم الداخلي أن يكون

ملائما لكل جهاز إداري من أجهزة وزارة الخارجية ، ويضم المبنى - بالاضافة لأجهزة الوزارة - معهد الدراسات الدبلوماسية ، وقاعة الاستقبالات الرئيسية ، وغرف الاجتماعات ، وقاعة مجلس التعاون الخليجي ، وقاعة محاضرات لأغراض عديدة ، ومكتبة كبيرة تحتوي على الوثائق والكتب والمخطوطات المهمة ، ذات الصبغة التاريخية .

ولم ينس المسؤولون بعد انتقال وزارة الخارجية إلى الرياض الحاجة الملحة لبناء مجمع سكني لموظفي الخارجية ، وقد بوشر ببناء حي سكني يستوعب ٣٦٠٠ نسمة ، موزعين على ٦١٢ وحدة سكنية ، منها بيوت مستقلة ، وأخرى متلاصقة ، وعمارات متعددة الأدوار ، كما روعي في المباني توفير المتطلبات الاجتماعية ، والثقافية ، المناسبة للسكان على اختلاف فئاتهم الوظيفية ، مع إبراز الملامح البيئية العربية ، وتوفير أسباب الرفاهية العصرية . وبالاضافة إلى المباني السكنية هناك مرافق عامة ، ومساحات خضراء ، ثم شبكة طرق .

الحي الدبلوماسي

بوشر في بناء حي سكني للسفارات ، والهيئات الدبلوماسية ، أطلق عليه اسم (الحي الدبلوماسي) ، يقع على مساحة مقدارها ٧ ملايين متر مربع ، ويتسع لاسكان حوالي ثلاثين ألف نسمة ، ويقع على هضبة ذات طابع مميز ، تشرف على وادي حنيفة بجماله الطبيعي ، وعلى الصحراء الفسيحة التي تقع خلفه ، أما أجزاء الحي فترتبط بشبكة من الطرق المعبدة التي يبلغ طولها حوالي ٤٨ كيلو مترا . ومن المقرر أن تكتمل منشآت هذا الحي سنة ١٤١٠/١٩٨٩م ، وسيضم ما يقرب من ٨٠ سفارة ، ويستوعب ١٢٠ بعثة دبلوماسية ، بالاضافة إلى العديد من المؤسسات الاقليمية ، والعالمية ذات الأوضاع المتميزة ، مثل مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والمعهد العربي لانماء المدن ، وغير ذلك من المؤسسات التي حرصت الرياض على احتضانها ، كما يضم مرافق تعليمية ، وصحية ، واجتماعية ، وغير ذلك من المرافق الضرورية .

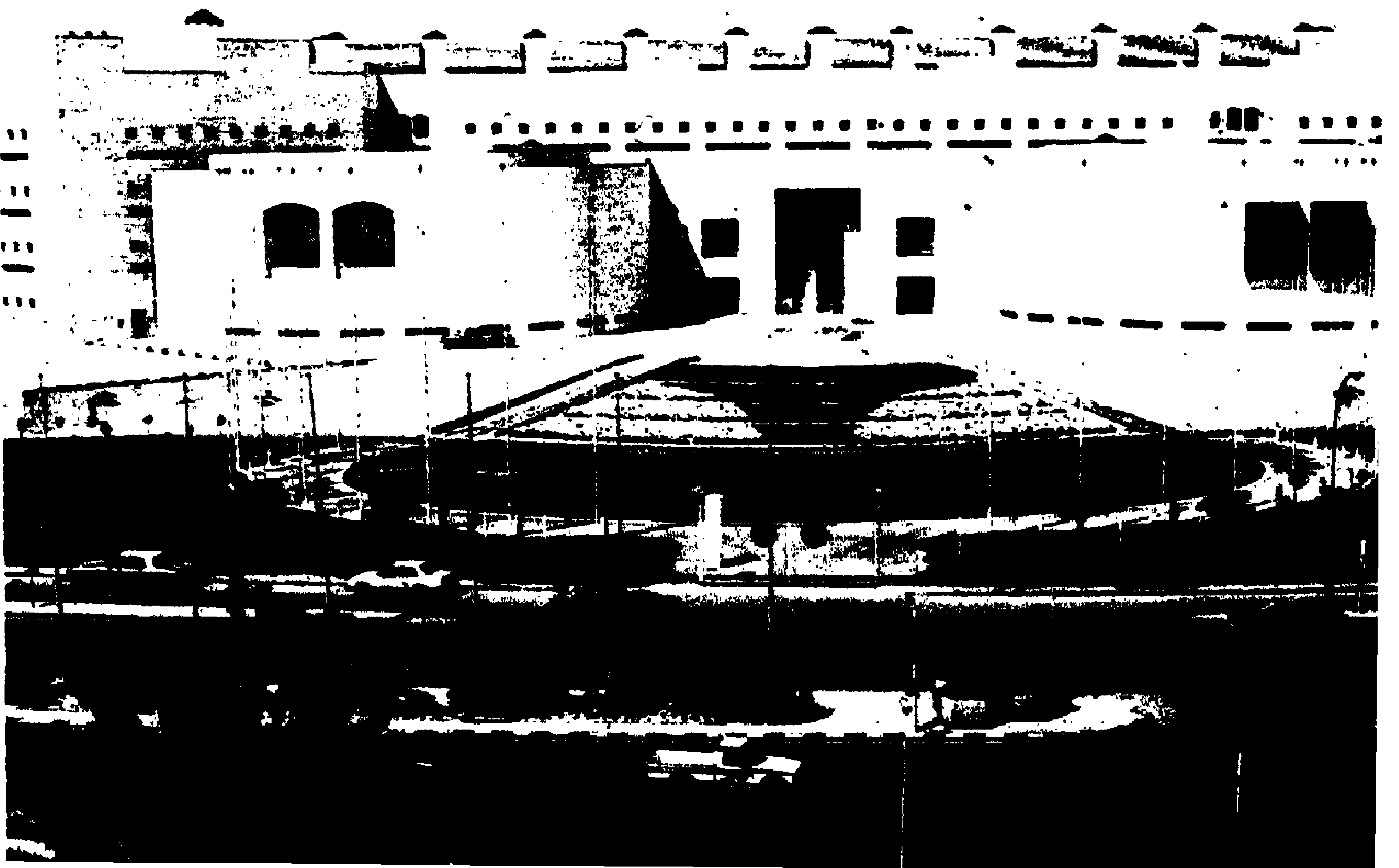
مطار دولي

نتيجة لاتساع مدينة الرياض وازدياد سكانها أصبحت الحاجة ماسة لبناء مطار دولي ، يستوعب هذه الزيادة المطردة ، بدلا من مطارها القديم الذي كان يقع بالقرب من وسطها ، ولم يعد صالحا لاستقبال الطائرات العملاقة التي تشهدها حركة الطيران العالمية في الوقت الحاضر . في المملكة الآن ٢٤ مطاراً ، اثنان منها من أرقى المطارات تطورا في العالم ، هما مطار الملك عبدالعزيز الدولي بمدينة جدة ، ومطار الملك خالد الدولي بالرياض ، ويعد مطار الملك خالد الدولي إحدى الواجهات الحضارية للمملكة ، فهو مجهز لخدمة نحو ١٥ مليون راكب سنويا ، وروعي في تصميمه واختيار موقعه أن يكون ملائما لبيئة المملكة ، وطبيعتها ، يبعد عن العاصمة بنحو ٣٥ كيلو مترا ، مما يجعل الضوضاء والتلوث بعيدين عن المناطق السكنية ، أما تصميمه الهندسي فيعكس التقاليد الاسلامية الأصيلة في فن البناء ، ومن حيث المساحة يأتي في المرتبة الثانية بعد مطار الملك عبدالعزيز الدولي ، كما يمتاز بالكفاءة ، وسهولة الوصول إليه عبر الطرق السريعة المؤدية إلى صالات القدوم والسفر ، ووجود مواقف رحبة للسيارات ، وسلالم متحركة ، وأنفاق خاصة لعبور الركاب من الطائرات وإليها .

يحتل المطار مساحة قدرها ٢٢٥ كيلو مترا مربعا تقريبا ، ومن مرافقه ثلاث صالات كبيرة ، خصصت الأولى للرحلات الداخلية ، والثانية للرحلات الدولية ، والثالثة صالة ملكية لكبار الضيوف ، وهناك مسجد يتسع لخمسة آلاف مصل ، ومدرجان متوازيان للاقلاع والهبوط ، ومواقف للسيارات تتسع لنحو عشرة آلاف سيارة ، ومخازن لشركات الطيران الدولية ، ومبان سكنية ، وفندق كبير . ومن الجدير بالذكر أن تكاليف إنشاء المطار قد بلغت ١١ بليون ريال سعودي .

طرق وجسور وأنفاق

قد أدرك المسؤولون في المملكة أنه من الصعوبة بمكان تحقيق التطور الحضاري والتنموي الشامل مالم





جسر الخليج أحد المظاهر الجمالية في مدينة الرياض ، يبلغ طوله نحو ٢٢٠٠ متر ، ويضم نفقا بطول ٨٠٠ متر . الى اليمين اعلى - جامعة الملك سعود أبرز المؤسسات الثقافية في مدينة الرياض الى أعلى - وزارة الخارجية آخر المؤسسات الحكومية التي انتقلت من مدينة جدة إلى الرياض العاصمة الى اليمين - الحي الدبلوماسي أحد الأحياء السكنية المخصصة لسكن الدبلوماسيين

تكن هناك شبكة من الطرق الحديثة ، تربط مناطق المملكة بعضها ببعض ، وتسهل إمكانية انتقال المواطن بين المدن والقرى ، وكافة أنحاء المملكة .

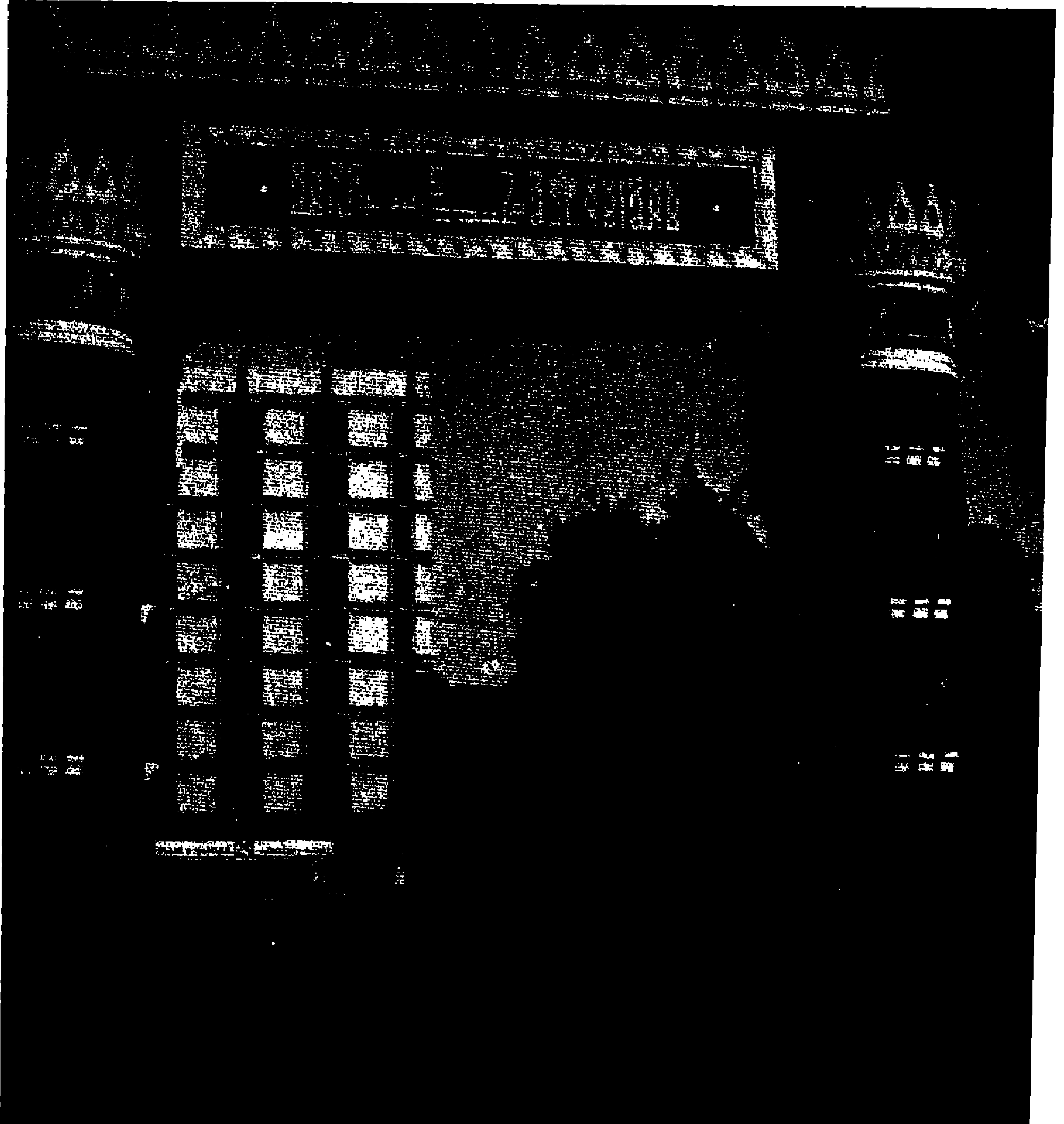
فكان من بين ما تم إنجازه شبكة طرق حديثة في مدينة الرياض وحولها ، منها طرق خارج المدينة ، مثل الطريق الدائري الذي يحيط بها ، وهو يعطي الفرصة لفك الاختناقات المرورية ، ونقل الحركة حول المدينة ، وطريق الملك فهد ، وجسر الخليج الذي يعتبر من المظاهر الجمالية الرائدة ، وهو جسر مزدوج من (الخرسانة) المسلحة المسبقة الاجهاد . يبلغ طوله ٢٢٠٠ متر ، وعرضه ٣٧,٥ مترا ، ويضم نفقا بطول ٨٠٠ متر ، وهذا الجسر يساعد على انسياب حركة المرور في المدينة ، كما يقدم خدمات لعدة أحياء منها ، ويربط مداخل شبكة الطرق السريعة ، وهو يمثل جزءا من الخط الدائري الممتد من الشرق إلى الغرب . على هيئة طريق سريع ، يؤمن حركة سير مستمرة عبر وسط العاصمة ، ويعد جسر الخليج من المشاريع العملاقة ، بالاضافة إلى أنه معلم حضاري كبير ، وطريق ديراب الذي نفذ على أحدث النظم في إنشاء الطرق والجسور ، وطرق داخلية قامت أمانة مدينة الرياض بتنفيذها ، بلغ إجمالي أطوالها ٦٥٠,٥ كم .

جامعة الملك سعود

على الرغم من أن التعليم الجامعي بالمعنى العصري حديث العهد في المملكة العربية السعودية ، إلا أن فكرة التعليم العالي كانت متوافرة منذ فترة ليست بالقصيرة ، فكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة بدأت في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٩م ، وتعد هذه الكلية أول صروح التعليم العالي ، أما الآن ففي المملكة سبع جامعات ، موزعة على المدن الرئيسية ، وهي الرياض ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والدمام ، والظهران ، وجدة ، أما الرياض ففيها جامعة الملك سعود التي افتتحت في ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٨م ، وقد بدأت بأربع كليات هي الآداب ، والعلوم ، والتجارة ، والعلوم الادارية ، ثم أضيف إليها كلية الصيدلة ، ثم ألحقت بها كليتا التربية والهندسة ، ثم كليتا الزراعة والطب ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وبعد سنوات قليلة افتتحت كليات طب الأسنان والعلوم الطبية المساعدة ، ثم كلية الدراسات العليا في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ .

كان عدد الطلبة عند افتتاح جامعة الملك سعود لايجاوز ٢١ طالبا ، أما الآن فقد أصبح عدد الطلبة ٢٢٥١٣ طالبا ، يدرسون في ١٤ كلية . وقد حظيت الفتاة بنصيب لا بأس به من التعليم الجامعي ، ففي عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٦م أتيح لها الانتساب لكليتي الآداب والعلوم الادارية ، وفي عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٥م تم إنشاء مركز الدراسات الجامعية للبنات ، يتولى الاشراف على الدراسة وتنظيمها ، ويقوم بالتدريس للفتيات مدرسات ومدرسون مؤهلون ، عن طريق شبكات تلفزيونية مغلقة ، وقد بلغ عدد الطالبات اللاتي يتلقين دراساتهن في رحاب الجامعة نحو ٥١٢٩ طالبة ، موزعات على مختلف التخصصات .

وبالاضافة إلى جامعة الملك سعود هناك جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية التي تعنى بالعلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، فضلا عن علوم أخرى مثل العلوم الاجتماعية ، والتاريخ الاسلامي ، وتهتم بالبحوث الاسلامية فتقوم بترجمتها ونشرها ، وكذلك تعنى بالدراسات الشرعية ، والبحوث الفقهية ، والقانونية المقارنة . وتضم الرياض كذلك عددا آخر من الكليات العلمية المتخصصة ، والمراكز والمعاهد العلمية ، مثل دارة الملك عبدالعزيز ، لخدمة تاريخ المملكة وآثارها وآدابها ، والمركز الوطني للعلوم والتقنية ، لتحقيق أهداف التنمية والعلوم ، وكلية الملك فهد الأمنية التي تهتم بتخريج المؤهلين لخدمة وزارة الداخلية ، وكلية

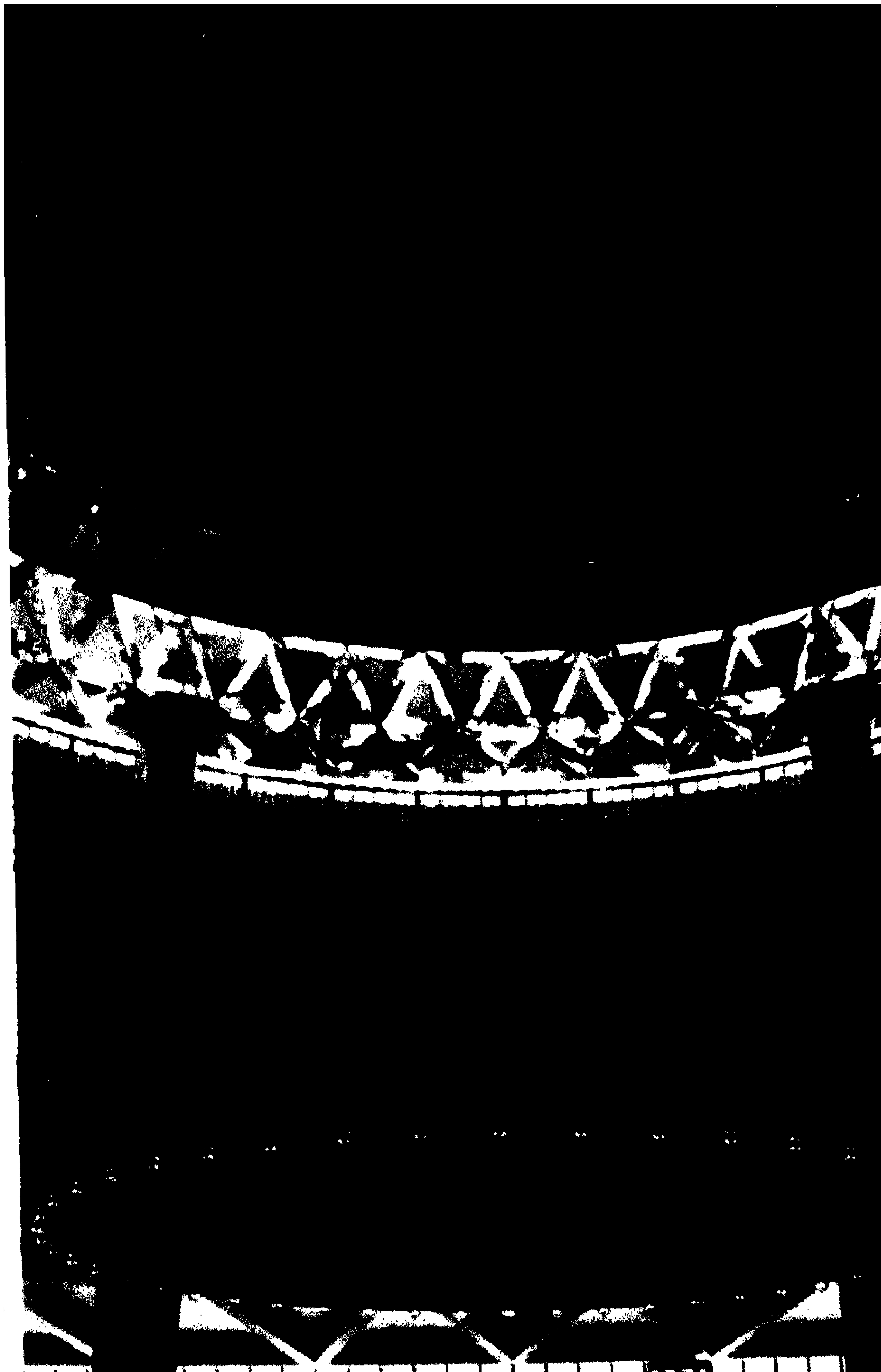


قامت أمانة مدينة الرياض بترميم بعض البوابات والقصور القديمة حفاظا على المعالم الأثرية للعاصمة .

الملك عبدالعزيز الحربية ، وكلية الملك فيصل الجوية ، لتخريج الطيارين ، ثم كلية الملك خالد العسكرية .

ترميم معالم الرياض الأثرية

إيمانا من أمانة مدينة الرياض بضرورة المحافظة على الآثار ، لما لها من أهمية تاريخية ، ورغبة في إبراز التراث الوطني ، فقد قامت الأمانة بعمل الدراسات اللازمة ، للابقاء على بعض معالم المدينة القديمة ، وإحياء ما تهدم منها ، وقد قامت بترميم قصر المصمك وهو أحد القصور القديمة التي تقع في قلب المدينة ، وهو بناء مرتفع على شكل قلعة ، مبني بالحجر والطين ، وله أربعة أبراج في جوانبه الأربعة ، وبوابة كبيرة ، إنه بناء ذو طابع حربي ، يمثل العمارة المحلية التي انتشرت في حقبة معينة من تاريخ الجزيرة العربية ، ومن المعروف أن هذا القصر شيد في عهد الامام عبدالله بن فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٨٥م . كما قامت أمانة مدينة الرياض بالتعاون مع الادارة العامة للآثار والمتاحف بعمل دراسات ،



لتحويل قصر الملك عبدالعزيز المعروف بالقصر المربع إلى متحف وطني ، وهذا القصر شيد أيضا بنفس أسلوب البناء المحلي ، وهو مبني من اللبن والطين ، مع تحلية بعض جدرانه بالجص ، كما تم ترميم بعض بوابات الرياض القديمة ، مثل بوابة الثميري التي تقع في الجهة الشرقية من العاصمة ، وهناك بوابات أخرى مثل بوابة آل سويلم ، وبوابة المذبح ، وبوابة الشميسي التي ما زالت تعد لها دراسات لترميمها وتقويتها ، ومن المعروف أن مدينة الرياض كانت في الماضي محاطة بسور مبني من الطين واللبن ، أقامه الملك عبدالعزيز بن سعود بعد استيلائه عليها سنة ١٣١٨/ ١٩٠٠م ، وقد استغرق بناؤه أربعين يوما .

مسح جوي

سوف تقوم أمانة العاصمة بمشروع المسح الجوي لمدينة الرياض ، وهو مشروع كبير ومتطور إلى أبعد الحدود ، بل لعله من أهم المشاريع العالمية الرائدة . يقول الاستاذ عبدالله العلي النعيم أمين مدينة الرياض في حديث له عن هذا المشروع : إن مشروع المسح الجوي لمدينة الرياض من أهم مشاريع أمانة العاصمة الحضارية ، فهو أول مشروع من نوعه في منطقة الشرق الأوسط ، وسوف يتم فيه استخدام أحدث أساليب التقنية العلمية ، وأكثرها تطورا ودقة . سوف يتم إعداد الخرائط ، وحفظها على أشرطة ممغنطة رقمية ، مما يتيح إمكانية إعداد خرائط خاصة ، توضح المعالم التي يراد ابرازها على الخريطة ، لعمل دراسات معينة ، مما يتيح إضافة بيانات عديدة على تلك الأشرطة مما لا يلزم وجوده على الخرائط ، ويمكن تحديث هذه الخرائط بإضافة المعلومات الجديدة إليها عن طريق الحاسب الآلي ، مثل إضافة الشوارع أو المباني أو مرافق الخدمات الجديدة دون الحاجة إلى إنفاق مبالغ طائلة ، واستغراق وقت طويل للقيام بمسح جوي جديد لتحديث الخرائط التي سبق إعدادها . ويضيف الاستاذ النعيم قائلا : إن هذه التجربة ـ بلا شك ـ ستشجع الدول العربية وبخاصة الخليجية على السير في هذا الدرب ، والاستفادة من أساليب التقنية العلمية التي استخدمناها في إعداد الخرائط المختلفة لأحياء مدينة الرياض بأكملها . .

أما المهندس الاستاذ سعود الشتوي فقد تحدث عن هذا المشروع قائلا : إن هذا المشروع على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لمدينة الرياض التي شهدت حركة عمرانية هائلة في السنوات العشر الماضية ، نظراً للطفرة الاقتصادية الهائلة التي تحققت في المملكة ، وقد صاحب هذه النهضة العمرانية اتساع المدينة ، حتى بلغت الآن نحو ١٦٠٠كم مربع . ولما كانت الخرائط الجوية التي تم إنجازها ترجع إلى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٥م ، ولا تشمل إلا منطقة صغيرة من المدينة الحالية ، أصبحت الحاجة ماسة للقيام بمشروع المسح الجوي ، نظرا للتطور العمراني الكبير ، والتوسعات الافقية الهائلة ، ويضيف المهندس الشتوي قائلا : وتأتي أهمية المشروع في الحصول على خرائط حديثة لاستخدامها في الأعمال التخطيطية ، وللتنسيق بين أجهزة الخدمات والمرافق العامة المختلفة ، فأي مشروع سيقام في المدينة يحتاج إلى هذه الخرائط لتحديد إمكانية القيام بالخدمات المرادة له ، وربطها بغيرها .

والمشروع سيتضمن القيام بأعمال التصوير الجوي للمدينة ، وسيغطي مساحة تزيد عن ٣١٠٠ كيلو متر مربع ، وذلك حتى يمكن توفير خرائط للمناطق التي تجري فيها التنمية ، أو التي ينتظر أن تصلها خلال العقدين القادمين ، ليوفر خرائط متنوعة ، بمقاييس رسم مختلفة ، تخدم متطلبات النمو الحضاري ، وتوفر المعلومات الضرورية للقائمين على أعمال التخطيط ، ولاعطاء فكرة واضحة عن هذا المشروع يقول المهندس الشتوي : إن هذه الخرائط تفيد في تخطيط المدينة ، وتحديد شبكات المياه ، والمجاري ، والهواتف ، والطرق ، والكهرباء ، كما تسهل أعمال الصيانة لهذه الشبكات ، ويستفاد منها في أعمال تسمية الشوارع ، وترميم المساكن ، وكذلك يمكن عن طريقها توزيع مرافق الخدمات على أسس مدروسة وسليمة ، مثل المدارس ، والمساجد ، والحدائق ، وملاعب الأطفال ، والأسواق التجارية ، ويستفاد منها أيضا في عمل سجل عقاري دقيق ، ونظام متكامل لنزع الملكية ، وهذا المشروع يعتبر النواة الأساسية لمركز المعلومات الحضرية الذي يعد ضرورة حضارية للمدينة الحديثة □

قصة مترجمة

التجربة الأخيرة

للكاتب الامريكي المعاصر جون كيفافر

ترجمة : ابراهيم عبد الله العلو

لقد كان غياب الضجيج سبب انزعاجه . واضطره الهدوء التام في الغرفة المظلمة العازلة للصوت ، أن يقوم ببث أصواته الخاصة خلال الساعات الأولى من اقامته هناك . لم يتأثر بالظلمة وبطريقة ما لقد أعجبته . لقد فعل ذلك مرات عديدة عندما كان يغمض عينيه ، ويغوص في أحلام اليقظة ويستغرق في ظلام خاص مرت أيام وهو في هذه الغرفة الخالية الا من سرير ، وبعض علب الطعام المحفوظ وأواني الماء ومرحاض .

تلك الغرفة التي لا تتجاوز سبعة أقدام ارتفاعا وتسعة أقدام طولا وسبعة أقدام عرضا ، رافقه أحد علماء النفس الى هنا . ابتسم له وصافحه ثم تركه وحيدا في الهدوء المظلم .

في البداية تذكر الحوادث التي مرت به خلال الأيام والأسابيع القليلة الماضية والتي أدت الى حضوره هنا . كالعادة كانت أفكاره متعلقة بالاصوات . صوت الرقيب الذي أخبره أن يجهز ثيابه قائلا : « سنخبرك عن ماهية التجربة عندما تصل هناك » ، ولكن انتظار المجند « نيف نلسون » لم يدم طويلا .

كان نيف قد أنهى فترة التدريب العسكري الأساسي مؤخرا ، خلال أيام قليلة نقل نيف مع أربعة وعشرين مجندا آخرين بالشاحنة الى زاوية منعزلة من المواقع ، بعد اتمام اجراءات السكن في الثكنة تم استجوابهم من قبل اثنين من علماء النفس ، تذكر نيف بشكل خاص صوت أحدهم ، كان صوتا رتيبا وناعما بنفس الوقت ، أخبره أنه تم اختيارهم ليكونوا عناصر في تجربة مهمة في البحث الانساني ، وأن سبب اختيارهم هو تمتعهم بصحة جيدة وذكاء يفوق المعدل ، كان هدف التجربة هو اكتشاف آثار الوحدة والرتابة على الفعالية البشرية ، ماذا يحدث للانسان عندما يعزل تماما عن المجتمع لساعات أو أيام ؟ ماذا يحدث عندما تختفي كل المناظر والاصوات المنبهة ؟ هذا السؤال طرحه العالم النفسي ذو الصوت الناعم . « هذا ما نسعى لاكتشافه ، الى أية درجة يستطيع الانسان القيام بمهمات معينة في حالة كهذه » .

تحاول الادارة المختصة في الجيش الأمريكي تطوير اختبارات تمكنها من تعيين نوعية الرجل المؤهل للقيام بمهمات معينة مثل الاشراف على رادار أو قاعدة صواريخ أو محطة ارصاد جوية في منطقة منعزلة ، أو أي عمل آخر ربما في الفضاء الخارجي في حاجة الى ابقاء رجل ما وحيدا ، وقيامه بعمل رتيب في عزلة تامة .

شرح العالم النفسي للمتطوعين ما هم مقدمون عليه . سيقوم الفنيون بتسجيل كل الأصوات الصادرة عن الغرف من غرفة التحكم المركزية .

« ربما يسألونك عدة أسئلة من خلال الميكرفون » . تذكر نيف أن « ربما » تكررت مرات عديدة . سوف تقارن أجوبة كل متطوع وانطباعاته مع تلك التي سجلها قبل دخوله الغرفة . وسوف يتم اختباره مرة أخرى بعد انتهاء اقامته هناك .

« من خلال تلك المقارنة » ، اضاف العالم النفسي « سوف يكون بامكاننا عزل أية فوارق ناتجة عن التجربة » وأضاف بصوت هاديء « أن باب الغرفة لن يكون مقفلا ، وبامكان أي من المتطوعين أن يخرج من الغرفة متى شاء ، ولكن بعد ذلك لن يسمح له بالاشتراك في التجربة مرة ثانية » . فان عناصر التجربة لم يعلموا بمدتها لأن ذلك سيجعلها عديمة الجدوى .

« هل تحب أن تكون عنصرا في هذه التجربة ؟ » هذا السؤ ال وجه الى كل واحد منهم ، تذكر نيف نبرة صوته عندما أجاب بكل حماس « نعم » ، لقد تذكر ذلك بوضوح لأن ذلك الأمر لن ينساه أبدا ، لقد كان يعلم أنه مقبل على عمل ربما يؤدى به الى الجنون ، وبدأ يعزي نفسه « لاأعتقد أن الحال ستصل بي الى أن أقضي بقية حياتي في مستشفى المجانين » ، لقد عاش حياته كلها على « الصوت » ، لقد كان غياب الصوت لفترة قصيرة يقلقه . أي ضجة ولو كانت خفيفة تكفي ، ربما صوت تنفس رجل آخر أو حتى الصوت الذي يحدثه الكلب عندما يمشي فوق السجادة .

استشار بعض المختصين منذ زمن ولكن لم ينجح أحد منهم في مساعدته ، لقد حاول مرارا التخلص من هذه العادة ، وعندما سنحت له الفرصة من خلال الاشتراك في هذه التجربة لم يتردد أبدا ، كان يمني نفسه « اذا استطعت الصمود الى نهاية التجربة فسوف اتخلص من هذه العادة الى الابد ! »

عندما كان في طريقه الى الغرفة كان « دماغه » يسجل ويخزن كل صوت في تلك اللحظات الأخيرة ، لقد تذكر وقع أقدام زملائه الذين سبقوه عندما دخل المبنى الذي يحتوي على غرفة التجربة ، قبل دخول كل رجل الى غرفته يصافحه أحد العالمين النفسيين ويعطيه التعليمات الأخيرة ، كانت غرفة نيف آخر الغرف في البهو ، دخلها متبوعا بالعالم النفسي ذى الصوت الناعم ، كانت صغيرة جيدة التهوية وذات حرارة ثابتة ، بيضاء تماما كغرفة في احدى المستشفيات ، في احدى الزوايا كان هناك مرحاض،وفي الزاوية الأخرى ثلاجة متخمة بالماء والطعام . كان هنالك سرير ووسادة وغطاء ، ذلك كل شيء .

كان العالم النفسي رجلا طويلا منحني الكتفين ، صافح نيف وتمنى له حظا سعيدا مضيفا « تذكر أن الباب ليس مقفلا وبامكانك الخروج في أي وقت تشاء ، ولكن اذا فعلت ذلك فسوف تكون فرصتك الأخيرة » وغادر قائلا : « سوف يطفأ الضوء بعد دقائق وكذلك ضوء الممر » .

* * *

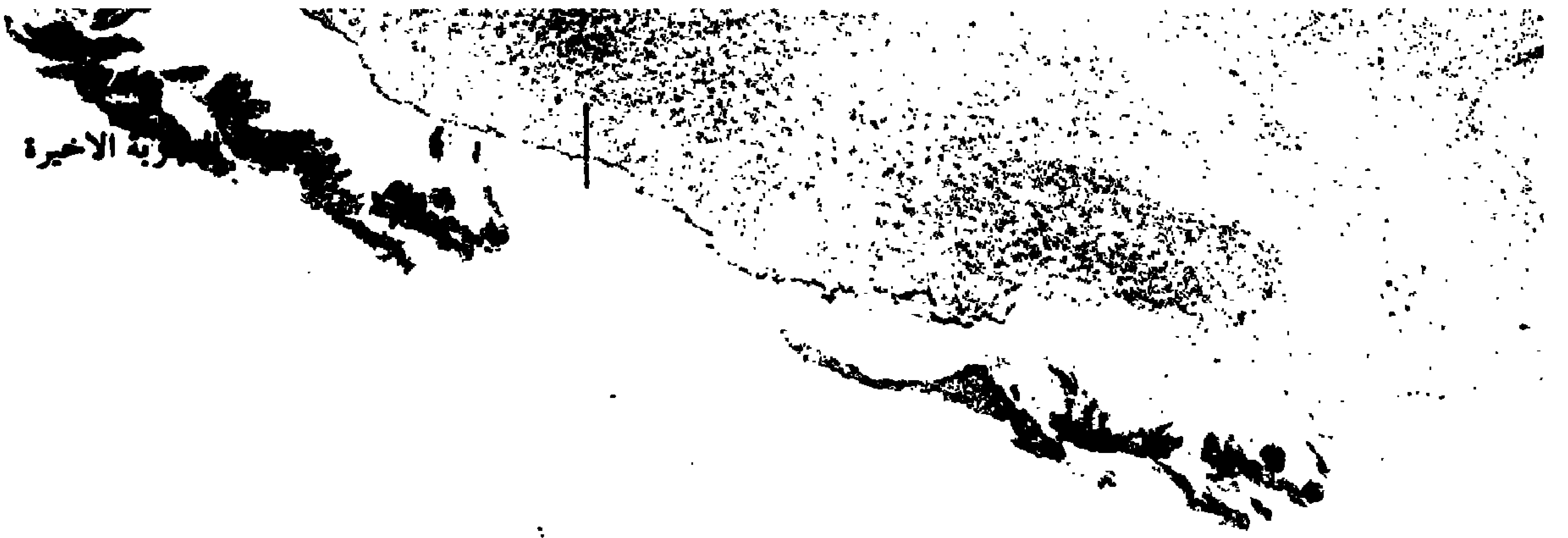
أحس نيف بوحدته فبدأ يحاول الاستماع الى خطوات العالم النفسي وهو يغادر الممر ، ولكنه لم يسمع شيئا ، لقد كانت الغرفة عازلة للصوت !!!

لقد بدأ نيف حياة جعلته يتلمس الطريق في الظلمة ، يبحث عن الطعام والماء ويغتسل بمناشف معاملة بمواد كيماوية خاصة ثم يستلقي على السرير ، لم يكن هناك أي شيء آخر ليفعله ، لم يكن لديه برنامج أو ساعة يد ، كان يرتدي ثيابا شبيهة « بالبيجاما » ، ويستطيع النوم متى يشاء في هدوء لايمكن للضجيج اختراقه ، وفي ظلمة حالكة غطته كالدثار . كان عليه أن ينتظر في هذا العالم عديم الصوت ، كانت أفكاره مركزة حول الاصوات ، كانت حياته دائما مزيجا من الأصوات ، والآن لا يوجد أي صوت !!!

وضع رأسه تحت الوسادة وضغطها حول أذنيه آملا أن يصله صوت ما عندما يرضها مهما كان ذلك الصوت ضئيلا ، حاول مرة واثنتين وثلاثا ولكنه لم يحس بأي فارق ، كان الشيء الوحيد الذي يستطيع سماعه هو دقات قلبه ، ولكن هذا الصوت من صنعه هو ، صوت داخلي كالصوت الناتج عندما يدق باصبعه على الحائط أو الأرض ، كان بحاجة الى صوت خارجي ، شيء ما . أي شيء ليخبره بأن العالم الخارجي موجود .

بالرغم من أن الظلمة لم تزعجه ، ولكنها زادت من عزلته وجعلت انعدام الصوت أشد وطأة ، بالاضافة الى أنه لم يسمع شيئا فانه لم ير أي شيء أيضا ، لم يكن يستطيع رؤ ية الحائط أو الثلاجة حتى عندما كان أنفه على بعد أصابع منهما . كانت الطريقة الوحيدة للتعرف على أي شيء هي اللمس .





بعد ساعات من دخوله الغرفة ذهب الى الباب وفتحه بهدوء ثم أغلقه ثم فتحه ثم أغلقه لمرات عديدة مستمعا بشغف الى الصوت الناتج من جراء ذلك ، ولكن ذلك الصوت بقي من صنعه هو وكانت حاجته الى صوت خارجي ، كان الممر مظلما كغرفته ، في البداية تذكر الأصوات التي صاحبت قدومه الى هذا العالم عديم الصوت ولكن تلك الأصوات تلاشت بسرعة ، ثم بدأ يتذكر أحداث حياته ، ظل في بحث دؤوب عن أصوات سمعها من قبل ، كان يتخيل تلك الأصوات ثم يكررها محاولا أن يمتص كل ضجة بشراهة ، خاصة عندما امتدت اقامته في تلك الغرفة من ساعات الى يوم ، الى أيام عديدة ! غاص في أعماق تجاربه عائدا الى القديم ناظرا ومستمعا .

عاد الى هدير محركات الطائرة التي سمعها عندما كان في طريقه الى الموقع ، الى صوت الكرة في مباريات المدرسة الثانوية ، الى هتاف المشجعين ، الى دقات ساعته ، الى « تفحيطات » عجلات سيارته ، الى صوته المدوي عندما سقط من شجرة ، الى صوت المنشار الذي استخدم لازاحة « الجبس » عن قدمه عندما كسرت ، الى صوت الطباشير على السبورة ، الى صوت اخته في الجانب الآخر من المنزل .

ولكن تفكيره الآن تعلق بصوت أفزعه في البداية . انه صوت الفئران القاضمة ، ذلك الصوت الذي سمعه في تمثيلية اذاعية عندما كان طفلا ، انها قصة الفئران الجائعة التي شقت طريقها شيئا فشيئا الى رجل مروّع . كان ذلك الرجل يعمل في منارة لهداية الملاحين ، مئات الفئران أخذت طريقها الى جزيرته في قارب مهجور ، نظر الرجل فرأى الفئران تنحدر من القارب الى ساحل الجزيرة ، لقد رأى الفئران تندفع نحوه في المنارة ، أقفل الباب في الطابق الأرضي ، ولكن الفئران الهائجة قضمت الخشب في أسفل الباب ، تذكر نيف بوضوح صوت الفئران وصوت الرجل المذعور ، عندما وصلت الى قمة المنارة ببطء مخيف قاضمة الخشب في طريقها ، كان الرجل يصعد طابقا تلو الآخر ولكن الفئران كانت تتبعه ، لقد كان ينتظر في كل طابق الى أن يرى الباب الخشبي يتشقق فيصعد الى الطابق الأعلى وصراخه يسبقه ، يغلق الباب بعنف ولكن الفئران لا تزال تتبعه ، لقد أصبحت الفئران تمضي بسرعة أكبر وكأنها تتذوق الوجبة القريبة منها ، لقد وصل الرجل إلى الغرفة العلوية المحاطة بالزجاج ، كانت أرضية الغرفة مصنوعة من المعدن ، تذكر نيف ، لقد أوقفت الفئران لفترة ، ثم أقبل سكون مطبق للمرة الأولى منذ أن اقتحمت الفئران الباب الأرضي ، لم يكن هناك أي صوت ، ظن الرجل أن الأرضية المعدنية أوقفت الفئران وأنه نجا ، تذكر نيف خيبة الأمل التي أحس بها والتي يحس بها الآن لانه فقد ذلك الصوت الذي صحبه للحظات مشوقة ، ثم تذكر نيف صوت الفئران وهي « تخردش » فوق سطح الزجاج في غرفة الرجل ، ثم سمع صوتها وهي تغادر ، لقد عادت الفئران الى القارب خائبة ، كان ذلك الصوت هو المهم وعندما اختفت الأصوات اختفى البرنامج من ذاكرته ، هنا في سكون الغرفة الضائع كانت قصة التمثيلية أكثر واقعية من أي وقت مضى ، لقد استرجع حوادثها مرات عديدة في ذاكرته ، لقد عادت اليه حتى عندما أحس أنه سمعها بما فيه الكفاية ، لقد كانت الأصوات « المخردشة » في المنارة تعود اليه مهما حاول أن يغير تفكيره كانت الاصوات تعود الى السطح وتبدأ من جديد الى النهاية ، اضطجع نيف على سريره وحاول أن ينام ولكنه لم يستطع ، بعد ذلك حاول أن يتحسس طريقه الى الثلاجة ، حاول أن يأكل ويشرب ، اغتسل مرة بعد أخرى حتى أصبح

جلده طريا جدا ، وبالرغم من كل ما فعله كان يحس بأصوات الفئران حوله ، لم يستطع ابقاءها خارجا ، لقد أصبحت تلك الأصوات جزءا من حياته ، لقد كان بحاجة الى صوت ما ، وعندما عادت الى ذاكرته أصوات التمثيلية رحب بها . أحس بالتدريج أنه كان خائفا من اختفاء تلك الأصوات ، ابتسم واستلقى على فراشه مغمضا عينيه ومصغيا ، لقد ملأت الاصوات تفكيره ، وكأن الفئران هناك بالفعل ، لقد أحس بالسعادة وكان على ثقة من أن تلك الاصوات هي من صنع خياله وان بامكانه التخلص منها متى شاء ، أتساءل - كان يحدث نفسه - هل بامكاني ايقاف تلك الاصوات ، واذا حاولت ، واذا أردت ، واذا احتجت لذلك ، هل أنا قادر على تخفيض تلك الضجة ، وفي تلك الحال مانتائج ذلك ؟ يجب على أن أعرف الجواب !!!

الان بدأ يركز على ابعاد تلك الأصوات . لقد اختفت ببطء . لاصوت . . . لاصوت . . . . لاشيء . كتلة مريعة من انعدام الصوت . لم يكن هناك أي ضجيج ليعطيه توكيدا بأن العالم الخارجي لايزال موجودا .

* * *

لاصوت ، صرخ تفكيره ، لقد حاولت التركيز على احضار الفئران ، « عودوا . . بدأ يقول بصوت عال للمرة الأولى منذ دخوله الغرفة » أيها الفئران : « عودوا » ، أحس بعودتهم لوهلة ولكن بعد ذلك تلاشى كل صوت ، لقد كانت الأصوات تتلاشى وكأنها وحدات منفردة قادرة على المغادرة والحضور كما تشاء ، لم تعد تلك الاصوات في متناول يده ، لاشيء ، لم يكن هنالك أي صوت سوى دقات قلبه وصوت الشراب الذي كان في أشد الحاجة اليه وصوت تنهداته التي لم يستطع اخفاءها .

لقد اختفت الفئران ، لقد اختفت بارادتها الخاصة ، بدأت الكلمات تلوح في خياله وكأنها ومضات متكررة ، ثم أدرك سبب ذلك التكرار ، اذا كانت الفئران قد اختفت بارادتها فبامكانها العودة اذا شاءت ، لم يستطع خياله صنع الأصوات التي كانت الفئران تصنعها ، اذا كان هناك فئران في الغرفة فحتما سوف تقوم بصنع بعض الأصوات وسيكون بامكانه الاستماع اليها اذا كانت هناك ، أصغى للحظة ،



سمع صوتهم في زاوية الغرفة بجانب سريره . كانت تلك الاصوات تعطيه بعض الأمان ، ابتسم واستراح ، لقد كانت الأصوات في خياله وكان كل شيء كما يرام في عالمه ، جلس على الفراش ينظر جهة الضجيج ، حتى في تلك الظلمة الموحشة كان يرى بعض الفئران في زاوية الغرفة على الأرضية البيضاء ، أحس وكأن خنجرا من الألم طعنه ، أحس وكأن قطعا من دماغه قد تطايرت ، أراد أن يرفس ، أن يصرخ ، ثم أدرك أنه من غير الممكن أن يرى الفئران ، اذ أن الظلمة شديدة لدرجة أنه لايستطيع رؤية الجدار ، لقد كان يتذكر شكل الجدار عندما كانت الغرفة مضاءة حين دخوله ، وبشكل أو بآخر كان يتذكر الفئران ، بالطبع فان صوت الفئران كان من وحي خياله كما كان حال الأصوات الأخرى .

استراح قليلا على الفراش ولكن بدلا من أن يغمض عينيه وينصت كان يحدق في السقف ، بدأ يحس بشيء من الالم والقلق ، أحس بالحاجة لعمل شي ما ، قال بصوت عال « أريد أن أتأكد ما اذا كان هنالك فئران أم لا ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بقي مستلقيا على فراشه متسائلا « هل أتجنب الزاوية لانني خائف من وجود الفئران هناك أم من عدم وجودها ؟ »

لقد بقي نيف مستلقيا على فراشه لساعات وهو يستمع الى أصوات الفئران ، لقد ملأت الضجة الغرفة ، بدأ يدلي قدمه ليرى ، ما اذا كانت الفئران ستقضم أصابع قدمه ولكنه أحس بخيبة الأمل عندما لم يحدث شيء ، « أيها الهوام » بدأ يقول « الا تعرفون

مـاذا جلبتم علي » ، لم يحس بـالحاجـة الى الطعـام والشراب والاغتسال ، لم يكن يفكر في العالم الخارجي أو كم مضى من الوقت على وجوده هناك . لم يكن يفكر في ميعاد الخروج ، لقد بدأ يحس بسعادة غامرة في ذلـك العالم المظلم المليء بـالاصـوات ، صـوت الفئران الرقيق كسجع أم حنون ، بدأ نيف بالتحدث الى الفئران بشكل طبيعي الآن ، لقد كانت عـلاقة حميمة ، احدى افضل علاقاته ، وكل ذلك من صنع خياله ، لقد فعل ذلك ، كان يظن !!! لقد كان لديه الكثير بالمقارنة مع الاخرين ، من يستطيع أن يقضي أسبوعا في غرفة مظلمة كهذه ومع ذلـك لديـه هذه الضجة ؟

لقد كان خياله يقـوم بفعل ذلـك ، بدأ يـردد ، وذلك تحت تحكم كامل : « اني رجل مبـدع » بدأ يحدث نفسه : « ربما أقرر أن أعيش في غرفة كهـذه البقية الباقيـة من حياتي . سـوف أفكر في ذلـك ثم أعلمهم فيما بعد » .

ـ « ما رأيكم في ذلك أيها الفئران » بدأ يقول :

* « لانحب تلك الفكرة » أجاب أحدهم !!!

ضحك نيف . لقد كانت المرة الأولى التي سمع فيها جواب أحدهم ، المرة الأولى التي سمـع أحدا يتكلم ، لقد كان ذلك شيئا رائعا ذلك العقل الذي يمتلكه ، ذلك العقل الذي يجعل الفئران غير الموجودة تتكلم .

* « لانريد أن نسكن مع مجنون » قال آخر :

ـ « أوه . لاتـريـد !! » « أجـاب نيف مبتسـما » « حسنا » « أنا لاأحبك أيضا » .

* « نحن لانمزح . انك تضيع عقلك » .

* « تعني أنه أضاعه » أجاب آخر .

* « انه يتحدث مع الفئران . لقد أضاع عقله » .

ـ « اصمتوا » قال نيف « تعلمون أنني ابتكرت كل ذلك » .

* « نعم » قال اثنان منهم « بالطبع . . . »

لم تعجبه تلك النغمة . لم تعد الفئران في متناول يده .

« أنا الأمر هنا » قال نيف :

بدأت أصواتهم الساخرة تملأ الغرفة .

ـ « يا للعنة » جلس حانقا . « عندما أريد أن أتحدث الى الفئران فانني أقوم بذلك . وعندمـا أريدكم أن تجيبوا فانني أجعلكم تقومون بفعل ذلك » .

* انه يضيع عقله . لقد أضاع عقله بدأت الفئران تغني .

ـ « اخرسوا ، أيتها الأفاعي القذرة » .

* ـ « انه مجنون . انه مجنون » .

ـ « لست مجنونا » وكأنها صرخة .

* « مجنون . مجنون » بدأت الاصوات بالارتفاع . مئات من الاقدام الصغيـرة تجوب الغـرفة في رقص هامس . « مجنون . مجنون . الجندي المجنون » .

ـ « لا . لا . لا . . . . » كانت اللاء الأخيرة صرخة مدوية عبرت الغرفة مترددة من حائط لآخر .

* * *

بـدأ الضوء يعبـر الغـرفـة من الممـر . لم يـدرك المساعدون الفنيون في غرفة التحكم المركزية أن فئران التجارب قد خرجت من الاقفاص من خلال بعض الفتحات في « الشباك » ولم يكونوا ليعرفوا ذلـك الى وقت الاطعام لولا صراخ نيف . لقد سجل الرجلان صوته منذ البداية ، ولم يظنوا أن ذلك غريب ، لقد اعتـادوا على سمـاع أصـوات غـريبـة في مثـل تلك التجارب ولكن عندما بدا لهم أن نيف بدأ يفقد توازنه وعندما بدأ يصرخ مرتعدا حضروا من غرفة التحكم الى غـرفته ، وخـلال مسيـرتهم لاحـظوا أن فئـران التجـارب كانت خـارج الاقفاص ، لقـد ظنـوا أن الفئـران سوف تكـون في الممر ، فتحـوا باب الممـر العازل للصوت ثم أضاءوا الممر وغرفة نيف مسرعين الى غـرفته ، لقـد شاهـدوا البـاب مفتـوحـا بعض الشيء ، عندما دخلوا الغـرفة وجـدوا العديـد من الفئران في الغرفة وفي الممر . وكان نيف يصرخ بوجه الفئران الأخرى في الزاوية . كانت تلك المخلوقات الصغيرة ترتعش من الخوف .

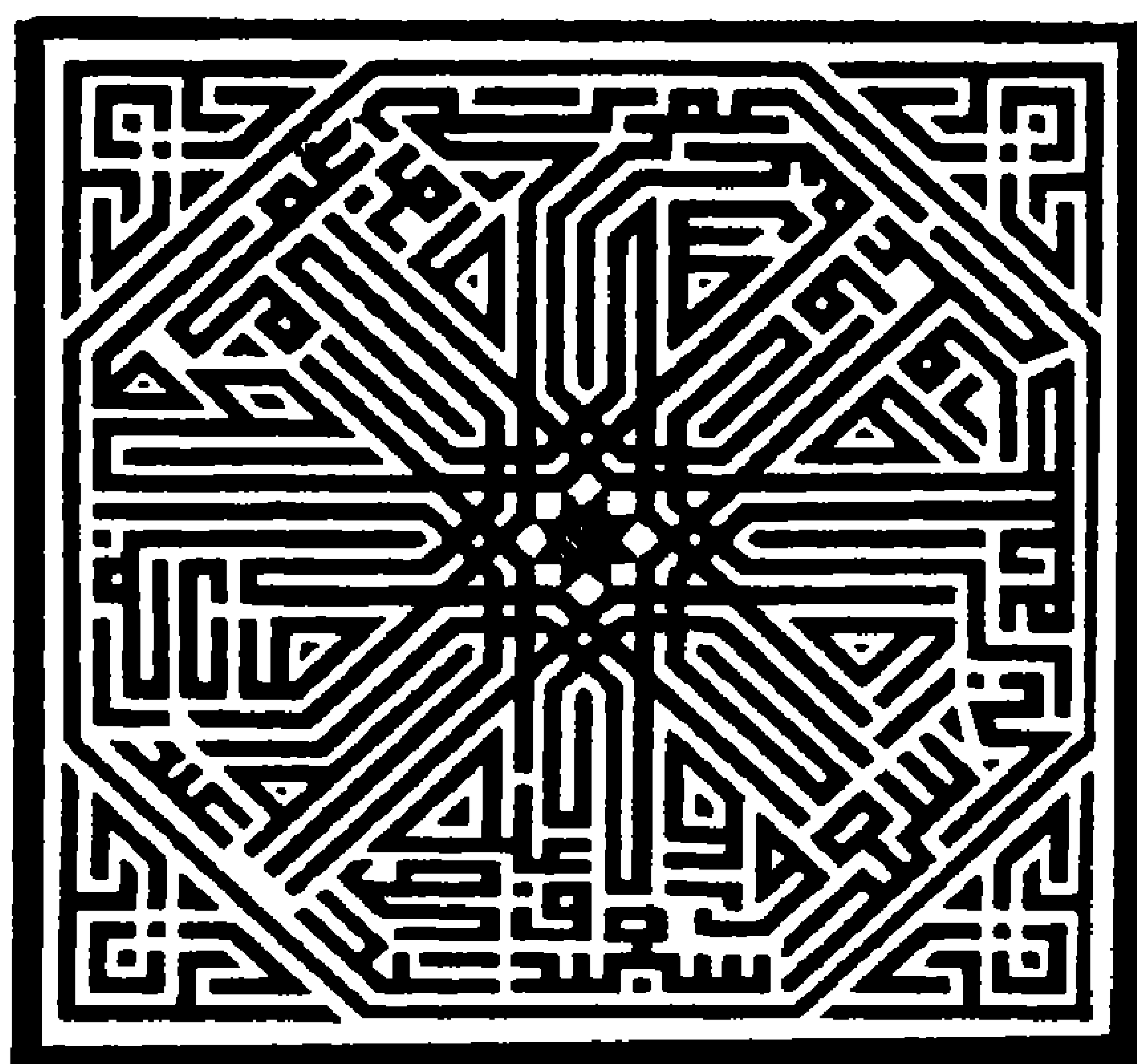
أدركَ أحد الرجلين ماذا حدث ؟ عندما هـربت الفئران من القفص مشت في الممر وعنـدما وجـدت باب غرفة نيف مفتوحا قليلا دخلت هناك ، لقد فتح ذلك الباب عندما دخل نيف الغرفة في البداية ونظرا لانعدام الضوء في الممر فانه لم يعرف بأن الباب كان مفتوحا ولو قليلا .

ولكن المساعد الفني لم يعرف لماذا بقي نيف يصرخ . لقد بقي نيف يصرخ « لا . لا . لا . » لأن الفئران التي تحدث اليها ورآهـا كانت سـوداء والفئران التي يراها الآن بيضاء !!!! □

جمالية الخط الكوفي

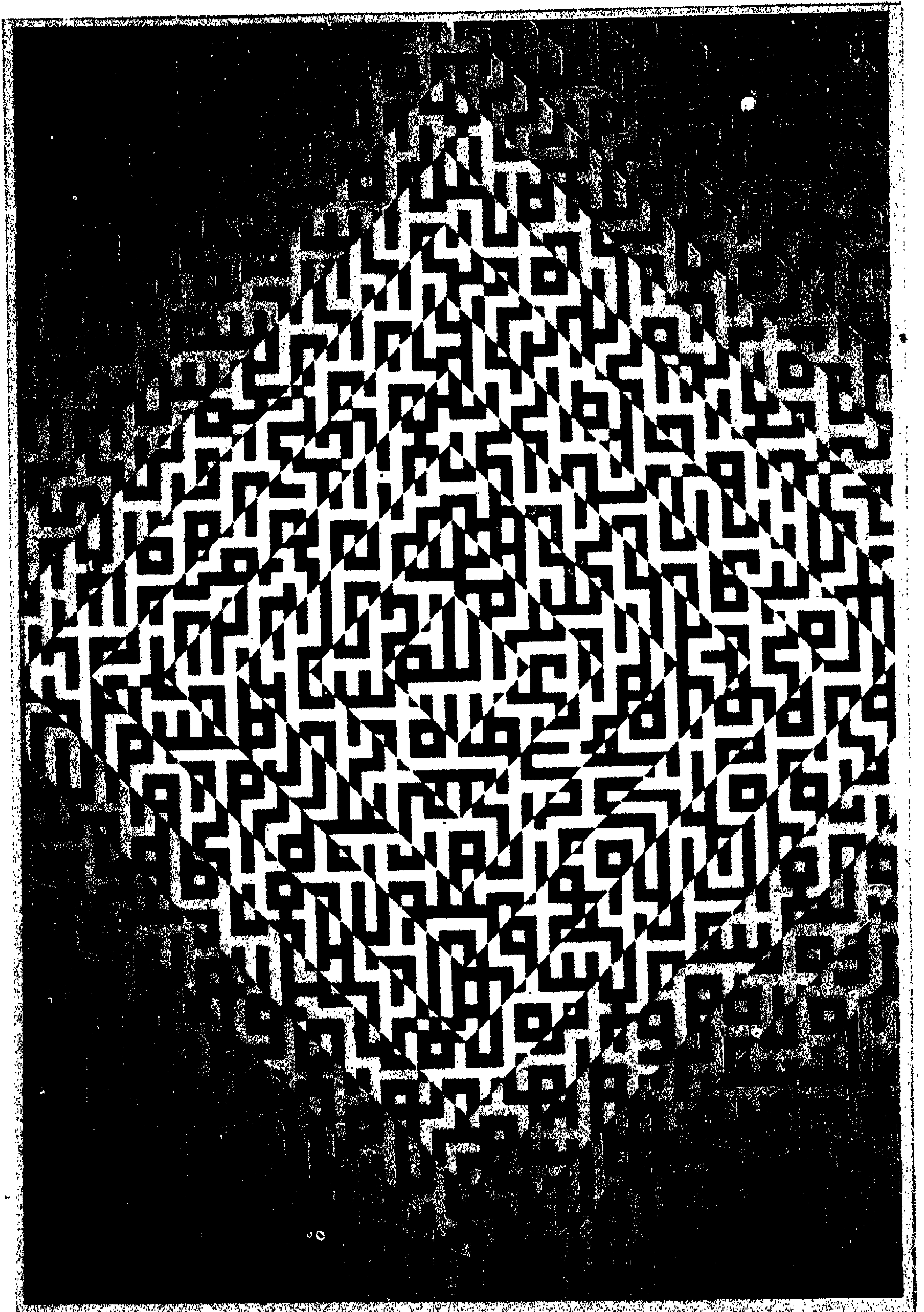
بقلم : عبد اللطيف هاشم

البحث عن الجذور الحضارية للتاريخ العربي واجب أخلاقي ، ومطلب إنساني ، أما التحدث عن فن عريق له أصالة قومية ، وانتماء عربي ، فهذا يخدم القضية المصيرية لشعب يحفل ماضيه بكل أشكال العلم والفن والإبداع ، وهنا محاولة لإلقاء الضوء على الخط العربي .



* حروف عربية بخط كوفي مزوى وفي الوسط لفظ الجلالة « الله » بطريقة الفن البصري .

في سنة ١٧هـ (٦٣٨م) خطّت مدينة الكوفة على يد سعد بن أبي وقاص ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، على مقربة من موضع الحيرة ، في رملة تخالطها حصباء ، وكل رملة تخالطها حصباء ، تسمى عند العرب كوفة . وقد نقل العرب القادمون من المدينة خطهم الذي عرفوه إلى هذه المدينة الجديدة ، وما لبث هذا الخط أن تطور ، وأدخل عليه التحسين ، ثم صار يسمى بالخط الكوفي . والشائع أن الخط الكوفي هو الخط اليابس ، أي غير المدور الذي تكون زواياه قائمة غير مستديرة ، وهو نفس الخط العربي المتطور الذي عرف في شمال الحجاز ، لكن التحسينات الفنية التي خضع لها صبغته بمسحة جديدة من الهندسة والإتقان ، إذن فهو وليد الصنعة والفن المقتبسين عن حضارة سابقة ، وقد



* لوحة بخط مزوى كتب عليها « لا اله الا الله ، لا قوة الا بالله » بطريقة الفن البصري .

ساعد مركز الكوفة العسكري والسياسي والعلمي على ازدهار هذا النوع الجديد المحسن من الخط ، وانتشاره .

كيف نكتب الخط الكوفي ؟

يعتبر الخط الكوفي من أجمل الخطوط العربية والأجنبية ، لخروجه عن المألوف وظهوره بمظهر متميز . فالجمالية تكمن في ألفاته الواقفة ، وسطوره المستقيمة الممشوقة ، وحروفه الملتفة أو المستديرة التي تنم عن حركة في تكوينها ، وانسجام في أشكالها ، وارتباط بعضها ببعض ، وعندما يريد الخطاط أن يكتب بالخط الكوفي فإنه يعتمد على المراحل التالية :

* يخط سطراً أفقياً موازياً للورق ، ثم يلحق به سطراً آخر يكون البعد بينه وبين سابقه سبعة أضعاف عرض الألف بالنسبة لطولها ، فاذا كان عرض الألف سنتيمترا واحدا يكون البعد بين السطرين (٧)سم ، والنسبة هي ١/٧ ، قريبة من نسبة طول رأس الإنسان إلى طول قامته ، وهذا المقياس تقريبي ، كان المثالون الإغريق يعتمدون عليه (أمثال فيدياس وبولكليت) .

* ـ يتم رسم الألف مباشرة بالمسطرة والمثلث القائم الزاوية ، حيث نحصل على خطوط متوازية أفقية وعمودية على اللوحة ، بواسطة مسطرة الرسم الهندسي «T» .

* ـ وبعد أن نحصل على ارتفاع الحرف الأول وحجمه تتم ـ مباشرة ـ عملية إيجاد السطر الأسفل ، والحصول على سماكة الحرف السفلي ، وعلى هذا السطر ترتكز كافة الحروف ، ويعطي للكتابة المتانة والاستقرار ، ومنه تنحدر الحروف إلى أسفل وترتفع إلى أعلى .

* ـ بعد أن حصلنا على السطر الأساسي الذي تنطلق الحروف جميعها منه ، نصنع سطراً آخر في الأسفل للحروف المنحدرة ، كالجيم والراء والميم النازلة ، الخ .

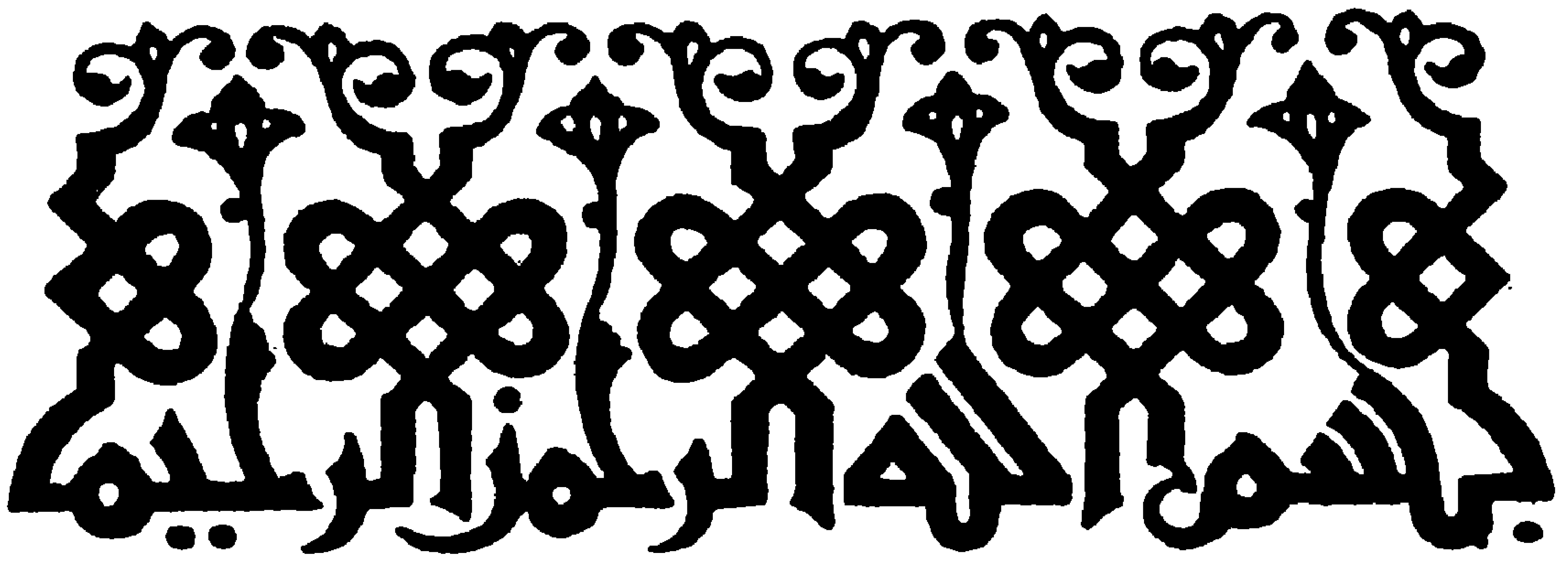
* ـ ثم نصنع سطراً في الأعلى يماثل السطر السفلي ، وهو السطر الذي ترسم فيه رؤوس الحروف الصاعدة ، مثل رأس الجيم والدال والكاف الأولية والطاء ، وبذلك يساوي حجم الحروف المرتفعة عن السطر حجم الحروف النازلة عنه ، وهذا الصعود والنزول ، له قيمة تشكيلية ، وجمالية ، والمحافظة على أشكال الحروف يجعلها متناسقة مقروءة ، متشابهة في الحجم .

* وعندما يريد الكاتب أن يوصل الحروف بعضها ببعض تظهر البراعة في اختيار الوصلات التي تجعل الكلمة كلا متماسكاً ، لها شكلها المميز ، ومن الضروري المحافظة على الرسم الأولي للحروف ، فلا يبدل فيه ، ولا يشوه معالمه ، وعليه أن يبذل قصارى جهده بالتغيير والتبديل والإضافات وحذف غير الضروري ، ودراسة الأحجام والأشكال ، والابتعاد عن الفراغ المعيب ، والحشو الكثير .

الكوفي المزهر

الكتابة المزهرة نوع من أشكال الخط الكوفي الذي يعتمد على ملء الفراغات والأرضية بزخارف نباتية ، مشتقة من أغصان الأشجار ، وسوق الكرمة ، ونبات « الأكانتوس » ، وهذه الزخارف تكون بألوان أفتح من لون الكتابة ، لكنها قريبة منها ، ونستطيع أن نخفف اللون الأساسي بمزجه باللون الأبيض ، لتظل الألوان المشتقة منه متقاربة لا تنافر بينها أو تضاد ، فإذا أردنا تلوين بعض الزهرات بألوان حارة ، فعلينا أن نطفيء اللون المطلوب بقليل من اللون الأبيض أيضاً حتى لا يصير اللون صارخاً . أما ملء الفراغات فيجب أن يكون بتقنية عالية أثناء الرسم ، وعلى الكاتب أن يمرن يده على حركة الأغصان بخطوط لينة منسابة ، وأن يختار الشكل السهل المحور إلى أبعد درجات التحوير ، ويختصر الزوائد في الوريقات والزهرات .

وعند استعمال الورق الشفاف « زبدة ـ كالك » ترسم الزخارف بقلم الرصاص ، ثم يأخذ الكاتب بالتحوير ودراسة الأشكال حتى يحصل على التصميم النهائي لزخارفه ، ثم تتم عملية نقل الزخارف من الورق الشفاف إلى اللوحة بواسطة تحديد الخطوط من الجانب الآخر ، ثم الضغط بقلم صلب فوق الزخارف مرة ثانية لتطبع على الورق ، وبعد ذلك يأخذ بتحديدها وتلوينها بالطريقة التي يجدها مناسبة ، كأن يستخدم أقلام التحبير « روبيدوغراف » أو فرشاة السمور الدقيقة التي تصلح للألوان الترابية



* خط كوفي معقود الحروف العلوية

« الغواش » التي تذاب بالماء .

ويمكن وضع ألوان ذهبية أو فضية خاصة (معبأة في أنابيب أو علب عادية) قابلة للذوبان بالماء ، تعطي بريقاً كلون الذهب أو الفضة ، على الكاتب أن يستخدمها في تجديد أطر الحروف والكلمات والزخارف . ويستعمل « الترلين » في تحديد زوايا الحروف وأطرها ، ويفضل أن يكون اللون ممزوجاً بدقة ، حتى نحصل على سطح ملون نظيف خال من الشوائب . وتعتبر الكتابات الموجودة في غرفة السلطان حسن بمصر من أشهر الكتابات بالخط الكوفي المزهر .

وهناك نوع آخر منها هي الكتابات الكوفية المزهرة الدائرية التي يعتمد الكاتب فيها على الفرجار لرسم دوائر منتظمة ، مركز كل دائرة يبدأ من تماس محيط الدائرة المجاورة ، وترتبط الدوائر جميعها بوحدة منتظمة ، ثم ترسم الزخارف في الفراغات ، مرتبطة بالدائرة ، منطلقة منها ، وهذا التكرار في وحدة الدائرة يعطي الاستقرار للسطر الذي يمتد عبر شريط على جدار مصنوع من حجارة ومحفور بالرخام أو الخشب ، وقد يكون الشريط هذا عبارة عن إطار داخل زخرفة أحد اللوحات المخطوطة .

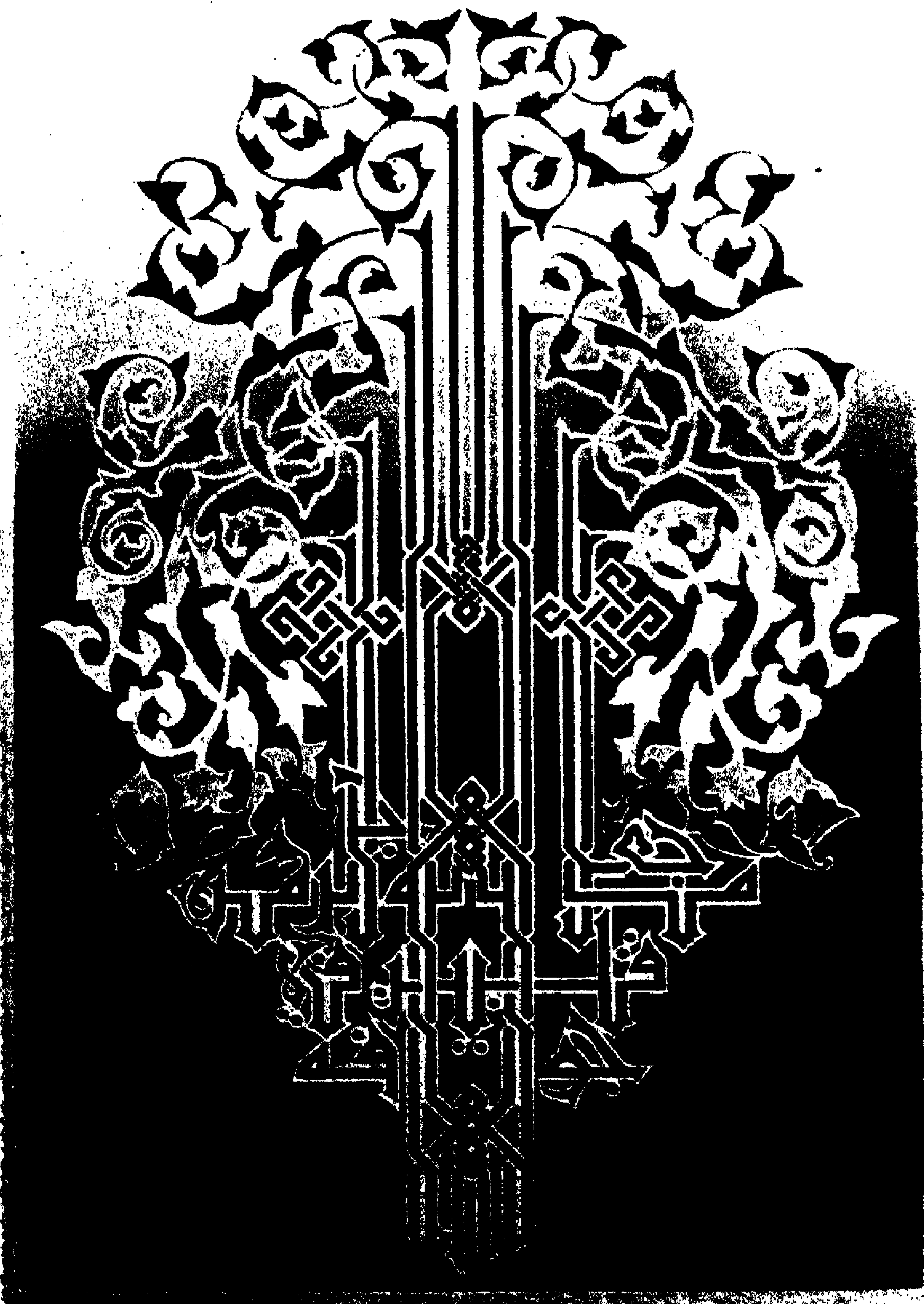
المورق والمشجر المضفر

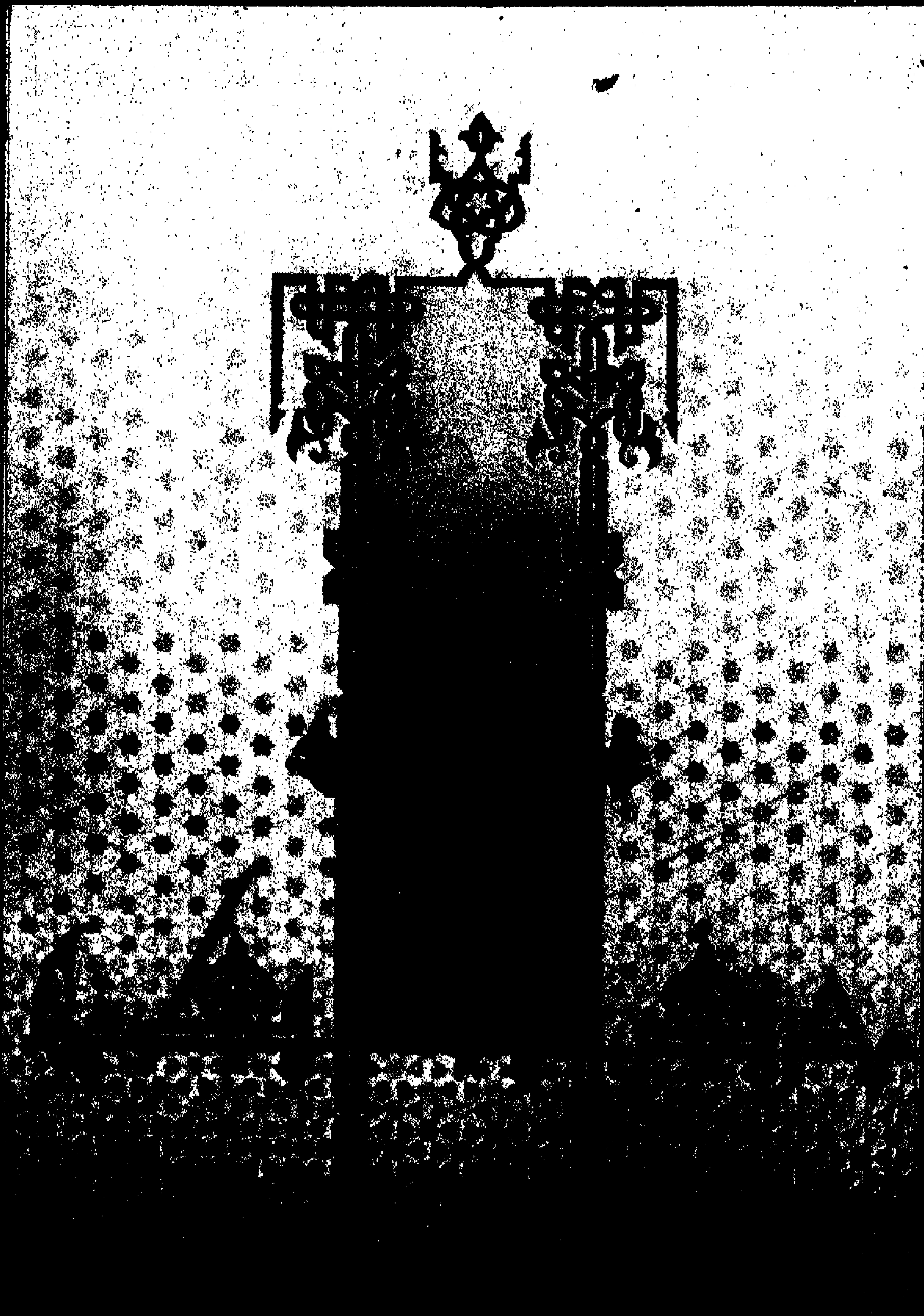
الخط المورق هو الذي ترسم في نهاية حروفه وريقات مأخوذة من تحوير أوراق الأشجار ، والعنب ، و « الأكانتوس » شوكة اليهود ، وهذه الوريقات ترتبط بنهاية الحروف دون أن تؤدي إلى صعوبة قراءتها ، أو المساس بشكل الحرف الأولى ، فيظل الحرف محتفظاً بشكله ، ولا تشوه معالمه فتصعب عند ذلك قراءته ، أو يفقد قيمته الجمالية .

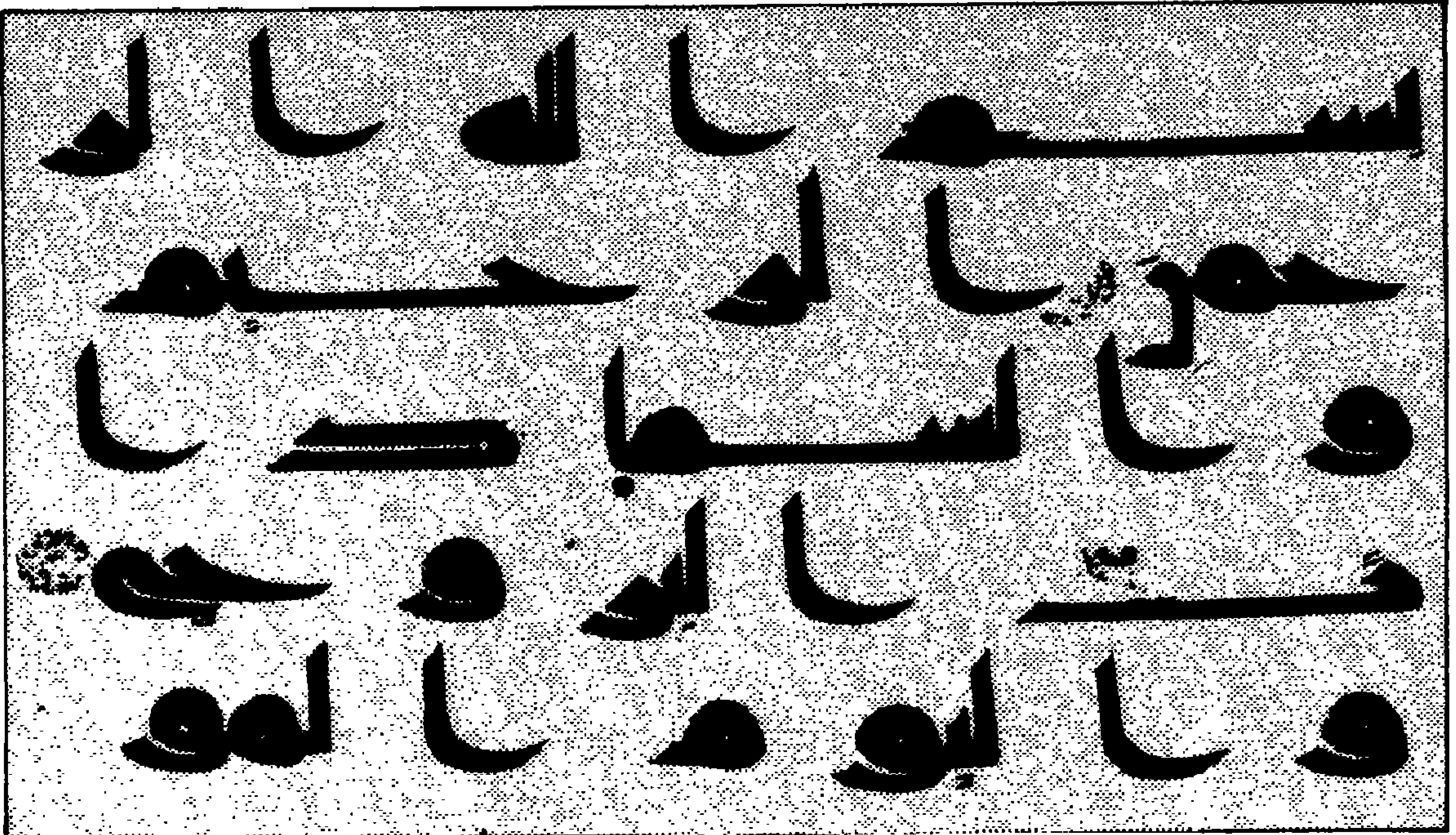
ومن أشهر أمثلة الكوفي المورق كتابات « آمد » في ديار بكر ، وجامع ابن طولون . أما الكوفي المشجر فهو الكتابة التي يكون في نهاية حروفها العلوية أشكالاً تشبه أغصان الأشجار ، ترتبط الحروف المتشابكة الأغصان،وتعطي شكلاً مميزاً أشبه بالشجرة الوارفة الأوراق والظلال .

والأغصان الملتوية الملفوفة مشتقة من سوق شجرة العنب ، وريقاتها ، وبراعمها ، أو من نبات لبلاب الحقول بأشكاله المنسابة ، وأوراقه الملتفة ، وبراعمه الناعمة ، وأزهاره الدقيقة ، وهذا النبات كثيراً ما يلتف ، ويتطاوى ، ويتلوى على النباتات القريبة منه ، فاذا لم يجد نباتاً قريباً فإنه يلتف حول نفسه ، ويشكل ما يشبه الكتلة الخضراء إلى أن تتم دورة حياته . وعندما نستعير شكل اللبلاب لنستفيد منه في تزيين الحروف الكوفية الصاعدة ، يظل الحرف الكتابي شيئا مجردا ، والزخارف والزهرات والأوراق أشياء محورة عن الطبيعة .

أما الخط الكوفي المضفر فهو خط معقد جداً الى حد يصعب معه التمييز بين العناصر الخطية والعناصر الزخرفية ، ويعتمد على تضفير الأحرف العالية والمرتفعة ببعضها لتصبح كضفيرة شعر فتاة ، أو أن يكون التضفير في شكل الحرف الأساسي ، ومهما يكن


بسم الله الرحمن الرحيم ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم
أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله صدق الله العظيم





* الخط في حياتنا العربية والاسلامية له قصة حياة .. فمن سكونيته الجامدة .. الى حرية مزهرة اعتنت بالاضافات الجمالية التي جعلته يكتسب أشكالا وأبعادا جديدة ..

فإن الضفائر تخدم الناحية الجمالية أو التشكيلية للحرف ، في حين تصعب قراءة الحروف المضفرة لتشابك الخطوط المتداخلة ، وربما يكون الترابط فيها بينها مقبولاً لكن التشابك الكثير لا يزيد الخط إلا تعقيداً وتداخلاً .

ومن أمثلته ، خطوط قلعة رادكان ، ومسجد الزيتونة ، ومسجد القيروان ، ومسجد قلاوون ومسجد الست رقية ، وجامع سيدي أبي الحسن في تلمسان ، ومنه أيضاً كتابات الكزار « قصر بناه العرب في أشبيلية باسم (دون بدرو) في القرن الثالث الهجري » .

الخط الكوفي الهندسي

الكوفي الهندسي هو الخط الذي تستعمل فيه المسطرة والمثلث القائم الزاوية ، من أجل تسطير الورق وجعله مربعات متساوية الأبعاد بخطوط عمودية وأفقية . وينقسم إلى قسمين : الكوفي المزوى ، والكوفي المربعي .

فأما الخط الكوفي المزوى فتتم كتابته ضمن المربعات والخطوط المستقيمة ، تحسب المربعات وترسم أشكال الحروف الهندسية . وتحقيق الجمالية فيه أن يكتب بالمربعات المتساوية لتعطي أشكال الحروف الحادة تآلفا بين اللونين الأسود والأبيض ، وهو يصلح للكتابة على السطوح الكبيرة ، والجدران ، والمباني العامة لتناسبه مع هندسة البناء ، وحركة العمارة ، وأشكالها النحتية ، ولإعطاء البناء الجمال والبهجة ، وهو لا يحتاج إلى كثير من التمرين ، بل إلى صبر وأناة في حساب المربعات ، وتسطيرها ، وحفظ أعدادها .

وأما الكوفي المربعي فتتم كتابته على زاوية كل مربع والمربع الذي يليه ، بحيث نترك فراغاً بين الأشكال التي ترسم ، لتتألف أشكال كثيرة من هذا المربع « الوحدة الأولى لشكل الحروف الأولى » .

والمهارة هي في المحافظة على الشكل الأولي للحرف ، وربط الحروف ببعضها ، بالاضافة إلى الاستفادة من الفراغ الأبيض الذي تخلفه بقية الحروف والكلمات ، إذ يجب أن يكون هناك أشكال لمربعات خالية ، هي التي تعطي الحرف شكله اللائق به .

ونستطيع أن نطور الحرف فنضع الألوان الفاتحة والغامقة ومشتقاتها ، بحيث يحدث تناغم أو تضاد بينها ، كأن تكون الكتابة بلون بارز وغامق ،

والأرضية بلون أفتح من مشتقات ذات اللون ، أو بلون مضاد له كاللون الأزرق مع البرتقالي . أو الأزرق الغامق مع الأزرق الفيروزي الفاتح ، وهكذا .

أما عندما نغير أحجام المربعات بتسلسل منطقي أو غير منطقي ، مع المحافظة على الوحدة الأصلية لشكل المربع الأولي فإنه يحدث معنا نوع من الخداع البصري ، وهو المعروف بالفن الحديث « الأوب آرت » الذي يعتمد على جذب النظر بواسطه الألوان الحديثة التي تحاكي بعضها ، متقاربة أو متداخلة ، متضادة أو متآلفة ، فاستعمال اللون الأخضر يحتاج إلى لون حار كالأحمر ، واللون الليلكي مع البنفسجي يحتاج إلى لون أصفر ، والنيلي الأزرق يحتاج إلى برتقالي .

لاحظ أن هذه الألوان متناقضة ، أما إذا استعملنا الأزرق مع مشتقاته ، فإن العين سترتاح إلى الألوان المتآلفة ، كاستعمال الألوان الحارة مع الباردة المطفأة بقليل من الأبيض . والعمل الفني هنا يعتمد على جذب النظر بواسطة الألوان ، وحركة الأشكال ، فيبدو المسطح كأنه مجسم ، أو دائري ، أو أسطواني ، وعندما ننظر إلى لوحة من هذا النوع ، نراها تنبض بحركة أشكالها المجردة ، وإن كنا نتعامل مع حروف صماء فليس من الفن أن نأخذ موضوعا عظيما ، أو ملحمة تاريخية ونجسد ذلك بشكل هزيل وبلوحة لا تمثل ما نريد التعبير عنه ، لكن الفن أن نأخذ شيئا بسيطاً ، بل من أبسط الأشياء ، ونصنع منه عملاً عظيماً ، فالمربع ، والنقطة ، والدائرة هي أشياء بسيطة ، تبدأ الخطوط والأشكال الهندسية كلها منها .

واللوحة التي نتحدث عنها ، ليس فيها التكرار الممل ، بل حركة دائمة ، وجذب للنظر الذي ألف الأشكال الرتيبة ، والعين التي قد سئمت رؤية المسطحات الصماء ، ما تلبث أن تنبهر برؤية ألوان حديثة كل الحداثة ، وشكل محير في تكوينه ، وبنائه . فاللوحة ، واللون ، والسطح ، كلها تؤدي دورا هاما في بث روح النشاط والحركة في إنسان هذا العصر ، وفي القديم كان لهذا التكرار نوع من القداسة ، عبر عن فلسفة الصوفيين الذين ألحوا على آيات الذكر الحكيم ، فالله هو كل شيء ، ومنه يستمد كل شيء وليس كمثله شيء . والفنان العربي يشبه الفيلسوف الصوفي الذي يهيم في سحر الإله وسره ، وتكرار لفظة معينة يحس عند ترديدها بهاجس في داخله ، ونشوة عارمة تجلل كيانه .

الخط الكوفي الحديث

الخط الكوفي الحديث هو الخط المبتكر من أجل الإعلام الحديث في القرن العشرين ، بعد أن أصبح للملصق الجداري مكان مرموق في الإخبار عن أشياء لترويجها ، وإعلام أكبر عدد ممكن من الناس من خلال المعارض والندوات واغلفة الكتب وعناوين الصحف وأسماء السلع والمحلات ، فيجب أن يكون الخط الحديث متناسبا مع التصميم الإعلاني لا دخيلا عليه ، ليؤدي دورا تشكيلياً بالإضافة إلى أنه خط مقروء وجميل ، وتكون أشكال حروفه سهلة متناسبة في أحجامها ، وأن تسير على وتيرة واحدة برباط منطقي بينها .

وعندما تستخدم التقنية الحديثة وتظلل الحروف ، نجعلها بشكل نافر ، أو مجسم ، أو تستطيل الحروف العالية ، أو تستدير الحروف النازلة ، يظل الشكل المنطقي منطقيا ، والحروف مقروءة .

لقد اهتم الفنان الغربي بتجسيد الطبيعة بشكلها الحي ، ورسم الإنسان ، وكل ما هو كائن في الواقع أو الخيال ، واهتم بمواضيع مختلفة عبرت لا شك عن عبقرية فنية ، أتت بكبار الفنانين منذ العهد اليوناني ، وحتى عصر النهضة ، والعصر الحديث .

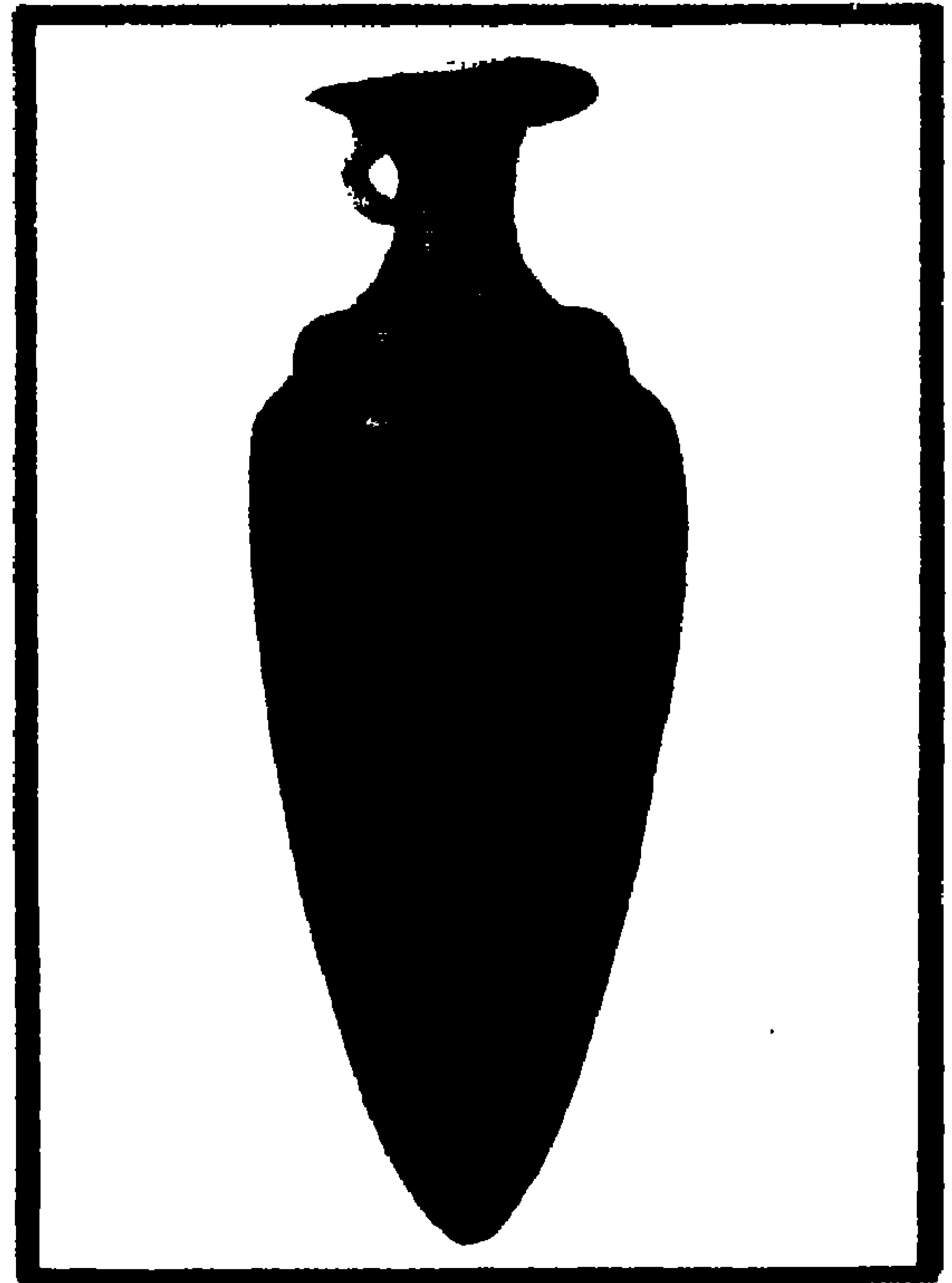
لكن الفنان العربي أخذ منحى آخر واتجاها مختلفاً ، محرماً التشخيص والتمثيل ، مختارا الشكل المحور ، طارقاً باب التجريد ، فارتاحت النفوس إلى الزخارف ، وهفت القلوب إلى آيات الذكر الحكيم ، وسعى بعض الناس لاقتناء المخطوطات المزخرفة والمزوقة ، فانبرى الخطاط إلى الاندماج بعمله الذي يحصل منه على أجرين في الدنيا والآخرة ، لذا قد تجد لوحة امتلأت بزخارف ملونة بألوان متألقة متآلفة ، كالفيروزي ، والأزرق ، والذهبي ، والأخضر ، والأحمر ، وألوان أخرى .

إن الفن العربي بما فيه الخط الكوفي يرتكز على أساس صوفي حركي ، وهو يختلف عن بعض اتجاهات التجريد الحديث التي تقوم على أسس مكانية ساكنة وجامدة . □

حضارات سادت ثم بادت ..

اعداد : يوسف زعبلاوى

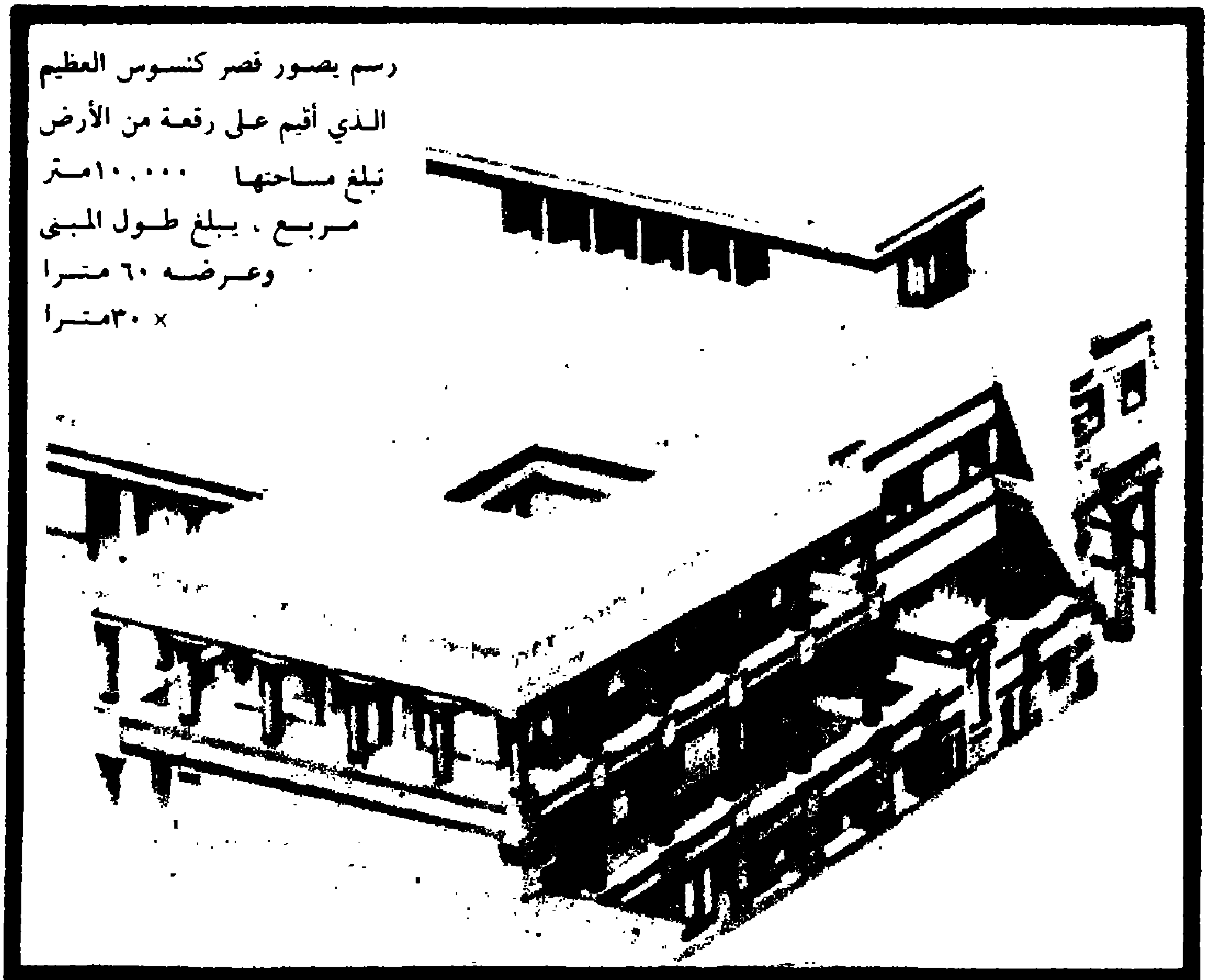
حضارة كنسوس في كريت


إناء من أواني حضارة مينوس في كريت .

حضارة كريت هي أولى الحضارات الأوروبية جميعا .. سبقت حضارة أثينا بنحو ألف عام .. ولم تُول الكتابة كبير اهتمامها .. ولم تُقبل كذلك على الحروب .. ولكنها بلغت مستوى مرموقا في شتى ميادين الحضارة .. وبخاصة في ميدان البناء والعمران .. وضمنت لأبنائها حياة هنيئة مرحة .

غير أن قصة كريت مرت بمراحل ثلاث ، بدأت الأولى فيما بين سنة ٧٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق . م ، حين جاءها شعبها على حين غرة ، ومن حيث لا يدري أحد .. وبدأت المرحلة الثانية فيما بين سنة ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق . م حين غمرتها موجة من المهاجرين جديدة .. لعلهم جاءوها من الأناضول .. حيث كان الحيثيون ، فقد حملوا معهم معالم حضارة العصر البرونزي ، وانشأوا المدن ، ومارسوا صناعة التعدين والزراعة ، وشقوا الطرق ، وأقاموا الجسور ، ومدوا مجارى المياه .. وعرفوا العربات ذات الدواليب ، وفجأة تعرضت الجزيرة سنة ١٧٠٠ ق . م لزلزال مدمر عنيف .. فهدم الكثير من منازلها وقصورها ، دون أن ينال من عزيمة أهلها ، أو يحد من شغفهم

قاعة داخلية من قاعات القصر ، وصلها ضوء الشمس بفضل الهندسة المعمارية المحكمة



رسم يصور قصر كنسوس العظيم الذي أقيم على رقعة من الأرض تبلغ مساحتها ١٠,٠٠٠متر مربع ، يبلغ طول المبنى وعرضه ٦٠ مترا × ٣٠مترا

بالحياة ، وحرصهم على العمل والبناء . . فما أسرع ما انصرفوا الى بناء منازلهم وقصورهم من جديد . . فكانت المرحلة الثالثة من حضارة كريت أهم تلك المراحل وأشهرها بلا منازع ..فهي المرحلة التي ظهر فيها عصر مينوس الذهبي . . وازدهرت فيها كنسوس العاصمة وتألقت بقصرها الملكي العظيم . .

المدينة الكبرى

بلغ عدد سكان كنسوس ـ عاصمة كريت ـ نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، هذا هو التقدير الذي أقره أكثر المؤرخين ، ولو صح هذا التقدير لكانت كنسوس ـ وهي في أوجها ـ المدينة الكبرى في جزيرة كريت نفسها وبين مدن البحر المتوسط جميعا ، ويعجب المرء للسرعة الكبيرة التي نمت فيها كنسوس وازدهرت . . فقد ظهرت أول ما ظهرت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وتزامن ظهورها وظهور غيرها من مدن كريت ، مثل فايستوس وماليا وزاكرو ، ولكنها ما لبثت أن بزت غيرها من مدن الجزيرة ، ومن مدن حوض المتوسط بلا استثناء .

الحياة اليومية :

لعل أول ما يلفت النظر الثياب التي ارتداها أهل كنسوس ، فقد كانت ضيقة عند الخصر ، لدى النساء والرجال ، وكانت مكشوفة عند الصدور للمرأة والرجل على السواء . . . وشاعت الأحذية الجلدية بينهم ، بل بين الطبقات العليا منهم ، وقد تجلى التمييز بين الطبقات في مجتمع كريت في الأواني التي استعملوها للأكل والشرب وغير ذلك . . فاختلفت بين أوان فخارية ونحاسية ، تبعا للاختلاف بين عامة الشعب والخاصة . . ولعلهم تساووا في طهي الطعام ، وقد استعملوا المطابخ المتنقلة . . أما المنازل والبيوت فقد اختلفت كثيرا ،. فمنازل العامة التي لم يبق لها أي أثر بنيت في الغالب من طين ، ومنازل النبلاء وقصور الملوك شيدت بالحجارة والآجر والخشب ، وغير ذلك من أفخر مواد البناء المتاحة آنذاك .

قصر كنسوس العظيم :

انه مُجَمَّع قصور لا قصر واحد . . ومجمع أبنية لا بناء واحد . . لقد كان بمثابة مدينة مصغرة ، شملت مراكز الصناعة والمخازن ، ومراكز الحياة الادارية والدينية في المملكة ، وشمل القصر فوق ذلك المنازل . . هذا الى جانب القاعات والممرات والساحات المكشوفة ، والمتاهات والأدوار العلوية . . فهو بحق البناء المعقد الذي تدل عليه لفظة (لابرينث) المنتشرة في شتى لغات الغرب ، والمشتقة من أحد الرسوم التي ازدانت بها جدران القصر . . رسم الفأس المقدس ذى الرأس المزدوج وقد سموه (Labyros) ، ويؤكد الكثير من علماء الآثار أن قصر كنسوس العملاق ، لم يبن بالتدريج ، وعلى مر السنين والأجيال كما بنيت أكثر قصور المنطقة الشهيرة ، وانما بني دفعة واحدة ، ووفق مخطط مسبق وتصاميم مفصلة . . وفي هذا دليل على عبقرية هندسية معمارية رفيعة المستوى .

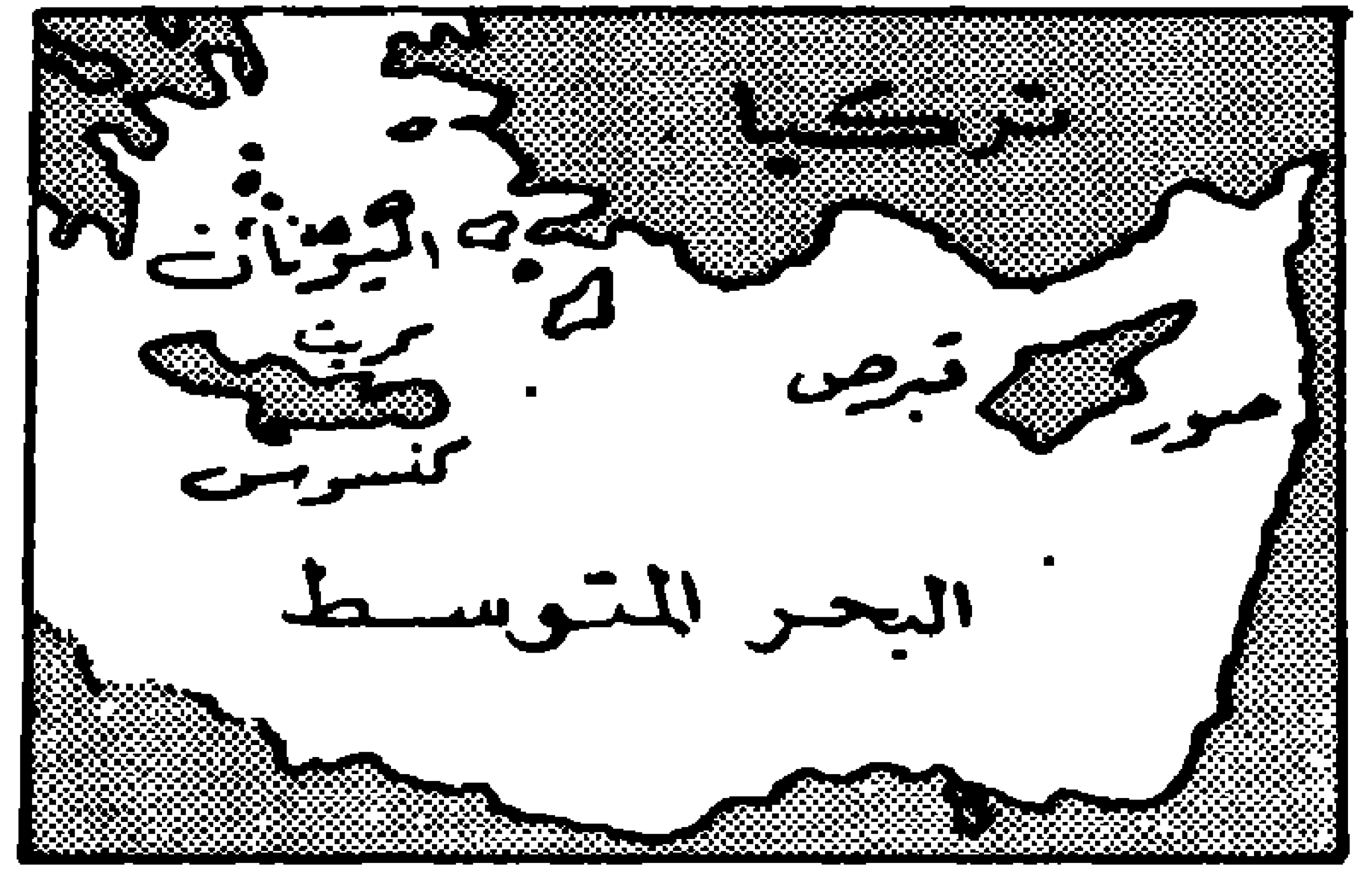
ولسنا هنا بصدد وصف هذا القصر وصفا شاملا . . فهذه مهمة عسيرة ، بل قل مستحيلة بالنظر الى ضيق المكان المتاح ، وحسبنا الاشارة السريعة لابرز معالم القصر وأهم مميزاته .

نذكر من ذلك الأسلوب المتطور في الافادة مما يعرف في الهندسة بعبارة bays and wells بحيث يتسرب ضوء الشمس الى داخل القصر ويغمر شتى غرفه وممراته .

ونذكر الحمامات الكثيرة المتسعة التي توزعت في القصر ، والتي اشتملت على أحواض للاستحمام عميقة ومعقولة ومزينة أحيانا برسوم ولوحات . .

ونذكر أيضا المراحيض التي جهز بعضها بمعدات لضغط الماء ، ضمنت لها النظافة التي لم تعرفها أوروبا في العصور الوسيطة ، ولا حتى في العصور الحديثة الأولى . .

ونذكر كذلك المناهيل المغطاة والمجارير التي ما زالت تفتقر اليها عواصم ومدن كثيرة في قرننا العشرين . . ويؤكد الكثيرون أن منجزات كنسوس في هذه المجالات وفي أعمال السباكة بصورة عامة يفوق كثيرا منجزات الرومان فيها . . والرومان هم أسياد صناعة جسور المياه وما اليها من صناعات . . .



الجانب الشرقي من البحر المتوسط ، تظهر فيه بوضوح جزيرة كريت وعاصمتها كنسوس .

ويعجب المرء بعد هذا كله كيف غفل أهل كريت عن صنع الحنفيات التي تضمن تدفق الماء لدى تحريكها ، لقد افتقروا اليها ، واضطروا الى صب الماء صبا حين التغسيل والاستحمام ، كذلك غفلوا عن المصارف التي تجري المياه القذرة وتنصرف عبرها ومن ثم عبر الأنابيب الخافية المتصلة بها .

الدين والعبادة .. والفن :

تختلف حضارة كريت عن سائر حضارات الشرق الأوسط بأنها أولت الدين اهتمامها دون أن تصبح حضارة دينية قلبا وقالبا كغيرها من الحضارات .. فالموت في نظرهم حق ، ولكنه لم يغلبهم على أمرهم .. والأرواح الشريرة حقيقة لم ينكروها ، ولكنهم لم يحفلوا بها كما فعل أهل مصر وما بين النهرين . والغيب .. أقروا بوجوده ولكنهم وجدوا في الطبيعة والحياة الانسانية ما استأثر بجل تفكيرهم ومشاعرهم ..

أما محور معتقداتهم وعباداتهم فكانت الالهة الأم التي كثيرا ما عبروا عنها بالزهور والثعابين والطيور .. حقا ظهرت عبادة الاله الذكر الفتي في العهد المنوي ، ولكنها لم تلغ عبادة الالهة الأم ..

وتجدر الاشارة الى الثور .. فقد كان محورا من محاور عبادتهم ، ولكن العلماء لم يستطيعوا تحديد العلاقة بينه وبين الالهة الأم .. على أن الثور كان قوام الألعاب العديدة المختلفة التي شغف بها أهل كنسوس كل الشغف .

وتكاد تكون هذه الألعاب البهلوانية المعقدة مستحيلة الأداء على أبطال رياضة الجمباز وأمثالهم في هذه الأيام ... وقد يكون السر في ذلك المدلول الديني العميق الذي انطوت عليه هذه الألعاب في نظر أهل كريت .

الكتابة والقتال :

لا جدال في أن أهل كريت عرفوا الكتابة ، وكانت كتابتهم تصويرية هيروغليفية في بادىء الأمر .. ثم تحولت مع الأيام حتى استبدلت الرموز التي دلت على الأشياء ككل بالخطوط والمنحيات المجردة .. أو إن شئت الحروف ، وصنفت الكتابة في مرحلتها الثانية صنفين ، صنف أ (Linear) وهو الأقدم وقد ظهر في القرن (١٧) ، وصنف ب (Linear) وقد تأخر ظهوره حتى القرن (١٤) ق . م .

ومهما يكن من أمر فان أكثرية السكان كانوا أميين ، لا يقرأون ولا يكتبون ، وكان الذين يعرفون القراءة والكتابة لا يولونها مثل الاهتمام الذي ظفرت به عند غيرهم من الشعوب .

وتجدر الاشارة الى أن لامبالاة أهل كريت بالكتابة قد اقتربت من لا مبالاتهم بالحرب والقتال..فمدنهم كانت بلا أسوار .. وسيوفهم كانت بدائية وقليلة على كل حال ... ودروعهم وخوذ رؤ وسهم صنعوها من جلود الثيران .

ويتساءل العلماء والمفكرون : ترى هل كان لولع أهل كريت بالطبيعة والعمل وشغفهم بالمرح واللعب ، علاقة بعزوفهم عن الكتابة والحروب .. أم أن السر في ذلك يعود الى رجحان كفة المرأة في مجتمعهم .. كما تدل على ذلك معتقداتهم الدينية التي اتخذت من الأم محورا لها .. وكما تدل عليه أيضا رسومهم الفنية ولوحاتهم التي آثرت الأحجام الصغيرة الدقيقة ، وهي الأحجام التي غالبا ما يتمخض عنها ابداع النساء ....

بقي أن نذكر أن التاريخ أسدل ستاره على حضارة كريت سنة ١٤٥٠ ، وذلك نتيجة ثورة أحد البراكين ثورة عنيفة ، وتبعا لظهور الاغريق وتمكنهم من احتلال الجزيرة . □


العربي الصغير

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ ترويض الإرادة بين اتهامات التسلط أو التنازل

■ المضادات الحيوية سلاح ذو حدين



ترويض الإرادة

بين اتهامات التسلط أو التنازل

اعداد : ريم الكيلاني

خلف الأبواب المغلقة ، ووراء جدران المنازل ، يعيش كل زوجين حياة لايعرف حقيقتها أحد ، تدور بينهما محاولات التوصل الى صيغة حياة مقبولة رغم اختلاف الرغبات والآراء ، لكن المجتمع والناس لايغفرون أبدا للزوجة اذا حققت ما تريد .

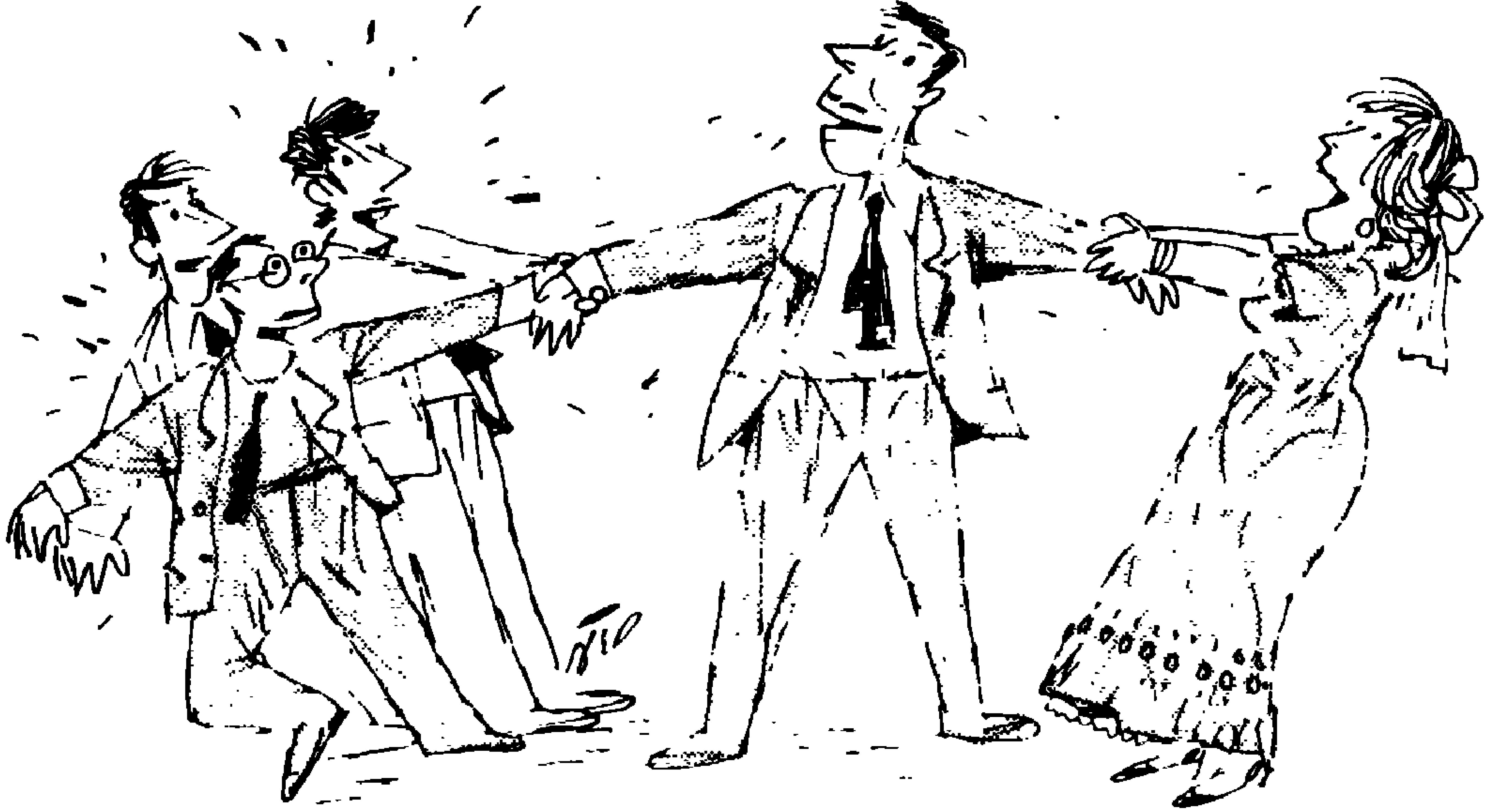
انتهت حفلة الزفاف ، وغلق عليهما باب المنزل . انتهى عهد الدلال والمجاملة . وبدأت الأمور في الظهور على حقيقتها ، وعادت عجلة الحياة الى الدوران دون تزاويق ، وبلا أقنعة .

وبدأ الاحتكاك الحقيقي بالحياة والناس والمجتمع ، ومع بداية هذا الاحتكاك تبدأ الخلافات والصراعات في الظهور ، بسبب عدم التوازن الفكري ، والتباين الاجتماعي والبيئي ، ومع المعركة الأولى بين رغبتين متناقضتين يبدأ السعي الحقيقي لكسب المعركة ، وتحقيق الأهداف ، وفرض الشخصية .

منذ اليوم الأول للزواج يسعى كلا الزوجين لاجتياز التجربة بنجاح ، ولما كان الزواج كأي علاقة اجتماعية بين اثنين مشحونا باختلاف ارادتين ورغبتين ، ظهر الاختلاف الحقيقي بين شخصين يتباينان في التفكير وفي وزن الأمور مع وقوع أول خصام .

يقول عبد المنعم الزيادي في كتابه الزواج السعيد : « ان للذكاء دورا رئيسيا في التغلب على كثير من المشاكل ، وتسيير أمور الحياة بشكل هادىء وطبيعي » ، وهو يحمل المسئولية للمرأة قبل الرجل لأنها مدرسة تربي عناصر اجتماعية ، وتعلمها وتؤهلها لتكون بناءة أو هدامة .

لابد لنجاح الحياة الزوجية من امرأة ذكية واعية ، توظف كل طاقتها لصالح زوجها وأبنائها قبل نفسها ، وتعرف متى تتحدث ، ومتى تلتزم الصمت ، ولا تفوتها صغيرة أو كبيرة مما يدور حولها ، فليس صحيحا أن الرجل يتضايق من ذكاء المرأة ، ومن قدرتها على



تصريف أمورها ، اللهم الا اذا كان هو نفسه ضعيف الشخصية ، فالرجل يسره أن يتفاخر بأن له زوجة ذكية ، طالما أنها توظف ذكاءها لصالحه ، وليس لصالح أنانيتها ، وتشعره - على الرغم من كل ماتتمتع به من ذكاء - أنها غير قادرة على الاستغناء عنه . انتهى رأي الزيادي في كتابه (همسات وأقاويل) .

كثير من الناس يتدخلون في هذا الأمر ، ويتحدثون،لكن لا أحد يستسيغ أن تدير امرأة بيتها بعقلها ، ولاأحد يتفهم كيف يمكن لزوجة أن تعيد صياغة أسلوب زوجها وسلوكه .

همسات وأقاويل :

خلف جدران وأبواب مغلقة كانت همسات وتعليقات ترصد وتتحدث :

الجارة : انها امرأة متسلطة قوية ، تعرف كيف تأخذ حقها كاملا ، لتصل الى هدفها .

أم الزوج : مسكين ابني ، لم أكن أدري أنه بهذه السلبية ، فهو لايعترض أبدا ، بل يرضى بكل ما تقوله زوجته أو تفعله .

شقيقة الزوج : لم أر في حياتي رجلا ضعيف الشخصية أمام زوجته مثل أخي ، لو كنت أعرف ماذا تعمل له لاتبعت أسلوبها في ترويض زوجي .

أخت الزوجة : لاأدري لم تحمل اختي نفسها هذا الحمل الثقيل ؟ ليتها ترحم نفسها وتتركه وشأنه يفعل ما يشاء .

خادمة في بيت : مسكينة سيدتي ، كيف تحتمل هذه التصرفات ؟ وكيف تقدر أن تسيطر على أعصابها ؟ كل هذا من أجل بيت هادىء ؟!

صديق الزوج : لقد تغير صديقي منذ اللحظة الأولى لزواجه ، فهو لم يعد يسهر معنا ، أعتقد أنه لايخرج دون استئذان ، بل لعله يطلب منها مصروفه كما لو كان طفلا في روضة .

لايغمض المجتمع عينيه أبدا ، ولايغلق فمه ، ولايكف عن الحديث ، بل تنهال اتهامات وأقاويل عن جبروت أحد الطرفين وسيطرته ، وضعف طرف آخر ، لكن الحقيقة لاتزال ضائعة .

في أحد المنازل الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل ، يدخل الزوج بيته دونما مبالاة أو اهتمام ، فيغلق الباب ثم يرى وجه زوجته من بعيد ، قابعة في أحد أركان المنزل ، ويستعد لسماع أسطوانة اعتاد سماعها كل يوم في مثل هذا الوقت . في منزل آخر تتعالى أصوات أصدقاء الزوج في هرج ومرج ، تارة يصرخون لفوز في لعب الورق ، وتارة أخرى يقهقهون لدعابة ما ، وهي قابعة في المطبخ ، تقدم لهم الشاي ، والقهوة ، وكل ما قد يلزم هذه السهرة . في منزل ثالث تصرخ الزوجة كل يوم بسبب زيارات زوجها المتكررة لمنزل والده دون أن يصحبها معه ، تؤكد له في كل مرة أنها زوجته ، ومن حقها عليه أن يمنحها بعضا من اهتمام يعطيه لأهله واخوته .

في منزل آخر زوج يقدم كل ما يصل اليه من أموال لأهله ، فهو يدفع لهم بسخاء متناسيا واجباته تجاه منزله ، وان ثارت الزوجة أو نصحته اتهمها بالانانية والمادية .

ما الذي يحدث في كل منزل من هذه المنازل ، اذا كان الرجل يعتقد أنه حر في تصرفاته ، وليس لأحد الحق في السيطرة على سلوكه ، أو محاولة التدخل في كل صغيرة وكبيرة ؟ واذا كانت المرأة ترى أن هذا انتقاص من قدرها ، وهضم لحقوقها ، فهل يعني هذا استمرار الخلافات لنفس الأسباب ؟



ان هذا لن يجدي بل قد يريد من حدة الخلافات ، مما يحدو بالرجل والمرأة للهروب من هذا القفص الذهبي ، بعيدا عن المشاكل ، وجو التوتر ، والمشاحنات . الدكتورة سهام أبو عيطة الاستاذة في كلية التربية بجامعة الكويت تقول رأيها في هذا الصدد « ان المرأة الذكية الناجحة في حياتها الزوجية ، التي استطاعت أن تتغلب على كثير من مشاكلها دون ضجيج ، امرأة توجه لها اصابع الاتهام ، وتنعتها بالقوة والتسلط ، ولن يقف الأمر عند هذا الحد ، بل توجه الى زوجها وتتهمه بالسلبية وضعف الشخصية . لكنني أرى - من وجهة نظر شخصية - أن المرأة هي سكن الرجل ، فاذا ما استطاعت أن تفهم أبعاد شخصيته ، وكانت لها المواصفات التي يحلم بها ، تتمتع بقدر وفير من الشفافية ، قادرة على معاونة زوجها في اختيار قرارات حياتها ، دون أن تشعره بأي تسلط أو عناد أو تحد من جانبها ، وتشعره - في كل لحظة من لحظات الحياة - أنه الأفضل والأقوى والأذكى ، فهي امرأة قادرة على تصريف

أمور حياتها بنجاح . ولما كان هـذا النجاح صعب التحقيق ، فقد اقتصر على الفئة التي تتصف بالذكاء والوعي في المجتمع ، مما يشكل ـ بدوره ـ غيرة عند هؤلاء اللواتي لايجدن فن التعامل في الحياة الزوجية .

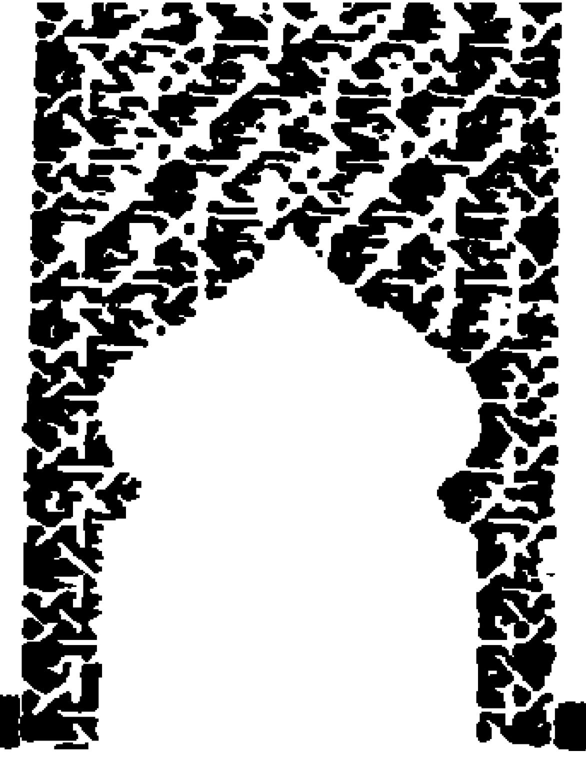
فالزوج الذي اعتاد أن يزور أهله كل يوم ، أو هذا الذي لايتوانى لحظة عن دفع كل ما يطلب منه ، من مبالغ ضرورية وغير ضرورية ، يمكن بأسلوب من الود والتفاهم ، وبعيدا عن الالزام ـ خلق شعور لديه بضرورة متابعة الأولاد مثلا ، أو الاهتمام بمذاكرتهم ، و تكليفه بجلب بعض الاحتياجات الهامة للمنزل ،وان مثل هـذه الالتزامات من شأنها زيادة ارتباطه بالاسرة والبيت ، وهو سيؤديها بمنتهى الرضا والسعادة ، مع مراعاة عدم تعدي الحدود الطبيعية ، وتقاليد المجتمع .

للزوجة الذكية دور بارز في تخليص زوجها من عادة السهر المتكرر كل يوم داخل المنزل أو خارجه بأسلوب هادىء بعيد عن الثورات العصبية ، أما اذا شعرت الزوجة باستحالة القضاء على هذه العادة فعليها تقع مسئولية تهيئة الجو في المنزل ، بحيث تخلق رغبة في زوجها للبقاء في هذا البيت لمدة أطول ، وقد يمل الزوج ـ مع الوقت وعلى المدى الطويل ـ السهرات مع الاصدقاء .

ان كل ما يتم بين الزوجين من خلافات ، ومعارك باردة ، امر طبيعي في بداية الحياة الزوجية ، وذلك بسبب وجود مفاهيم خاطئة مكتسبة من بيئتين مختلفتين ، سرعان ما تبدد كل هذه الخلافات بعد أن يندمج كل منهما في شخصية الاخر . فالحقيقة أنه لايوجد رجل بامكانه احترام المرأة والاستمرار في حبها اذا كانت لاتتمتع بأي قدر ـ ولو ضئيل من الذكاء ، حتى لو جذبه اليها جمالها ، فهو لايلبث أن يملها اذا فشل في مخاطبة عقلها ، والمرأة القوية الشخصية قادرة على حسم الأمور والتغلب على المصاعب التي تعترضها في سبيل تحقيق ما تصبو اليه .

تنهي الدكتورة أبو عيطة حديثها قائلة : ان للنشأة الاجتماعية دورا بارزا في المحافظة على الحياة الزوجية ، فالمجتمعات المحافظة عادة ما تعزز فكرة المسايرة الاجتماعية بخاصة لدى الاناث . فالمرأة تربى على الخضوع والاستسلام ، وللرجل ـ عادة ـ دور مخالف هو دور الامر الناهي ، وبالتالي تختلف التوقعات ، ويلعب كل من الذكر والأنثى دورين مختلفين في حياتهما الزوجية ، لدرجة أنه يعاب على المرأة الاعتراض حتى لو تزوج زوجها عليها . أما في المجتمع الحديث فالأمر يختلف على الأخص عندما تنادي المرأة بمساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات ، فهنا تصبح الحياة شركة يتساوى فيها كل من الزوج والزوجة بحكم التربية والقانون . هذا هو رأي المرأة وتصورها لحقيقة الحياة الزوجية ، لكن ماذا يقول الرجل عن المرأة ؟

يقول الدكتور قاسم الصراف استاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت : ان للتصرف الحكيم دورا بارزا في حل المشاكل ومسك زمام الأمور . وهنا يأتي دور المرأة ، لكن أية امرأة ؟ انها المرأة الواعية الذكية التي تتمتع بقدر واف من قوة الشخصية بحيث تنتزع احترام الاخرين لها ، الأمر الذي يجعل كل من حولها يوافقها في الرأي ، ويتأثر بأفكارها ، وسلوكها ، فوجود صراعات وخلافات في بداية الحياة الزوجية أمر طبيعي ، لعدة أسباب منها أن الزوجين عادة ينتميان الى فئة الشباب التي مازالت تتهرب من تحمل المسئولية الزوجية ، لقلة الخبرة وعدم النضج ، والحياة الزوجية تتطلب نوعا من التكيف النفسي مع معطيات الحياة الجديدة ، وهذا التكيف يعني تنازل كل منهما عن نمط حياته قبل الزواج جزئيا ان لم يكن كليا في سبيل ارضاء الطرف الاخر ، أما اذا تمسك الزوجان



بما اعتادا عليه قبل الزواج - كهذا الرجل الذي اعتاد السهر خارج المنزل أو داخله مع مجموعة من أصدقائه - فان الاصطدام واقع لامحالة ، نظرا لاختلاف الميول والاهتمامات والمواقف والعادات والاتجاهات والأمزجة ، لذلك فان الشباب في مرحلة ماقبل الزواج بحاجة الى الارشاد النفسي ، والتوجيه الصحيح ، للتغلب على المشاكل النفسية الطارئة .

القوة والضعف :

ويواصل الدكتور الصراف حديثه في تشخيص المشكلة فيقول :

ان فترة التعرف الحقيقي بين الزوجين تبدأ بعد الزواج ، حيث تنتهي فترة المجاملة ، ويبدأ كل منهما في محاولة التعرف على مواضع القوة والضعف لدى الآخر ، وبالتالي يحسب لذلك ألف حساب ، فيبدأ الصراع هنا بين الزوجين ، كل طرف يحاول بطريقته الخاصة فرض سيطرته على الآخر ، وقد تؤدي المعركة الى انفصال ، أو قد يحاول كل منهما أن يقنع الآخر بوجهة نظره دون التنازل عن رأيه ، وأيا كانت الأسباب فالمواجهة أول اختبار حقيقي لقدرة الزوجين على التعايش ، والتكيف مع الحياة الجديدة .

قد تشعر المرأة أنها غير قادرة - مثلا - على أن تجعل زوجها - بين عشية وضحاها - كريما ، وهو الذي عاش أكثر من ثلاثين عاما يخشى على أمواله ، ويفكر ألف مرة قبل أن يبددها ، ولا تستطيع أن تجعله اجتماعيا يحب الناس ، والاختلاط بالمجتمع ، وهو رجل انطوائي ، اعتاد البقاء في المنزل اطول فترة ممكنة ، انها اذا أرادت تغيير الحال فعليها التحلي بالصبر أولا كما يجب أن تعلم أن تغيير عادة استمرت مع الزوج عمره كله لن تذهب أو تتلاشى بالسرعة التي تتوقعها ، وعلى الزوجة أن تشعره أنها تفعل هذا من اجله ومن أجل وضعه الاجتماعي ، وليس لأنها انسانة مادية تحب المال ، أو لأنها تحب السهر والناس والحفلات ، فالرجل عنيد ، وأسلوب السيطرة والفرض يزيد من عناده ، ومن تمسكه بآرائه وتصرفاته .

ان عمليات اختبارات القوى هذه ليست جديدة ، انما وجدت منذ وجد آدم وحواء ، حينما حاولا أن يعيشا في الجنة ، لكنهما اختلفا في الرأي والمشورة ، فماذا كانت النتيجة .؟

ولعل الاسطورة التاريخية التي تقول بأن المرأة هي نصف الرجل ، وعند الزواج يكمل الرجل نصفه الآخر فيهاشيء من الحقيقة ، وعملية المزاوجة بين النصفين ليست سهلة دائما ، لأن كل نصف يعتبر غريبا عن النصف الآخر .

للرجل رأي :

يقول الدكتور الصراف : ان ما اريد قوله بصراحة ووضوح أنه على عاتق المرأة تقع المسئولية الكبرى ، فيجب أن تكون واعية ، تتصرف بحكمة وعقلانية حين يستدعي الموقف ذلك ، وتعطي لكل موقف حقه من الاهتمام ، وتضع الأمور في نصابها الصحيح ، دونما تجنٍّ أو خلط في الأوراق ، ليتوفر جو الود والتفاهم بينها وبين زوجها ، فالزوجة التي تثير زوبعة عنيفة كلما صدر من زوجها تصرف لايلقى استحسانها - قطعا - مخطئة ، اذ عليها مجاراة الأمور دون السماح لعواطفها الجياشة بالتغلب على عقلها .

لكنها تستطيع :

قدر من الذكاء والصبر ، وقدر من نقاش لأفكار السيطرة والتسلط ، ومساحة حوار لتلاقي الأفكار تجعل المرأة تستطيع أن تقود سفينة الحياة ، وتحافظ على بيتها رغم كل الظروف ، والمرأة قادرة - أيضا - على أن تطمس معالم العبقرية عند زوجها ، أو أن تظهرها . □

مساحة ود

بحثاً عن حلم

جاء إليّ يودعني قبل سفره بساعات، في يده كتاب وجرائد وحقيبة صغيرة ، لم أشأ أن أعود به إلى حوارات طويلة دارت بيننا ، فقد كان قراره نهائيا ، وإرادته جازمة فيما يتعلق بالسفر ، أنهى كل ارتباطاته ، وظل طويلا ينتظر موافقة إدارة الهجرة الأمريكية ، وبعد أن وصلت إليه الموافقة بأيام قلائل حجز تذكرة سفر ، وحزم حقائبه ، وبدأ في وداع أهله وأصدقائه ومعارفه ، ولم أستطع أن أخلص نفسي من مشاعر الأسى التي انتابتني تجاهه ، فهو مهندس نابه ، يعشق مهنته ، وفي قمة سن العطاء والعمل ، دمث الأخلاق ، مهذب ، مجامل ، لكن تسيطر على عقله فكرة واحدة ، ويملأ حياته حلم أوحد ، وهو أن يصبح من أصحاب الملايين ، عمل فترة بعد تخرجه بالحكومة ، فوجد الطريق طويلا ، فترك العمل بالحكومة ، وعمل في القطاع الحر .

اكتشف أنه لن يستطيع أن يفرض أسعار خدماته كما يشاء لكي يصل إلى رقم المليون ، جرب كل الطرق ـ القانونية بالطبع ـ لكنها جميعا لم توصله إلى شيء ، فحزم إرادته ، واتخذ قرارا بالسفر إلى أمريكا ، بلد العجائب والملايين والثروات ، واشترى نسخة من كتاب « كيف تصبح مليونيرا ؟ » وحفظه عن ظهر قلب . دارت ـ وقتئذ ـ بيني وبينه مناقشات طويلة ، حاولت أن أقول له إن أمريكا والغرب ـ بشكل عام ـ لا يصنعان أصحاب الملايين ، وإن عصر الطموحات والانتصارات الفردية قد انتهى ، وإن في الغرب أناسا فقراء أكثر فقرا مما نتخيل أو نتصور ، وإن الحياة هناك ليست كما نراها في أفلام السينما ، حدائق وبيوتا رائعة ، ووجوها مبتسمة دائما ، ونساء جميلات ، وثروة طائلة ، إن خلف حضارة الغرب ـ مهما كان رأينا فيها أو ملاحظاتنا عليها ـ تكمن قيم أساسية ، وضمن تلك القيم تكمن قيمة العمل ، وضرورته كمحور أساسي ، والعمل وحده هو الذي يكفل لصاحبه حياة أفضل ، ومكانة اجتماعية طيبة ، أما حلم الثراء الحاد فهو يقتل صاحبه ، فالمال كالماء المالح ، لا يروي عطشا ، ولا يطفيء غليلا ، لكن الأحلام البسيطة التي تولدها قيم حقيقية أصيلة هي التي تمنحنا سلاما وراحة وطمأنينة لن تجدها أبدا في مهجرك . لم يسمع مني ، وها هو قد أتى كي يودعني ، ويذهب حاملا الكتاب السحري الذي أفسد حياته ، إنه على أمل أن يحقق مستحيلا .

محمود عبدالوهاب

المضادات الحيوية

سلاح ذو حدين

إعداد : وفاء طه ناجي

يلجأ كثير من المرضى إلى استخدام المضادات الحيوية في العلاج ، دون استشارة طبيب . والأمر غاية في الخطورة ، فقد يؤدي إلى ظهور « ميكروبات » جديدة مقاومة للمضادات ، وقد يصبح العلماء - في المستقبل القريب - في مواجهة « ميكروبات » لا تموت . .

يعتبر مركب السلفا بداية الانجازات الهامة في عالم المضادات الحيوية الواسع . إذ أمكن عن طريقه القضاء على أمراض كثيرة مستعصية في وقت اكتشافه . كان ذلك في عام ١٩٣٥م ، وبعد ذلك بحوالي خمسة أعوام توصل « فلمنج بنسلين » إلى اكتشاف نوع من المضاد الحيوي ذي مفعول قوي في القضاء على كثير من البكتريا التي لم تتأثر بمركبات السلفا بصورة حاسمة ، ذلك النوع الذي عرف فيما بعد باسم « البنسلين » . ثم توالت اكتشافات عديدة لأنواع أخرى من المضادات الحيوية التي كانت تسهم إسهاما فعالا بارزا في معالجة أمراض كثيرة .

وفي بداية السبعينيات بدأت مرحلة جديدة من حياة المضادات الحيوية ، حيث ظهرت أنواع جديدة من الأمراض بسبب « ميكروبات » مقاومة للعلاج بالمضادات الحيوية ، مثل مرض الزهري والسيلان ، تلك التي ثبت أن نسبة عالية من حالاتها مقاومة للعلاج بالنسلين .

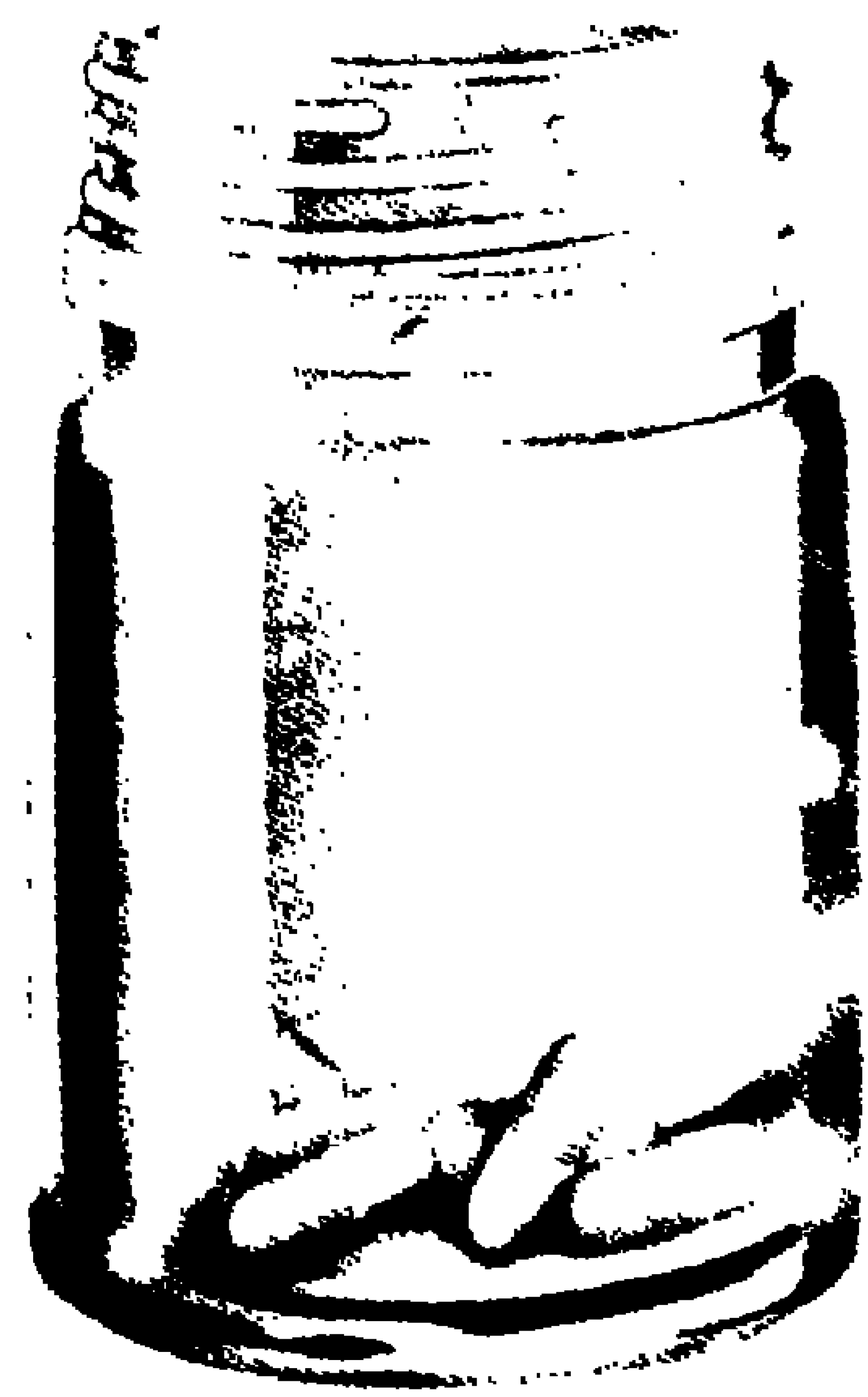
وأصبح الأمر أكثر خطورة في بداية الثمانينيات ، عندما انتشرت بين الأطفال في بعض بلدان العالم الاصابة بنوع من الالتهابات الحادة في الحلق أو الجلد التي غالبا ما تؤدي إلى تسمم الدم ، وقد ارتفعت نسبة الوفاة بين الأطفال المصابين رغم علاجهم بالبنسلين ، مما جعل العلماء يهتمون بأسباب ذلك ، حتى لا يتهددنا جميعا خطر « الميكروبات » المتطاولة .

ما هو المضاد الحيوي ؟

كيف نحمي أنفسنا وصغارنا من ذلك الخطر ؟

وما هو المضاد الحيوي ، وكيف يعمل ؟

للاجابة عن ذلك التقى « البيت العربي » بالدكتور محمد مهدي ، الطبيب الاختصاصي في أمراض



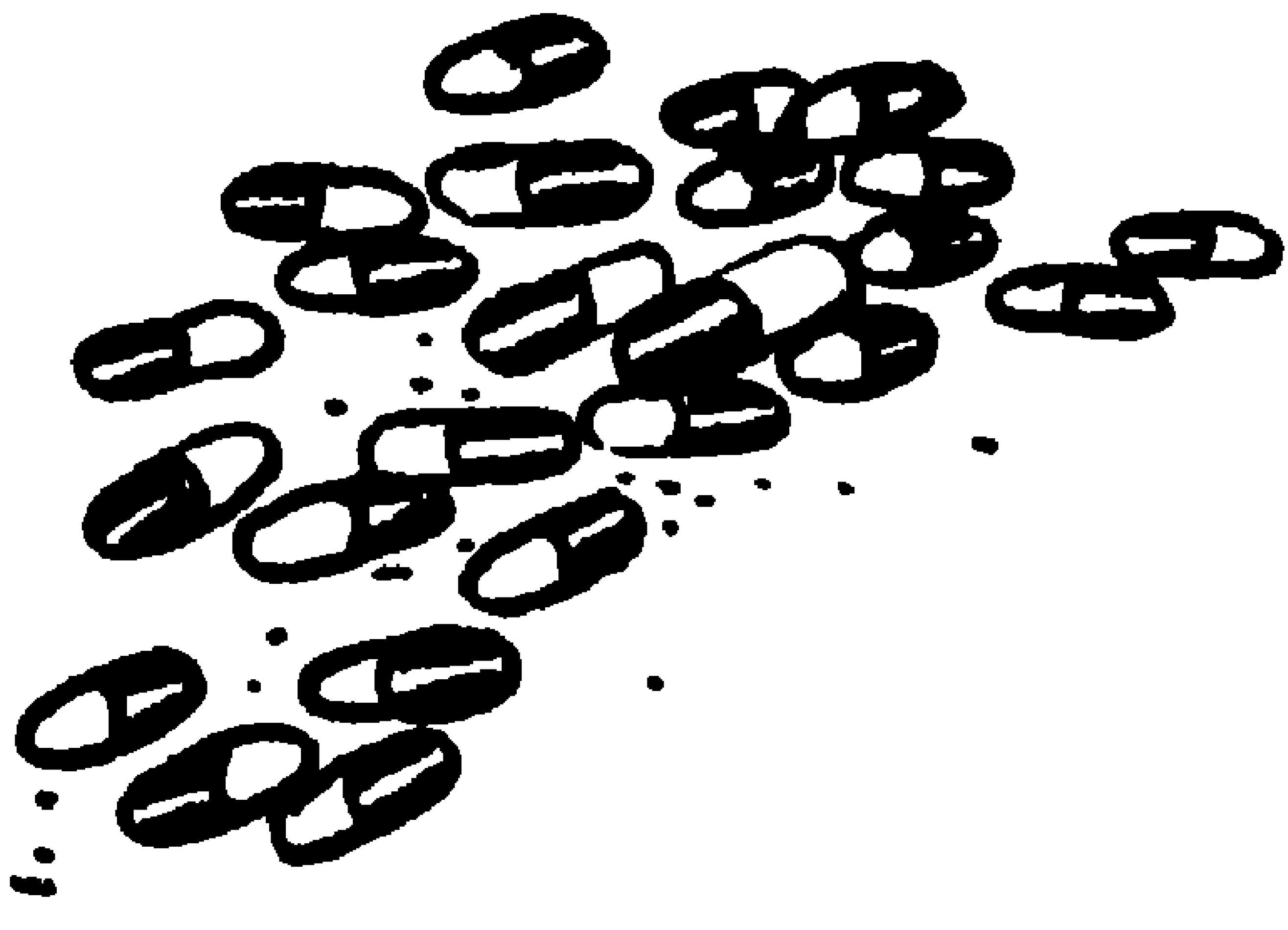
الأطفال ، في احد مستوصفات الكويت . فقال :

« في البداية أحب أن أوضح الوظيفة الأساسية للمضاد الحيوي في الجسم ، وهي تنقسم إلى قسمين حسب نوع المضاد نفسه ، فبعض أنواعه يقوم بوقف نشاط الخلية « البكترية » ، ويمنع تكاثرها ، وهو ما يساعد في القضاء عليها ، مثال ذلك مركبات السلفا ، وبعضها يقضي على « البكتريا » نهائيا ، إما عن طريق التأثير على جدار خليتها ، أو بالتسبب في انتفاخ خليتها وانفجارها ، أو بمنع تكوين مادة البروتين داخل خليتها ، والمضادات الحيوية كثيرة ، منها البنسلين ، والتراسيكلين ، والكورانفنيكول . ولما كان لهذه المركبات جميعا تأثير على الوظائف الحيوية لخلية « البكتريا » سميت « المضادات الحيوية » .

متى يتناول المريض المضاد الحيوي ؟

يقول د. مهدي : ليس لأي مريض تحديد نوع العلاج الذي يتناوله دون الرجوع إلى الطبيب ، وإذا كان المريض يتناول « الاسبرين » عندما يشعر بصداع مثلا فالأمر يختلف عند تناوله للمضاد الحيوي ، فعندما يقرر الطبيب العلاج بالمضاد الحيوي فإنه يضع في الحسبان عمر المريض ، ومدى شدة المرض ، وكفاءة الكليتين ، والكبد ، وهي - كما نرى - أمور لايقررها إلا الطبيب الاختصاصي الذي تقع عليه مسئولية اختيار المضاد الحيوي المناسب ، وتقدير الجرعة ، ومدة العلاج اللازمة .

أما الالتزام بزمن محدد في تناول المضاد الحيوي فهو من أجل المحافظة على وجوده في الدم عند مستوى معين ، يكون له تأثير حاسم على « الميكروب » ، فعندما يبدأ مستوى المضاد الحيوي في الانخفاض في الساعات الأخيرة من زمن الجرعة ، ترفع الجرعة التالية هذا المستوى مرة أخرى إلى الحد المطلوب ، مثال ذلك أنواع « البنسلين » التي يبدأ مفعولها بسرعة ، ويستمر لمدة ثماني ساعات ثم يتلاشى المفعول في آخر تلك المدة، لذا وجب اعطاؤ ها كل ٦ ساعات ، وهناك أنواع تعطى للمريض كل ١٢ ساعة ، لأنها ذات فعالية تستمر أكثر من ١٢ ساعة ، وهناك أيضا مضادات حيوية يظل مفعولها ساريا لمدة أسبوعين أو ثلاثة ، مثل « البنسلين » الطويل



المفعول . والمهم هو أن يلتزم المريض بإرشاد الطبيب ، ولا يقدم على تناول مضاد حيوي من تلقاء نفسه ، بل يلجأ إلى أصحاب الاختصاص عند شعوره بأعراض أي مرض .

ارتفاع درجة الحرارة واستعمال المضاد الحيوي

ويواصل الدكتور مهدي حديثه قائلا :

« للأسف الشديد أن هناك سوء استخدام للمضاد الحيوي ، يصل في كثير من الأحيان إلى درجة الخطورة ، فالبعض يتناوله عند شعوره بأي أعراض مرضية ، وبخاصة عند ارتفاع درجة الحرارة ، وقبل استشارة الطبيب ، ظنا منه أن هذه الحالة مشابهة لحالة مرضية سابقة ، قرر لها الطبيب العلاج بالمضاد الحيوي ، ويكون هذا الأمر خطيرا جدا إذا كان المريض طفلا صغيرا ، فارتفاع الحرارة قد ينتج عن أسباب كثيرة ليس للمضادات الحيوية دور في علاجها ، وقد يكون ارتفاع درجة الحرارة نتيجة نقص سوائل الجسم ، أو نتيجة التعرض للشمس فترة طويلة ، أو لكون المريض في مرحلة الحضانة لبعض الأمراض التي تحتاج نوعا مختلفا من العلاج . لذلك يجب الاكتفاء بمخفضات الحرارة العادية كالكمادات وتناول « الاسبرين » إلى حين الذهاب إلى الطبيب ، فمعظم الأمراض الفيروسية لا تتأثر بالمضاد الحيوي .

الأعراض الجانبية للمضادات الحيوية

وعن الأعراض الجانبية للمضادات الحيوية يحدثنا د. ملهم حكم من مستوصف عبدالله السالم فيقول :

« هناك ملايين من الذين كتب الله لهم الشفاء نتيجة استعمال المضادات الحيوية ، كما أن هناك كثيرا من المرضى يتعرضون لمشكلات جديدة بسبب استعمالها ، نتيجة لاصابتهم بحساسية شديدة من تناولهم مركبات السلفا أو البنسلين ، وهؤلاء يجب عليهم التوقف عن تناول المضادات الحيوية فور ظهور أعراض الحساسية .

وللحساسية مظاهر عديدة منها الهبوط المفاجىء ، أو الحكة الجلدية ، أو « الارتيكاريا » ، وهؤلاء المرضى يمنعون من استخدام هذا المضاد الحيوي طول العمر ، ونصيحتي للمصابين - أساسا - بأمراض الحساسية الأخرى أن يكون استخدامهم لتلك المركبات تحت إشراف طبيب » . ويتابع حديثه قائلا : « هناك أيضا أنواع من المضادات الحيوية لها تأثير على كريات الدم مثل « التراسيكلين » و « الكورافنيكول » ، وقد يؤدي استعمالها إلى عيوب خلقية في الجنين ، وبخاصة خلال الأشهر الأولى من الحمل ، لذا يحظر استخدامها في علاج الحامل . ويتحتم إجراء فحوص دورية للدم إذا لزم استمرار استعمالها لمدة طويلة .

ويسأل البيت العربي : يشكو كثير من المرضى من أن الاستجابة للعلاج تنخفض لديهم بتناولهم مضادا

حيويا معينا في كل مرة يصيبهم فيها المرض . ما مدى صحة ذلك وما السبب ؟

فيجيب د. ملهم قائلا : إن السبب في ذلك يرجع إلى أن « الميكروب » الذي لا يموت نهائيا رغم استعمال المضاد الحيوي يستعيد نشاطه ، ويكتسب مناعة ضد المضاد الحيوي الذي تناوله المريض ، وينتج ذلك عن سوء استعمال المضاد نفسه ، مثل تقليل الجرعة عن المطلوب ، أو عدم الالتزام بالمواعيد الخاصة بتناول الجرعة ، أو التوقف عن تناول العلاج قبل انتهاء المدة التي قررها الطبيب ، أو استخدام مضاد حيوي انتهت صلاحيته .

أهمية إرشادات الطبيب

ويسأل البيت العربي : ما هو الاستخدام الأمثل للمضادات الحيوية ؟

ويجيب الدكتور ملهم مؤكدا في البداية على أهمية أن يترك للطبيب وحده اختيار نوع المضاد المناسب ، وتحديد الجرعة ، وفترة العلاج ، ويتابع حديثه فيقول : على المريض بعد ذلك أن يتبع تعليمات الطبيب بمنتهى الدقة ، فإذا لم يلاحظ تحسنا واضحا في حالته رغم الالتزام بتعليمات العلاج عليه أن يراجع الطبيب ، ويخبره بذلك ، والطبيب هو الذي يقرر ، إما زيادة الجرعة ، أو تكرار العلاج ، أو التحول إلى نوع آخر من المضادات الحيوية . وأحب أن أؤكد أن استبدال مضاد حيوي بآخر أمر غاية في الخطورة ، ويجب ألاّ يقدم عليه المريض .

ويختم حديثه قائلا : شيء آخر هام أود التأكيد عليه وهو ضرورة الاستمرار في تناول العلاج حتى نهايته ، برغم تحسن حالة المريض ، وذلك خوفا من تكوّن مناعة لدى بعض « الميكروبات » ضد الدواء ، أو حدوث نكسة للمريض ، كما يجب التأكد من صلاحية المضاد الحيوي للاستعمال ، وضرورة المحافظة عليه بعيدا عن الحرارة وبعيدا عن أيدي الصغار .□

●

قبعات ثلاث

● تزوجت إحدى السيدات الانجليزيات رجلا تجاوز العقد الخامس من عمره ، فلما دخل الرجل منزلها رأى ثلاث قبعات معلقة ، فلما سألها عن تلك القبعات قالت : هذه قبعة زوجي الأول الذي مات غرقا ، وهذه قبعة زوجي الثاني الذي مات محترقا ، أما هذه فهي قبعة زوجي الذي مات مقتولا ، فنزع الرجل قبعته عن رأسه وقال لها : خذي هذه القبعة وقولي هذه قبعة زوجي الذي هرب بجلده .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□



هو..

خوفاً على ابنتي!

● لن اتركه يفسد مستقبل ابنتي ، يكفي أن حظي قد تعثر معه ، وتكفي آراؤه وطريقة حياته ، ومبادئه التي ضيقت علينا الحياة ، رغم أنه كان يستطيع أن يجعل ايامنا رغدا وهناء .

ثلاثون عاما هي عمر حياتنا معا ، بدأنا من الحد الأدنى زوجين خريجي جامعة ، كانت تربطنا علاقة طيبة واهتمام مشترك ، بدأنا الحياة نبني معا ، نتعثر حينا ، ننطلق حينا ، نفشل احيانا ، ننجح احيانا اخرى ، ورزقنا الله ببنت وولد ، ورغم أن الصورة من خارجها رقيقة ناعمة الا أن داخلها كان مليئا بأشياء كثيرة ، فالحياة ليست ناعمة والمطالب تزداد ، والأحلام تكبر والطموحات تشتد ، والأماني في تحقيق حياة أفضل لابنيا تلح علينا وتضغط على أعصابنا .

حاولت معه كثيرا كي يقبل البحث عن عمل بعد الظهر لكنه رفض ، في زمن مضى كان يرفض لأنه يريد أن يقرأ ويسمع الموسيقا ، ويجلس في البيت ، فابنانا كما يقول يحتاجان إليه ، ولابد أن يكون أمامهما ، وبعد ان كبرا صار يرفض لأن مركزه في عمله لا يسمح له بذلك ، فأقول له ان كثيرا من العملاء الذين يترددون عليه قد عرضوا عليه العمل معهم بعد الظهر لكنه يتشنج ويرفض ويقول : ان هذا العمل رشوة مقنعة ، وانه مهانة له وتحايل رخيص عليه ، قبلت ورضيت باتهاماته لي بأنني تغيرت ، وان ضغوط الحياة جعلتني اتنازل ، حتى تفجرت القنبلة التي يتوقعها كل أب وأم ، فقد تقدم شاب لخطبة ابنتي متعلم مثقف من اسرة طيبة ، لكنه لا يملك شيئا ، واسرته لا تملك الا جاها اجتماعيا اكتسبته من وظائف أفرادها وهم الأب والأخوة ، لم يكن الأمر بالنسبة لي يحتاج الى تفكير ، فرفضت على الفور ، فابنتي تستحق زوجا أفضل من هذا ، فقد رأيت زميلات وصديقات لها ، أقل حظا منها في الجمال والتربية يتزوجن من رجال أفضل ، ثم اننا لسنا مضطرتين - لا ابنتي ولا أنا - كي نقبل بزيجة تبدأ برحلة طويلة في البناء والكفاح والعمل ، فالوجوه الأخرى لكل المعاني اللفظية الجميلة التي يدعى بها زوجي هي الحرمان والاحباط والأحلام التي لا تتحقق ، وهذا كله ما عانيت منه أنا ، ولن أرضى لابنتي أن تقاسي مثله ولا ان تعانيه ، الكارثة ان زوجي وافق على الشاب ، بل تمسك به بحجة انه رجل مثقف ، ومن بيت طيب يمكن أن يطمئن في الاعتماد عليه ، وانه سيعامل ابنتنا بشكل متحضر ، لأن جذور تربيته ستجعله يصون ابنتنا وبيتها ، وأقول له ولكن هناك غيره من العائلات والاغنياء القادرين على اسعاد ابنتنا ، ثم ما فائدة معاملة طيبة وحرمان طويل لكنه يتشنج ويصرخ قائلا : دعيني احمي مستقبل ابنتي ، ولكنني لن استسلم .

هي



.. هي

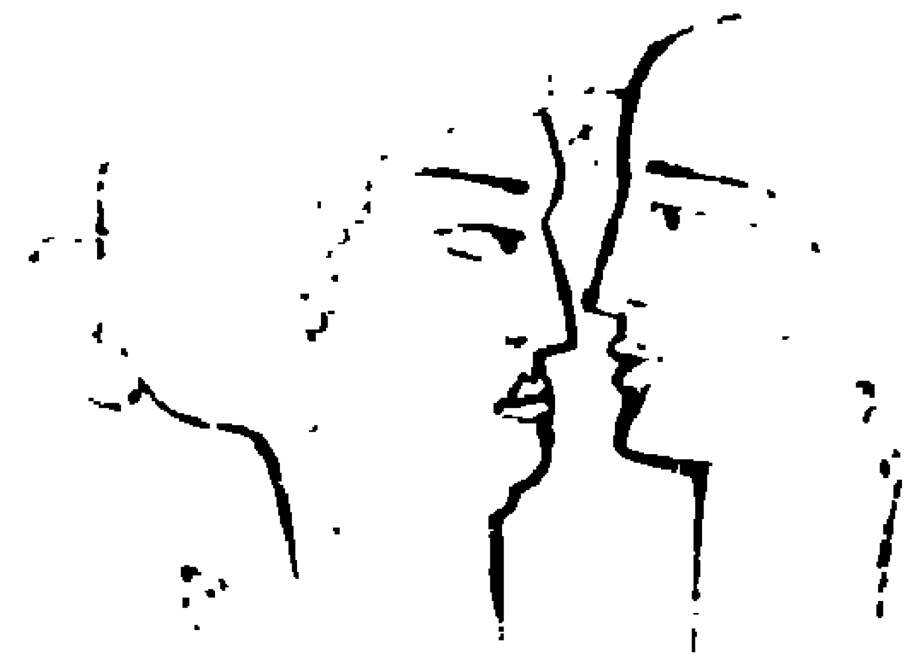
سياط الرغبات

● لا أدري ماذا أصابها ؟ كانت احلامنا أكثر اتساعا من ان يعكرها عبء الحياة ، وكانت أمانينا تقتصر على بيت هادىء صغير ، نجلس معا ، نقرأ ونحلم ونفكر ، وكان عهدنا الا تقتلنا طموحات الحياة فقد كان اتفاقنا أن نربي أبناءنا على كل ما هو جميل وراق ورائع ، والا يكون الزمان سببا في ان نعلم ابناءنا التساهل ، أو أن نشوه ذوقهم أو ان نجعلهم يقبلون عما يجب ان يرفضوه ، لكن سنوات حياتنا الطويلة شهدت منها تراجعات كثيرة ، فلم تقو على الصمود طويلا ، هزمتها امنيات أخفقت ، واحلام تلاشت ، ورغبات لم تتحقق .

وتفجرت غضبا عندما تقدم هذا الشاب لابنتنا ، واغمضت عينيها عن كل ما هو ايجابي وجيد وهام ، ولم تر الا كل ما هو سلبي من وجهة نظرها ، فهي ترى انه فقير واقول لها ان الفقر ليس عيبا ولا خطيئة ، وان هذا الشاب ليس فقيرا في الواقع فالفقر ليس قلة مال ، ثم مالنا نحن بحالته المادية ؟ ان الزواج ليس ضمانا بصك مصرفي ، فكم من اثرياء افلسوا وضاع مالهم أو بددوه ، فلم يبق لهم منه شيء ، والذي يجب ان نحرص عليه هو خلق الشاب وعقله ومعدنه ، فبهذا وحده يتحقق الضمان ، وبهذا وحده نوجد السند لابنتنا ، ألسنا نحن الذين نصنع المال ؟ لكن المال لا يصنع منا انسانا ، ثم اقول لها : هذه افكار ورؤ يا للحياة انقرضت ، ولم يعد الناس يرون الفقر سببا لرفض تزويج قليل المال ، لكنها لا ترى إلا صديقات ابنتنا اللاتي تزوجن سيارات فارهة ، وبيوتا وثيرة ، وتغمض عينيها عن اهم ما في الموضوع ، ان ابنتنا موافقة على هذا الشاب وتريده ، وهي على استعداد لأن تسير معه رحلة العمر بكل ما فيها .

ان ابنتنا لا تهتم بالملابس الغالية الثمن ، بل تعمد الى البساطة في الانتقاء ، ولا تطلب شيئا غير ضروري ، ولا تلح على شيء اذا طلبته وانها ابنتي ، هي ثمرة علاقتي بالدنيا ، فقد حاولت ان انقل اليها منذ نعومة اظفارها رؤ يتي للحياة ، وافكاري عن كل شيء فيها ، واصوغ عقلها بشكل يتواءم مع ما أؤ من به ، وأرى فيه انه المدخل الوحيد لكي يحصل الانسان على السلام والراحة الداخلية ، فلا يتعذب بسياط الطموح الحاد والرغبات المنهكة . . واحمد الله انني نجحت ، ولم تكتسب ابنتي من امها الا أدبها ورقتها وحنانها ، اما العقل وطريقة التفكير فهي مغايرة تماما فيهما ، ولذلك فلن اخشى من صيحات زوجتي وصراخها فمعي الورقة الرابحة .

هو



من الحياة

أين ولدي؟

بقلم: منير نصيف

عاشت له ، فلما فقدته أرادت أن تهب حياتها لكل الأطفال .. وعندهم وجدت السعادة التي كانت تبحث عنها .

مدت يدها الحنون تتحسس جبين الصغير الذي يرقد في فراشه قريبا منها ، ثم ما لبثت ان ارتدت الى الوراء مذعورة ، وهي تحاول أن تكتم صرخة كادت تفلت من شفتيها المرتجفتين ، لقد كان الصبي محموما .. اصابه برد الشتاء القاسي الذي يجيء بثلوجه في مثل هذه الأيام من كل عام .. وبحثت عن الدواء ، فلم تجد منه شيئا .. البيت الصغير الذي يقبع فوق قمة الجبل ، بدا هو الآخر وكأنه يئن تحت ثقل الثلوج التي تراكمت عليه ومن حوله ، فليس فيه اي شيء يمكن أن تشعله في المدفأة التي مضى عليها أكثر من أسبوع لم تشتعل فيها النار مرة واحدة ، وهي التي كانت لا تكف عن اشاعة الدفء في هذا البرد القاتل .. فهي لم تبرح البيت خلال الاسبوعين الأخيرين .. حتى الصغير .. ابنها الوحيد الذي عاشت له ومعه منذ سقط والده شهيداً في هذه الحرب المجنونة يرقد أمامها في هذه اللحظة ، لم يعد يذهب الى مدرسته .. فقد أغلقت المدارس في المدينة الجبلية الصغيرة التي ولدت وعاشت فيها مع أسرتها الكبيرة ، ثم أسرتها الصغيرة التي فقدت عائلها ..

واستبدت بها الحيرة والقلق ، وهي ترى ابنها يحترق تحت وطأة الحمى .. ماذا تفعل ؟ في البداية حاولت أن تستنجد بالجيران ، ولكنها لم تجد عند أحد منهم ما تبحث عنه .. استغاثت بالطبيب الوحيد الذي رفض أن يترك البلدة كما فعل زملاؤه هربا من قصف المدافع والقنابل ، ولكنها لم تجده ، فقد ذهب الى المستشفى الصغير الذي شيدوه في ميدان القتال الذي لايبعد كثيرا عنهم لاسعاف الجرحى والمصابين .. هكذا قالوا لها عندما اتصلت بهم هاتفيا من بيت جارتها العجوز ...

وعادت الأم الى حيرتها .. ولكنها في هذه المرة لم تطل ، وكانت ما تزال تقف هناك وسط غرفة جارتها التي كانت تتدثر بملابسها الثقيلة ، وتجلس بجوار المدفأة التي بدأت النيران تخبو فيها ، بعد أن أوشك



الوقود على النفاد ، وخطر لها أن تحمل ابنها وتأتى به الى هذا البيت الذى احست فيه ببعض الدفء . . ولكنها ما لبثت أن طردت الفكرة فورا من رأسها ، انه محموم ، والثلوج فى الخارج ما زالت تتساقط بكثرة ، وقد تسوء حالته . .

وتحدثت الجارة العجوز أخيرا « لماذا لا تذهبين أنت الى المستشفى ، انه لا يبعد كثيرا عنا . . وسوف تجدين ما تحتاجين اليه من دواء ووقود . . ان الرحلة شاقة فى هذا الوقت المتأخر من الليل . . ولكنك مازلت شابة وقوية . . اذهبى يا ابنتى والله يرعاك » .

ولم تنتظر لقد عادت الى بيتها مسرعة ، وأحكمت اغلاق الباب ، ووضعت جسمها المتعب داخل معطفها الثقيل ، وغطت رأسها لتقيها من الثلوج المتساقطة وذهبت . . .

كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ولكنها استطاعت أن تصل فى النهاية . . والتقت بالطبيب الشاب الذى كان يقف وسط المصابين يضمد لهم جراحهم ، وحصلت على ما تبحث عنه من دواء ووقود . . وقفلت راجعة ، ولكنها لم تكد تخطو بضع خطوات بعيدا عن المستشفى الصغير الذى دخلته منذ لحظات ، حتى عاد القصف يدوى من جديد بعنف وقوة . . وراحت تجرى بقدر ما أسعفتها ساقاها المتعبتان . . لم تحاول أن تتوقف مرة واحدة ، حتى وهى ترى القذائف تنطلق من حولها . . ولم تنظر

وراءها ، فقد كانت عيناها مسلطتين على الطريق الذى سلكته فى رحلة الذهاب . . انها الآن عائدة الى بيتها والى طفلها تحمل له الشفاء . .

واقتربت من البيت أو كادت . وفجأة وجدت نفسها تسقط على الأرض مغشيا عليها ، وهى لا تدرى ماذا أصابها . . ولاماذا حدث فى تلك اللحظات القصيرة التى مرت قبل سقوطها على الأرض . .

ولكنها لم تبق طويلا تحت الثلوج التى كادت تغطى كل جسمها . . لقد تحاملت على نفسها ، ووقفت على قدميها ، وراحت تنفض الثلج عن ملابسها ، وكانت ماتزال تحمل الدواء فى يدها وقد تشبثت به . . وبكل ما تبقى عندها من قوة ، راحت تكمل رحلتها الى البيت الذى تركت فيه منذ بضع ساعات مضت أعز وأغلى ما تملك فى هذه الحياة التى كانت صورها تتلاشى تدريجيا أمام عينيها . . .

ووصلت أخيرا . . ولكنها ماكادت تطل برأسها من فوق قمة التل القريب ، حتى صرخت فى رعب وفزع : (ابنى . . يا ابنى) .

فلم يكن هناك بيت . . وانما كان هناك مجرد آثار للبيت الذى كان . . لقد أصابت احدى القذائف البيت الصغير فدمرته ، وحولته الى حطام وركام . . حتى بيت جارتها العجوز لم يعد له أثر . . كل بناء صغير أو كبير دمرته قذيفة الموت ودفنت تحته ما بداخله من أحياء .

وراحت الأم تقترب من الحطام وتقترب ، حتى وجدت نفسها تجلس عليه . . وفى صوت حزين يخنقه الألم راحت تناديه . . وكانت فى كل مرة تنطق باسمه يخيل اليها انها سوف تسمعه وهو يرد عليها كما تعود أن يفعل دائما كلما غاب عن عينيها : (نعم يا امى . . انا قادم اليك) .

ولكنها لم تسمع شيئا . . كان زئير الريح وصوت



أوراق الشجر التى جفت تحت وطأة البرد وهى تصطدم بالأرض التى كستها الثلوج ، هو الشىء الوحيد الذى يملأ أذنيها فى هذا الخواء الذى يسيطر على المكان . . بقيت فى مكانها . . ومر يوم ويومان ، وهى هناك ترفض أن تتحرك . . كم تمنت خلال تلك الساعات الطويلة التى مرت بها لو أنها استطاعت أن تزيل هذه الأكوام من الركام والحطام بيديها ، لتصل الى حيث يرقد ابنها ؟

وجاءت فرق الانقاذ أخيرا ، وحملوا الأم المسكينة الى المستشفى ، لقد اصيبت بحالة هستيرية لم تعد قادرة معها على الحديث . . . كان الاسم الوحيد الذى لا تكف عن ترديده فى صحوها ونومها هو اسم ابنها الذى دفنته انقاض البيت الذى أطلق فيه صرخته الأولى ، واحتضنته طفلا وصبيا حتى بلغ الثانية عشرة من عمره .

وانقطعت صلتها بالناس ، وانقطع الناس عنها ، لا لأنهم لايريدون أن يروها ولكن لانهم لا يدرون اين ذهبت ، ولا ماذا حل بها ! .

وتمضى بضعة اشهر ، وتتماثل الأم للشفاء ، وتخرج من المستشفى ، فتستقل اول سيارة ، وتطلب الى السائق أن يذهب بها الى بلدتها الصغيرة فى الجبل . . الى البيت الذى يحتضن حطامه حبيبها الصغير . . وتصل وتقف أمام الأنقاض وتبكى . . ولكنها لا تلبث أن تعود الى السيارة بسرعة ، وكأنها

تذكرت شيئا مهما فاتها أن تأتي به معها . إنه الشاهد الذى يحمل اسمه ويوم مولده ويوم رحيله . . وتعود مرة اخرى وتثبت الشاهد فوق هذا القبر الكبير .

وتنطلق السيارة عائدة بها الى المدرسة التى أمضت فيها طفولتها ، وتخرجت فيها منذ أكثر من عشرين عاما . . وتتقدم الأم الى مديرة المدرسة ، وتطلب اليها الحاقها باحدى الوظائف الخالية . (لقد حصلت على درجة لا بأس بها من التعليم تؤهلني لتدريس الأطفال . . المهم أن أكون قريبة منهم . . لقد فقدت طفلى الوحيد ، وأنا أريد أن أكون أما لكل الأطفال) . وتبدأ الأم عملها الجديد فى المدرسة ، ثم تمضى الأيام ، وهي ترى فى كل تلميذ من تلاميذها ، ابنها الذى فقدته . . كان كل واحد منهم يذكرها به ، وكانت تشعر بسعادة وهي قريبة منهم ، حتى انها كانت تتمنى أحيانا لو أن اليوم الدراسي لا ينتهي .

فقد كانت تعود الى وحدتها والى ذكرياتها الأليمة كلما أغلقت باب غرفتها عليها فى بيت المدرسات .

وتمضى الحرب المجنونة تقتل وتدمر . . أكثر من عشر سنوات كاملة انقضت والبلد الصغير يئن من جراحه التى لا تريد أن تلتئم . . ويضرب القتل والدمار من كل ركن . . من كل مدينة وبلدة صغيرة وكبيرة . .

وتسقط قنبلة على المدرسة التى جاءت الأم لترى ابنها فى كل ابن من تلاميذها . . وتصاب الأم بجراح خطيرة مع من اصيب من الأطفال الصغار . . وينقلون الى المستشفى . ويقوم فريق من الأطباء بالاشراف على اسعافهم وتضميد جروحهم ، ولكن حالة الأم تسوء ، لقد فقدت كمية كبيرة من الدم . وهي فى حاجة الى عملية نقل دم سريعة ، ويبحثون عن فصيلة دمها النادرة ولكنهم لا يجدونها . . وأخيرا يجدونها عند طبيب شاب تخرج لتوه ، ويتبرع الطبيب بدمه لانقاذ الأم المصابة .

وتبدأ الأم تستعيد قواها تدريجيا . . وتسأل عن الدم الذى نقل اليها ، ومن كان صاحبه . . ويأتى الطبيب الشاب ويقول : (أناهو يا سيدتى) وتتطلع الأم الى صاحب هذا الوجه الذى وقف أمامها يحدثها وتسأله عن اسمه وتصرخ الأم وتمد ذراعيها اليه وتصيح : (ابنى) .

ثم تذهب فى غيبوبة قصيرة ، حتى اذا ما عادت الى وعيها ، وجدته واقفا بجوار فراشها ، وقد أمسك بيدها وانحنى يلثمها بشفتيه ، وقد امتلأت عيناه بالدموع . .

ـ اين كنت . . ماذا حدث لك . . كيف نجوت من الموت ؟

ـ لا أدرى ، ولكننى عندمافتحت عينى بعد أن فارقتنى الحمى ، وجدت جارتنا العجوز الطيبة تجلس بجوار فراشي وتقدم لى الطعام ، لا تتصورى كم عانت المسكينة من أجل تعليمى وتربيتى . . . لا شك أنك تذكرين أنها كانت سيدة رقيقة الحال . . ولكنها مع هذا لم تدخر جهدا فى سبيل اسعادى . . لقد بحثت عنك طويلا ، ولما لم تعثر لك على أثر ، حملتنى الى بيت أحد أبنائها ، وعشنا معه هو وزوجته واطفاله . .

ـ وأين هى الان ؟

ـ لقد رحلت منذ عامين ، وكانت اخر كلماتها وهى تودعنى أن امضي فى البحث عنك . . كانت تقول لى دائما : (انت ابن لأم عظيمة يا بنى ، ابحث عنها ، لأننى أشعر أنها ما زالت حية)

وقبل أن ينتهى الابن من حديثه اقتربت فتاة جميلة من فراش الأم ، ورفعت يدها الى شفتيها لتطبع عليها قبلة . .

وسألت الأم : (ومن أنت يا عزيزتى ؟)

ولكنها لم تجب ، واقترب الابن من الفراش ليهمس فى اذنها ببضع كلمات ، ثم نظر الى الفتاة وقال : (أقدم لك حفيدة جارتنا العجوز . . انها ابنة الرجل الذى علمنى معنى الحب . . انها صديقة طفولتى ، وزميلتى وخطيبتى يا امى !!!) ☐

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

من وحي الشتاء

الدفء والدفايات

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

يحكم تأقلم الانسان مع بيئته ثلاثة عوامل رئيسية هي :

١ ـ درجة الحرارة .

٢ ـ الرطوبة النسبية .

٣ ـ حركة الهواء .

ودرجة الحرارة الأنسب لقناعة الانسان وراحته هي ما اقتربت من درجة حرارة جسمه ، وعلى الأخص درجة حرارة طبقة الجلد الخارجية ، إذ ان حرارة الجسم من الداخل تصل ما يقارب ٣٧ درجة مئوية أو ٩٨ درجة « فهرنهايت » ، أما حرارة طبقات الجلد الخارجية فهي تقارب ٢٥ درجة مئوية ، تزيد أو تقل قليلا ، من هنا كانت أنسب درجات الحرارة الجوية المريحة هي ما بين ٢٠ الى ٢٥ درجة مئوية ، فإذا ما ارتفعت درجة حرارة الجو أو انخفضت،تأقلم الجسم بما يملك من وسائل التأقلم ضمن حدود معينة .

أما الرطوبة النسبية فتعني ـ علميا ـ كمية بخار الماء العالق في الهواء ، وتعني ـ عمليا ـ نسبة كمية بخار الماء الذي يمكن أن يشبع الهواء عند درجة حرارة معينة ، حتى يمكن إتاحة الفرصة للغدد العرقية ، وتيار الدم في الجلد أن يؤديا دورهما الطبيعي في التأقلم ، والتغلب على تقلبات درجات الحرارة ، ولعل نسبة ٥٠ ـ ٦٠ بالمائة هي الأفضل لراحة الجسم ، باعتبار الرطوبة النسبية للجو .

وتتدخل حركة الهواء في عملية تأقلم الجسم مع الجو ، حيث يقوم الهواء بعمليات تبخير العرق في الجو

الحار ، ومن ثم يعمل على تبريد الجلد ، ثم تبريد تيار الدم الحار في طبقاته .

في فصل الشتاء المتميز بالبرودة في بلادنا تنخفض درجات الحرارة الى مستوى قد لا يطيقه الجسم ، ولا يقدر على التأقلم معه ، لهذا جاهد الانسان قديما لابتكار وسائل مصطنعة تعينه على اتقاء ما فشل الجسم في التغلب عليه ، فكانت الألبسة الصوفية ، والفراء ، والألحفة ، والدفايات بأنواعها . وهنا قد يحدونا البرد ولسعاته الى أن نطرح هذه القضية للنقاش ، ونرى ما لها ، وما عليها .

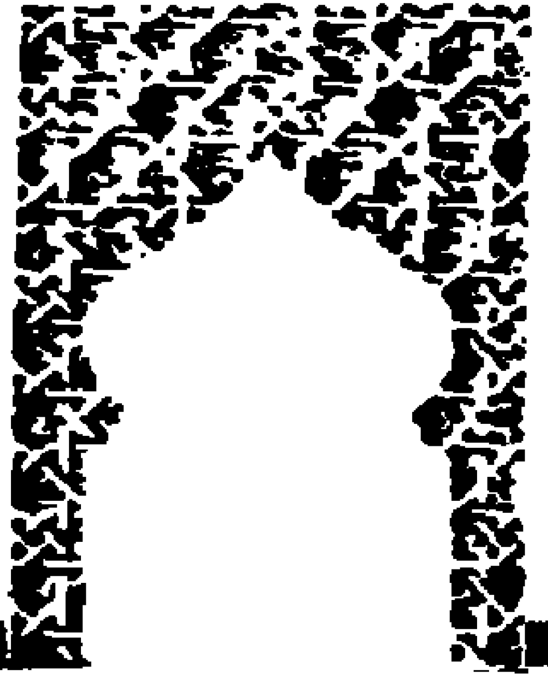
الألبسة الصوفية : كثيرون من يتوهمون أن الأصواف والألبسة الصوفية تعطي الجسم دفئا ، ولهذا فالاكثار منه يزيد من امكانيات الدفء ، وهذا وهم لا يقوم على أساس علمي ، لأن الملابس والألحفة الصوفية مكونة من ألياف متخمة بالمسام المملوءة بفراغات مشبعة بالهواء ، ولما كان الهواء يعتبر عازلا جيدا للحرارة فإنه يمنع من تسرب حرارة الجسم الى الخارج ، ومن ثم يبقي على الجسم حرارته ، تماما كما يفعل « الميكروب » مع الأشربة الساخنة ، لكن الصوف يمكنه ـ أيضا ـ أن يقوم بدور معاكس ، أي حفظ الجسم من حرارة البيئة المحيطة ، أعني أنه يمكن لبس الصوف في الأجواء الحارة ، ليبقى الجسم باردا ، ومن هنا ينصح عمال الصناعة أمام الأفران بتوقي الحرارة العالية للفرن بلباس صوفي ، وهو ذات الحال مع البدوي في الصحراء الحارة الذي يلف نفسه بعباءته الصوفية ، ويتظلل تحت خيمته الصوفية ، فلا يحس بحرارة صيف الصحراء العالية .

الألحفة الصوفية تنضوي تحت هذا المبدأ ، ينسحب عليها نفس المنطق الذي ينسحب على الألبسة الصوفية ، ومن هنا يرجح الأطباء كفة استخدام الألحفة عند النوم للتدفئة ، لأنها تبقي الجسم دافئا في حدود درجة حرارته الطبيعية دون اسراف ، حتى لا نحول بين الجسم وعمليات التنفس ، وتبخر العرق غير المنظور ، لهذا يشعر الانسان عند الاستيقاظ براحة ، ونشاط ، عقب النوم تحت غطاء اللحاف الصوفي .

الدفايات : تقوم الدفايات على مبدأ مخالف لما هو عليه الحال مع اللحاف ، لأنها تعطي طاقة حرارية ، سواء عن طريق الاشعاع أو النقل أو تسخين الهواء ، وهنا يشعر الانسان بالدفء السريع بادىء الأمر ، ثم يضيق بهذا الدفء ، وربما يتضرر في نهاية الأمر .

تنوعت الدفايات ، واختلفت باختلاف مصدر الطاقة الحرارية ، ولعل أشهر هذه الدفايات ما يلي :

أ ـ دفايات الفحم : وهي تقليد ذو طابع شاعري ، يرتبط بعاداتنا ، وتقاليدنا ، لكن طاقة الحرارة تعتمد على احتراق الفحم الذي يحتاج الى غاز « الأكسجين » ، وينتج عن الاحتراق غاز ثاني أكسيد الكربون ، فيشح الأكسجين في مكان محصور ، ويؤدي ذلك الى تصاعد غاز أول أكسيد الكربون ، وهذا غاز على خلاف شقيقه (ثاني أكسيد الكربون) ، لأن هذا الغاز غاز بلا لون ولا رائحة ، لكنه غاز سام قاتل خانق ، فلا غرابة أن نسمع في فصل الشتاء عن ضحايا الاختناق بغاز أول أكسيد الكربون ، ممن لا يدركون معنى تجدد هواء المكان ، فينامون برفقة دفاية الفحم ، في غرفة مغلقة ، طلبا للدفء ، فيتسرب اليهم ذلك الغاز الخانق برفقة الموت . لهذا لا بد من إخراج الدفاية الفحمية من الغرفة قبيل النوم ، بل وتجديد هواء الغرفة أيضا . لعل أول ضرورات الاسعاف الأولى عند مصادفة حالة اختناق وتسمم بأول أكسيد الكربون هو فتح النوافذ ، والأبواب ، لطرد هذا الغاز السام ، وتهوية المكان ، ونقل المرضى الى المستشفى فورا . تعتري المصاب بهذا النوع من الاختناق غيبوبة ويتحول لون جلده الى أحمر تشوبه الزرقة .



ب - دفايات الكهرباء : من الغريب أن يتوهم بعض الناس أن الدفاية الكهربائية تستهلك أكسجين الهواء ، متناسين أن احمرار السلك ليس الا نتيجة مقاومته للتيار الكهربائي ، ولا علاقة لهذا الاحمرار بهواء أو أكسجين ، لأنه ليس احتراقا ، وإلا تلف السلك ودمر .

لهذا فلا خطر من الدفاية الكهربائية ينتج عنه التسمم ، لكن خطرها في خفضها للرطوبة النسبية في الهواء ، مما يجعل الانسان يشعر بجفاف الجلد ، واحتقان الحلق ، والأنف ، مما يمهد الفرصة لفيروسات نزلات البرد لتقتحم الغشاء المخاطي الذي تتهاوى مناعته ، وبهذا تساهم الدفاية في انتشار أوبئة النزلات البردية ، وبخاصة مع تعرض الانسان لتقلبات درجات الحرارة بين الغرفة الدافئة والجو الخارجي البارد .

ناهيك عن احتمال الحرائق ، والاصابة بحروق الجلد ، والصعق الكهربائي ، ومن هنا يفضل تعليق الدفاية الكهربائية ، ووضعها في مكان مرتفع ، بعيدا عن الأطفال ، للوقاية من حدوث تلك الاحتمالات الخطيرة .

ينصح الخبراء بوضع الماء في إناء معدني بقرب الدفاية ، حتى يتبخر الماء ، ويعادل درجة الرطوبة النسبية التي انخفضت ، بل لعل بعض أنواع الدفايات الحديثة قد حرص صانعوها على استحداث موضع فيها للماء .

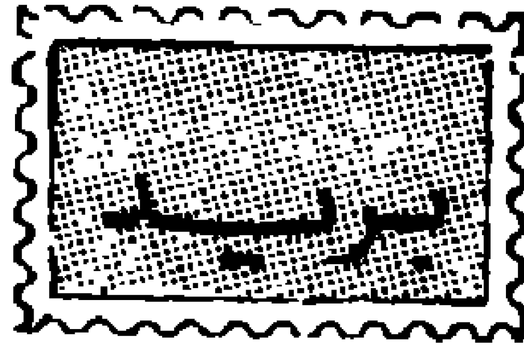
ويدخل في نطاق الدفايات الكهربائية ذلك النوع المعروف بدفايات الزيت ، وما هي الا شكل آخر للدفايات الكهربائية التي تستخدم الزيت لرفع درجة الحرارة .

جـ - دفايات الكيروسين :

تقوم على احراق الكيروسين لانتاج الطاقة الحرارية ، وتتشابه مع دفايات الفحم في احتمالات الضرر ، واحتمالات الخطر ، لهذا لا بد أن تعامل ذات المعاملة .

د - دفايات المياه الساخنة .

غالبا ما تستعمل في أساليب التدفئة المركزية ، وتعتبر أقل أشكال الدفايات خطرا ، لهذا يمكن أن يقال فيها أنها أفضلها لقلة أضرارها . □



طبيب الأسرة

فقر الدم المنجلي

● أرجو إفادتي عن كريات الدم المنجلية ، وعلاقاتها بفقر الدم ، وهل لها علاقة بفصائل الدم ؟

علي . ع . ع .
جدة - السعودية

يحتوي دم الانسان البالغ على ما يقدر بمعدل خمسة ملايين كرية دموية في كل مليمتر مكعب من الدم ، وهذه الكريات تعيش في تيار الدم مدة ١٢٠ يوما تقريبا ، ثم ينتج عوضا عنها كريات أخرى في نخاع العظام .

أساس كرية الدم مادة (الهيموجلوبين) التي تتركب من نواة ، من عنصر الحديد ، ترتبط بسلسلة من الأحماض الأمينية ، حتى يمكنها أن تؤدي

وظيفتها ، وهي حمل الأكجسين من الرئتين إلى أنسجة الجسم المختلفة ، ولأمر مـا ـ وراثي المنشأ ـ يختـل تركيب الأحماض الأمينية ، مما يؤثر على سلامة تركيب (الهيموجلوبين) الـذي يؤثر عـلى تـركيب الخليـة وشكلها ، فتصبح معه مقوسة على شكـل منجل ، ومن هنا جاءت التسمية بالمنجلية ، كما يصبح غلاف الكرية هشا ، قابلا للتمزق والانفجار ، مما يؤدي إلى حالة من فقر الدم ، لهذا سمي هذا المرض الوراثي باسم فقر الدم المنجلي أو الأنيميا المنجلية .

هـذا المرض الـوراثي شائـع بدرجـة كبيرة بـين الزنوج ، وبدرجة أقل بين البيض ، لكن لطف الله جعل المعاناة والأعراض لا تصيب أكثر من ٢ بالمائة ممن ورثوا هذا العيب في دمائهم . وغالبا ما تداهم المصـاب به نـوبات من الألم في الأطـراف ، وهبوط وضعف نتيجة تحلل الدم ، مما يجعله يحتاج الى نقل دم ، أو إلى استنشاق الاكسجين ، لكن مضاعفات المرض الأخطر هي حدوث تخثر دموي في أوعية الدم المختلفة ، سواء في الرئتين أو الأطراف وما إلى ذلك ، مما يهدد حياة المصاب . ومن الجدير بالذكر أن نؤكد أن لا علاقة إطلاقا بين فقر الـدم المنجلي وبـين أي فصيلة من فصائل الدم المعروفة .

القولنج

القـولنج عـلى ما تـذكر قـواميس اللغـة يـداهم الأحشاء ، وهو مغص يصيب الأمعاء ، أوالحوصلة المرارية ، أو الكليـة ، أو المثانـة ، وما إلى ذلـك ، ولاشك أن أطباء العرب القدماء قد استعملوا هـذا الاصطلاح للتعبير عن آلام المغص بصوره المختلفة ، كالمغص الكلوي أو المغص المراري أو المغص المعوي وهكذا .

وإذا صح هذا التفسير فإن القولنج عرض ، وليس مرضا ، فمفاهيم الطب في ذلك الزمان الغابر كانت تتعـامـل مـع الأعـراض ، لقنـاعـة من الأطبـاء أن الأعراض هي الأمراض ذاتها ، فيما يرى أهل الطبابة في زماننا أن الأمراض هي الأصل ، والأعراض هي مدلولاتها ومؤشراتها ، فهم يركزون جل اهتمامهم على المرض ، وأسبابه ، ومن ثم علاجه .

ولعل كلمة القولنج مشتقة من كلمة أعجميـة ، يونانية الأصل ، أو لاتينية ، تقابل ما نستعمله اليوم في اللغـة الانجليـزيـة ، وهي كلمـة كـوليـك (Colic) ، وهو المغص ، لفظوها بصورة محرفة ، فصارت قولنج . إن المغص يصيب الأعضاء المجوفة التي توجد في البـطن ، إذ لا يستقيم مثلا أن يقـال أصاب المغص رأس زيد ، ولا عانى عمرو من المغص في صدره أو ساقه ، ولا يصح ـ علميا ـ أن يقال ان فلانا مات من المغص ، وإنما هو مات من مرض ما ، كان المغص أحد أعراضه ، وما ظني بقولهم قديما أن هذا مات بالقولنج إلا خطأ وقعوا فيه ، لعدم معرفتهم بالحقائق العلمية على الصورة التى وصل إليها الطب في زماننا .

ردود سريعة

● السيد ص. ث. م ـ الكويت :

ـ لماذا لا تراجع الطبيب لاجراء فحص عام لتفحص سبب نحافتك ؟

● السيد سامر مهايني ـ دمشق :

ـ أنت مـا زلت صغير السن ، وأمـامـك متسـع من الوقت لتكبر وتزداد طولا ووزنا ، فلا تقلق ، ويحسن بك أن تمارس الرياضة المعتدلة كالسباحة والـركض والألعاب السويدية وكرة السلة أو كرة الدنارلة ، مع طعام غني بالحليب واللحوم والفواكه والخضراوات .

● السيد ص . ف ـ الجزائر :

ـ مشكلتك يحلها لك جراح مختص بالتجميل .



جمال العربية

بقلم: محمد خليفة التونسي

افتح ياسمسم

عنوان هذه الصفحة « افتح ياسمسم » هو كلمة السر في القصة الشهيرة « علي بابا والأربعون لصا » وهي قصة كنز ضخم حافل بالمعادن الثمينة والجواهر الكريمة ، لم يكن له مفتاح الا هذه الكلمة فاذا هتف بها قاصده تحرك بابه الحجرى فانفتح له الكنز تلقائيا .

وهذا العنوان نفسه قد اتخذته مؤسسة عربية هنا على خليجنا العربي ليكون عنوان مسلسل تلفزيوني حي يجرى الحديث فيه باللغة الفصيحة السهلة ليقدم للاطفال او الصبيان ، ويقوم بمعظم ادوار التمثيل فيه الصغار من بنين وبنات أعمارهم بين السادسة والثانية عشرة تقريبا ، كأنهم يزاولون اعمال المعيشة اليومية المختلفة من جادة ولاعبة ، ويعرض المسلسل صورا حية لأنواع شتى من الحيوانات والنباتات وعجائب الطبيعة ، وصورا مثلها لأنواع الزراعة والصناعة والسياحة في بلاد العالم الدانية والقاصية ، ولاسيما البلاد العربية ، لتعريف الناشئة وجوه النشاط اليومية في انحاء وطنهم ثم فيما عداه .

وقد حشدت المؤسسة لهذا العمل التربوي الرائد طوائف شتى من المربين والنفسانيين وخبراء التلفزة والتصوير الكرتوني ، واستعانت في هذا بمؤسسة ضخمة هي ورشة تلفزيون الأطفال في نيويورك ، فكانت حلقات المسلسل مائة وثلاثين حلقة ، وبعد نجاحها فيه أتبعته بمثله في ثلاثين ومائة حلقة ايضا .

وللمؤسسة - غير هذا - مسلسلان آخران يجرى الحديث والحوار فيهما ايضا بالفصيحة : احدهما عنوانه « قف » وموضوعه « الأمن والسلامة » ، وهو خاص بما ينبغي ان يلتزمه المارة في الشوارع من تعليمات مرورية سواء كانوا مشاة او ركاب سيارات أو درجات .

والمسلسل الآخر عنوانه « سلامتك » في موضوعات صحية طبية شتى عن طريق تصوير مواقف حية ، بدءا من توقى مايضر بالصحة ومايسمى بالاسعافات الاولية عند وقوع الأخطار ، وتسهيل طريق المصاب او المريض لمكان العلاج ثم آداب عيادته . .

وهناك مؤسسات اخرى في بعض بلاد المشرق العربي قدمت اخيرا بعض افلامها ومسلسلاتها التلفزيونية في قصص من تاريخنا العربي ، تجرى المحادثة فيها باللغة الفصيحة .

وقد عمدت بعض المؤسسات الى مسلسلات اجنبية تجرى المحادثات فيها بلغاتها الاجنبية ،

فترجمها إلى العربية الفصيحة بأصوات مناسبة من الجنسين .

وكل هذا دليل خير عظيم ، لأنه يشعرنا بغيرة في أوساطنا الفنية على لغتنا الفصيحة وباقبالهم عليها ولو على سبيل التجربة ، وبقدرة كثير منهم على حفظ أدوارهم وحسن أدائها بالفصيحة ، وقد أثبتت التجربة ان الاقبال على هذه الاعمال الفنية بالفصيحة ليس أقل من الاقبال على امثالها بلغة الشارع والسوق ان لم يكن اكثر ، بالاضافة الى ماتكسبها الفصيحة من الجلال او الاحترام .

وليست هذه التجربة حديثة ففي بداية هذا القرن وفيما قبله حين ظهر التمثيل المسرحي في بلادنا كانت التمثيليات المسرحية تؤلف أو تترجم باللغة الفصيحة بل المسجوعة أحيانا فكانت الجماهير تقبل على مشاهدتها لأن الأمية كانت بيننا أشيع ، بل كانت التمثيليات من مؤلفة او معربة لا تخلو من بعض القصائد التي كانت تنشد او تغنى ـ والشعر أسهل حفظا ـ فكانت الجماهير تحفظ ابياتا منها وترددها ، وقد سمعنا ذلك من بعض ثقات الجيل الماضي ومنهم استاذنا الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ، اذ كان فيما اخبرنا به ، في هذا الصدد ان الجماهير كانت تحفظ وتغني بعض ماكان ينشد او يغنى الشيخ سلامة حجازى على مسرحه ، في تمثيلياته ومنها تمثيلية روميو وجولييت ، لشكسبير ، وتمثيلية صلاح الدين ومن هذه التمثيلية قصيدة على لسان صلاح الدين مطلعها :ـ

ان لم أصن بمهندي ويميني
ملكي ، فلست إذن صلاح الدين

ونحن لايعنينا هنا الا الجانب اللغوى الفصيح لهذه الاعمال الفنية ، ولاسيما التي تقدم للصغار مثل مسلسل « افتح ياسمسم » ، فقد شاهدنا صغارنا يفرحون بهذه الاعمال ، ويلتصقون بها ، ويحفظون كثيرا من اقوالها ، ويلهون بترديدها ، والتحاور بها فيما بينهم تلقائيا وهم مغتبطون .

وكل اولئك مما يقطع العذر امام الذين يلجئون الى الحديث او الحوار في اعمالهم الفنية بلغة الشارع محتجين بسهولتها على الجماهير من جانب ، وصعوبة الفصيحة من جانب ، وهذه حجة داحضة دون شك ، لأن الحديث بالفصيحة مع التسليم بصعوبته على العامي ليس كذلك في فهم العامي له ، فضلا عن فهم المتعلم ، وماعلينا لإدراك هذا واقعيا الا ان ننظر الى مقدار مايستوعبه العامة جملة لاتفصيلا من معاني الخطب الدينية بالفصيحة في المساجد والكنائس ، ومن النصوص المقدسة بالفصيحة حين تسمعه في المجالس أو الاذاعة ، ومن الصحف والمجلات في الموضوعات العامة وكلها تكتب وتنشر بالفصيحة السهلة ، وليس علينا هنا الا أن نوازن بين الأثر النفسي لأحاديث الخطباء او الوعاظ حين يتصونون ويتكلمون بالفصيحة السهلة وبين احاديثهم حين يتبذلون فيتكلمون بلهجة الشارع ، فإن السامعين ينظرون اليهم في الحالة الاولى نظرة جد واجلال ، ولكنهم ينظرون اليهم في الحالة الثانية نظرة استهانة واهمال ، ولقد بلغ من عمق ادراك بعض القساوسة لهذا الفرق بين النظرتين انهم يلجئون خلال بعض مواعظهم الى اقتباس بعض النصوص بلغتها الأصيلة الاجنبية كالقبطية والسريانية واليونانية ليكسبوا مواعظهم هيبة وجلالا وان كان معظم السامعين او كلهم لايعرفون كلمة من هذه النصوص الأجنبية .

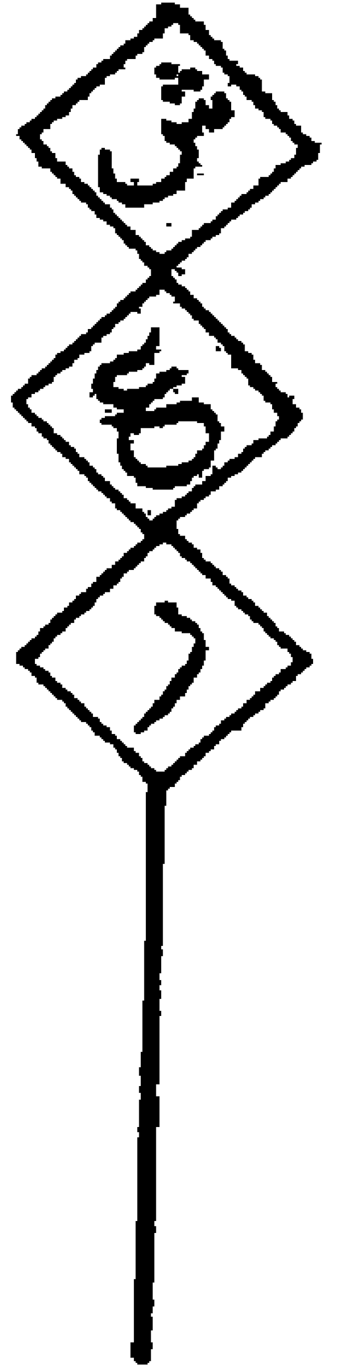
لابد لنا في الإقتدار على الكلام بالفصيحة من ان يتكرر على أسماعنا الكلام بها او بالفصحى ، وأن نحفظ ما استطعنا من نصوصها الادبية وان نتكلف الحديث والكتابة بها حتى ندرب عليها .

واذا كان في ذلك عناء ـ ولابد ان يكون ـ فلا غرابة فيه ، ونحن لانتعلم حرفة كصنع لما يصلحنا ويصلح لنا من الطعام والكساء والبناء وسائر الفنون والمهن الا مع التدرب عليه والمثابرة . وفي ذلك العناء ما فيه ، واولى من ذلك اللغة المهذبة لانها ترجمان الفكر والذوق والشعور الرفيع ...

ان لغتنا هي محور قوميتنا الاعظم ، فلاقومية للعرب بغير العربية ، هكذا كان الأمر ، وهكذا هو اليوم وهكذا هو في المستقبل . ولا قومية لنا بين الامم اذا اهملنا حفظها كاعظم تراث ، فهي تحمينا بقدر مانحميها ، وتعظم مكانتنا بقدر مانحفظ مكانتها .

وليكن شعارنا في ذلك كله « افتح ياسمسم » ، لتتفتح لنا كنوز الفصيحة وندرب على الحديث بها ، فذلك مغنم لايقل عن كنز « علي بابا» وسواه بما فيها من معادن ثمينة وجواهر كريمة . □

جمال العربية



هكذا غنى الآباء

الشريف الرّضيّ يرثي أمّه

الشريف الرضي من أشرف بيوتات العرب، وأعزها حسباً ونسباً، فهو أبو الحسن محمد بن الحسين، من ولد موسى الكاظم بن جعفر الصادق الذي يمتد نسبه إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم رضوان الله، ويمتد نسب أمه الى زين العابدين أيضا، كان ابوه يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم والنظر في المظالم وإمارة الحج، ثم أسندها كلها اليه سنة ٣٨٨هـ، فشكره في إحدى قصائده ومدحه، وله في مدحه غيرها.

كان عفيفاً ابياً نزوعاً الى المعالي لا يقبل فضل أحد، وقد بدأ نظم الشعر وهو في العاشرة، ويعد من أكبر شعرائنا وأشهرهم، وله ديوان كبير، وفي شعره فخامة وسلاسة، وتدفق شعور، وعمق فكر.

ونفسه فيه طويل فله عشرات من القصائد الطوال تبلغ كل منها عشرات، ومنها هذه القصيدة التي تبلغ ابياتها ٦٨، اجتزأنا منها بما يبين فجيعته في فقد أمه، وهي من مراثيه الكثيرة في آل بيته. ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ، وبها توفي ودفن سنة ٤٠٦هـ.

أبكيكِ لو نقع الغليلَ بكائي ... وأقولُ لو ذهب المقالُ بدائي[1]

وأعوذُ بالصبر الجميل تعزِّيا ... لو كان بالصبر الجميل عزائي

طورا تكاثرني الدموعُ، وتارة ... آوِي الى أُكْرومتي وحيائي

كم عَبرةٍ نهنهتها بأناملي ... وسترتُها متجملاً بردائي[2]

أُبدي التجلد للعدو، ولو درى ... بتململي لقد اشتفى أعدائي

ما كنت أذْخُر في فداك رغيبةً ... لو كان يرجِعُ ميتٌ بفداء

لو كان يُدفَع ذا الحِمامُ بقوة ... لتكدست عُصَبٌ وراء لوائي

فارقْتُ فيك تماسكي وتجمُّلي ... ونسيت فيك تعزُّزي وإبائي

كم زفرةٍ ضعُفت، فصارت أنَّةً ... تمَّمْتها بتنفُّس الصُّعداء

لهفانَ، أنزو في حبائل كُرْبة ... ملكت عليَّ جلادتي وغَنائي

وجرى الزمان على عوائد كيده ... في قلب آمالي، وعكْس رجائي!

قد كنت آمل أن أكون لك الفِدا ... مما ألَمَّ، فكنتِ أنتِ فدائي

وتَفرّقُ البعداء بعد مودةٍ ... صَعْبٌ ، فكيف تفرق القرباء !
أنضيتِ عيشكِ عفةً وزهادةً ... وطرحتِ مُثقِلَةً من الأعباء[3]
بصيام يوم القيظ تلهبُ شمسُه ... وقيامِ طول الليلة الليلاء
لو كان مثلك كلُّ أم برَّةٍ ... غنى البنون بها عن الآباء
كيف السُّلوُّ ، وكلُّ موقع لحظةٍ ... أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي ؟
فبأيِّ كف أستجنُّ وأتقي ... صَرْفَ النوائب ، أم بأي دعاء ؟[4]
ومن المُموِّل لي إذا ضاقت يدي ... ومن المعلِّل لي من الأدواء ؟
ومن الذي ان ساورَتْني نكبةً ... كان المُوقِّي لي من الأسْواء ؟
قد كنت آملُ أن يكون أمامَها ... يومي ، وتُشفق أن يكون ورائي
كم آمرٍ لي بالتصبر هاج لي ... داءً ، وقدَّر أنَّ ذاك دوائي
آوي الى برد الظلال كأنني ... لتحرُّقي آوي الى الرَّمضاء[5]
وأهُبُّ من طيب المنام تفزُّعاً ... فزع اللديغ نبا عن الإغفاء .
لَهْفي على القوم الأُلَى غادرتْهم ... وعليهمُ طبقٌ من البيداء
متوسِّدين على الخدود ، كأنما ... كرعوا على ظمأ من الصَّهْباء[6]
صورٌ ضَنِنْتُ على العيون بلحْظها ... أمسيتُ أوقرُها من البوْغاء[7]
ونواظرٌ كحلَ الترابُ جفونها ... قد كنت أحرسُها من الأقذاء
قرُبتْ ضرائحُهم على زُوّارها ... ونأوْا على الطلاب أيَّ تناءِ
ولبئس ما تلْقى بعُقر ديارهم ... أذُنُ المُصيخ بها ، وعينُ الرائي
معروفُك السامي أنيسُك كلّما ... ورد الظلامُ بوحشة الغبراء
وضياءُ ما قدّمته من صالحٍ ... لكِ في الدجى بدلٌ من الأضواء
لو كان يُبلغكِ الصفيحُ رسائلي ... أو كان يُسمعُكِ الترابُ ندائي
لسمعتِ طول تأوُّهي وتفجُّعي ... وعلمْتِ حُسْن رعايتي ووفائي

---

(١) الغليل / حرارة الجوف
(٢) عبرة / دمعـة .
(٣) أنضيت / قضيت الأعباء المثقلة / الهموم الثقيلة
(٤) استجن / استتر . صرف النوائب / تقلب الأحداث .
(٥) الرمضاء / الأرض الحارة .
(٦) كرعوا الصهباء / شربوا من الخمر
(٧) ضننت / بخلت . أوقرها من البوغاء / اثقلها من التراب .
(٨) الصفيح / حجارة القبر .



الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك، وامتاعك، بالاضافة الى إثراء معلوماتك، وارتباطك بتراثك الفكري والحضاري، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم، والموسوعات، وغيرها من المراجع.

والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقارنة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										■
٢					■		■			
٣						■				
٤				■			■			
٥	■	■				■				
٦						■			■	■
٧			■		■		■			
٨					■					
٩		■		■				■		
١٠									■	

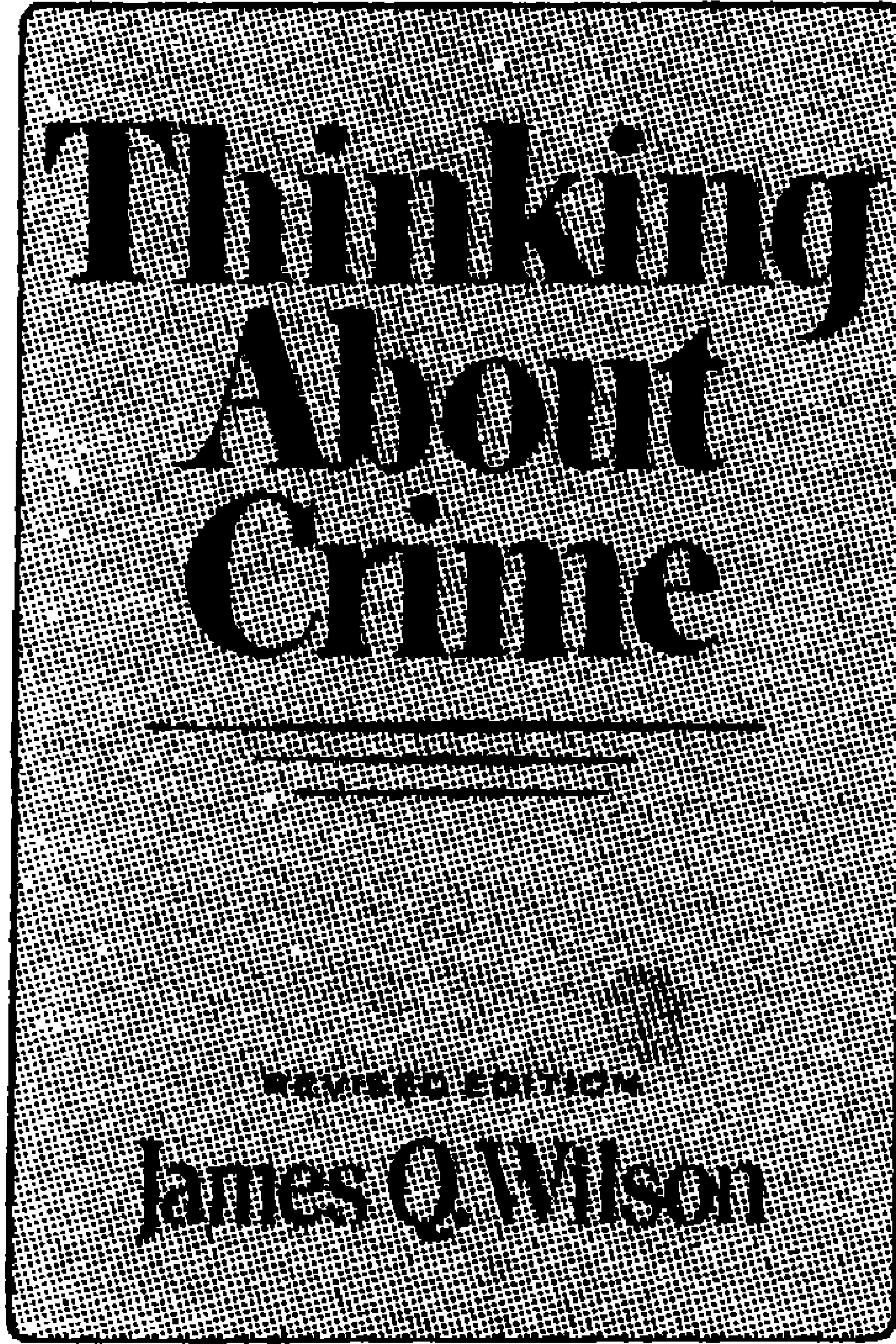
كلمات أفقية

١ . قصة فلسفية لابن طفيل
٢ . طريق مختصر ، فصيح
٣ . زعيم المذهب الأبيقوري ، مدينه ليبية اشتهرت في الحرب الكونية الثانية
٤ . كلمة للحث على الفعل ، تمنّى ، عكسها قاس .
٥ . مدخل ، جزء من الدرهم
٦ . أَخْذ شيء مكان آخر ، بمعنى منذ
٧ . عبد رَقيق ، ظبي ناصع البياض
٨ . صاحب ومسامر ، قائد فرنسي خَلَف بونابرت في حكم مصر
٩ . فقدَ صوابه ، ستّارة
١٠ . ملك بابليّ دمّر القدس وسبى اليهود

كلمات رأسية

١ . صحابي جليل استشهد في أُحد ، تحديد صارم
٢ . ينام ظهراً ، فصل أو فقرة (في وثيقة مثلاً)
٣ . من الأناجيل ، « وشى » مقلوبة
٤ . تجافى وتباعد ، جلد مدبوغ
٥ . مخترع الديناميت ، قَطَع أو كَسر
٦ . عكسها حَرّ ، مكان التواري والاختفاء
٧ . سائل أحمر قان ، تَغضّن في أعلى الجَفْن
٨ . مؤرّخ عربي وصاحب كتاب « فتوح البلدان »
٩ . ورد أبيض عطر الرائحة ، يقبل بفَرَح
١٠ ذكر النعام ، مكان يؤمه الفلكيون





كتاب الشهر

تأملات في الجريمة

تأليف :
جيمس ولسن
عرض وتلخيص :
د . محمود الذوادي

منذ الستينيات من هذا القرن ، شارك مؤلف الكتاب في عدد كبير من البحوث واللجان حول ظاهرة الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومع أن بعض الأوساط الثقافية الأمريكية تتهم الكاتب بالمحافظة ، وبأن أبحاثه لا تقوم على تجربة علمية إلا أن لتأملاته في عالم الجريمة أهمية خاصة ، تتمثل في غزارة المعلومات ، والطابع الفلسفي الذي يغلب على أسلوبه ؛ فماذا تقول تلك التأملات ؟



يبدأ المؤلف كتابه بمناقشة علاقة ظاهرة الجريمة في المجتمع الأمريكي بازدهاره اقتصاديا على الأخص في الستينيات ، وتبدو هذه العلاقة غريبة ، بالنسبة لوجهة النظر القائلة يومئذ بأن القضاء على الفقر ورفع مستوى التعليم وتحسين أوضاع المعيشة ، هي عوامل تؤدي - بالتأكيد - إلى انخفاض نسبة الانحراف والجريمة بالمجتمع الأمريكي ، وقد ساد هذا الاعتقاد بين المثقفين (الليبراليين) في عهد كندي وجونسون خاصة ، إلا أن احصائيات الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات كانت تناقض ذلك الاعتقاد ، فنسب الجريمة لم تزدد قليلا ، وإنما بلغت نسبا عالية ، لم يعرفها المجتمع الأمريكي منذ ١٩٣٠م .

ويتطرق (ولْسن) إلى الزاد المعرفي الذي جمعه علماء الاجرام ، وباحثو العلوم الاجتماعية الأخرون ، ومازالوا يجمعونه،حول ظاهرتي الانحراف والجريمة ، ففي رأي المؤلف أن وجهة نظر العلوم الاجتماعية القائلة بأن ظاهرتي الانحراف والجريمة تعودان أساسا - إلى عوامل الفقر ، والتمييز العنصري ، وغيرها من عوامل الحرمان ، لاتؤيدها معطيات واقع المجتمع الأمريكي المعاصر ، فنسبة الجريمة ازدادت في المجتمع الأمريكي بدل أن تنخفض في فترة (١٩٦٣ - ١٩٧٠) التي تحسن فيها تحسنا ملحوظا مستوى دخل الفرد ، ومستوى مرافق المدرسة والمسكن لكل الفئات الاجتماعية الأمريكية تقريبا .

ومن ثم فعمل من يهتم بفهم ظاهرة الجريمة أو الانحراف عمل ذو مستويين ، أولهما تبيان كيف تتأثر الجريمة بعاملي البناء الاجتماعي والعمليات الاجتماعية ، أي كيف تتأثر الجريمة بالطبقة الاجتماعية ، وبالجيرة ، وبالكثافة السكانية ، ثم تفسير كيف أن الأفراد يتم جذبهم إلى ميدان الجريمة عن طريق التقليد الاجتماعي ، وتكوين المواقف ، والاختلاط التفاضلي .

ويعتقد (ولسن) بناء على تجربته الشخصية - كعنصر مستشار في عدة لجان أمريكية ، منها لجنة دراسة الجريمة - أن هناك قلة من أصحاب الاختصاص في العلوم الاجتماعية يميزون - عند غموض الأمور - بين مايعرفونه كعلماء وبين مايعتقدونه كمواطنين عاديين . وفي رأيه أن علماء العلوم الاجتماعية لم يقضوا وقتا كافيا في مناقشة العلاقة بين المعرفة العلمية والاعتقاد ، ومن هنا كان فشل حلول الجريمة التي نادى بها علماء الاجرام والاجتماع يعود - في الأساس - إلى كون تلك الحلول ذات أرضية (أيديولجية) لاعملية . ويعترف المؤلف أنه اكتشف - بعد فوات الأوان - أن علماء الاجرام وكل علماء الاجتماع - تقريبا - هم جزء من تقليد فكري ، لايملكون مناعة ذاتية ، تحميهم من مغبة التسرع في تحويل آرائهم إلى سياسة ، إذ أن محور اهتمامات هذا التقليد الفكرى تنحصر في تلك الملامح الاجتماعية التي هي - إلى حد كبير - خارج مجال السياسة العملية ، وخارج العلم نفسه .

دور الشرطة :

يقارن (ولْسن) بين دور الشرطة في ضبط السلوك الاجرامي الانحرافي من جهة ، ودور الجيرة في ذلك من ناحية أخرى ، فالبحوث حول دور الشرطة في التخفيف من نسب الجريمة تفيد أن الشرطة المتجولة ليس لها أثر يذكر على انخفاض الجريمة . ويرى المؤلف أن وجودها يخدع المواطنين باعطائهم الانطباع بأنهم أكثر أمنا ، ومن ثم يناقش مفهوم المجتمع المحلي المنحل ، وعلاقته بانتشار ظاهرة الجريمة . وعلماء النفس الاجتماعيون والشرطة متفقون على المبدأ التالي : « إذا هشمت نافذة ما ، في عمارة ما ، وتركت دون إصلاح ، فإن ماتبقى من نوافذ العمارة سوف يلقى نفس المصير في القريب العاجل » ، فالنافذة المهشمة هي ذاتها رمز على أن ليس هناك من يهتم بسلامة الجيرة ، وفي هذه الحالة بإن تكسير نوافذ أخرى لايكلف شيئا ، وقد يصبح ضربا من المزاح عند بعض الناس . ويعتقد (ولسن) أنه في هذا

النمط من الجيرة غير المتضامنة ينتشر التخريب ، وروح عدم التدخل فيما يجري ، كما أن ظواهر الاجرام مثل تفشي المخدرات،وسرقة السيارات وتهشيمها،وانتشار ظاهرة الدعارة،تزداد في مثل هذا النمط من الجيرة ، وهروبا من جو عدم الأمن في هذا المحيط الاجتماعي يغادر كبار السن إلى أماكن أخرى ، بحثا عن أحياء أكثر طمأنينة ، وتظهر في مثل هذا المحيط المخيف أنماط سلوكية جديدة ، تجعل الناس يتحاشون بعضهم بعضا ، وهكذا تضعف وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمية ، وهو عكس ماكان يتصف به المجتمع المحلي القديم الذي كانت له وسائله الخاصة في السيطرة على الجريمة داخل حدوده.

ويرى المؤلف أن عوائق عمل الشرطة في المجتمع الاميركي تعود ـ إلى حد كبير ـ إلى طبيعة علاقتها بالجيرة حيث تمارس عملها ، ففي الستينيات قيل بأن طبيعة هذه العلاقة كانت السبب الرئيسي لانتفاضات السكان السود ، وسببها أطلق السود الأمريكيون عبارات مثل : جيش الاحتلال ، والخنازير على الشرطة ، وأطلقت الشرطة عبارات مثل : المشاغبين ، والفوضويين على المواطنين السود ، وعندما أجريت بحوث حول العلاقة بين الطرفين تبين أن ثلث المستجوبين السود كانوا ينتقدون بشدة شرطة المدينة ، ويعني هذا أن الأغلبية السوداء لاتعادي الشرطة . وتدل نفس البحوث أن العداء بين الشباب (البيض ، والسود ، والأغنياء ، والفقراء) والشرطة ظاهرة منتشرة ، لكن تفيد البحوث في النهاية بأن السود هم أكثر الفئات انتقادا للشرطة . ويرى (ولسن) أن نظرة الشرطة للمواطنين السود تغلب عليها السلبية ، ويرجع ذلك إلى كون اتصال الشرطة بالمواطن الأمريكي الأسود الفقير يفوق اتصالها بقية فئات المجتمع . فالشرطة تتدخل في المخاصمات العائلية في المناطق الفقيرة ، بينما تكون مثل هذه المخاصمات في الأحياء ذات الرفاهية إما ذات طبيعة غير تهديدية أو أنها تبقى مستترة عن الرأي العام .

البوليس والسود :

ويرجع صاحب الكتاب انبتار العلاقة بين السود والشرطة إلى عامل اللون ، وظروف الحياة في محيط السود .

يبدو أن الكراهية بين الجانبين تعود إلى الواقع الاجتماعي السائد بينهما ، وليس إلى صفات أو اتجاهات شخصية عند الطرفين ، وتتمثل بعض ملامح الوضع الاجتماعي هذا في تناقض توقعات المواطنين مع توقعات الشرطة ، ففي جريمة سرقة الممتلكات (كالتلفزيون مثلا) يود المواطن استرجاع بضاعته بينما يرى الشرطي صعوبة إمكانية ذلك ، والمواطن يتمنى أن تقوم الشرطة بالبحث السريع الصارم بينما تجد الشرطة نفسها لاتملك القدرة التي تسمح لها بالقيام بمثل ذلك البحث لعدم توفر الوقت والامكانيات .

وليس هناك في الحقيقة من عامل يثير العواطف ويقسم الآراء في المجتمع والجيرة أكثر من عامل لجوء الشرطة إلى قتل المواطنين أحيانا ، وللتخفيف من حوادث القتل التي تقول بها الشرطة يرى صاحب الكتاب ضرورة اتخاذ سياسات صارمة بخصوص شروط إطلاق النار على المواطنين ، ومن ثم يدعو الى تقييم السياسات الحالية ، فكل أقسام الشرطة تعترف بحق الشرطي في إطلاق النار على أي شخص إذا كان ذلك للدفاع عن نفسه أو عن الآخرين ، وصعوبة أخذ قرار حاسم وواضح في هذا الميدان ترجع إلى سببين :

١ ـ أي المعايير يجب استعمالها للتيقن بأن حياة الشرطي أو المواطن (المتفرج) في خطر ؟

٢ ـ هل ينبغي أن يسمح للشرطي أن يطلق النار على المتهم الفار ؟ وهل ينبغي التمييز بين الكهل والشاب ؟ وهل ينبغي التمييز بين الشخص الذي ارتكب جريمة باستعمال العنف ، وبين من ارتكبها بدون عنف ؟

ويرى المؤلف ضرورة تدريب الشرطة لتصبح أكثر كفاءة في أداء عملها ، بينما يعتقد الانسان العادي أن



استعمال العقوبة في المجتمع يؤدي إلى انخفاض نسبة الجريمة فيه ، لكن علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع مختلفون في ذلك ، فالاقتصاديون يتفقون مع المواطن العادي ، أما علماء الاجتماع فيرون أن هذا الاعتقاد خاطيء من الأساس ، إذ الجريمة في نظرهم لاتزداد بمجرد معرفة الناس أنهم لايعاقبون على ارتكابها ، ولا تنخفض بسبب اتخاذ المجتمع سياسة متشددة مع المنحرفين والمجرمين ، ورغم هذا التباين في وجهات النظر فإن ذلك لايعني أن آثار الترهيب منعدمة تماما على الأخص في التخفيف من ظاهرة الجريمة في المجتمع ، إذ أن الادعاء بأن سياسات الترهيب ليس لها أي أثر على ظاهرة الجريمة ادعاء يتناقض مع أبسط وقائع الحياة اليومية ، ودراسات العلوم الاجتماعية بهذا الشأن تفيد بأن الترهيب ينقص من نسب ظاهرة الجريمة .

وهناك من يرى أن الحل الأساسي لهذه الظاهرة يتمثل في توفير فرص العمل للمواطنين ، إذ أن ذلك يشجع الفرد على العمل ، ويشعره بمنافع السلوك السوي . ويسوق (ولسن) بعد ذلك أمثلة من مشاريع أمريكية كان هدفها التعرف على علاقة إيجاد العمل بظاهرة الجريمة ، وهو يرى أن مسألة الاصلاح ليست عملية بسيطة ، يؤدي فيها - بالضرورة - توفير العمل إلى انخفاض الجريمة ، فطالما تتدخل عوامل أخرى تجعل الوضع معقدا ، ويقول : « أعتقد أن أحكم السبل لاصلاح المجتمع هو محاولة زيادة كل من منافع السلوك السوي وثمن الجريمة في نفس الوقت » .

مؤسسة السجن :

يؤكد (ولسن) على أهمية المحافظة على مؤسسة السجن كوسيلة لضبط الجريمة للحالات الثلاث التالية :-

١ - الأفراد المعيدون للجريمة ، وهم يمثلون حسب الاحصائيات نحو ثلثي المساجين في السجون الأمريكية .

٢ - المنحرفون الذين لايؤدي سجنهم إلى تشجيع آخرين لممارسة انحرافاتهم ، فسجن السارق مثلا لا ينتج عنه بالضرورة استقطاب شخص آخر لتعويضه في جريمة السرقة ، إذ أن ظاهرة التعويض هذه طالما تحدث مايسمى بالجريمة المنظمة على أسس تجارية ، مثل جرائم المخدرات والدعارة .

٣ - أن لايصبح السجن مدرسة يصلب فيها عود إجرام السجين ، وليس هناك من أدلة مقنعة بأن هذا هو مايقع فعلا للسجين،فالبحوث حول دور السجون بخصوص التحقق من ظاهرة الجريمة تفيد أن النتائج إيجابية على العموم ، على الأخص إذا تم سجن المنحرفين الأكثر خطرا .

ونظرا لاشكالية التعرف بطريقة قاطعة على أخطر المنحرفين ، ينادي المؤلف بالحكم بمدد سجن قصيرة على المنحرفين الأقل ضررا على المجتمع ، ويعتقد أن ضرورة القيام بعملية انتقاء المنحرفين الذين يلزم سجنهم عملية مهمة لضبط الجريمة ، ويشكك في مدى أهمية حجة معارضي السجون على أساس أنها تزداد اكتظاظا كل يوم ، ويرى أن التساؤل الأكثر أهمية هو : أي المنحرفين ينبغي سجنهم ؟ وأي نوع من السجون أكثر ملائمة لطبيعة جريمتهم ؟ وأي مدة سجن ينبغي أن يحكم بها عليهم ؟ ويحذر من مغبة التبني الأعمى للمبدأ القائل ان أفضل طريقة لضبط الجريمة يتمثل دائما في إصدار أطول مدة سجن على الجاني .

الإعدام :

يرى مؤلف الكتاب أن الأمور اليقينية المتعلقة بتأثير عقوبة الاعدام على ظاهرة الجريمة يمكن حصرها في شيئين اثنين ،أولهما أنها تضع حدا لارتكاب الجريمة لدى الذين ينفذ فيهم الحكم ، وثانيهما أنه ليس لها أي أثر إصلاحي على الذين يتم إعدامهم ، أما التأثيرات الأخرى المحتملة لعقوبة الاعدام على نسبة الجريمة في المجتمع فهي غير واضحة ، ونحن لانعرف إذا كان لتطبيقها - كما مورست في المجتمع الأمريكي - أثر



رادع على الجناة القتلة ، وليس لنا علم أيضا إذا كان لهذه العقوبة أثر رادع أكبر من بعض العقوبات الأخرى ، مثل عقوبة السجن لمدة طويلة ، ولاندري إذا ماكان هناك تمييز عنصري في تطبيق عقوبة الاعدام في المجتمع الامريكي ، وفي رأيه أيضا أنه من غير المحتمل أن تتضح هذه الحقائق كاملة ، وفيما يتعلق بالتعرف على العامل الردعي لعقوبة الاعدام يذكر المؤلف أول دراسة بهذا الصدد ، وهي دراسة (ترستين سلين) الذي لا يؤيد عقوبة الاعدام ، ومن النتائج التي توصل إليها هو مع (دفالد كامبيون) أن نسبة الشرطة الذين قتلوا في الولايات الأمريكية حيث تطبق عقوبة الاعدام لاتختلف عن نسبة قتلهم حيث تطبق هذه العقوبة ،،ولقد انتقدت هذه الدراسات بسبب ضعفها المنهجي ، وتعريفها لمعنى تلك العقوبة ، وأحسن الدراسات لمعرفة تأثير تلك العقوبة هي مايسمى بالدراسات الطويلة المدى . ثم يذكر المؤلف دراسة (اسحاق اهرليش) التي حاول بها اكتشاف التأثير السنوي في اختلاف عدد الأشخاص المنفذ فيهم حكم الاعدام في المجتمع الامريكي بين (١٩٣٣) و (١٩٦٩) على نسبة جريمة القتل ، وتقول هذه الدراسة أن إعدام شخص إضافي سنويا أدى إلى انخفاض سبع أو ثماني جرائم قتل في العام .

ويتطرق المؤلف لمناقشة عامل التمييز العنصري ، وعلاقته بتطبيق عقوبة الاعدام في المجتمع الأمريكي ، فيذكر بحوث العالمين (مارفن وولف جانج) و (انتوني امرستردام) التي وجدت أن إعدام السود المرتكبين لجريمة الاغتصاب كان أكثر من سبع مرات من إعدام البيض في الولايات الجنوبية الأمريكية .

الهيروين :

يرى المؤلف أن كثيرا من الاعتقادات السائدة حول مخدر الهروين لاتستند ـ في الحقيقة ـ على أرضية متينة ، ومن هذه الاعتقادات الخاطئة اعتبار بعض الناس أن استعمال مخدر (المَثدون) يمكن أن يكون بديلا (للهروين) ، وأن سماح المجتمع بتعاطي (الهروين) يؤدي إلى انخفاض ملموس في جريمة النهب ، وأن تشديد القوانين على مستعملي (الهروين) ينتج عنه ارتفاع مهول في ثمن هذا المخدر .

ثم يتعرض صاحب الكتاب إلى أربع نظريات لتفسير ظاهرة تعاطي (الهروين) في المجتمع الأمريكي هي :

١ ـ ازدياد الدخل الفردي في فترة الازدهار في الستينيات .

٢ ـ تكاثر حركات الشباب المنادية بممارسة الحرية الشخصية على كل المستويات .

٣ ـ كون حرب فيتنام فرصة مناسبة للجنود الأمريكيين لتعاطي (الهروين) ، وذلك للتخفيف من حياة الملل والخوف وتدني المعنويات .

٤ ـ استمرار انهيار التركيبة الاجتماعية ، وخاصة للعائلات السوداء ذات الدخل المنخفض . وقد أدى هذا الوضع ـ في نظر المؤلف ـ إلى بروز ظاهرة (الشلل) كحل للفرد الذي تشكو بيئته من فقد التضامن الاجتماعي ، أما علاقة تعاطي (الهروين) بظاهرة الجريمة فيقول المؤلف فيها : « إننا لانعرف كثيرا عن هذه العلاقة ، والذي نعرفه ـ إلى حد ما ـ في هذا الميدان هو أن معظم جرائم مدمني (الهروين) تتمثل ـ أساسا ـ في جرائم بيع المخدرات ، والسرقة ، والسطو بقصد السرقة » . □

من المكتبة العربية

الشرقاوي.. ورؤية جديدة في كتاب عن خامس الخلفاء

عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء
عبدالرحمن الشرقاوي

بقلم : فاروق خورشيد

عبدالرحمن الشرقاوي اسم لمع وسط ضباب كثيف ، فبينما كان التماس الشهرة والصيت يأتيان من الاستجابة للدعوة الى الكتابة عن السلف والاغراق في تمجيد أعمالهم ومثلهم وسلوكهم واحتذائها ، كان الشرقاوي يتحدث عن المساواة ، وعن آلام الطبقة العاملة ، وعن ثورة المظلومين المطحونين تحت سنابك الثروة والجاه والسلطة ، وحين لم يعد طريق الشهرة والصيت يأتي إلا من الانتماء الى قضايا الكادحين ، وثورة الطبقة العاملة ، وتبني الفكر المتطرف في الهجوم على الطبقات ، والدعوة الى الثورة واحلال الفكر التقدمي المجرد من كل ارتباط بقيم السلف وقيم الدين ، خرج عبدالرحمن الشرقاوي الى عالم الكتب وعالم القراءة بمجموعة من الأعمال التي تستند في جذرها الى الدين ، وتتلمس المثل الأعلى في أنبل اتباع الدين عبر تاريخ الاسلام كله .

استطاع الشرقاوي أن يزيح من أمام فكره وعينيه كل ضباب ، واستطاع ان يهتدي الى قيمه ونفسه ورسالته ، ذلك انه عرف أن دعوة الحق تحمل معها دعوة المساواة ، وأن كلمة الاسلام تحمل أيضا كلمة العدالة ، وان الدين ليس تهجدا كله ، وليس تضرعا كله ، وليس تواكلا كله . . وانما الدين هو العمل ، وهو الجهاد وهو الأخوة في الاسلام . . فأعاد ترتيب ما قرأ من تراث دينه العظيم ، وأعاد أيضا ترتيب ما قرأ من جهد الانسانية العظيم . . وأحس ان العلاقة بين ما آمن به صبيا وشابا ورجلا ،

يتطابق تماما مع ما قرأه صبيا وشابا ورجلا . فالدين هو الحرية . ورجل الدين هو المثل الاعلى في السلوك والتضحية والعطاء من أجل أن يسود الانسان . . وما الانسان الا عطاء كل هذه القيم . ووليد كل هذه النفحات الروحية . يجعلها سلوكا مرة وعلما مرة . . وحرية واخاء في كل مرة . .

وحين استقر قلب الشرقاوي على هذا المعنى رضيت نفسه . ورضي عقله معا . وعاد يغوص في أعماق تاريخ أمته ودينه . . هذه الأمة كيف سادت وقادت وحكمت . ؟ وهذا الدين كيف هدى ووجه وشيد ؟ . المحور الدائم في كل شيء هو الانسان . .

خامس الخلفاء

وقف الشرقاوي عند أعلام الفكر طويلا . ووقف عند اعلام الكفاح طويلا . ثم هاهو يقف عند علم من اعلام الملك

عند عمر بن عبدالعزيز يقف . . وهو من البداية يلخص كتابه عنه في سطور وجيزة . . فيقول :

« لم ينعم فتى فيما أترف فيه كما تنعم عمر بن عبدالعزيز . ولم يستمتع شاب بزينة الحياة وبالطيبات من الرزق كما تمتع . ولم يتمتع أحد بنعمة ربه كما حدث .

هكذا كان أمر عمر خامس الخلفاء كما يسميه . وكما أسماه من قبله كتاب مسلمون ومفكرون مسلمون . أحبوا في هذا الأمير تحوله الكامل الى النسك حين غدا أميرا للمؤمنين . ويصف الشرقاوي هذا التحول قائلا :

« ولكن المسئولية أدركته على غير رغبة منه . فاذا الامير المترف المتنعم . يتحول فجأة الى راهب مخشوشن . وإذا ضحكاته التي جلجلت في ارجاء قصره تفيض في دموع غزيرة من خشية الله . ومن هول ادراكه لمسئولية الراعي عن الرعية . . . واذا هو لا يستمع لصوت يتغنى بعد . الا إذا انطلق بترتيل القرآن الكريم . واذا هو يأمر بجمع كل ما يملك من ثياب ودواب وعطور وزينة . فيبيعها جميعا . ويضع ثمنها في بيت المال . ولا يستبقي غير الكتب » . .

ويصف الشرقاوي هذا التحول نحو الاخرين ونتائجه بقوله :

« واذا هو ينتزع من أهله الأمويين الأمراء كل ما اترفوا فيه . ليردوه الى أصحابه أو الى بيت المال . وهكذا تحول أهله الى شر عدوه . فلم يمهلوه . . وما لبثوا أن دسوا له السم ليتخلصوا منه . وليستردوا ما سلبهم . . و هكذا لم يتح له ان يحكم الا ثلاثين شهرا . ولكنه ملأ الدنيا خلالها عدلا . بعد أن ملئت ظلما . .

ثلاثون شهرا من عمر الزمان صنعت هذا الاسم الذي خلد كواحد من أعدل وأنزه حكام الدنيا . وكعلم من أبرز أعلام حكام المسلمين . . وما جاد الزمان بمثله بعده . وما كان ليجود . . فالناس يزدادون خبثا وأنانية . يعشقون المثل العليا . ولكنهم لايطيقون العيش في ظلها . .

كان عمر يتأسى بجده لأمه عمر بن الخطاب . وبمثله الاعلى في السلوك والخلق علي بن ابي طالب . وكلاهما مات مقتولا . وها هو يموت مثلهما قتيلا بيد غادرة تدس السم وتفسد بالمال الذمم . وتحيل الخادم المخلص الى قاتل مأجور .

ويلخص الشرقاوي موقفه من السابقين له في الحكم وفي العدل وفي الزهد . هؤلاء الذين نظر اليهم فاحتذى حذوهم فيقول :

« بحث عمر بن عبدالعزيز عن سيرة علي وتشبه به في زهده . وصدق عزمه . وبحث في سيرة الفاروق عمر ليتشبه به في عدله وحكمه . وبحث في سيرة أبي بكر ليتخذ منه الأسوة في حسن بلائه في الله . ودرس تاريخ عثمان ليترسم خطاه في بذله وتقاه . . والأسوة الحسنة لعمر بن عبدالعزيز هو الرسول عليه الصلاة والسلام . هو امامه ومثله الأعلى . ثم من بعده

الخلفاء الأربعة الراشدون ، وهم بالرسول وعلى آثاره مقتدون » . .

موقف من العصر

أوضح الشرقاوي بهذه العبارات الموجزة الدالة موقفه من صاحب السيرة التي يتعرض للحديث عنها ، كما أوضح موقفه من عصره كله . . فالعصر عصر اختلت فيه الموازين ، ونسيت القدوة ، وضاعت مناهج السلف ، والرجل رجل دنيا عرفها وأحبها ، ولكنه حين ولي السلطة غدا رجل مسئولية يعود الى كل شرائع الدين ، والى كل أسوة السلف الصالح . . وينجح الرجل ، ويفشل العصر . .

ويبدأ الشرقاوي رحلته مع بطل السيرة قبل مولده وقد ولد عمر بينما كان أبوه عبدالعزيز بن مروان والياًعلى مصر ، وعمه عبدالملك بن مروان هو الخليفة في دمشق ، ويقضي عمر طفولته في مصر ، ويجد الشرقاوي فرصته السانحة ليلقي الضوء على هذه الفترة من حياة الخلافة الاسلامية ، وما امتلأت به من مؤامرات ودسائس ، وما حفلت به من حروب وفتن ، ومنذ اللحظة الأولى يثب الحجاج ملقيا بظله الكثيف على العصر ، فهو قائد جيش عبدالملك بن مروان الذي هزم عبدالله بن الزبير في الكعبة ، وقضى على جيشه وقتله ، وأرسل رأسه الى الخليفة في دمشق ، بينما هدم الكعبة على رؤوس من لاذوا بأستارها ، ومن يومها والطفل يحمل عداوة لا تهدأ للحجاج السفاح ، عداوة تزداد مع الزمن حين يصبح الطفل صبيا يتلقى العلم على شيوخ المدينة وفقهائها ، يتلقى علوم الدين وعلوم اللغة والشعر الذي هو ديوان العرب . . وفي مجالس أبيه في مصر يلتقي بمجالس العلماء والشعراء يزداد منها حكمة ومعرفة ، ثم يموت أبوه فيرسل عبدالملك بن مروان الى عمر أن يلتحق به في دمشق ، حيث يقربه اليه ويعيش في كنفه ، ليشهد مصنع الأحداث ، وعنف سلطان عبدالملك بن مروان ، وامتداد الرقعة الاسلامية ، مع اضطراب المجتمع وعنف القيادة وكثرة المظالم . . والشرقاوي يرسم العصر بتناقضاته ، ويرسم صور رجاله وشخصياتهم ، ويعكس لنا الروح السائدة فيه وهو ينتقل بنا مع بطل في مرحلة الشباب الى المدينة ، اذ غدا عاملا على الحجاز ، واستقر في المدينة التي يحمل لها كل الحب القديم ، والتي يأتيها بكل هذا الحب القديم ، ليكون لها مجلس شورى يساعده في عمله كحاكم اقليمي ، فقد عانت الحجاز من عنت الأمويين ما ضاقت به صدور أهلها ، ومن المظالم ما أثار حفيظتهم وحنقهم ، وبدأ الوالي الجديد بأن أطلق السجناء ، وانطلق ينشر ضوء الحرية والعدالة ، وأوقف سب عليّ وآله ، كما أوقف النيل من عمر وأبي بكر ، ووثق علاقته بسعيد بن المسيب أكثر الزهاد ورعا وحكمة ، يستشيره في أمره ، ويسأله فيما يشكل عليه من أحكام ، ويفيض الشرقاوي في أمر المدينة وأحوالها أيام عبدالملك ثم أيام الوليد بن عبدالملك ، ويفيض في أخبار أهلها من نساك ومن شعراء ومن أهل مجون ، اذ يسرت لهم الثروات الوافدة حياة الدعة واللهو ، ولكنه لا ينسى أن يضع أيدينا على الدسائس والمؤامرات ، وان يكشف لنا عن هذا العداء بين اتجاهين في الولاة ، أحدهما يمثله عمر بن عبدالعزيز والي الحجاز ، والثاني يمثله الحجاج والي العراق ، واحد يريد أن يرفع بالحب أمر المحكومين والحكام ، والثاني يريد بالقهر أن يذل المحكومين ، وأن يضع أموالهم ورقابهم تحت نعال الحكام . . والصراع يستمر حتى يقضي الوليد ويتولى سليمان بن عبدالملك الأمر ، وعمر قد نحى عن ولاية الحجاز ، وجاء يعيش في دمشق مشيرا بالمعروف على الخليفة في قصره وأمره وحكمه . فاذا ما أوشك سليمان أن يغادر الدنيا ولى بعده عمر بن عبدالعزيز ، ومن بعده يزيد بن عبدالملك ، لتهدأ الفتنة ولا تثور ، إن هو تخطى أولاد بن عبدالملك الى أولاد بن عبدالعزيز ، انها لحظة رؤية باهرة فضلت مصالح المسلمين ومصالح الدولة كلها ، واتجهت خالصة النية الى تولية أخلص الناس وأحكمهم وأسدهم وأكثرهم فهما لمعنى الحكم . .

وقد كان ، ما ان ولي عمر الأمر حتى ودع ترف الدنيا ولبس مسوح الزهد . . ودع المال والراحة والجواري ، وانصرف بكليته الى احلال العدل واحقاقه ، والعودة بالناس الى الكتاب والسنة ، فلا أمر الا للكتاب والسنة .

وغضب بنو أمية ، وغضب الوجهاء وأصحاب النفوذ والمال ، وغضب الشعراء والمداحون وأعضاء

الحاشية ، فقد نحى كل هؤلاء ليفسح مجلس أمير المؤمنين لأصحاب الحاجات والمظالم من أبناء الشعب في كل مكان من الرقعة المترامية للدولة الاسلامية التي كانت في أوجها في عهده . وعالج ما اقترفه العمال الظلمة في العهود التي سبقته ، فرد كل ما اغتصب الى أصحابه ، وعمر ما خرب ، وأعاد للناس أموالهم وأملاكهم ، وأمن الجميع على معنى العدل ، ومعنى الحق ، ومعنى الاسلام ، ويعقب الاستاذ الشرقاوي على هذا كله يقول : « والناس على دين ملوكهم ، ولقد كان الوليد صاحب بناء فاهتم الناس بالمباني ، وكان سليمان صاحب طعام وزواج فاهتم الناس بالطعام والنساء ، وجاءهم عمر صاحب فقه وتقوى فاهتموا بالدين » ويجيء تعقيب المؤلف ليؤكد صدق رؤيته للحدث وللشخصيات التي تتصدر الحدث وتؤثر فيه ، فعبدالرحمن الشرقاوي لا يعرض السيرة لمجرد عرض حياة صاحبها ، وانما هو يعرض هذه الحياة لتكون نقطة ارتكاز ينطلق منها لفهم العصر أو العصور التي أثرت في حياة الاسلام والمسلمين ، وفي ذهنه دائما محاولة للاجابة عن السؤال المهم . . كيف كنا ؟ ولماذا كنا ما كناه ؟ . . فاذا الأمر في النفوس التي ان صلحت بالدين فقد صلح أمر العصر ، وان فسدت بحب الحياة والاحتفال بها فقد قضى الأمر وفسد العصر ، وفسدت الأمة كلها . . ومن خلال الحدث تظهر الرؤية ، ويخرج المؤلف بحكمه على الحاكم والمحكوم معا . . يرسم العوامل التي أثرت في بناء النفوس للناس وللحكام ، ثم يعود ليرسم النتيجة التي أفرزتها هذه العوامل ، لتؤثر من جديد في سلوك الناس وسلوك الحكام جميعا . . فاذا الرؤية واضحة ، اذ كان الطريق اليها الدرس الشاق لكل مظان الأخبار والأحداث ، والاختيار الذكي اليقظ من بين هذه التراكمات التي تمتلىء بها كتب الأخبار من أخبار وأحداث ، واعادة صياغة هذه الاخبار المنتقاة ، لترسم صورة العصر كما يراه ، ولترسم صورة الرجل كما وجده . . ولتبرز في الصورة كل عوامل الصراع وكل عوامل التناقض ، فإذا نحن على هدى من أمرنا ، نقرأ فتدب الحياة كاملة في عصر وراء عصر ، ونفهم ما نقرأ في يسر ، فتصخب هذه الحياة بالمعرفة والحكمة ووضوح الرؤية . . فالأمر في تاريخنا الاسلامي ليس هينا على من يحاول قراءته والتعرف عليه ، فتاريخنا الاسلامي هو تاريخ الحضارة الانسانية في لحظة امتزاج بين الشعوب التي دخلت الاسلام وارتضته دينا ، فجاءت تصب حكمتها وحضارتها لتمتزج في بوتقة واحدة هي الاسلام بمثله وشرائعه وأحكامه ، ليصح معنى الحضارة ، ولتصبح الأمم أمة واحدة تسعى لخير الانسان وتقدمه وازدهاره . .

وسيلة لرؤية الحياة

والكاتب ان لم يفهم حقيقة ما تحدثه هذه الحركة الحضارية من صراعات ومعارك تؤثر لا في حدود الأقاليم وحسب ، وانما في الوجود الانساني أيضا ، كاتب لا يقدم لنا جديدا . . لقد نجح الشرقاوي في أن يجعل من عمر بن عبدالعزيز وسيلتنا لرؤية الحياة في تدفقها ، واستمرارها ، نجح في أن يضع أيدينا على معنى الحق والعدل وهو يصارع قوى الأنانية والشر ، فاذا هو ينتصر مرة ، واذا هو يهزم مرات ، ولكنه يظل خالدا بمعناه وقيمه ، يهدينا دائما الى أن صراع الحق من أجل الاستمرار والبناء ومن أجل العدالة والمساواة ، صراع دائم ومستمر ، مشرق برجاله وان هزموا ، مشرق بأعلامه وان تعرضوا للتآمر والاغتيال ، مشرق دائما لأنه أمل الانسانية ولأنه معنى الوجود والحق للانسان الحق . . وفي كل كتاب جديد لابد أن نسأل أنفسنا ، هل أضاف لنا جديدا ؟ أم أنه أضاف للمكتبة شيئا يوجد لينسى ، وفي هذا الكتاب وجود حي لا ينسى ، وجود نفس تواقة أحبت شخصية عمر الفذة ، فتدفقت حبا وفهما واشراقا ، ناقشت الرجل الذي أحبته في طموحه الى المثل الأعلى ، تاقت معه لتحقيق هذا المثل ، وخافت أن يهزمه الشر الذي يحكم ضمائر أصحاب المصالح والنفوذ ، وقلقت مثله على مصالح الناس ، وتألمت مثله مما يصيبهم من ضرر وتعاسة ، وفرحت معه وهو يحقق العدالة ويذب عن الحق ، ثم سقطت في هوة الحزن ، ففاضت دموعها شعرا وكلمات كالشعر حين سقط العلم ، وحين ذوى الأمل ، علها من هذا السقوط ترفع رؤوسا تتطلع الى نفس الحلم ، وتريد نفس المثل الأعلى ، وعلها من هذا الذي ذوى تصنع حلما جديدا . . وتهدي قلوبا حائرة . . □



مكتبة العربي

مختـــارات

الكتاب : (حرائق ودخان)
المؤلف : المصطفى اجماهري
الناشر : اتحاد الكتاب العرب بدمشق
عدد الصفحات : ١٣٠ صفحة من القطع الصغير .

مجموعة قصصية ثانية لكاتب مغربي شاب ، استطاع العثور على لغة خاصة به ، يرسم بها أجواء المغرب المميزة ، راصداً الظواهر بدقة ، ومعرياً الوقائع التي تحكي انتقال شرائح اجتماعية مغربية من طبقة الى أخرى . كل هذا قدمه الكاتب الشاب عبر إحساس فني متميز ، ووعي اجتماعي لا تخطئه عين .

تتوزع موضوعات القصص العشر التي تضمها المجموعة بين الحكاية المحلية التي أجاد الكاتب اختيارها ، والقصة الحاليّة التي تكسر إطار السرد التقليدي ، والقصة التي تتابع همّاً ذاتيا بامتدادات فلسفية معمقة .



الكتاب : عيون « اسرائيل »
المؤلف : عبدالكريم أبو الفدا
الناشر : منشورات القاعدة ببيروت
عدد الصفحات : ١٣٢ من القطع المتوسط .

عيون « اسرائيل » التي يتناولها الكتاب هي المخابرات الاسرائيلية ـ الموساد ـ التي ظلت إلى زمن قريب نسبيا حقلا مجهولا بالنسبة للكثيرين منا .

ولايكتفي المؤلف بتتبع النشأة التاريخية للاستخبارات الاسرائيلية قبل قيام الدولة الصهيونية بوقت طويل فحسب ، بل يتتبع كثيراً من أنشطتها ، ملقيا الضوء على علاقاتها مع أجهزة الاستخبارات الأخرى ، سواء كانت تلك الاستخبارات أمريكية أم غربية أم أجهزة رديفة لها ، تقوم بنفس الدور الذي تلعبه الاستخبارات الاسرائيلية على صعيد المنطقة والعالم ، مثل جهاز مخابرات نظام جنوب أفريقيا العنصري .

والمعلومات الواردة في الكتاب حصيلة قراءات حول معلومات سابقة ، بالاضافة إلى معلومات تم الحصول عليها مباشرة من خلال الصراع الذي تخوضه حركة المقاومة الفلسطينية ضد عدوها الصهيوني .



الكتاب : عبقريات شامية
المؤلف : عبدالغني العطري
الناشر : مطبعة الهندي بدمشق
عدد الصفحات : ٢٠٥ من القطع المتوسط

رغم مايدل عليه العنوان لا يتوقف مؤلف الكتاب عند الحديث عن عباقرة الشام أو سوريا ، بل يتجاوز ذلك ليتحدث عن بعض الأماكن ، وبعض العادات التي لا تخلو من طرافة ، مثل الفصل المعنون « دفتر النسوان الشامي » الذي يذكر فيه بعض المعتقدات الأسطورية التي تؤمن بها نساء الشام التقليديات .

والكتاب يتناول أيضا شعراء الشام الكبار في النصف الأول من هذا القرن أمثال خليل مردم ، وخير الدين الزركلي ، ومحمد البزم ، وشفيق جبري ، ويلقي ضوءا على أجواء السياسة والأدب والفن في دمشق على الأخص خلال تلك الفترة ، ويعيد إلى الأذهان فترة تختلط فيها العفوية والبساطة بمشاعر الوطنية التي يغلب عليها طابع (رومانسي) أصبح ذكرى من الذكريات .

الكتاب/ حرب السنبلة ـ شعر
المؤلف/ عصام ترشحاني
الناشر/ اتحاد الكتاب العرب بدمشق
عدد الصفحات/ ٧٨ من القطع المتوسط

هو الكتاب الشعري التاسع للشاعر الفلسطيني عصام ترشحاني ، يواصل فيه النسج الفني المميز ، بنفس أدواته التعبيرية ، ونفس مادته الشعرية التي تمتزج فيها أعشاب فلسطين وزهورها برائحة البارود ، وملمس البنادق ، ورائحة دماء الشهيد .

تتراوح قصائد الديوان بين قصيدة موقف وقصيدة طويلة ذات نفس ملحمي ، وفي قصائد الديوان كلها تظل فلسطين حاضرة ، متمثلة بنباتها البري ، أو بأبنائها الذين لم تحطم الغربة والمذابح إرادة الحياة لديهم .



الكتاب/ العلاقات الألمانية الفلسطينية
المؤلف/ الدكتور علي محافظة
الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت
عدد الصفحات/ ٢٧١ من القطع الكبير

يتناول هذا الكتاب موضوعا ـ يعتبر إلى حد كبير ـ مجهولا بالنسبة لنا نحن العرب ، فبينما نعرف كثيرا عن العلاقات الفلسطينية مع دول أوروبا الاستعمارية ترانا لا نعرف سوى القليل عنها مع المانيا ، تلك العلاقات يتابعها المؤلف منذ كانت نشاطا تبشيريا على أرض فلسطين ، إلى أن تحولت إلى استيطان بعض الالمان ، وحتى في الحقبة النازية التي شهدت بعض العلاقات الفلسطينية الالمانية ، عبر شخصيات مثل رشيد عالي الكيلاني ، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين في ذلك الوقت . كما يبين الكتاب أن العلاقات بين المانيا النازية والحركة الصهيونية لم تنقطع .

وربما كان من أطرف فصول الكتاب وأمتعها الفصل الأخير الذي يتحدث عن العلاقات الالمانية الفلسطينية في الفترة من ١٩٣٣م إلى ١٩٤٥م .



عنوان الكتاب/ اسطرلاب يوسف المسافر
المؤلف/ يوسف زروقة
الناشر/ دار الرياح الأربع بتونس
عدد الصفحات/ ١١٢ صفحة

الكتاب عبارة عن مجموعة شعرية رابعة ، للشاعر التونسي يوسف زروقه ، تضم ٢٥ قصيدة ، كتبها باسلوب جمالي متطور ، على الخط الذي جاءت فيه مجموعاته الأولى ، وهو يستعين في قصيدته بالتراث والأسطورة ، إلى جانب حرصه الدائم على تفجير بنية القصيدة . وموضوعات هذه المجموعة تتراوح بين الهم المحلي اللصيق ببلد الشاعر ، وبين الهم القومي ، كما في قصيدة « خريف الكلام » ، وقصيدة « اسطرلاب يوسف المسافر » .

ويوسف زروقه هو أحد الأصوات المجددة في الشعر التونسي ، وهو متفرد وأصيل بقصائده ذات البعد الواحد ، وفي نزوعه نحو المغامرة



الكتاب : نقد الصحوة الدينية
المؤلف : خليل علي حيدر
الناشر : شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت
عدد الصفحات : ٢١٤ من القطع الصغير .

كتاب جديد للكاتب [illegible] علي حيدر ، يواصل فيه دراساته التي نشر عددا منها في الصحف الكويتية ، وأخرى في كتب تتناول الحركات الدينية التي اكتسبت أرضا جديدة ، خلال عملها على الصعيدين الديني والسياسي .

وأبرز مايميز الكتاب ذلك الطابع السجالي الواضح عند تناول ما أصطلح على تسميته بأحزاب الصحوة ، فالكاتب لايكتفي بالقاء ضوء على نشأة هذه الحركات ، والأحزاب ، بل يعرض فكرها من منظور نقدي ، ثم يدخل مع هذا الفكر في سجل تغنيه معرفة الكاتب بموضوعه ، وتكريسه له الحيز الأكبر من اهتمامه .

مسابقة العربي الثقافية

العــدد 338
يـنـايـر 1987

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى 50 دينارًا
الجائزة الثانية 30 دينارًا
الجائزة الثالثة 20 دينارًا
8 جوائز تشجيعية
قيمة كل منها 10 دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد 748 - الرمز البريدي 13008 الكويت ، مسابقة العربي العدد 338 ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو 15 فبراير 1987

1 - ترى ما عدد المسلمين في الهند ؟
- حوالى 25 مليون نسمه
- نحو 50 مليون نسمه
- اكثر من 80 مليون نسمه

2 - هل تمطر السماء سمكا ؟ ومتى ؟

3 - لعلك تعرف ان النجوم الوان والوان فمنها الأحمر ومنها البرتقالي ومنها الاصفر هذا فضلا عن الأبيض و الازرق والبنفسجي. ترى ماهو لون أشد النجوم حرارة وماهو لون أقلها حرارة ؟

4 - الصحراء الكبرى هي اكبر صحارى العالم كما هو معروف تبلغ مساحتها 9 ملايين كيلو متر مربع او تزيد قليلا ترى ماهي نسبة ماتغطيه الرمال من هذه الصحراء ؟

- الرمال تغطي 90 / من الصحراء الكبرى
- الرمال تغطي 50 / من الصحراء الكبرى
- الرمال تغطي 10 / من الصحراء الكبرى

5 - أي سلاسل الجبال التالية هي الأضخم ؟
- سلسله جبال همالايا
- سلسلة جبال روكي
- سلسله جبال الأنديز

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العــدد
338

■ سلسلة جبال منتصف المحيط الاطلسى (المغمورة في المياه طبعا) .

6 - ابتسامتك تحرك 17 عضلة من عضلاتك . . . ؟ **فكم عضلة يحرك عبوسك . . .**

■ نحو 40 عضلة
■ نحو عشرين عضلة
■ نحو 10 عضلات

7 - الألعاب الاولمبية ألعاب اغريقية قديمة كما هو معروف . . **ترى أى هذه الألعاب كانت خاصة بالنساء ؟**

8 - جبل كلمنجارو يقع في المنطقة الاستوائية البالغة الحرارة (في كينيا - افريقيا) ومع ذلك فانه مكلل بالثلوج صيفا وشتاء . . . **ترى أى الجبال التالية تقع في المنطقة الاستوائية وتكلل الثلوج قممها . . في آن معا . . ؟**

■ جبل افرست (هملايا)
■ الجبل الأبيض (الألب)
■ جبل كينيا (في كينيا)
■ جبل اكستامسيوتها (في المكسيك)

9 - متى تحرك كلا فكيك . . حين التكلم أم حين الأكل ؟

10 - الأمواج العملاقة المدمرة التى تسببها الزلازل والبراكين ، والتى تنطلق من عرض المحيط الى الشاطى بسرعة هائلة ، تتراوح بين 500 - 700 كم في الساعة . . **ترى ما الاسم الذي تعرف به هذه الامواج ؟**

■ ثورنادو
■ تيفون
■ تسونامى

11 - ثمة صخرة هائلة يبلغ طولها 6 كيلومترات وارتفاعها 348 مترا . . وتعتبر صخرة (آير) هذه من عجائب الطبيعة نظرا لأنها تغير لونها بين ساعة وأخرى أثناء النهار . . فقد تراها ذهبية اللون ثم لاتلبث أن تراها برتقالية أو حمراء . . . **أين تقع صخرة آير هذه ؟**

■ في قاع المحيط الهادى
■ في القطب الشمالى
■ في استراليا

12 - «قلب له ظهر المجن »

مثل من امثال العرب يضرب للمحاربة بعد المسالمة . . **فما هى المناسبة التى تمخض عنها هذا المثل . . . . ؟**



حل مسابقة العدد 335

١ ـ حفلة شاي بوسطن لم تكن حفلة بالمعنى المفهوم ، ولم يقدم فيها شاي ولا قهوة . . فقد كانت بداية الثورة ـ أو الحرب ـ على الاستعمار البريطاني في العالم الجديد ـ الولايات المتحدة الأمريكية حالياً .

وتتلخص أحداث (الحفلة) بأن عدداً من الأمريكين تخفوا بزي الهنود الحمر ، وتسللوا الى السفينة البريطانية الراسية في ميناء بوسطن ، والمحملة بصناديق الشاي . . فألقوا بتلك الصناديق في البحر لأن الحكومة البريطانية كانت قد فرضت عليهم استيرادها ودفع ضريبة جمركية باهظة عليها ، وهكذا بدأت حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ ـ ١٧٨٣) التي انتهت باعلان استقلال أمريكا .

٢ ـ المثل هو (. . تسمع بالمعيدى خير من أن تراه) أول من قاله النعمان لشقة ابن ضمرة . . اذ كان هذا يغير على مال النعمان . . ويطلبه النعمان فلا يقدر عليه . . وكان يعجبه بما سمع عنه من شجاعة واقدام . . فأمنه . . فلما راه استزرى منظره لأنه كان دميم الخلقة . . فقال مثله المعروف . . تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

٣ ـ العامل المشترك بين سقراط الحكيم و كليو باترة هو أنهما شربا السم وماتا تبعاً لذلك .

٤ ـ الحية تلدغ والعقرب تلسع . . والجدير بالذكر أن لفظ لدغ ولفظ لسع اقتربا من حيث المعنى حتى كادا أن يكونا مترادفين . . ولكن ثمة فرقاً أساسياً بينهما . . فاللدغ من فعل الفم ، واللسع من فعل الوخز .

٥ ـ يبلغ عمر الكون في اجتهاد أكثر الفلكيين ، ١٦,٧٠٠ مليون سنة ، وكانت البداية بانفجار هائل كما يقولون .

٦ ـ الصهر هو زوج الأخت . . وهو أيضاً زوجُ الابنة . . وجمعه أصهار . . ويقال أصهر بهم واليهم وفيهم : صار لهم صهرا . . ويعني اللفظ أيضاً القرابة . . مجرد القرابة . . فيقال أصهره أي قربه وأدناه وأصهر الجيش للجيش أي دنا بعضه من بعض ، وللفظ مؤنث (في اللغة) هو : صِهْرة . . . .

٧ ـ الدولة الأولى في انتاج الماس هي الكونجو
الدولة الثانية في انتاج الماس هي اتحاد جنوب أفريقيا .
الدولة الثالثة في انتاج الماس هي غانا .
الدولة الرابعة في انتاج الماس هي سيراليون .

فالماس اذن سلعة أفريقية خالصة تقريباً ، اذ يبلغ نصيب أفريقيا من انتاجه ٩٧٪ أما الباقي ٣٪) فيستخرج من البرازيل والاتحاد السوفياتي وبورنيو . . وهذه الأخيرة هي موطن الماس الأول ، وقد اكتشف فيها أول ما اكتشف سنة (٦٠٠م) أي قبل اكتشافه في أفريقيا بحوالي ١٢٠٠ سنة .

٨ ـ يقع معبد (كاراي ما) في مدينة بيكانر ويؤوي نحو ١٠٠,٠٠٠ فأر أو يزيد . . .

٩ ـ السُّمْسُم (بالضم) هو النمل الأحمر ، والسَّمْسَم (بالفتح) هو الثعلب أو الذئب .

١٠ ـ ثمة اعتقاد شائع بأن الشعر والأظافر تستمر في النمو بعد موت صاحبها ، وهو اعتقاد خاطيء ، ويعزي الى الانكماش الذي يطرأ على جلد الميت والذي يبعث على الظن بأن الشعر والأظافر تواصل نموها بعد موت صاحبها ، والحقيقة هي أن النمو في كافة مظاهره يتوقف تماماً

بتوقف الدورة الدموية . . اذ يعني توقفها ـ كما لا يخفى ـ توقف وصول المواد الغذائية الى شتى أعضاء الجسم ، بما فيها الشعر والأظافر ، ولا نمو على الاطلاق بدون مواد غذائية .

١١ ـ تبيض الدجاجات الست في سبعة أيام : ٢٨ بيضة . .

فهي تبيض ٦ بيضات في ١,٥ يوم .

فكم بيضة تبيض في ٧ أيام :

٦×٧÷١,٥=٢٨

١٢ ـ سق السيف العذل . هذا مثل شائع ، وقد قاله ضبة بن أد . وكان ذلك في يوم من أيام الشهر الحرام ، كان يسير فيه ومعه الحرث بن كعب فأتى على مكان فقال له الحرث : أترى هذا الموضع . . فاني لقيت فيه فتى هيئته كذا وكذا فقتلته وأخذت منه هذا السيف . . وثبت لضبة أن القتيل هو ابنه سعد وان السيف سيفه . فقال : أرني السيف انظر اليه ، تناوله ، فعرفه ، فقال له : ان الحديث ذوشجون . . ثم ضربه به حتى قتله . . . فلامه الناس في ذلك وقالوا : اقتلت في الشهر الحرام ؟ قال : سق السيف العذل . . . فذهبت مثلا .

■■



الفائزون في مسابقة العدد 335 أكتوبر 1986

الجائزة الاولى : **شميلة الصالح** /حمص /مدرسة غازي وزوازي ـ سوريا .

الجائزة الثانية : **عبد المجيد شرقي** /قسم الضرائب /زنقة ريمس /الدار البيضاء ـ المملكة المغربية .

الجائزة الثالثة : **فيصل حسن ياسين** /كريتر /عدن ـ اليمن الديمقراطي .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ **عبدالحميد الحمد الشح** /بنغازي /جامعة العرب الطبية ـ الجماهيرية الليبية .

٢ ـ **مسعد جليل دمعة** /شارع المطران /طرابلس ـ لبنان .

٣ ـ **محمد حسن صلاح** /ثانوية عمارة رشيد /الجزائر العاصمة ـ الجمهورية الجزائرية .

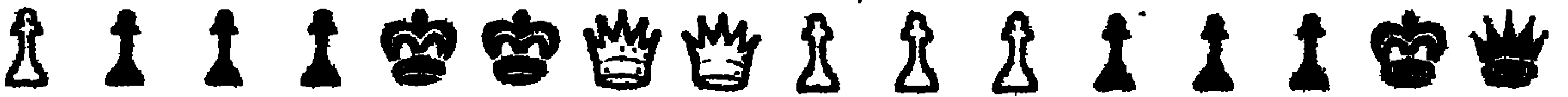
٤ ـ **مجدي محمود أحد** /المطرية /القاهرة ـ جمهورية مصر العربية .

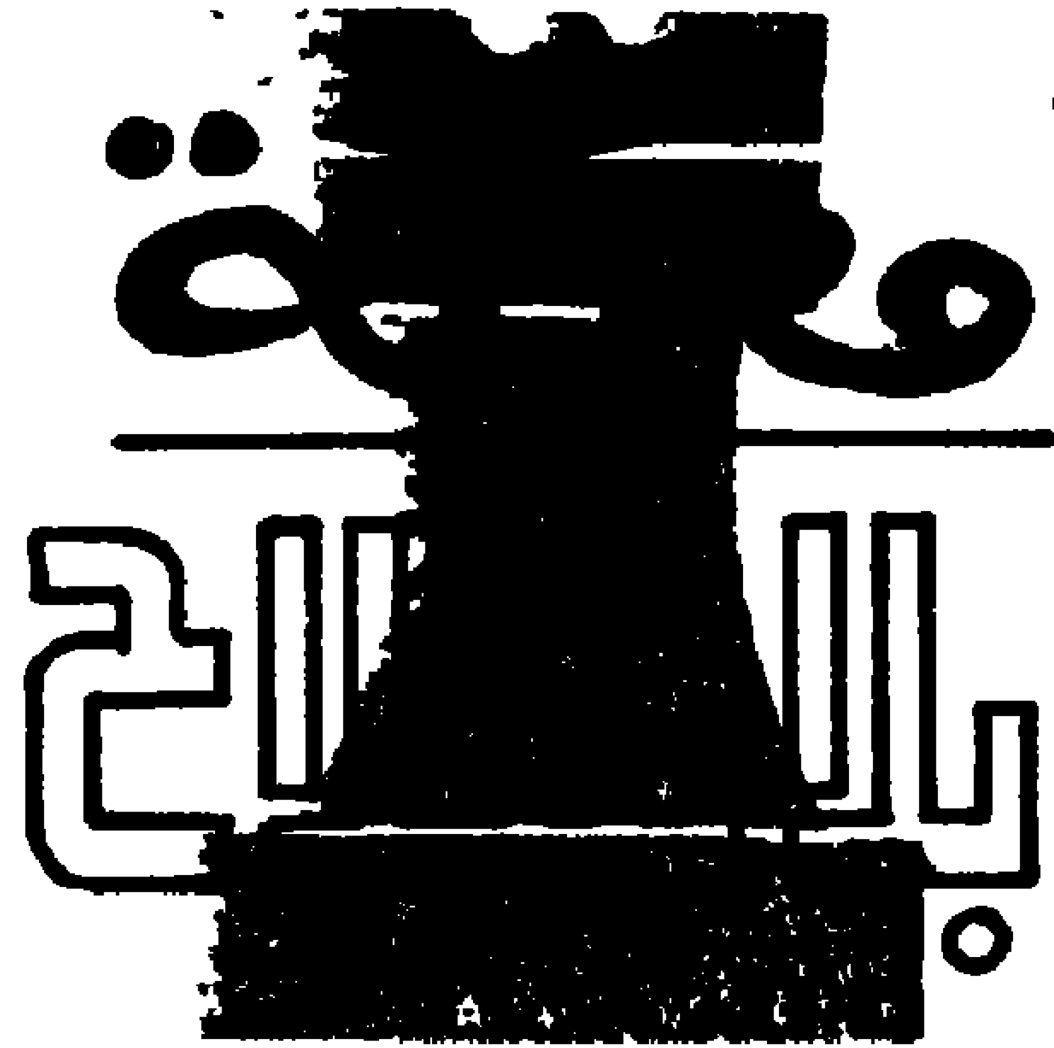
٥ ـ **عبدالله محمد سليمان** /شركة ارامكو /الظهران ـ المملكة العربية السعودية .

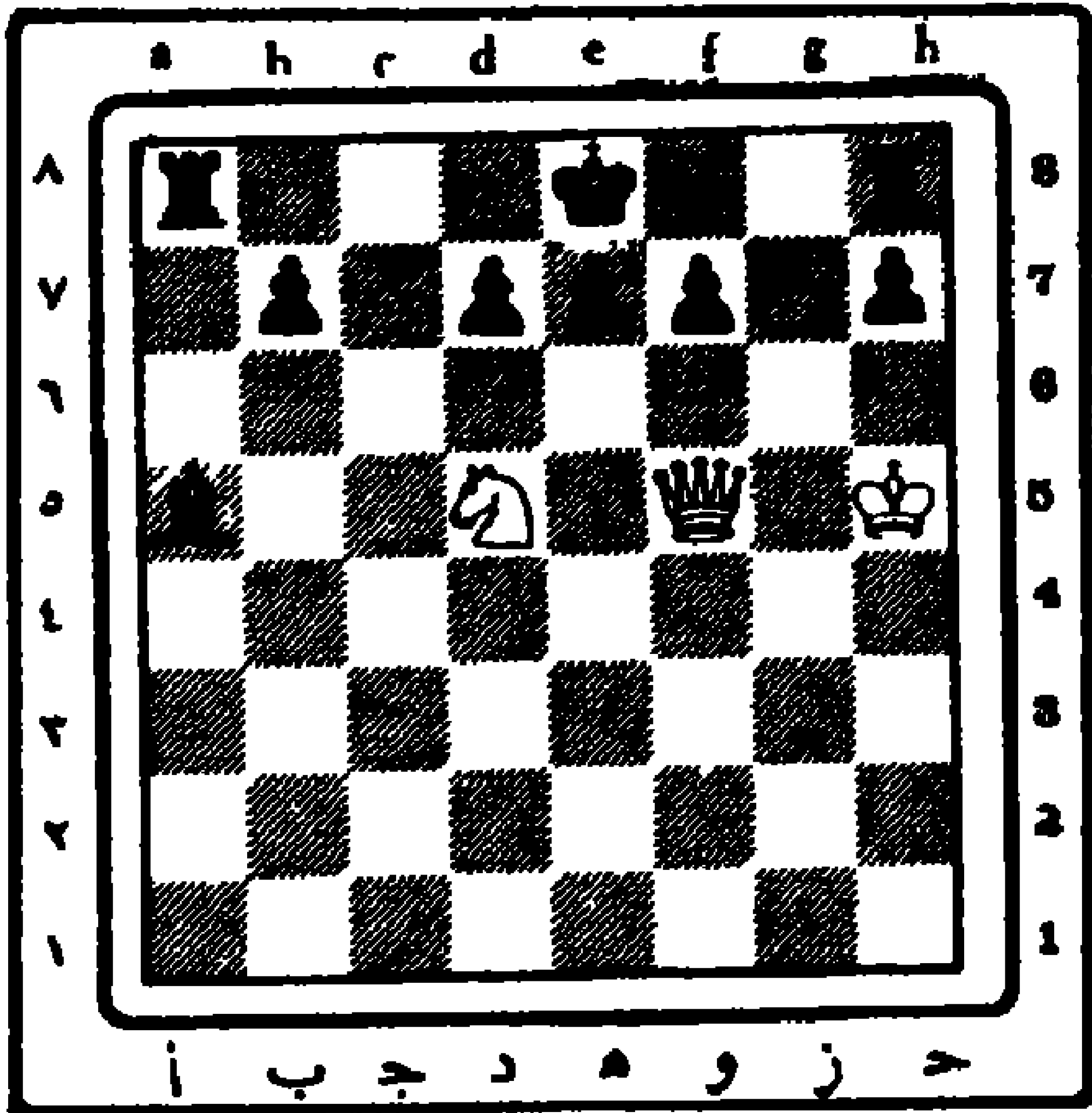
٦ ـ **عبدالقادر على النعيم** /الخرطوم ـ جمهورية السودان .

٧ ـ **سناء جودات خلف** /شركة الكهرباء /عمان ـ الأردن .

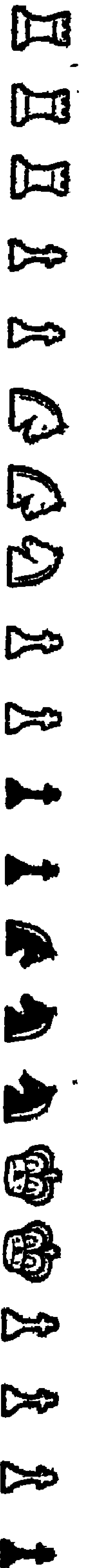
٨ ـ **محمد قال بن الطالب النافع** /نواكشوط ـ موريتانيا .











الشطرنج والطب النفسي

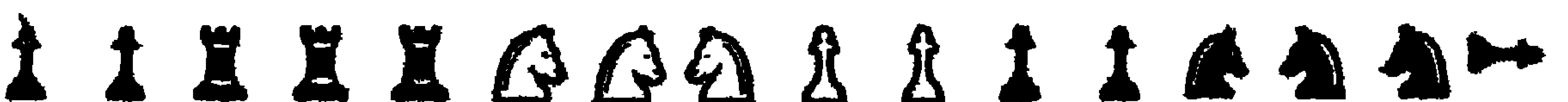
بدأ الطب النفسي يفرض نفسه بقوة متزايدة على الساحة الشطرنجية ، وبخاصة على برامج الدورات التدريبية والتنشيطية المتقدمة التي تعقد لكبار اللاعبين .

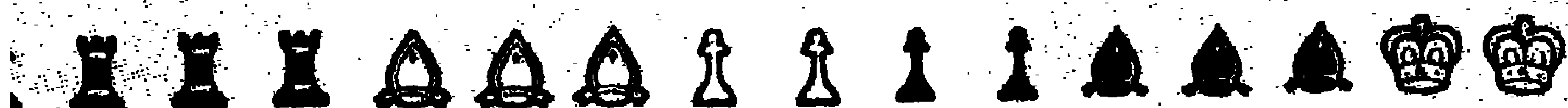
وينصح الأطباء النفسيون وعلى رأسهم الطبيبان اليكسيف و زمانوفسكي اللاعبين بأن يراقبوا ما ينتابهم من حالات التّفاؤل والتشاؤم أثناء اللعب وعلى الأخص عند تَعَرّضهم للمواقف الحرجة إلى جانب مراقبة أنماط نومهم بعد انتصاراتهم أو هزائمهم . كما ينصح الأطباء النفسيون الأساتذة الكبار بالاسترخاء التام والاخلاد إلى السكينة بعد كلّ مباراة .

وما دمنا في معرض الحديث عن الأطبّاء وامتداد نفوذهم إلى رقعة الشطرنج ، فإن أحدهم ونعني به سيجبرت تاراش الألماني كان من كبار لاعبي النصف الأول من القرن الحالي وقد حَقّق من النجاحات على الرقعة في المباريات الدولية الكبرى التي خاضها ما وضعه في مصاف أكبر الأبطال في تاريخ اللعبة .

والدور التالي من الدفاع الفرنسي دليل واضح على قدراته الفذة في السّيطرة على أكبر مساحة من الرقعة :

□ تاراش	■ شيفرز
١ د ٤	هـ ٦
٢ هـ ٤	د ٥
٣ . ح - جـ ٣	ح - و ٦
٤ . ف - ز ٥	ف - هـ ٧
٥ . هـ ٥	ح (و) - د ٧
٦ . ف × هـ ٧	و × هـ ٧
٧ . ح - ب ٥	ح - ب ٦
٨ . جـ ٣	أ ٦
٩ . ح - أ ٣	جـ ٥
١٠ . ح - جـ ٢	ح - جـ ٦
١١ . و ٤	جـ × د ٤
١٢ . جـ × د ٤	ف - د ٧
١٣ . ب ٣ مقيداً حركة الحصان	ر - جـ ١
١٤ . و - د ٢	ت
١٥ . ح - و ٣	و ٥
١٦ . ف - د ٣	ر - جـ ٧
١٧ . ت	م - حـ ٨
مبالغة في الحيطة ، تحرير الفيل كان أفضل	
١٨ . م - حـ ١ (هجوميّة)	ف - هـ ٨
١٩ . حـ ٣	ح - أ ٧





الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد 335 اكتوبر 1986

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ـ م . باسم رأفت ـ الكويت
٢ـ خالد نبهان ـ القاهرة/ ج . ع م
٣ـ عصام أحمد ـ اليمن الديمقراطية
٤ـ الناصرى عبداللطيف ـ مكناس/ المغرب
٥ـ حسين عبداللاوي ـ الذويبات/ تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ـ حسن ارحيم ـ دمشق/ سوريا
٢ـ أحمد خضير ـ أم درمان/ السودان
٣ـ هيثم عبدالله ـ الرمثا/ الاردن
٤ـ عبدالسلام البقالي ـ الدار البيضاء/ المغرب
٥ـ فتحي العكروت ـ طرابلس/ ليبيا

---

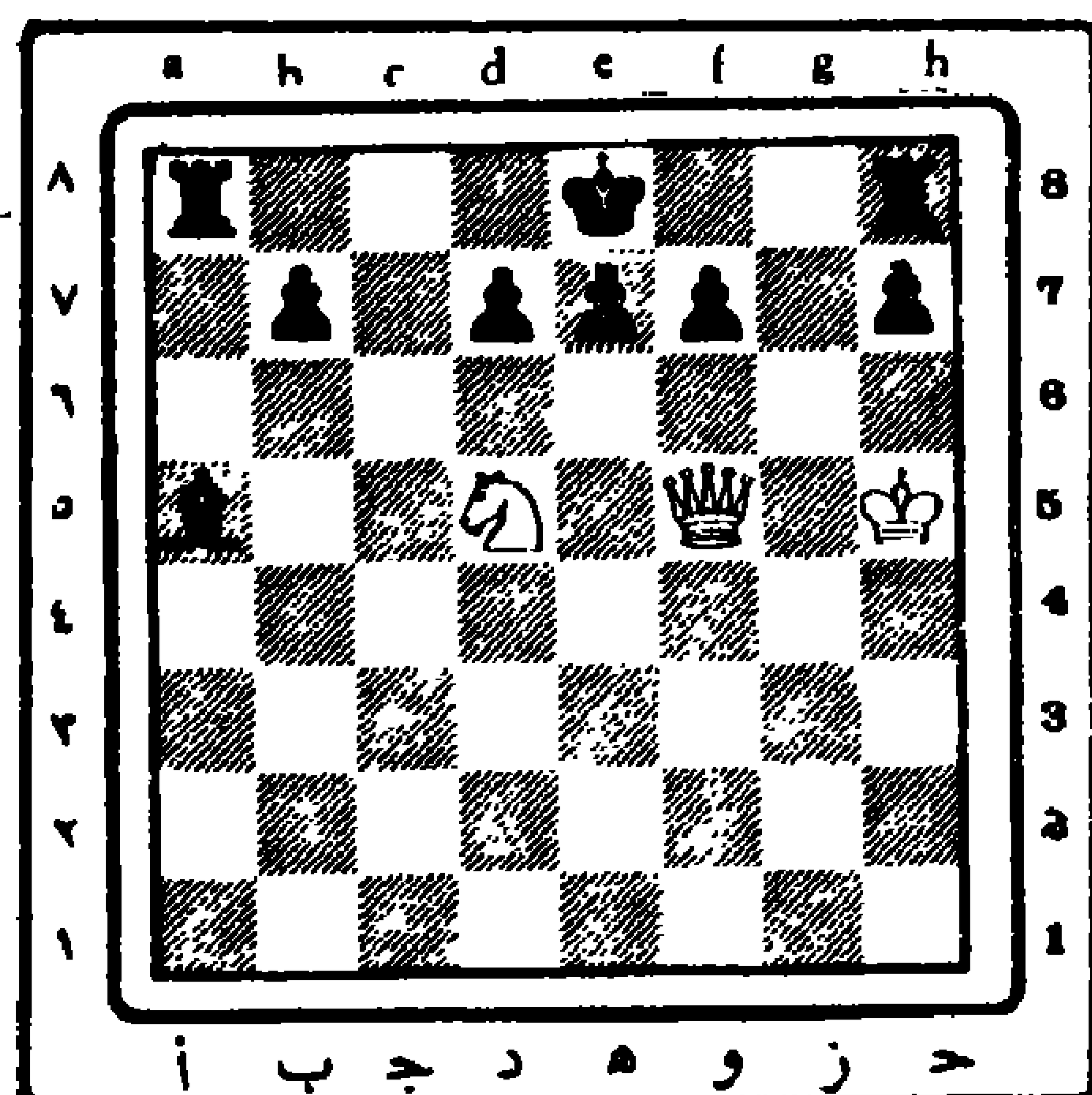
٢٠ . أ ٤	ح ـ جـ ٦
٢١ . ز ٤	ز ٦
٢٢ . أ ٥	ح ـ جـ ٨
٢٣ . ر ـ ز ١	ح (٣) ـ أ ٧
٢٤ . ر ـ ز ٣	و × ز ٤

نقلة متسرعة ف ـ ب ٥ أفضل بكثير

٢٥ . حـ × ز ٤	ف ـ ب ٥
٢٦ . و ٥	ف × د ٣
٢٧ . (البيدق) و ـ و ٦	و ـ هـ ٨
٢٨ . و × د ٣	ح ـ ب ٥
٢٩ . ح ـ ز ٥	ر ـ جـ ٣

شكل (١)

٣٠ . و × جـ ٣ (رائعة)	ح × جـ ٣
٣١ . ر × جـ ٣	حـ ٦
٣٢ . ر ـ حـ ٣	و ـ جـ ٦ (مضطراً)
٣٣ . ر × حـ ٦ +	م ـ ز ٨
٣٤ . ر × ز ٦	م ـ حـ ٨
٣٥ . ح ـ هـ ١	ح ـ هـ ٧
٣٦ . ر ـ حـ ٦ +	م ـ ز ٨
٣٧ . ح ـ ز ٢	و ـ جـ ٣
٣٨ . ر ـ هـ ١	ح ـ جـ ٦
٣٩ . ر ـ ز ٦ +	م ـ حـ ٨
٤٠ . ر ـ هـ ٣	و × هـ ٣
٤١ . ح × هـ ٣	يستسلم



مسألة العدد رقم 338

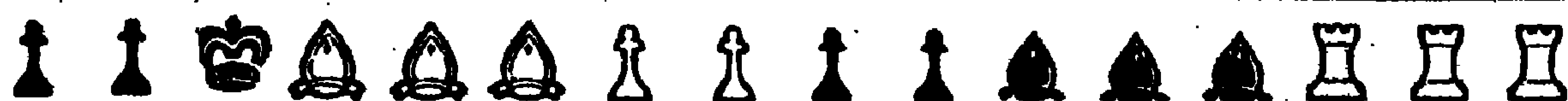
يناير 1987

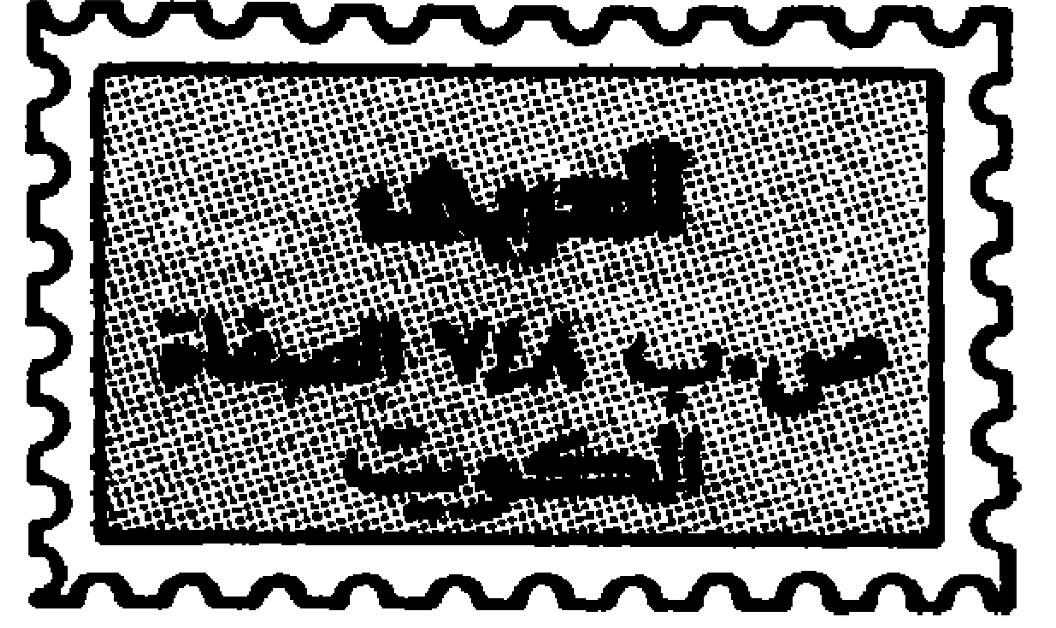
مات 2

حل مسألة العدد 336

(نوفمبر 1986)

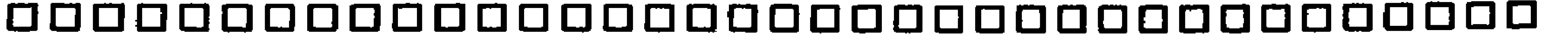
١ ـ ر ـ ز٦++   م ـ حـ٥ أو م × ز٦
٢ ـ و ـ ز٥ مات





على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..



عزيزى القارىء :

كل عام وانت بخير ، تعودنا فى بداية كل عام جديد ان تكون لنا وقفة معك فى هذا الباب .

فباب حوار القراء هو طريقنا لتلمس نبض القارىء ، والتعرف على خواطره ، وعلى صدى عملنا عنده ، وملاحظاتك ومقترحاتك ـ عزيزى القارىء ـ تكون دائما أمام أعيننا ، ونحن نفكر فى أى تطوير أو تغيير ، فنحن نقرأ بعناية كل رسالة ، سواء رددنا عليها أو لم نتمكن من ذلك، ونهتم بكل ملاحظة أو اقتر ح أو رغبة ، سواء تمكنا من تلبيتها أو كان لنا تحفظ عليها ؟

ونختار من بين هذه الرسائل ما نقدّر ان فى نشره فائدة لأكبر عدد من القراء بشكل أو بآخر .

ولعل من المناسب ونحن فى بداية عام جديد أن نشير الى بعض الملاحظات التى قد تسهم فى تنظيم هذا الحوار بين المجلة وقرائها .

● هناك رسائل عديدة يطلب منا أصحابها أن نرسل اليهم ـ شراء أو هدية ـ بعض الكتب التى تقدمها المجلة ، سواء فى المكتبة العربية أو الأجنبية ، وطبعا هذا أمر خارج تماما عن دور هذا الباب .

ودور المجلة مقصور على التعريف بمحتوى الكتاب والتعليق عليه ، والتعريف بدار النشر والتوزيع ، والباقى من مسئولية القارىء .

● رسائل أخرى يتفضل أصحابها بتوجيه الدعوة لمجلة العربى لعمل استطلاعات عن مدنهم أو أوطانهم ، ويذكروننا بأن واقع هذه البلاد قد تغير كثيرا عن آخر مرة جرى فيها استطلاع للعربى عنها ، وبعض هذه الرسائل يتحدث أصحابها عن انحياز من المجلة لبعض البلاد أو لبعض المناطق ، ونود أن نطمئن هؤلاء الأخوة الى أن المجلة تضع رغباتهم فى الاعتبار ، وهى تخطط لاستطلاعاتها ، وتضع اولوياتها ، وأن المجلة لا تنحاز الا لما تتصور أن فيه فائدة أكبر للقراء فى اطار ظروفها أو ظروف هذه البلاد .

● رسائل يطلب أصحابها معلومات من النوع الذى يمكن الوصول اليه بجهد ميسور فى المراجع أو المصادر المتاحة ، أو معلومات خاصة قد لاتهم غيرهم ، أو لا تتصل بما ينشر فى المجلة .. وهذه المعلومات لا يكون من المجدى لجمهرة القراء ان تأخذ مساحة من هذا الباب .

● وأخيرا سنبقى دائما فى انتظار رسائلك ، نرحب بها ونتعلم منها ، ونتحاور معها ، ونسعد بما فيها من صدق ، مهما كان قاسيا ومقلقا ، فهى طريقنا لالتماس الصواب وانجاز التقدم .



حول تأخير مجلة العربي ورفع سعرها في جمهورية مصر العربية

○السيد الكتور محمد الرميحي :

تحية تقدير وعرفان لجهودكم في النهوض بمجلة العربي ، التي أصبحت بحق مجلة كل القراء العرب ، يترقبها كل أديب ومثقف في مطلع كل شهر ، وفي مطلع هذا الشهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ تأخر وصول مجلة العربي لجمهورية مصر العربية لمدة عشرين يوما ، الأمر الذي أثار قلق القراء ، كما افسح الفرصة لاشاعات عديدة حول معنى هذا التأخر أو أسبابه . . . وفي يوم ٢٠ اكتوبر فوجيء القراء بنزول المجلة الى الأسواق والحق انها كانت مفاجأة سارة ، رغم أنهم لاحظوا رفع سعر المجلة من ٢٥٠ مليما الى ٣٠٠ مليم ، وقد وضعت شركة الأهرام للتوزيع على غلاف المجلة ورقة بالسعر الجديد كما هو مرفق بهذه الرسالة .

ونحن نسألكم هل هذه الزيادة بموافقتكم ، أم ان شركة التوزيع هي التي فرضت هذه الزيادة ؟ ولماذا ؟ واذا كانت بموافقتكم فنرجو وضع السعر الجديد على صفحة سعر النسخة بداخل المجلة ، ولكم خالص الشكر والاحترام .

د . علي الجندي
جامعة الاسكندرية

العربي

نشكر للأخ الكريم اهتمامه وتقديره ، ويسرنا أن نوضح أن هذه الزيادة قد تمت بعلمنا ، وسبب هذه الزيادة هو مواجهة ارتفاع أسعار الجمارك في مصر على المطبوعات المرسلة الى جمهورية مصر العربية ، وقد تم وضع السعر الجديد في مكانه على الصفحة داخل المجلة ذاتها ، ولعل حرص شركة التوزيع على دراسة الموضوع من جميع جوانبه ، بينما كان العدد مطبوعا بالفعل ، هو الذي أدى الى تأخير توزيع العدد في شهر اكتوبر .

قاريء يلقي بمزيد من الضوء على الفرد نوبل

○قرأت في العدد رقم ٣٣٤ شهر سبتمبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب (مكتشفون ومخترعون) مقالا عن الفرد نوبل مخترع الديناميت ، لاجرم كان موضوعا رائعا ، ومن هذا المنطلق اسمحوا لي أن أضيف الى المعلومات القيمة التي قدمها الموضوع المزيد من التفاصيل التي تكتمل بها الصورة ، ولعل القارىء يجد فيها بعض الفائدة .

- اشار المقال الى أن (الفرد نوبل) أتقن خمس لغات ، وأضيف هنا أن هذه اللغات الخمس هي : السويدية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الالمانية الروسية .

- ذكر المقال أن (نوبل) أطلق على مادة (النيتروجليسرين) الجديدة اسم (ديناميت) ، وأوضح هنا أن كلمة (ديناميت) مأخوذة من الكلمة اليونانية (ديناميس) ومعناها القوة .

- وجاء في المقال : (من هنا كان اقدامه (نوبل) على التوصية بتخصيص ما يعادل مليوني جنيه استرليني من ثروته الكبيرة لتوظيف مردودها لمكافأة المتفوقين من العلماء سنة بعد سنة ، وجدير بالذكر أن المال المخصص في تقديري كان اكثر من ذلك ، فقد أوصى نوبل قبل وفاته بأسبوعين باستثمار ثروته التي قدرت بثلاثة ملايين جنيه ، وتوزيع أرباح هذا



حوار القراء ..

الاستثمار في شكل جوائز دولية تمنح للعلماء الذين أسهموا مساهمة فعالة في ميادين العلوم الطبيعية والأدب والسلم .

ـ لم يشر المقال الى أن ثروة (الفرد نوبل) لا تعود فقط الى اختراعاته ومن اهمها (الديناميت) بل الى استغلاله مع أخيه لحقول البترول في مدينة (باكو) عاصمة اذربيجان احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، الواقعة في جنوبه .

ـ صحيح أن جوائز نوبل العالمية الشهيرة ظهرت عام ١٩٠١ ، لكن من المناسب أن توضح أكثر أن اول من منح هذه الجائزة هو (رونتجن ١٨٤٥ ـ ١٩٢٣) لاكتشافه أشعة (اكس) وذلك في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة نوبل .

عبد الله محمد حاج عبدو
حلب / الجمهورية العربية السورية

العربي

ـ نشكر القارىء الكريم على اهتمامه بتقديم هذه المعلومات التفصيلية حول موضوع (الفرد نوبل) ومن المعروف ان مثل هذه الأبواب تقوم بتركيز أهم المعلومات حول موضوعها ، ليفتح الطريق أمام من يرغب في الاستزادة من المعرفة من القراء .

من انقذ باريس من الدمار ؟

○ لي تعقيب بسيط على مقال الدكتور عبد الوهاب حومد الذي نشر بالعدد رقم ٣٣٢ يوليو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي ، تحت عنوان (الجريمة تظل دائما جريمة) ، فقد أورد الدكتور أن القائد (فون كلوغ) أعلن باريس مدينة مفتوحة ليجنبها دمارا مؤكدا .

والحقيقة أن المارشال (فون كلوغ) قائد مجموعة الجيوش (ب) الذي تسلم القيادة بعد رومل .. كان قد اختفى فجأة وهو في طريقه الى مركز قيادته ، فما كان من هتلر الا أن عين بدلا منه المارشال (مورل) ولم يكد يظهر كلوغ ثانية ، حتى وضع تحت الرقابة النازية الشديدة ، لارتيابه بهتلر في تورطه في مؤامرة ٢٠ تموز ، وقد انتحر (كلوغ) بعد أن ترك لهتلر رسالة ضمنها رغبته في وضع حد لمهزلة الحرب .

وقد جرت كل هذه الأحداث قبل احتلال باريس بفترة زمنية [illegible]

أما قائد باريس فهو الجنرال (فون شولتز) الذي أعفي من قيادة الفيلق ٨٤ بسبب خطأ لم يرتكبه ، وعندما اشتد أوار المعركة حول باريس ، أمره هتلر بنسف الجسور ، وتحويل المدينة الى أطلال ، ولكنه لم يفعل ، وسجل له التاريخ هذه المأثرة ، وقد اقتيد هذا الجنرال من باريس الى دار البلدية حيث أملى عليه الجنرال (لوكلير) شروط استسلامه ثم نقل ثانية الى مونبارس حيث أبلغ نقاط ارتكازه أمرا بالقاء السلاح ، فأطاعت كلها الأوامر ، وانقذت باريس من الدمار .

محمد ابراهيم دخيل
درنة / ليبيا

حول التعريب في جامعة حلب

○ تعقيبا على الحوار مع المفكر الجزائري (مولود قاسم) في العدد رقم ٣٣٥ شهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي حيث جاء على لسانه أن العقدة (وهو يعني عقدة تدريس العلوم باللغة الاجنبية) تغلبت في جامعة حلب حيث تدرس العلوم باللغة الاجنبية .

وأود في هذا الصدد أن أوضح ما يلي :

جامعة حلب وكليات العلوم بها تدرس جميع موادها باللغة العربية ، لكن اذا كان الأستاذ مولود قاسم يقصد كلية الطب بجامعة حلب ، فان كلامه كان صحيحا لبعض الوقت ، ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة ؛ فان كلية الطب أسست بمساعدة من الأمم المتحدة ، ودرست فيها العلوم الاساسية لفترة باللغة الانجليزية ، لا بسبب العقدة التي تحدث عنها المفكر الجزائري ، بل بسبب نقص الأطر القادرة على التعليم باللغة العربية ، وقد استعانت كلية الطب آنذاك باساتذة زائرين معظمهم من القطر المصري الشقيق ، وهم الذين أصروا على التدريس باللغة الانجليزية كما تعودوا ، ولكن هذه المشكلة حلت منذ عدة سنوات حين عاد الهيكل التدريسي من الايفاد ، وأصبحت العلوم الأساسية تدرس باللغة العربية ، وجدير بالذكر أن كلية الطب بجامعة دمشق ومنذ أسست في العشرينيات من هذا القرن كانت ولا تزال تدرس الطب باللغة العربية ، وأضيف هنا أن الدراسات التخصصية العليا في كل من جامعتي دمشق وحلب تدرس أيضا باللغة العربية أيضا ، ومنذ نشأتها في منتصف السبعينيات ، وهي تستطيع رفد أية كلية طب عربية بأعضاء هيئة تدريس يحملون شهادة الماجستير في مختلف التخصصات ، وهناك جهود مستمرة لترجمة أمهات الكتب الطبية الى اللغة العربية ، لرفد المكتبة الطبية العربية بالمصادر الأصلية ، ولو كانت هذه الجهود على المستوى القومي لاثمرت بشكل أفضل ولتحقق لنا الكثير في هذا المضمار .

د . سعد الله بليد
محاضر في كلية الطب ـ جامعة حلب

العربي

ـ نشكر للمعقب الكريم توضيحه ، ونرجو معه أن تتضافر الجهود في كل أقطار الوطن العربي ، لتعالج قضية تعريب العلوم على المستوى القومي ، وأن تعالج أيضا قضية البحث العلمي على المستوى القومي ذاته ، فهما قضيتان مترابطتان ، ولا يستطيع قطر عربي واحد أن يحقق الانجاز المأمول وحده .

قارئة تسأل عن أهلها في الكويت والعراق

○ انني من قراء العربي منذ صغري ، وأكتب رسالتي هذه ، ولي أمل كبير في تلبية طلبي .

لي أهل أعزاء في مدينة البصرة / العراق ، انقطعت أخبارهم عنا منذ سنتين تقريبا ، وقد بعثت اليهم عدة رسائل دون أن أتلقى ردا ، ولا أعرف شيئا عن مكان تواجدهم الحالي ، وفي الوقت ذاته لي أقارب آخرون مقيمون في الكويت ولكن للأسف الشديد ليست لدي عناوينهم .

أرجو نشر رسالتي هذه لعل أحد أقاربي في الكويت ، أو في العراق يطلع عليها ، ويراسلني بالضرورة على عنواني الجديد المسجل بهذه الرسالة في لبنان ، حيث دمرت الحرب عنواني القديم لديهم .

ربما لا يكون هذا جزءاً من عمل (حوار القراء) ولكن لدي ثقة كبيرة في أن تلبوا هذا الرجاء لقارئة قديمة لمجلة العربي ، ولكم خالص الشكر .

مها الجراح
الشقة ١٣٥ ، الطابق ٣ بناية الحمراء سنتر
شارع الحمراء / بيروت / لبنان

من مختارات القراء

○ قال سقراط : « النفس الفاضلة لا تطغى بالفرح ، ولا تجزع من الترح ، لأنها تنظر في كل شيء كما هو ، لا تسلبه ماهو له ، ولا تضيف إليه ماليس منه ، والفرح بالشيء إنما يكون بالنظر في محاسن الشيء دون مساوئه ، والترح إنما يكون بالنظر في مساويء الشيء دون محاسنه ، فإذا خلص النظر من شوب الغلط فيما ينظر فيه ، انتفى الطغيان والجزع ، وحصل النظام وربُعَ (دَامَ) . □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير 1987 م

العملية الإبداعية في فن التصوير

تأليف:
د. شاكر عبد الحميد سليمان

500 فلس

الكتاب 109

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب 23996 الكويت

****

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد 208 أول يناير 1987

جثة حيّة

تأليف : تولستوي

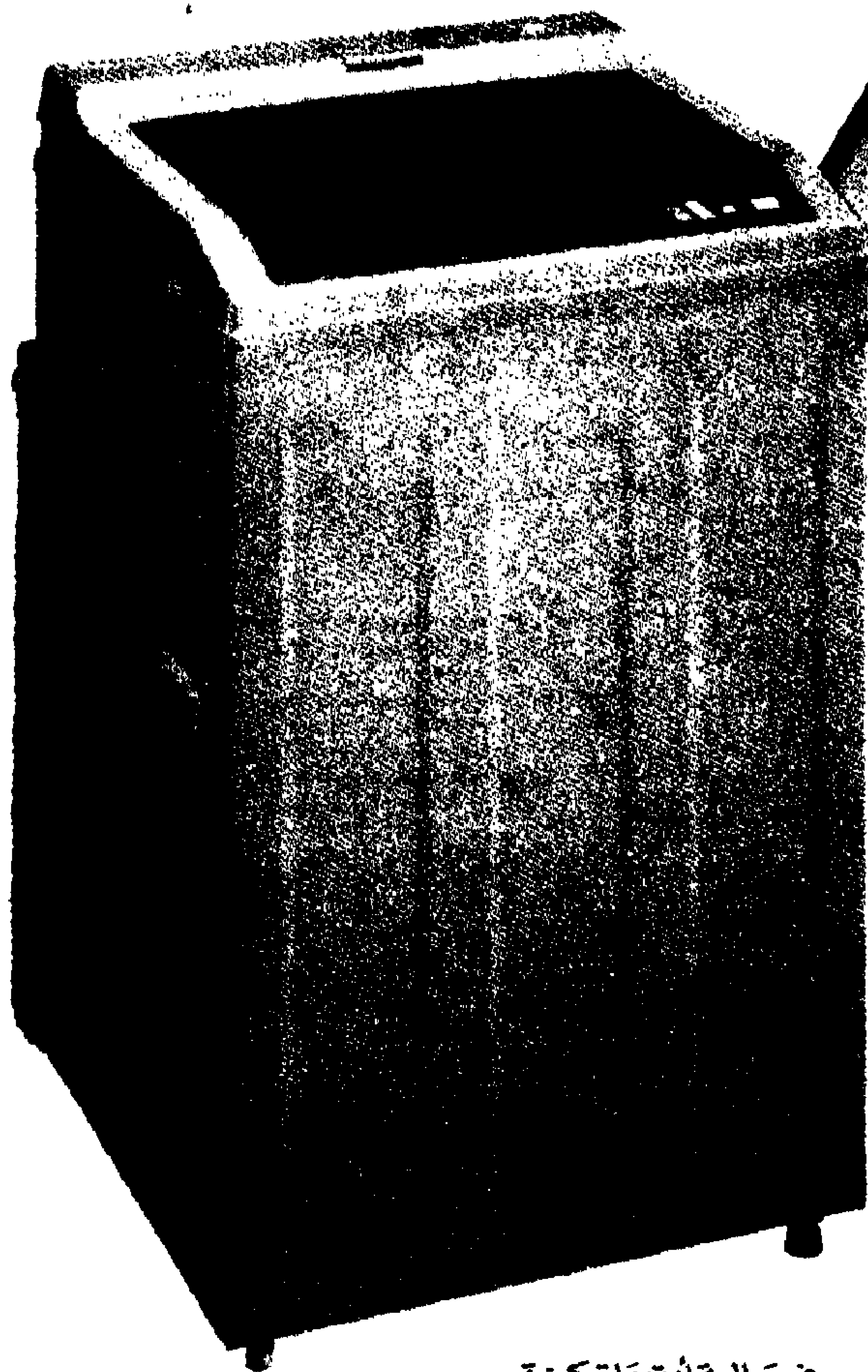
ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية

مراجعة : د. سمية عفيفي

إغسلها

أكثر نظافة مع توشيبا



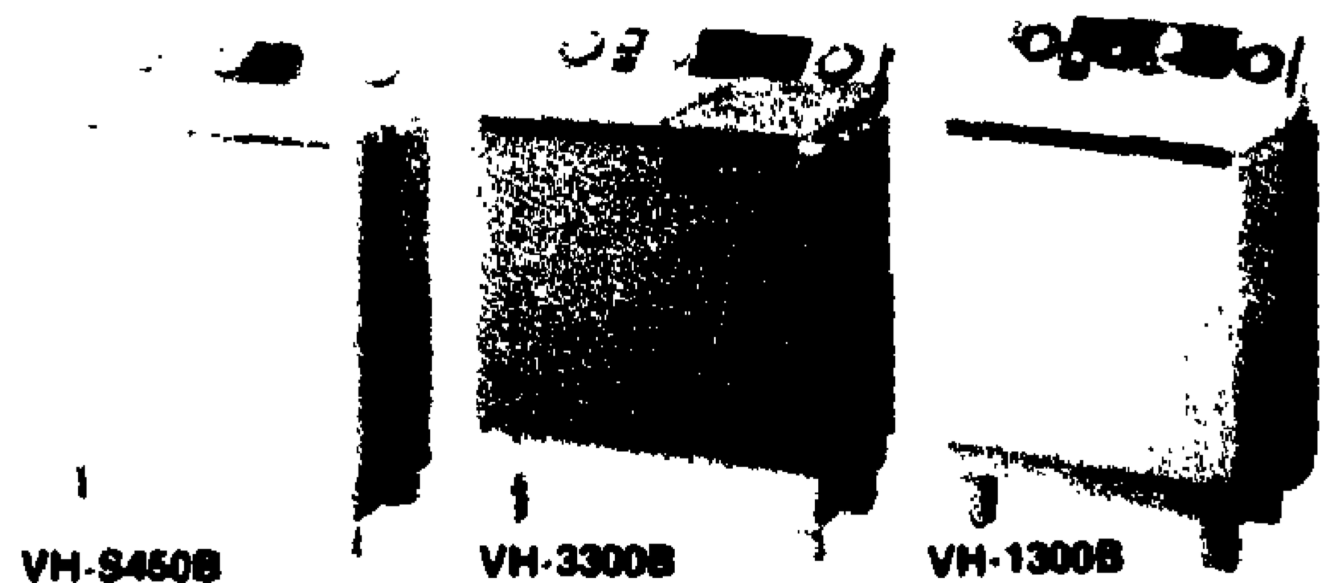


POWER TUB



الحوض الجديد المتحرك في غسالة توشيبا يجاري تصميمها الفريد. فكامل النصف الأسفل لحوض الغسيل يدور بقوة با تجاهين بالتناوب ليوفر غسيلا فائق النظافة، كل مرة. ويجري التحكم بكل هذا بمجرد لمس لوحة الميكروكمبيوتر الأمامية:

- دوران الحوض بطريقة ثورية جديدة.
- قوة تنظيف إضافية.
- سعة كبيرة إضافية (زائد ٢٠٪).
- تخفيف إمكانية تلف الثياب.
- تنظيف متساو، يمنع تشابك الثياب.



غسالة بحوضين
VH-S450B

- نابض SWING لمنع تشابك الثياب ولتأمين تنظيف أفضل وأنعم • فلتر داخلي فعال للنشالة

غسالة بحوضين
VH-3300B

- توفير للوقت والماء بفضل حركة الشطف الدوار • فلتر داخلي فعال للنشالة

غسالة بحوضين
VH-1300B

- توفير للوقت والماء بفضل حركة الشطف الدوار • فلتر داخلي فعال للنشالة

غسالة أوتوماتيكية كاملة
AW-SX1E

- دوران الحوض بطريقة ثورية جديدة. تحكم بالميكروكمبيوتر
- تمنع تشابك الثياب وتغسل بنعومة
- تنظيف فعال • سعة كبيرة

TOSHIBA

TOKYO, JAPAN